

# تراثنا

صُنْعُ الْإِنشَاءِ

في  
صناعة الإنشاء

تأليف  
أبي العباس أحمد بن علي الفلّقي شندي

٨٢١ هـ - ١٤١٨ م

الجزء الثاني

نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية  
ومذيّة

بتصويبات واستدراكات وفهارس تفصيلية  
مع دراسة واقية

وزارة الثقافة والارشاد القومي  
المؤسسة المصرية العامة  
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر



# تراثنا

صُنِجُ الْإِنْسَانِ

في  
صناعة الإنسان

تأليف  
أبي العباس أحمد بن علي القليشندي

٨٤١ هـ - ١٤١٨ م

الجزء الثاني

نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية  
ومندبة

بتصويبات واستدراكات وفهارس تفصيلية  
مع دراسة وافية

وزارة الثقافة والإرشاد القومي  
المؤسسة المصرية العامة  
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مطالعہ کوستا اسوامیہ  
و شایعہ دفنہ کز یسلی الیامریعہ  
شکونہ ۹۰۰۸۸ م. ۶۳۱۱



# فهرست

## الجزء الثانى من كتاب صبح الأعشى

صفحة

- ١ النوع الثامن عشر - المعرفة بالأحكام السلطانية ... ..
- الطرف الثانى - فى معرفة ما يحتاج الكاتب الى وصفه فى أصناف
- ٤ الكتابة الخ، ويشتمل على أنواع ... ..
- النوع الأول - مما يحتاج الى وصفه النوع الإنسانى، وهو على
- ٤ ضريبن ... ..
- النوع الثانى - مما يحتاج الى وصفه، هى دواب الركوب،
- ١٣ وهى أربعة أصناف ... ..
- النوع الثالث - ما يحتاج الى وصفه من جليل الوحش الخ،
- ٣٣ وهو أصناف ... ..
- النوع الرابع - فيما يحتاج الى وصفه من الطيور، وهو على أربعة
- ٥٢ أصناف ... ..
- النوع الخامس - ما يحتاج الى وصفه من نقائس الأحجار، وفيه اثنا عشر
- ٩٧ صنفاً ... ..
- النوع السادس - نفيس الطيب، وفيه أربعة أصناف ... ..
- ١١٨ النوع السابع - ما يحتاج الى وصفه من الآلات، وهى أصناف ...
- ١٣١ النوع الثامن - مما يحتاج الى وصفه، الأفلاك والكواكب، وفيه
- ١٥٤ مقصيدات ... ..
- النوع التاسع - مما يحتاج الكاتب الى وصفه العلويات مما بين السماء
- ١٧٥ والأرض، وهى على أصناف ... ..

صفحة	النوع العاشر - مما يحتاج الكاتب الى وصفه، الأجسام الأرضية،
١٨٦	وهي على أصناف ... ..
	الطرف الثالث - في صناعة الكلام ومعرفة كيفية إنشائه ونظمه وتأليفه،
١٩٢	وفيه مقصدان ... ..
٣٣٩	الفصل الثالث - في معرفة الأزمنة والأوقات الخ، وفيه أربعة أطراف
٣٣٩	الطرف الأول - في الأيام، وفيه ست جمل ... ..
٣٦٨	الطرف الثاني - في الشهور، وهي على قسمين طبيعي واصطلاحي
٣٩٦	الطرف الثالث - في السنين، وفيه ثلاث جمل ... ..
٤١٦	الطرف الرابع - في أعياد الأمم ومواسمها، وفيه خمس جمل ... ..
	لبسبب الثاني - فيما يحتاج إليه الكاتب من الأمور العملية، وهو الخط
٤٤٠	وتوابعه ولواحقه، وفيه فصلان ... ..
	الفصل الأول - في ذكر آلات الخط ومبادئه وصوره وأشكاله الخ،
٤٤٠	وفيه ثلاثة أطراف ... ..
٤٤٠	الطرف الأول - في الدواة وآلاتها، وفيه مقصدان ... ..
	الطرف الثاني - في الآلات التي تشتمل عليها الدواة، وهي سبع عشرة
٤٤٤	آلة الخ ... ..
	الطرف الثالث - فيما يكتب فيه، وهو أحد أركان الكتابة الأربعة الخ،
٤٨٣	وفيه ثلاث جمل ... ..

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## النوع الثامن عشر

### المعرفة بالأحكام السلطانية

ليعرف كيف يخلص قلبه على حكم الشريعة المطهرة، وما يشترط في كل ولاية من الشروط، فينبه عليها ويقف عندها، وما يلزم رب كل وظيفة من أرباب الوظائف وما يندب له، فيورده في وصاياه . وقد أورد أفضى القضاة أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي رحمه الله في الأحكام السلطانية ما فيه مقتع من ذلك : ونحن نورد في هذا الكتاب نبذة من كل باب، مما به يستغنى الناظر فيه عن مراجعة غيره . والذي تكلم عليه الماوردي من الوظائف الأصول : الإمامة ، والوزارة ، وتقليد الإمارة على البلاد، وتقليد الإمارة على الجهاد، والولاية على ضرب المصالح، وولاية القضاء، وولاية المظالم، وولاية النقابة على ذوى الأنساب، والولاية على إقامة الصلوات، والولاية على الحج، والولاية على الصدقات، وقسم الفى والغنيمة، ووضع الجزية والخراج ، ومعرفة ما تختلف أحكامه من البلاد، وإحياء الموات، واستخراج المياه، وإلخى، والأوقاف، وأحكام الإقطاع، وأحكام الديوان، وأحكام الجرائم، وأحكام الحسبة .

(١) أى الكاتب .

(٢) هو على بن محمد بن حبيب أنظر كشف الظنون .

وأنا أقصر من ذلك هنا على ما تفضى إليه حاجة الكاتب من الأحكام ،  
 دُونَ ما عداه من الفروع الزائدة على ذلك ؛ فإذا عرف حكم كل ولاية من هذه  
 الولايات ، وما يوجب توليتها ، وما يعتبر في متوليتها من الشروط ، وما يلزمه  
 من الأمور إذا تولها ، وما ينافي أمورها ، ويحجب أحوالها ؛ عرف ما يأتي من ذلك  
 وما يترك ، فيكون ما ينشبه من البيعات ، والعهود ، والتقاليد ، والتفاويض ، والتواقيع ؛  
 وما يجري مجرى ذلك جاريا منه على السداد ، ماشيا على القواعد الشرعية التي من حاد  
 عنها ضلّ ، ومن سلك خلاف طريقها زلّ . وكذلك المناشير المتعلقة بالإقطاعات ،  
 وعقد الجزية والمهادنات والمفاتيحات ، وما يجري مجرى ذلك من الأمور السلطانية .  
 فإذا عرف حكم كل قضية ، وما يجب على الكاتب فيها ، وقاها حقها ، وأتى بذكر  
 ما يتعلق بها من الشروط ، وجرى في وصايا الولايات بما يناسب كل ولاية منها ؛  
 بغرى الأمر في ذلك على السداد ، ومشتّ كتابته فيها على أتم المراد ؛ إن كتب  
 بيعة أو عهدا لخليفة ، تعرض فيه إلى وجوب القيام بأمر الخلافة ، ونصب إمام  
 للناس يقوم بأمرهم ، وتعرض إلى اجتماع شروط الخلافة في المولى ؛ وأنه أحق  
 بها من غيره . ثم إن كانت بيعة نشأت عن موت خليفة تعرض لذكر الخليفة  
 الميت ، وما كان عليه أمره من القيام بأعباء الخلافة ، وأنه درج بالوفاة ، وأن المولى  
 استحقها من بعده دون غيره . وإن كانت ناشئة عن خلع خليفة تعرض للسبب  
 الموجب لخلعه ؛ من الخروج عن سنن الطريق ، والعدول عن منهج الحق ونحو ذلك مما  
 يوجب الخلع لتصح ولاية الثاني . وإن كان عهدا تعرض فيه إلى عهد الخليفة السابق  
 إليه بالخلافة ، وأنه أصاب في ذلك الغرض ، وجرى فيه على سواء الصراط ، ونحو  
 ذلك مما يجري هذا المجرى من سائر الولايات على ما سيأتى ذكره في مواضعه إن  
 شاء الله تعالى .

وهذه فقرة من بيعة أنشأتها توضح ما أشرت إليه من ذلك

لئن ذلك ما قلته فيها مشيراً إلى وجوب القيام بالإمامة :

أما بعد، فإن عقد الإمامة لمن يقوم بها من الأمة واجب بالإجماع، مستند لأقوى دليل تنقطع دون تقضه الأطماع؛ وتنبو عن سماع ما يخالفه الاستماع .

ومن ذلك ما قلته فيها مشيراً إلى اجتماع شروط الخلافة في المولى وهو : وكان فلان أمير المؤمنين، هو الذى جمع شروطها فوقاً لها، وأحاط منها بصفات الكمال وأستوفاه، ورامت به أدنى مراتبها فبلغت أغياها، وتسور معاليها فرفق إلى أعلاه، واتحد بها فكان صورتها ومعناها .

ومن ذلك ما قلته فيها مشيراً إلى عقد البيعة : بجمع أهل الحل والعقد، المتبرين للاعتبار والعارفين بالنقد؛ من القضاة والعلماء، وأهل الخير والصلحاء، وأرباب الرأي والنصحاء، واستشارهم في ذلك فصدّ بوه، ولم يروا العدول عنه إلى غيره بوجه من الوجوه .

ومن ذلك ما قلته فيها مشيراً إلى القبول : وقابل عقدها بالقبول بمحض من القضاة والشهود فلزمت، ومضى حكمها على الصحة فأنبرت، إلى غير ذلك مما يفخرط في هذا من سائر الولايات وغيرها .

قلت : وكما يجب عليه معرفة الأحكام السلطانية، يتعين عليه معرفة ما عدا ذلك من الأمور الصناعية التى ينظم أصحابها في سلك الولايات كالمندسة ونحوها، وسباقى التنبيه فيما يجب على كل واحد من أبواب الولايات عند ذكر ولاية كل منهم في موضعها إن شاء الله تعالى .

## الطرف الثاني

في معرفة ما يحتاج الكاتب إلى وصفه في أصناف الكتابة مما تدعو ضرورة الكتابة إليه على اختلاف أنواعها ، ويشتمل على أنواع

### النوع الأول

مما يحتاج إلى وصفه النوعُ الإنساني ، وهو على ضربين

#### الضرب الأول

أوصافه الجسمية ، وهي على ثلاثة أقسام

#### القسم الأول

ما يَشْتَرِك فيه الرجال والنساء ، وهي عدة أمور

منها : حُسن اللون ؛ والألوانُ في البَشَر ترجع إلى ثلاثة أصول ؛ وهي البياض ، والسُمرة ، والسَّواد ؛ ويعبرُ عن السَّواد بِشِدَّةِ الأُدْمَةِ ، وربما عبرَ عن البياض بِرِقَّةِ السُّمْرِ ، ويستحسن من هذه الألوانُ البياضُ ؛ وأحسنُ البياض ما كان مُشْرَباً بِبحرَةٍ ؛ وقد جاء في حديثِ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ أَنَّهُ حِينَ سَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ وَفُودِهِ عَلَيْهِ يَقُولُهُ : ” أَيُّكُمْ أَبْنُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ؟ قِيلَ : هُوَ ذَاكَ الْأَمْعَرُ الْمُشْكِيُّ “ :  
وَالْأَمْعَرُ هُوَ الْمُشْرَبُ بِبَحْرَةٍ ، أَخْذًا مِنَ الْمُغْرَةِ ؛ وَهِيَ الصَّبْغُ الْمَعْرُوفُ .

وقد جاء في وصفه صلى الله عليه وسلم أنه : ” أَزْهَرُ اللَّوْنِ “ ؛ وَالْأَزْهَرُ هُوَ الْأَبْيَضُ بِصُفْرَةٍ خَفِيفَةٍ . وَالسُّمْرَةُ مُسْتَحْسَنَةٌ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ ، وَهُوَ الْغَالِبُ فِي لَوْنِ الْعَرَبِ ؛ وَقَدْ قِيلَ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ “ : إِنْ الْمُرَادُ بِالْأَحْمَرِ : الْعَجَمُ لِقَلْبَةِ الْبَيَاضِ فِيهِمْ ؛ وَالْمُرَادُ بِالْأَسْوَدِ : الْعَرَبُ لِقَلْبَةِ السُّمْرِ فِيهِمْ ؛ أَمَّا السَّوَادُ فَإِنَّهُ غَيْرُ مَمْدُوحٍ بَلْ قَدْ ذَمَّ اللَّهُ تَعَالَى السَّوَادَ ، وَمَدَحَ

البياض بقوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ الآية؛ على أن كثيرا من الناس قد جَنَحُوا إلى استحسان السودان والميل إليهم، وتأقنوا في الاحتفال بأمرهم؛ وقد نص أصحابنا الشافعية على أنه لو قال لزوجته: إن لم تكوني أحسن من القمر فانت طالق؛ لم تطلق وإن كانت زنجية سوداء؛ فقد قال تعالى: ﴿وَصَوِّرْهُمْ فَأَحْسَنَ صُورَتِهِمْ﴾. وبالجملة فالحسن في كل لون مستحسن؛ وفيه الغائل:

ان المَلِيحَ مَلِيحٌ • يُحِبُّ فِي كُلِّ لَوْنٍ

ومنها: حُسْنُ القَدِّ؛ وأحسن القدود الرِّبَّةُ؛ وهو المعتدل القائمة، الذي لا طَوَلٌ فيه ولا قَصَر، وليس كما يقع في بعض الأذهان من أن المراد منه دُونَ الاعتدال. وقد جاء في وصف النبي صلى الله عليه وسلم، "أَنَّهُ كَانَ رِيبَةً". ويستحسن في القد القَوَامُ والرَّشَاقَةُ، ويشبه بالرخ والفُصْن، وأكثر ما يشبه به في ذلك أغصان البان لقوامها.

ومنها: سواد الشعر؛ وأكثر ما يكون ذلك في السُّمَر، فإن اجتمع مع البياض سواد الشعر كان ذلك في غاية من الحسن؛ ويشبه سواد الشعر بالليل؛ وربما وقعت المبالغة فيه فُشِبَّه بِفُحْمَةِ اللَّيْلِ، وبُدْجِي اللَّيْلِ، وبُفْحَةِ النَّجْمِ؛ وقد يشبه بالآيُنُوسَ ونحوه مما يُلَبَّ فيه حَلَكُ السَّوَادِ.

وقد اختلف الناس في جُعُودَةِ الشعرِ وَسُبُوطَتِهِ أَيُّهُمَا أَحْسَنُ؟ فذهب قوم إلى استحسان الجُعُودَةِ؛ وهي انقباض الشعر بعض انقباض؛ وهو مما يستحسنه العرب، وإليه ذهب الفقهاء حتى لو شرط البائع في عبد كونه جمدة الشعر وظهر يَسِطُ الشعر رُدَّ بذلك بخلاف الممكن؛ وذهب آخرون إلى استحسان السُّبُوطَةِ، وهي استرسال الشعر وأنيساطه من غير انكماش؛ وأكثر ما يوجد ذلك في الترك ومن

في معانهم . ثم الذاهبون إلى آستحسان الجعودة يستحسنون التواء شعر الصُّدُغ ؛  
ويشبهونه بالواو تارة وبالعقرب أخرى

ومنها : وضوح الجبين ، وسعة الجبهة ، وانحسار الشعر عنها ؛ فيُستقْبَح النعم ؛  
وهو عموم الجبهة أو بعضها بشعر الرأس .

ومنها : وسامة الوجه وحسن الحياء . ويشبه الوجه في الحسن بالشمس ، وبالقمر ،  
وبالسيف ؛ إلا أن التشبيه بالشمس وبالقمر أتم من التشبيه بالسيف لما فيه من صورة  
الاستطالة ؛ وقد جاء في بعض الآثار أنه قيل لبعض الصحابة رضى الله عنهم : هل  
كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كالسيف ؟ فقال بل كالشمس والقمر .  
ويستحسن في الوجه حمرة الوجنتين ؛ ويشبه لونهما بالورد ، وبالشقيق ،  
وبالعقيق ؛ وبالتنم ؛ وما يتجرى مجرى ذلك مما تطلب فيه الحمرة المشرقة .

ومنها : بلج الحاجبين وزججهما ، فالبلج : اتقاطع شعر الحاجبين ؛ ألا يكون بينهما  
شعر يصل ما بينهما ، وهو خلاف القرن ؛ وربما استحسن الخلف من القرن ، وهو  
الذي دق فيه شعر ما بين الحاجبين حتى لا يظهر فيه إلا خضرة خفية . والزجج : دقة  
الحاجب مع طوله بحيث ينتهي إلى مؤخر العين ؛ وقد جاء في وصف النبي صلى الله  
عليه وسلم : أنه كَانَ أَرْجَحَ الْحَاجِبَيْنِ .

ويُستحسن في الحاجبين سواد شعرهما ، وأن يكونا مقوسين ؛ ويشبه تقويمهما  
بالنون تارة ، وبالقوس أخرى .

ومنها : حسن العينين ؛ ويستحسن في العين الحور ؛ وهو خلوص بياض العين ؛  
والنجل ؛ وهو سعتها ؛ ويقال فيه جئذ : أنجل وربما قيل : أعين ، ومنه قيل للحور : عين .  
والدَّجج ؛ وهو شدة سواد الحدقة . والكحل ؛ وهو أن تسود مواضع الكحل من  
العين خلقة .



وتشبه العين بالصاد تارة ، وبالجم آخرى ، وتشبه بالترجس وربما شبت بتور  
الباقل ، وأعترض بأن فيه حولا . وربما شبت العين بالسيف ، وبالسهم ،  
وبالسنان ، وقد يستحسن في العيتين الفتور وضعف الأجفان .

ومنها : حسن الأنف ، ويستحسن فيه القنأ ، وهو ارتفاع وسط الأنف قليلا  
عن طرفيه مع دقة فيه ، وهو الغالب في العرب ، وقد جاء في وصفه صلى الله عليه  
وسلم : أنه كان أفنى الأنف ، ويستحسن فيه السّم أيضا ، وهو استواء قسبة  
الأنف وملوآرتته . ويشبه الأنف بالسيف في بريقه .

ومنها : حسن الفم ، ويستحسن فيه الضيق ، ويشبه بالمخيم ، وبالصاد ، وبالخاتم .  
ومنها : حسن الشفتين ، ويستحسن فيهما الحمرة ، وتشبه محمرتهما بما تشبه به الوجنة  
من الورد والعقيق والمرجان ونحوها ، ويستحسن فيهما اللّى ، وهو ممرة تملو محمرتهما .

ومنها : حسن الأسنان ، ويستحسن فيها الشلب ، وهو بياض وبريق يعلوهما .  
وتشبه الأسنان في البياض وحسن النظم بالؤلؤ ، وبالبرد ، وبالطلع ، وهو نبت أبيض ،  
وبالآفاح ، وبالخبب ، وهو الذى يعلو الكأس عند شجعة الماء ، وقد تشبه بالجوهر ،  
ويستحسن فيها الأشر ، وهو تمديد الأسنان كما يقع في كثير من الصبيان ، ويستحسن  
في السنخ — وهو لحم الأسنان — حمرة لونه ، ويشبه بالعقيق والورد وسائر ما يشبه به الخلد  
ومنها : حسن اللبید ، وهو اللبق ، ويستحسن فيه طوله ويأضه من الأبيض ،  
ويشبه بإبريق فضة .

ومنها : دقة الخصر ، وهو معقد الإزار حتى إنهم يشبهونه بدور دملج ، ودور  
خلخال وما أشبه ذلك .

قلت : وهذه الصفات وإن كانت مستحسنة في الرجال والنساء جميعا فإنها في النساء أكده ، فإن الأمر في الحسن منوط بهن ، فهما كانت المرأة أحسن كان أعظم لشأنها ، وأعز لمكانها . وقد قيل لرجل من بني عُذرة : ما بال الرجل منك يموت في هوى أسراء ! إنما ذلك لضعف فيكم يا بني عُذرة ، فقال : أما والله لو رأيتم النواظر الدُّخج ، فوقها الطولجب الأبيض ، تحتها المباسم الفلج ، لا تُخذتموها الآلات والعزى ! وقد أكثر الشعراء من التغزل بهذه المحاسن بما ملاء الدفاتر بما لا حاجة بنا إلى ذكره هنا .

### القسم الثاني

ما يختص به الرجال

وأخص ما يختص به الرجال من المحاسن : الخفية ، وقد قيل في قوله تعالى : (( زَيْدٌ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ )) : إن المراد الخفية ، على خلاف في ذلك ، ويستحسن في الخفية استدارتها وتوسطها في المقدار ، وسواد شعرها . فإذا حُسلت الخفية من الرجل نُكِلت عاقبته . وتزيد الأحداث على الرجال في الحسن بمقدمات ذلك ؛ فيستحسن منهم خضرة الشارب ، وخضرة العارض والعارض ، ويشبه كل منهما بالأس ، وبالريحان ، وبديب النمل ونحو ذلك . ويشبه العذار بالآلف ، وباللام ، وبالباء . ويشبه الشارب الأخضر فوق حمرة الشفتين بقوس قزح ، وبالأس مع الورد ونحو ذلك ؛ على أن أهل الفِراسة قد استحسنوا في الرجل أمورا تخالف ما تقدم .

منها : سعة الفم وغلظ الشفتين وبما أشبه ذلك قائلين : إن ذلك مما يدل على الشجاعة وهو أمر مطلوب في الرجل كما تقدم .

### القسم الثالث

ما يختص به النساء

وما يتفرد به النساء من الأوصاف الجسمية: السَّمْنُ، فهو أمر مطلوب في المرأة ما لم يُفْرِط ويخرج عن الحد المطلوب؛ ففي الصحيحين من حديث أم زرع: "بنت أبي زرع وما بنت أبي زرع؟ ملء كسائها، وغيظ جارتها" إشارة إلى امتلائها بالشحم، ووصف أعرابي امرأة فقال: "بيضاء رُعبوبه، بالشحم مكروبه، بالمسك مشبوبة".

وهذا بخلاف الرجال فإن المطلوب فيهم: الخِفَّة وقلة اللحم لأجل قوة النهضة، وسرعة الحركة في الحرب وغيره، والسَّمْن يمنع ذلك، مع ما يقال إن فيه تليدا للذهن؛ قال بعضهم: ما رأيت حبرا سميئا إلا محمد بن الحسن بنى صاحب أبي حنيفة رضى الله عنه. وربما استحسن قلة اللحم في المرأة أيضا، وتوصف حينئذ بالهَيَف.

ومن ذلك يقل الرجل؛ فهو مما يفتح به في النساء بخلاف الرجل فإن ذلك فيه غير محمود.

ومن غريب ما يحكى في ذلك أن رجلا أخذ خطرا من قوم على أن يقضب معاوية بن أبي سفيان مع خلة حاكمه، فعمد إلى معاوية وهو ساجد في الصلاة، فوضع يده على عجزته وقال: ما أشبه هذه العجيزة بعجزة هند! — بنى أم معاوية فلما سلم من صلاته، اتفت إلى ذلك الرجل وقال: يا هذا إن أبا سفيان كان محتاجا من هند إلى ذلك، وإن كان أحد جعل لك شيئا على ذلك فخذ.

ومما يستحسن في المرأة طول الشعر في الرأس، ودقة العظم، وصغر القدم، وتعممة الجسد، وقلة شعر البدن، في أمور أخرى يطول ذكرها.

## الضرب الثاني

الصفات الخارجة عن الجسد، وهي على ثلاثة أقسام أيضا

### القسم الأول

ما يشترك فيه الرجال والنساء

وهو يرجع الى أصليين : العقل واليَقَّة؛ ويدخل تحت كل من هذين الأصلين جملة من أوصاف المدح . فأما العقل فيدخل تحته العلم؛ وصفاته : المعرفة، والحياة، والبيان، والسياسة، والبِكَفَاية، والصَّدْعُ بالثَّجَّة، والحلم عن سفاهة الجهلة وغير ذلك مما يجري هذا المجرى . ولا ينبغي أن هذه الأوصاف مطلوبة في الرجال والنساء جميعا وإن كان أكثرها بالرجال ألبق .

وأما اليَقَّة فيدخل تحتها : الفَناعة، وقِلَّةُ الشَّرِّ، وطهارة الإزار، وغير ذلك مما لا يستغنى عنه رجل ولا امرأة، وإذا رُكِبَ العقلُ مع اليَقَّة حدث عنهما صفات أخرى مما يمتدح به : كالزَّهَادَة، والرَّغْبَة عن المسألة، والاقتصار على أدنى معيشة، ونحو ذلك مما يخرط في هذا السلك .

### القسم الثاني

ما يختص به الرجال دون النساء

وهو يرجع الى أصليين أيضا ؛ وهما العَدْلُ والشجاعة، ويدخل تحت كل من الأصلين عدة أوصاف من أوصاف المدح ؛ فيدخل تحت العدل السَّامَة، والتَّبَرُّع بالتائل، وإجابة السائل، وقرى الضيف، وما شابه ذلك . ويدخل تحت الشجاعة عدة أوصاف كالجمامة والدِّفاع، والأخذ بالنَّار، والنَّكَاية في العدو، والمَهَاة، وفنل الأفران، والسير في المَهَاية الموحشة، وما أشبه ذلك؛ وإذا رُكِبَ العقل مع الشجاعة

حدث عنهما صفات أخرى مما يتمتع به كالصبر على الملمات ونوازل الخطوب ،  
والوفاء بالوعد ونحو ذلك .

### القسم الثالث

ما يختص به النساء

ويرجع الى أصليين مذمومين في الرجل ؛ وهما الجبن والبخل ؛ وذلك أن المرأة  
إذا جبنَت كَفَّتْ عن المساوى خوفا على نفسها أو عرضها ، وإذا بخلت حَفِظَتْ  
مال زوجها عن الضياع والإتلاف ؛ وحينئذ فتكون أوصاف الرجال المدحوة أربعة  
أوصاف : آثان يشتركون فيهما مع النساء ؛ وهما العقل والعفة ؛ وآثان ينفردون  
بهما عن النساء ؛ وهما العدل والشجاعة .

وتكون أوصاف النساء المدحوة أربعة أيضا : آثان يشتركن فيهما مع الرجال ؛  
وهما العقل والعفة ؛ وآثان ينفردن بهما عن الرجال ؛ وهما الجبن والبخل ؛ فيمدح  
كل من الصنفين بما هو مشتمل عليه بحسب ما يقتضيه المقام وما يوجبه الحال .

قال قدامة بن جعفر الكاتب في نقد الشعر : ومدائح الرجال تنقسم بحسب  
المدحيين من أصناف الناس في الارتفاع والانخفاض ، وضروب الصناعات والتبذير  
والتحضر ؛ فيحتاج إلى الوقوع على المعنى اللائق بمدح كل ؛ فمدح الملوكة يكون بما  
يلائم قدرهم من رفعة القدر وعلو الرتبة والأفراد من المنزل والقرين ؛ كقول النابغة  
في النعمان بن المنذر :

ألم تَرَ أن الله أعطاك سَورة • تَرى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَسْدَدُ بَابُ  
بأنك شمسُ والملوك كواكب • إذا طَلَعَتْ لم يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَكَبُ

وما يجرى مجرى ذلك ومدح الوزير والكاتب بما يليق بالعقل والذرية، وحسن التنفيذ والسبابة، فإن أضيف إلى ذلك الوصف بالسرعة في إصابة الخزم، والاستغناء بحضور الذهني عن الإبطاء، لطلب الإصابة كان أحسن وأكمل لادح كما قيل :

يَدَيْتُهُ بِشَلِّ تَفَكِيرِهِ • نَفَى رُمْتُهُ فَهُوَ مُسْتَجِمِع

وكما قيل :

رُبَى سَاكِنِ الْأَوْصَالِ بَاسِطٌ وَجْهَهُ • يُرِيكَ الْهُوَ بِنَى وَالْأُمُورُ تَبْطِئُ

وَيُمدح القائد يعني الأمير الذي يقود الجيش بما يماس البأس والتجدة، ويدخل في باب البطش والبسالة، فإن أضيف إلى ذلك المدح بالجود والسماحة والخذق والبذل والعطية كان أحسن وأتم، من حيث إن السخاء أخو الشجاعة، وهما في أكثر الأمور موجودان في ذوى بُعد الهمة، والإقدام والصولة، كما قال بعضهم جامعا بين البأس والجود :

قَتَى تَهْرُمَ شَطْرَانِ مِمَّا يَنْوَبُهُ • قَتَى يَابِسَ شَطْرُهُ فِي جُودِهِ شَطْرُ

قَتْلًا مِنْ بُغَاةِ الْخَيْرِ عَتَبَ قَتَا • وَلَا مِنْ ذَمِيرِ الْقُرْبِ فِي أَذْبِهِ وَفَر

قال : ويمدح السوقة والمتعيشون بأصناف الجشع وضروب المكاسب، والصعاليك مما يضاهي الفضائل الإنسانية من العقل والهمة والعدل والشجاعة، غالبا عن مثل مدح الملوك ومن تقدم ذكره من الوزراء والشكّاب والقواد .

ويمدح ذوى الشجاعة منهم بالإقدام والفنك والقنمير والتيقظ والصبر مع التعديق والسماحة وقلة الإكترات بالخطوب المأمة وبحوز ذلك

قلت ويؤخذ مما ذكره قدامة أن القضاة والعلماء يوصفون بما يليق بجلهم من ذلك، فيوصف العالم بيقظة الذهن، وحدة الفهم، وسعة الباع في الفضل، وما يجرى

يجرى ذلك ، ويوصف القضاء بذلك وبالعدل والعفة وميانة الجور ونحو ذلك ؛  
وسيتقف في قسم الولايات في نسخ اليعات والعهود والتقاليد والتواقيع والتفاويض  
والمراسيم ونحوها من ذلك بما ينضح لك به سواء السبيل .

وأعلم أن الكاتب كما يحتاج إلى معرفة الصفات المحمودة من النوع الإنسانية  
كذلك يحتاج إلى معرفة الصفات المذمومة منه ؛ فربما احتاج إلى الكتابة بجم نبي .  
من ذلك فيكون عنده من العلم بالصفات المذمومة ما ينفي معه ، كما حكي أن بعض  
العمال بحث إلى الرشيد بعبد أسود فقلب كتابه ووقع عليه : أما بعد فإنك لو وجدت  
صددا أقل من الواحد ، أو لونا شرا من السواد لبحث به إلينا والسلام .

ولا يخفى أن كل ما خالف صفة من الصفات المستحسنة المتقدمة فهو مستقبح  
مع ما هو معلوم من الصفات المذمومة الجسمية ، كالحطب والحول ونحوهما ؛ ومن  
الصفات المعنوية ، كسوء الخلق وبذاءة اللسان ونحو ذلك . وفي هذا مقنع في الإرشاد  
إلى المراد والتنبيه على القصد .

## النوع الثاني

مما يحتاج إلى وصفه هي دواب الركوب ؛ وهي أربعة أصناف

### الصنف الأول

#### الخيل

ويحتاج إلى المعرفة بوصفها في مواضع ؛ من أهمها وصفها عند بحث نبي . منها  
في الإنعام والهدايا ، والجواب عن ذلك ؛ ووصفها في ترتيب الجيوش والمواكب ،  
وذكرها في تجاللات الحرب ، وما يجري مجرى ذلك ؛ ويشتمل الغرض منه على معرفة

أصنافها، وألوانها، وشيئاتها، وما يُستَحَسَّ ويستفح من صفاتها، ومعرفة الدوائر التي تكون فيها، والبصير بأمور أسنانها وأعمارها .

### أما أصنافها فتلاثة

الأول : العيراب، وهي أفضلها وأعلاما قيمة، وأغلاها ثمناء، تطلب للسبق والحقاق، والملوك تنفالي في أثمانها وتُعَدُّها لمهم الحرب، وتُوجَدُ ببلاد العرب ومجلاهم في أقطار الأرض، كالهجاز، ونجد، واليمن، والعراق، والشام، ومصر، وبرقة، وبلاد المغرب وغيرها .

الثاني : العجيمات، وهي البراذين ويقال لها : المالحج، وتُعرف الآن بالأكاديش وتُجلب من بلاد الترك، ومن بلاد الروم، وغالب ما تُوجد مشفوقة المنار، وتطلب للصبر على السير وسرعة المشي .

الثالث : المؤلدة بين العرب والبراذين، فإن كان الأب عجمياً والأم عربية قيل له : هجين، وإن كان بالعكس قيل له : مُقَرَف، وهي تكون في البحرى والمشي متوسطة بين النوعين .

وأما ألوانها فقد ذكر ابن أبي أصيب : أن أصول الألوان فيها ترجع إلى أربعة ألوان، وما سواها مفزع عنها .

الأول : البياض، وقل أن يخلص من لون يخالطه، فإن صفا بياضه قيل فيه : أشهب قُرطاسي، فإن كان أذناه وقوائمه وعُرفه وذيله سودا قيل : مُقَرَف، فإن خالط البياض شعراً أسود والأغلب فيه البياض قيل : أشهب كافوري، وإن كان السواد فيه أغلب قيل : أشهب حديدى، وأشهب أشمط، وأشهب مخلص<sup>(١)</sup>، فإن كان

(١) في الأصل بالصاد وهو تصحيف، كما يفهم من مراجعة القاموس والقسان في مادة خ ل س .



فيه نُكْتُ سُد قِيل : أَشَبُّ مُقْلَسْ ؛ فَإِنْ أَتَسَمْتُ قَلِيلًا قِيل : أَشَبُّ مُدَرَّ ؛  
 فَإِنْ كَانَ فِي شَبْهِهِ طَرَائِقُ قِيل : أَشَبُّ مُجَزَّعْ ؛ فَإِنْ كَانَ فِيهِ بَقْعٌ مِنْ أَيْ لَوْنٍ كَانَ  
 دُونَ الْبَيَاضِ قِيل : مَبَقَّعْ ؛ فَإِنْ صَغُرَتْ تِلْكَ الْبَقَعُ قِيل : أَبَقَّعْ ؛ فَإِنْ تَفَزَّعَتْ  
 وَأَخْتَلَفَتْ مَقَادِيرُهَا قِيل : أَشَمُّ ؛ فَإِنْ تَعَادَلَتْ ذَلِكَ اللَّوْنُ مَعَ الْبَيَاضِ مَعَ صِغَرِ النُّقْطِ  
 مِنَ اللَّوْنَيْنِ قِيل : أَعْمَشْ ؛ فَإِنْ تَنَاهَتْ فِي الصَّغَرِ قِيل : أَبْرَشْ ؛ فَإِنْ كَانَ الْبَيَاضُ  
 نَكْثًا صَغِيرًا فِي ذَلِكَ اللَّوْنِ قِيل : مُقَوَّفْ ؛ فَإِنْ كَانَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ فِي عَضْوٍ وَاحِدٍ  
 قَبِدَ بِهِ مِثْلَ قَوْلِكَ : مُقَوَّفُ الْقَطَاةِ ، وَأَعْمَشُ الصَّدْرِ وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ .

الثاني : السَّوَادُ ؛ فَإِذَا كَانَ الْفَرَسُ شَدِيدَ السَّوَادِ قِيلَ فِيهِ : أَدْهَمُّ ؛ فَإِنْ أَشَدَّ  
 سَوَادُهُ قِيل : أَدْهَمُ غَيْبِيٍّ ؛ فَإِنْ عَلَا السَّوَادُ خَضِرَةً قِيل : أَحْوَى وَاجْمَعُ حَوْءٌ ؛ فَإِنْ  
 خَالَطَ سَوَادَهُ شُقْرَةٌ قِيل : أَدْبَسْ ؛ فَإِنْ أَنْضَمَ إِلَيْهِ أَدْنَى حُمْرَةٍ أَوْ صُفْرَةٍ قِيل : أَحْمَرُ ؛  
 فَإِنْ ضَرَبَ سَوَادُهُ إِلَى يَسِيرِ بَيَاضٍ قِيل : أَوْرَقُ ، وَنَحْوَهُ الْأَكْهَبُ ؛ وَفِي دُونِهِ مِنْ  
 السَّوَادِ يُقَالُ : أَرْبَدُ .

الثالث : الْحُمْرَةُ ؛ إِذَا كَانَ الْفَرَسُ خَالِصَ الْحُمْرَةِ ، وَعُرِفَ بِهِ وَذِيْلُهُ أَسْوَدَانِ قِيلَ فِيهِ :  
 أَوْرَدُ وَاجْمَعُ بَرَادٍ وَالْأَيْشَى وَرَدَةٌ ؛ فَإِنْ خَالَطَ حُمْرَتَهُ سَوَادٌ فَهُوَ كَيْتٌ ، الذَّكَرُ وَالْأَيْشَى  
 فِيهِ سَوَاءٌ ؛ فَإِنْ صَفَتْ حُمْرَتُهُ شَيْئًا قَلِيلًا قِيل : كَيْتٌ مُدْمِيٌّ ؛ فَإِنْ كَانَ صَافِيًا قَلِيلًا  
 الْحُمْرَةِ وَعُرِفَ بِهِ وَذِيْلُهُ أَشْفَرَانِ قِيل : أَشْفَرُ ؛ فَإِنْ كَانَ أَحْمَرُ وَذِيْلُهُ وَعُرِفَ بِكَذَاكَ قِيل :  
 أَمْقَرُ ؛ فَإِنْ خَالَطَ شُقْرَةَ الْأَشْفَرِ أَوْ الْكَيْتِ شُقْرَةٌ بَيْضَاءُ قِيل : صِنَابِيٌّ ، أَخَذًا مِنْ  
 الصَّنَابِ وَهُوَ أَنْتَرْدَلُ بِالزَّبِيبِ ؛ فَإِنْ كَانَتْ حُمْرَتُهُ كَصَدَا الْحَدِيدِ قِيل : أَصْدَأُ ؛ فَإِنْ  
 زَادَ فِيهِ السَّوَادُ شَيْئًا يَسِيرًا قِيل : أَجَايُ وَالْأَسَمُ : الْجَوْدَةُ .

الرابع : الصُّفْرَةُ ؛ فَإِنْ كَانَتْ صُفْرَتُهُ خَالِصَةً تُشَبِّهُ لَوْنَ الذَّهَبِ وَعُرِفَ بِهِ وَذِيْلُهُ  
 أَصْبَهَانٍ مَا تَلَانَ إِلَى الْبَيَاضِ قِيل : أَصْفَرُ خَالِصٌ ؛ فَإِنْ كَانَ أَبْيَضِينَ قِيل : أَصْفَرُ

فانح، فإن كانا أسودين قيل : أصفر مطرف، وهو الذى يسمونه في زماننا الحبشى؛  
فإن كان أصفر ممترجا بياض قيل : أشهب سوسنى؛ فإن كان في أكارعه خطوط  
سود قيل : موشى .

وأما شياتها وهى البياض المخالف للونها، فقها : الفزة؛ وهى البياض الذى يكون  
فى وجه الفرس إذا كان قدره فوق الدرهم؛ فإن كان دون الدرهم قيل : فى القرس أقرح  
والعامة تقول فيه : أغر شعرات؛ فإن جاوز البياض قدر الدرهم قيل فيه : أغرم، ثم أقر  
رتبة الفزة يقال له : النجم فإن سالت الفزة ورقت ولم يتجاوز جبهته قيل فيه : أغر  
عصفورى؛ فإن تماندت حتى جلأت خيشومه ولم تبلغ بحفلة قيل : أغر شمرانى؛  
فإن ملأت جبهته ولم تبلغ العينين قيل : أشدخ؛ فإن أصابت جميع وجهه إلا أنه  
ينظر فى سواد قيل : مبرقع؛ فإن فشت حتى جاوزت عينيه وأبيضت منها أشتاره  
قيل : مقرب؛ فإن أصابت منه خذا دون خذ قيل : لطيم أين أو أيسر؛ فإن كان  
بشفته العليا بياض قيل : أرثم؛ وإن كان بالسفل بياض قيل : ألمظ؛ فإن نالها  
جميعا قيل : أرثم ألمظ .

ومنها : التحجيل فى الرجلين وما فى معنى ذلك؛ إن كان البياض فى مؤخر الرُسخ  
لم يستدر عليه قيل فى القرس : مُنعل؛ وإن كان فى الأربع قيل : مُنعل الأربع؛  
أو فى بعضها أضيف إليه فقيل : مُنعل اليمين أو الرجلين أو اليد أو الرجل اليمنى  
أو اليسرى؛ فإن استدار على الرُسخ؛ وهو المفصل الذى يكتشفه الوطيف والحافر  
وكان فى إحدى الرجلين قيل : أرجل؛ وإن كان فى الرجلين جميعا قيل : تحدم  
وأخدم؛ فإن جاوز رُسخ الرجل وأصل بالوطيف؛ وهو ما بين الكعب وبين أسفله

(١) وقع فى الأصل أعرم بإجماع هاتين وهو تصحيف .

(٢) فى الأصل أطم بالنون والهاء وهو تصحيف .

ولم يماوز ثلثه قيل : مُحَجَّلٌ ، أخذنا من المحل ، وهو انطخال ، فإن كان في رجل واحدة قيل : مُحَجَّلُ الرجل اليمنى أو الرجل اليسرى ، فإن كان في الرجلين جميعا قيل : مُحَجَّلُ الرجلين ، فإن كان معه في إحدى اليدين بياض يماوز الأربع إلى دون ثلثي الوظيف قيل : مُحَجَّلُ الثلاث مطلق اليد اليمنى أو اليسرى ، فإن كان البياض في اليد الأخرى كذلك قيل : مُحَجَّلُ الأربع ، فإن كان البياض في اليدين فقط قيل : أَعَصَمُ ، سواء جاوز الأربع أم لا ، ولا يُطلق التحجيل على اليدين أو أحدهما إلا بانضمام إلى تحجيل الرجلين أو أحدهما ، فإن كان في اليد الواحدة قيل : أَعَصَمُ اليد اليمنى أو اليسرى ، وإن كان فيهما قيل : أَعَصَمُ اليدين ، وإن كان التحجيل في يد ورجل من جانب واحد قيل : مُسَكٌّ ، وإن كان ذلك من الجانب الأيمن قيل : مُسَكُّ الأيمن مطلق الأيسر ، وإن كان بالعكس قيل : مُسَكُّ الأيسر مطلق الأيمن ، وإن كان التحجيل في يد ورجل من خلاف فهو الشكال ، وقيل : الشكال بياض القائمتين من جانب ، وقيل : بياض ثلاث قوائم ، فإن تعدى البياض حتى جاوز مرقوب الرجلين أو ركبتَي اليدين قيل : فيه مُحَجَّبٌ ، فإن ملا البياض حقوى رجله ومرتقى يديه قيل : أَبْلَقٌ ، فإن زاد على ذلك حتى بلغ الأنفاذ والأعضاء قيل : أَبْلَقٌ مُسْرُولٌ ، فإن اختص البياض ببيده وطال حتى بلغ مرققيه قيل : أَقْفَرٌ وَمُقْفَرٌ ، فإن كان البياض في الوظيف غير متصل بالرسغ ولا بالمرقوب ولا بالركبة قيل : مُوقَفٌ .

ومنها : الشَّيات التي تختل سائر جسدتها ، فإن كان الفرس مبيض الأذنين أو في أذنيه نقش بياض دون سائر لونه قيل فيه : أَذْدَأٌ ، وإن كان سبيض الرأس قيل : أَصْقَعٌ ، فإن أبيض ففاه قيل : أَقْفَبٌ ، فإن شابت ناصيته قيل : أَسْعَفٌ ، فإن أبيضت

(١) كذا في الأصل بالقاف ، ولعله مصحف عن الترن لان الحقو اختصرة وبنية الكلام بإزاء ، أما الجذر فهو الإعرجاج ، والفرض جاوز البياض المرقوبين ولم يبلغ الأنفاذ الخ .

جميعها قيل : أصبغ الناصية ؛ فإن نَشَى البياض جميع رأسه قيل : أضحى ، وربما قيل فيه : أرخم ؛ فإن أبيض رأسه وعنقه جميعا قيل : أدرخ ؛ فإن أبيض ظهره قيل : أرحل ؛ فإن كان ذلك البياض من أثر الدبر قيل : مضرد ؛ فإن أبيض بطنه قيل : أنبط ؛ فإن أبيض جنباه قيل : أخصف ؛ فإن كان البياض يأخذ جنبتيه قيل : أخصف الجنب الأيمن أو الأيسر ؛ فإن أبيض كفله قيل : أزر ؛ فإن أبيض عَرْضَ ذنبه من أعلاه قيل : أشغل ؛ فإن أبيض بعض هُلبه دون بعض قيل : محصل ؛ فإن أبيض جميع هُلبه قيل : أصبغ هُلب الذئب ؛ فإن عدى عرقوبه البياض جملة قيل : بهيم ومُصمت من أى لون كان .

وأما ما يُستحسن من أوصافها فقد قال العلماء بأمر التحليل : يستحب في الفرس : دقة الأذنين وطولهما وأنصبهما ، ودقة أطرافهما ، وقرب ما بينهما ؛ وكل ذلك من علامات العتق : وفي الناصية ؛ اعتدال شعرها في الطول ، بحيث لا تكون خفيفة الشعر ولا مُفْرِطَةً في كثرتها ؛ ويقال في هذه : الناصية الجتلة . ويستحب مع ذلك : لين الشكير — وهو ما طاف يجنب الناصية من الرغب — ويستحب : عظم الرأس وطوله وسعة الجبهة ، وأسالة الخدة ، وملاسته ، ودقته ، وقلة لحم الوجه ، وعري الناضين — وهما غفلان في الخدة — وسعة العين ، وصفاء الخدقة ؛ وذلك كله من علامات العتق . ويستحب في العين : السمو والجلدة ورقة الجفون وبعد نظره .

قال ابن قتيبة : وهم يصفونها بالثقل والشوس والخوص ، وليس ذلك فيها عيبا ولا هو خلقية ، وإنما فعله لعزة أنفسهم . ويستحب في المنخر : السمة ، لأنه إذا ضاق شق عليه النفس ، قال : وربما شق منخره لذلك وبعد ما بين المنخرين . ويستحب في الفم : الحرث — وهو طول شق شديقه من الجانبين — لأنه أوسع لخروج نفسه ، ورقة الجفنتين وهما الشفتان لأنه دليل العتق ، وطول اللسان ليكثر

دقيقه فلا ينهر، ورقته لأنه أسرع لفضمه العلف، وصفاء الصبيل لأنه دليل صحة  
 ريشته وسهولة نَفْسِهِ . ويستحب في العُنُقِ : الطُول ، فقد كان سلمان بن ربيعة  
 يفرق بين العِناق والمِجَن ، فلما بطست من ماء فوضعت بالأرض ثم قدمت الخليل  
 إليها واحداً واحداً لما شئى سُبُكُّهُ منها ثم شرب هَجَنَهُ ؛ وما شرب ولم يشرب سُبُكُّهُ  
 جعله عتيقاً ، لأن في أعناق المِجَن قَصراً فلا تال الماء حتى تشفى سناهاها ؛ وقد  
 روى أنه هَجَنَ فرس عمرو بن معدى كرب فاستعدى عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب  
 رضى الله عنه ، فقال سلمان : أدع بإذنه فيه ماء ثم أتى بفرس عتيق لا شك في عتقه  
 فأشرع في الإتياء فصف بين سُبُكِّهِ ومدَّ عتقه فشرب ؛ ثم قال : آتوني بهجين لا شك  
 فيه فأشرع فبرك فشرب ؛ ثم أتى بفرس عمرو بن معدى كرب فأشرع فصف بين  
 سُبُكِّهِ ومدَّ عتقه ثم شئى أحد سُبُكِّهِ قليلاً فشرب ؛ فقال عمر : أنت سلمان الخليل .  
 ويستحب فيها مع ذلك الكبر لأنه أقرب لانتباهه وعطفه ، وغلظ مُرْكَبِ عُنُقِهِ  
 ودَقَّةَ مَذْبَعِهِ . ويستحب فيه : ارتفاع الكَتِفَيْنِ والحَاوِيكِ والكاهِلِ ، وقَصْرُ الظُّهْرِ  
 وعِرْضُ الصَّهْوَةِ — وهى مقعد الفارس من الظهر — وارتفاع القَطَاة — وهى مقعد  
 الرِّدْفِ من الظهر أيضاً — وقلة لحم المتنين وهما ما تحت دفتى السرج من الظهر .  
 ويستحب في الكفَلِ : الاستواء والاستدارة والملآسة والتدوير . ويستحب :  
 حُلُولُ السَّيْبِ ؛ وهو الشعر المسترسل في ذيله ، وقصر العِصْبِ ؛ وهو عظم الذنب  
 وجِلْدُهُ ؛ ولذلك قال بعض الأعراب : اختره طويل الذنب قصير الذنب يعنى طويل  
 الشعر قصير العِصْبِ .

قال ابن قتيبة : ويستحب : أن يرفع ذَنَبُهُ عند العدو ، ويقال : إن ذلك من  
 شدة الضَلْبِ . ويستحب عِرْضُ الصدر ؛ وهو ما عرَّضَ حيثُ ملقَى أعلى لَبِيهِ ،  
 ويسمى : اللَّبَانُ والكَلْكَلُ ؛ وكذلك ارتفاعه عن الأرض مع دَقَّةِ الزَّوْرِ ، وهو

ما استندق من صدره بين يديه بحيث يقرب ما بين المرفقين لأنه أشد له وأقوى بحريه ، ويستحب فيه : عِرْضُ الكتف ويغلظه وقصر النسا ، وهو عرق في الساق مستبطن القمخ ، وشنجه ، وقصر وظيف اليد ، وهو قصب يديه ، وقصر الرُشغ ، ودقة إبرة العرقوب ومجديده ، لأنه أشد لقصب الساق ، وطول وظيف الرجل ليخفف الأرض بها فيكون أشد لمدوه ، ويغلظ عظم القوائم ، ويغلظ الجبال ، وهي عصب الذراعين ، ولطف الركبة ، وقرب ما بين الركبتين ، وشدة كعبه ، لأن ضعف الكعب داعية الجرد ، وانحناء الرجلين وتوترهما ، وبعد ما بين الرجلين ، وهو الفصح ، لأنه أشد لتكن رجله من الأرض . ويستحب : صفاء الحافر ، وصلابته ، وسعته ، وكونه أزرق أو أخضر غير مشوب بياض ، لأن البياض دليل الضعف فيه ، وأن يكون مع ذلك فيه تقبب ، ولطف نسوره ، وهي شيء في باطن حافره كالنوى ، لأنه إذا ضاق موضعها كان أصعب لحافره ، وأن تكون أطراف ستابكه وهي مقادير حوافره رقيقة .

ويستحب فيه مع ذلك كله : اتساع إهابه وهو جلده ، ورقة أديمه ، وصفاء لونه ، ولين شعره ، وكثرة عُرفه ، وكثرة نومه ، وسعة خطوه ، وخفة عنانه ، ولين ظهره ، وحسن استقلاله في أول سيره ، وخفة وقع قوائمه على الأرض إذا مشى ، وشدة وقعها إذا حذاً ، مع حدة نفسه ومصرعة عدوه ، واتساع طرقاته ، وقد ينتفر القنطاف في المشي في دواب البحرى .

ثم إنه قد يحتمل فوات آلة الحسن والفراسة في المشي ولا ينتفر النقص في آلة الجودة وشدة العدو والصبر ، لأن بهما يدرك ما يطلب ، وينجو مما يهرب .

وأما ما يُستقبح ويُدّم من أوصافها ، فقد ذكروا للفرس عدة عيوب ، بعضها خلقية  
وبعضها حادثة .

فمن العيوب الخلقية : البدء ؛ وهو بُعد ما بين اليدين ، والصّم ؛ وهو ألا يسمع  
وعلامته أن يراه يصرّ أذنيه أبدا إلى خلف ، وإذا بُرّ خلقه خشبة ونحوها لا يشعر ولم  
يسفر عنها ؛ والخلاء ؛ وهو أن يكون أذناه مسترخيتين منكوستين نحو العينين أو الخدين  
كأذان الكلاب السلوقية ؛ والطول ؛ وهو أن تطول إحدى أذنيه وتقصّر الأخرى ،  
وكونه أسكّ ؛ وهو أن يكون صغير الأذن .

ومنها : السفا ؛ وهو قلة شعر الناصية ؛ والقّم ؛ وهو أن يكثر شعر الناصية ؛ يطول  
حتى يغطّي العين ؛ وهو عيب خفيف ؛ والسفا<sup>(١)</sup> ؛ وهو خفة الناصية .

ومنها : القرح ؛ وهو أن يكون البياض الذى فى الوجه دون قدر الدرهم كما تقدم  
إلا أن يكون معه بياض آخر من تحجبل ونحوه فلا يكره حيث ذكّر ، فإن كان فى وسط  
البياض فى الوجه سواد كان عيبا يتشام به .

ومنها : العشا ؛ وهو ألا يُبصر ليلا فيصير بمثابة نصف فرس ، لأنه لا ينفع به  
فى الليل دون النهار ؛ وكونه قائم العين ؛ وهو الذى يكون على ناظره سواد يضرب  
للخضرة والكُدرة يقلّ معها بصره ؛ والحول ؛ وهو أن يكون بإحدى عينيه بياض  
خارج سواد الحدقة من فوق ، ويكون خلاف العين الأخرى وهو مع ذلك مما يتبرك  
به بعض الناس ، ويقول : إذا كان ذلك فى العينين كان أعظم لبركته ؛ والخبف ؛  
وهو أن تكون إحدى عينيه زرقاء ، وهو مما يتشام به لا سيما إذا كانت الزرقاء  
فى العين اليسرى ، فإن أزرقّت العينان جميعا كان أقلّ لشؤمه ؛ وغشور العينين ؛ وهو

(١) أمّر أن السفا بهذا المعنى عيب خفيف .

(٢) فى الخط إسقاط لاء ، والى المطبوع إثباتها وهو الظاهر .

دخولها في وجهه ؛ والغرب ؛ وهو بياض أشفار العينين ، يكون عنه ضعف بصره في القمر والحلز الشديد ؛ والكثرة ؛ وهو أن يبصر قدامه ، ولا يبصر عن يمينه ولا شماله .

ومنها : القنأ ؛ وهو آحديآب في الأنف ، ويكون في المعجن ؛ والحلّس ؛ وهو أن يرى فوق متخريه منخفضا لأنه يضيق نفسه إذا ركض .

ومنها : القطس ؛ وهو أن تكون أسنانه العليا داخلة عن أسنانه السفلى ؛ والطبطبة ؛ وهو أن تسترني تحتلته السفلى فإذا سار حركها وطبطبها كالبعير الأهمل ، وأن يكون في حنكه شامة سوداء وسائر فله أبيض .

ومنها : قصر اللسان ؛ لأنه إذا قصر لسانه قل ريقه فيسرع إليه العطش ؛ وانخرس ، وعلامته أن تراه يصهل ولا يُجهم ؛ وهو عيب لطيف .

ومنها : القصر ، وهو غلظ في العنق ؛ واللّف ، وهو استدارة فيه مع قصر ؛ والدّن ، وهو طمانينة في أصل العنق ؛ والمتمع ؛ وهو طمانينة في وسط العنق ؛ والقود ؛ وهو يُنس في العنق بحيث لا يقدر الفرس أن يدير عنقه يمينا ولا شمالا ولا يرفع رأسه إذا مشى ؛ وهو عيب شديد ؛ والجسأ ؛ وهو يُنس المعطف .

ومنها : الكتف ؛ وهو انفراج يكون في أعلى كتفي الفرس مما يلي الكاهل ؛ والقّس ؛ وهو أن يطمئن الصّلب من الظهر وترتفع القطاة ؛ والبزخ ؛ وهو أن يطمئن الصّلب والقطاة جميعا ؛ وهو عيب ردي يضر بالعمل ؛ وكوب الكفل فيه تحديد ويكون المعجز صغيرا ؛ والفرق ؛ وهو نقصان إحدى حرقفي الوركين ، فإن نقصتا جميعا فهو مسبوح الكفل ولا عيب فيه .

ومنها : الدّن ؛ وهو تظامن الصدر ودنوّه من الأرض ؛ وهو من أسوأ العيوب ؛ والزور ؛ وهو دخول إحدى قهدي الصدر وخروج الأخرى .



ومنها : القَصَم ؛ وهو استقامة القنولوع ودخول أطالها ؛ والإخفاف ؛ وهو  
سُوق ما خلف المخيم من بطنه ؛ والقَبْل ؛ وهو خروج الخاضرة ورقة الصفاق ؛  
ومنها : العَصَل ؛ وهو التواء عيب الذنب حتى يبرز بعض بطنه الذي لا شعر  
عليه ؛ والكَشَف ؛ وهو أكثر من ذلك ؛ والصَبْع ؛ وهو بياض الذنب ؛ والشَمَل ؛  
وهو أن يبيض عرض الذنب وهو وسطه .

ومنها : الفَصْح ؛ وهو إفراط بُعْد ما بين الكمين ؛ والحَلَل ؛ وهو رَخَاوة الكمين ؛  
ويستحق به تقويس البدين ؛ وهو عيب فاحش ؛ والعَرَق ؛ وهو أن ترى ركبته  
مفسوخين كالمقوسين إلى داخل ؛ وهو عيب فاحش ؛ والقَسَط ؛ وهو أن ترى رجلاه  
متصبطين غير مُحَبَّطَيْن ؛ والبَدَد ؛ وهو بُعْد ما بين البدين ؛ والفَصْح ؛ وهو إفراط بُعْد  
ما بين العرقوين ؛ والتَقَد ؛ وهو انتصاب الرُشْع وإقباله على الحافر ولا يكون  
إلا في الرُّجُل ؛ والصَّدَف ؛ وهو تدانى الفخذين وتباعد الحافرتين في التواء من الرُشْعين  
بحيث ترى رُشْعِي يديه مفتوحين ؛ وألْوَجِيه ؛ وهو نحو منه إلا أنه أقل من ذلك ؛ والقَدْع ؛  
وهو التواء الرُشْع من عُرْضه الوحشي<sup>(١)</sup> من الجانبين من رأس الشفلى ، ووطؤه على وحشي  
حافريه جميعا وهو الجانب الخارج ؛ والارتاش ؛ وهو أن يصكَّ مَرَض حافره عُرْض  
مُجَابِته من اليد الأخرى وذلك لقَصْف يده ؛ والْحَتَف ؛ وهو أن يكون حافرا يديه  
مكبوبين إلى داخل ؛ والتَقَد ؛ وهو أن يرى الحافر كالمتشمر ؛ والْمَرَج ؛ وهو أن  
يكون ذو الحافر له بيضة واحدة ؛ والأَرَح ؛ وهو أن يمس الأرض بباطن حافره .  
ومنها : البَدَد في البدين ؛ وهو أن يكون إذا مشى يدير حافره إلى خارج عند النقل  
وليس فيه ضرر في العمل ؛ والتَلَقُّف ؛ وهو أن يعضط بيديه مستوي لا يرفعهما إلى  
بطنه ؛ وهو خلاف البَدَد .

(١) لله أدمن الجانبين . (٢) في اللسان ، في استانه .

ومنها : التلويح ، وهو أن يكون الفرس إذا صرته حرك ذنبه ، وهو عيب فاحش في المجنونة لأنه ربما بالت انجر ورشت به صاحبها .

## الضرب الثاني

العيوب الحادثة ، وهي عدة عيوب

منها : الحذب ، ويكون في الظهر بمثابة حذبة الإنسان ، وهو عيب فاحش ، والغدة وتكون في الظهر أيضا بإزاء السرة .

ومنها : العنق ، وهو انتفاخ وورم بقدر الرمانة أو أقل مما على الخاصرة ، وهو عيب فاحش لا علاج فيه .

ومنها : الجر ، وهو عيب يحدث عن ثخنة الشعر ، وربما كان من شرب الماء على الثقب فيحدث عنه ثقل الصدر .

ومنها : الانتشار ، وهو انتفاخ العصب بواسطة الثقب ، ويكون من فوق الرشح إلى آخر الركبة ، وهو عيب فاحش .

ومنها : تحرك الشفاة ، وهو عظم لا صق بالذراع ، وهو على الفرس أشق من الانتشار .

ومنها : الروح ، وهو داء يكون منه غلظ في القوائم كمثل داء النيل في البشر .

ومنها : المش ، وهو داء يكون في بطن أسره ماء أصفر ، ثم يصير دما ، ثم يصير عظما ، ويكون على الوظيف وفي مفصل الركبة ، وهو على المقصب والركبة شر منه على الوظيف .

ومنها : القمع ، ويكون في الرجلين في طرف المرفقين ، وهو غلظ يمتد بهما والمثقب ، ويكون في الرجلين تحت القمع من خلف ، وهو انتفاخ مسطيل لا يضرب

بالعمل ؛ والجَرْدُ ؛ وهو كالنظم للناتق يكون في الرجلين تحت المرقمين على المفصل من داخل ومن خارج ؛ وهو عيب فاحش تُؤول منه الدابة إلى العطب ؛ والتفخ ؛ وهو انتفاخ يكون في مواضع الجرد ؛ وهو من دواعي الجرد ؛ والمقال ؛ وهو أن تقلص رجله ؛ وذلك يكون في عصب الرجل الواحدة دون الأخرى ، وربما كان في الرجلين جميعا ؛ وهو عيب فاحش يضر بالعمل ؛ وهو في البرد أشد منه في الحر .  
ومنها : الشقاق ؛ وهو داء يصيبه في أساغه ، وربما أرتفع إلى وظيفه ؛ والسرطان ؛ وهو داء يأخذ في الرُئع فيُيس عروقه حتى يتقلب حافره .

ومنها : العرن ؛ وهو جُسوء في رُئع رجله ؛ والدنَس ؛ وهو ورم يكون في حافره ؛ والققد ؛ وهو تشنج عصب رُئعه حتى يتقلب حافره إلى داخل فيمشى على ظاهر الحافر .

ومنها : الخنكة ؛ وهي تشق في الحافر من ظاهره ؛ والرُئسة ؛ وهي ما يكون في الحافر من صدمة ويحوها - والعامة تمولها بالصاد - والقشر ؛ وهو أن تنقشر حوافره ؛ وهو عيب فاحش ؛ والنأسور - وهو الذي تسميه العامة الوقرة - وهو داء يحدث في نُسور الدابة فإذا قُطِع سال الدم منه .

ومنها : الأذرة ؛ وهي عظم الخُصيتين ، وربما عظمت خُصيتاه في الصيف وأحمرت في الشتاء ؛ والمُدلي ؛ وهو الذي يدلّ ذكره ثم لا يردّه ؛ وهو عيب قبيح يحيث يقبح ركوب الفرس الذي به هذا العيب .

ومنها : البرص ؛ وهو بياض يعتري الفرس في مرقاته ؛ كالجفلة وجفون العينين ويمنّ الفيضين والخُصيتين .

ومنها : الحلداء وهو داء شديد ينقب موضعه من بدن الدابة يسيل منه ماء أصفر، فإذا كوى بالنار برأ وأقنع موضع آخر، فلا يزال كذلك حتى تعطب الدابة، وهو عيب فاحش، في عيوب أخرى يطول ذكرها .

وفي كتب البيطرة، ذكر الكثير من ذلك مع علاج ما له علاج منه وبيان ما لا علاج له .

وأما الدوائر التي تكون في الخيل فقد عدها العرب ثمانى عشرة دائرة، بعضها مستحب وبعضها مكروه .

الأولى : دائرة المحبأ — وهو الوجه — وهى اللاحقة بأسفل الناحية . الثانية : دائرة اللطاة وهى دائرة تكون في وسط الجبهة . الثالثة : دائرة الطيخ وهى دائرة ثانية في الجبهة بأن يكون في الجبهة دائرتان . الرابعة : دائرة الهزيمة وهى دائرة تكون في هزيمة الفرس . الخامسة : دائرة المقود<sup>(١)</sup> وهى التى تكون في موضع القلادة . السادسة : دائرة العمامة وهى دائرة تكون في وسط العنق . السابعة والثامنة : دائرتا البليقتين وهما دائرتان في تحر الفرس فيما قاله الأصمعى .

وقال أبو عبيد : البيقة الشعر المختلف في منتهى الخاصرة والشاكلة . النامعة : دائرة الناحية وهى دائرة في باطن الخلق الى أسفل من ذلك . العاشرة : دائرة القالع وهى دائرة تكون تحت اللبد . الحسادية عشرة : دائرة الحقعة وهى دائرة تكون في عرض الزور . الثانية عشرة : دائرة النافذة وهى دائرة ثانية تكون في الزور بأن تكون فيه دائرتان في الشقين في كل شق منهما دائرة وتسمى النافذة : دائرة الحزام أيضا . الثالثة عشرة والرابعة عشرة : دائرتا الخرب وهما اللتان يكونان تحت

(١) في المخصص : السوم .

الضُّقْرَيْنِ وهما رأسا المجبتين اللتين هما العظمان التائمان المشرفان على الخاضرين كأنهما صَقْرَان . الخامسة عشرة والسادسة عشرة : دائرتا الضُّقْرَيْنِ ؛ وهما دائرتان تبتين المجبتين والقُصْرَيْنِ . السابعة عشرة والثامنة عشرة : دائرتا النَاحِسَيْنِ ؛ وهما دائرتان تكونان تحت الجاهرين .

قال ابن قتيبة : وهم يَكُونُونَ منها أربع دوائر؛ وهي دائرة المَقْعَةِ، مع ذكره أن أبي الخليل : المَهْقُوع . ودائرة القالغ . ودائرة الناحس . ودائرة النطيع . قال : وما سوى ذلك من الدوائر فليس بمكروه .

وذكر صاحب زهر الآداب في اللغة : أنهم يستحبون من الدوائر دائرة المقود<sup>(١)</sup> ودائرة السَّيَّامة ؛ ودائرة المَقْعَةِ ؛ احتجا بما بأن أبي الخليل المَهْقُوع ؛ ويَكُونُونَ دائرة النطيع ، ودائرة اللَّهْزَمَةِ ، ودائرة القالغ .

ورأيت في بعض كتب البيطرة : أن المستحب منها ثلاث دوائر : دائرة المقود ، ودائرة السَّيَّامة ، ودائرة المَقْعَةِ ؛ وما عدا ذلك فهو مكروه .

وكره حكاه الهند : دوائر أخرى ذكروها ؛ وهي أن يكون في مقدم يده دائرة ؛ أو في أصل ذنبه من الجانبين دائرتان أو على ناصيته دائرة ، أو على تحجره دائرة ، أو في بطنه السفلى دائرة ، أو على سُرَّتِهِ دائرة ، أو على مَنَسَجِهِ دائرتان .

وأما أسنان الخيل : فأقول ما تَضَعُ الحِجْرَةَ جِئِنَهَا قَيْسِل : مُهْرٌ ؛ والأُنْثَى مُهْرَةٌ ؛ فإذا فُيْصِلَ عن أمه قيل : قَلُوْءٌ ؛ فإذا استكمل حَوْلًا قيل : حَوَلٌ ؛ والأُنْثَى حَوَلَةٌ ؛ فإذا دخل في الثانية قيل : جَذَعٌ ؛ والأُنْثَى جَذَعَةٌ ؛ فإذا دخل في الثالثة قيل : مَيٌّ .

والأثني ثنية؛ فإذا دخل في الرابعة قيل : رَّبَاع والأثني رَّبَاعِيَّة؛ فإذا دخل في الخامسة قيل : قَارِح للذكر والأثني .

وفي الغالب يلقي أَسْنَانَه في السنة الثالثة، وربما تأخر لقاؤها إلى السنة الرابعة؛ وذلك إذا كانت أبواه شايين، وقد يلقي أَسْنَانَه في حول واحد؛ وذلك إذا كان أبواه هَرِمَيْن . ثم لكل مَهْر اثنتا عشرة سِنًا : سِت من فوق وست من أسفل، ويلبها من كل جانب ناب، ويلبها الأضراس؛ وتنت ثنأيا، بعد وضعه بخمسة أيام؛ وتنت رَّبَاعِيَّاتَه بعد ذلك إلى مدة شهرين؛ وتنت قوارجه بعد ذلك إلى ثمانية أشهر؛ ويختص التبديل منها بالأسنان الاثني عشرة دون الأنياب والأضراس . وربما ألقى المهر بعض أسنانه، ثم لانت؛ وإذا قرح المهر أصغرت أسنانه، وأسودت رموسها وطالت فيبقى كذلك خمس سنين؛ فإذا تجاوزت ذلك أبيضت وحفي رموسها، ثم تنقل فتصير كلون السِّل خمس سنين؛ ثم تبيض فتصير كلون الفُكَّار ويزداد طولها؛ وربما دلس الناسون ففسروا أسنانها وسووها . وما وجد في الكتب القديمة : أنَّ الفرس تحنوك ثنأيا في سبع وعشرين سنة؛ وتحنوك الرباعيات في ثمان وعشرين سنة، وتحنوك القوارح في تسع وعشرين سنة؛ ثم تسقط الثنأيا في ثلاثين سنة، والرباعيات في إحدى وثلاثين سنة، والقوارح في أربعين وثلاثين سنة وهو عمر الدابة .

وأما التفرس في الخيل : فاعلم أن المَهْر وإن ظهرت فيه علامات النجاسة أو العكس لا عبرة بذلك، فإنه قد يتغير فيجب منه ما كان حسنا، ويحسن منه ما كان قبيحا؛ وإنما يتفرس فيه إذا ركه لحم السلف، وذهب عنه لحم الرضاع .

وأفضل الفراسة في المهر : أخذه في الجري، فإنه صنعتُه التي خلق عليها وإليها يشول؛ فإذا أحسن الأخذ في الجري فهو جواد؛ ولكنه ربما تغير أخذه للجري

إذا ركب لَصَفَّ فيه حينئذ، وقصور عن بلوغ مدى قوته؛ وقد لا يجرى جَدْعًا  
ويجرى ثَلَاثًا، وقد لا يجرى ثَلَاثًا ويجرى رَابِعًا، وقد لا يجرى رَابِعًا ويجرى قَارِحًا  
حين يجتمع له قوته . ويعرف ضَعْف الضعيف منها بتلويه تحت فارسه وتجزئه عنه .  
وقوته إذا نزل عنه .

ومما يدل على جَوْدَةِ الفرس وحسن جريه : أنه يراه إذا أخذ في الجري سَمًّا  
بهاديه، وأثبت رأسه، ولم يستعن بهما في حُضْرِهِ وأجمعت قوائمه، وسَبَّحَ يديه  
وضَرَحَ رجله، ولَمَّا في حُضْرِهِ، وامتدَّ، وبسط ضَبْعيه حتى لا يمسد من يداً  
وتكون يداً في قَرْن، ورجلاه في قَرْن؛ فإذا كان الفرس كذلك فهو الجَوَادُ السابق .  
وقد قيل : إن خير الخيل الذي إذا مشى تكفأ، وإذا عدا بسط يديه، وإذا أدبر  
جَفَأ، وإذا أقبل أقبى .

## الصنف الثاني

### “البغال”

وفيه نوعية في الخيل والخير؛ من حيث إنها تتولد بين حصان وأتان، أو بين  
حمار وجمرة<sup>(١)</sup> . وفيها النفوس المختار لركوب الرؤساء من العلماء، والوزراء،  
والحكام وسائر رؤساء المتعممين . وإنه صلى الله عليه وسلم في يوم أحد كان راكبة  
بغلته؛ ولولا شرفها وتفاستها وقيامها مقام الخيل لما ركبها النبي صلى الله عليه وسلم  
في موطن الحرب . وألوانها وأصنافها على ما تقدم في الخيل .

(١) قد تكرر هذا المقام تأييد الجري بالهاء، وفي القاموس ناقصه؛ والجري الآخر من الخيل والبالهـ

لحي؛ قال شارحه : وهو عاى مطروذل، ثم قل عن الشهاب تصحيحه فتنه .

ويستحسن فيها غالب ما يستحسن في الخيل ، وقد قيل : إن خيار ما يقتنى من البغال ما أشتدت قوائمه وعظمت قصرتة ، وعنته وهامته ، وصفت عيناه ، ورحب جوفه ، وعرض كفله ، وسلم من جميع العيوب والعلل .

ومما يستحسن في البغال دون الخيل : السقا ، وهو خفة شعر الناصية ، وأن يكون بيديها ورجليها خطوط مختلفة ، جل ما تكون للسَّور . ويقال : إن خير ما يختار للسرّج والركوب البغال المصرية ، لأن أمهاتها عتاق وهجن ، وخيار ما يحتاج إليه للسرايا والمواكب والرُّكض مع الخيل : بغال الجزيرة وإفريقية .

ومما ينبغي التنبيه عليه : أن في البغلات منها شدة محبة للدواب إذا ربطت معها ، وفساد للدواب إذا اعتادتها حتى يصير أحدهما لا يفارق الآخر إلا بمشقة .  
ويحسن في البغال : الخصى ، وفي البغلات : التَّخويس . ولا يُجاب ركوب شيء منها حيلئذ إذا كان تقيسا .

### الصنف الثالث

#### “الإبل”

ويشتمل الغرض منها على معرفة أنواعها ، وألوانها ، وأصنافها ، وما يستقيم ويُسْتَحْسَن من صفاتها .

أما أنواعها فإنها ترجع إلى نوعين .

الأول : البَغَايُ ، وهي جمال جُفَاة القُدود ، طويلة الوَبر ، تجلب من بلاد الترك .

الثاني : العَرَاب ، وهي الإبل العربية وأصنافها لا يأخذها الحُصر . وأما ألوانها فترجع إلى ثلاثة أصول :



الأول : البياض ، فالجمل إذا كان خالص البياض قيل : آدم والآنثى أدماء دل  
لغضد من بنى آدم ؛ فإن خالط البياض يسير شقرة قيل : أعيس والآنثى عيساء .

الثاني : الحمرة ، فإن أحمر وغلبت عليه الشقرة قيل : أصهب والآنثى صهباء ؛ فإن  
خلصت حمرة قيل : أحمر والآنثى حمراء ؛ فإن خالط حمرة قو قيل : كُيت ؛ فإن صفت  
حمرة قيل : أحمر مدى ؛ فإن خالط الحمرة خضرة قيل : أحوى ؛ فإن خالطها صفرة  
قيل : أحمر رادى بكسر الدال ؛ فإن خالطها سواد قيل : أرمك والآنثى رمكاء ؛ فإن  
كانت حمرة كعبد الحديد قيل : أجأى .

الثالث : السواد ؛ فإن كان السواد فيه ضعيفا قيل : أكلف ؛ فإن خالط السواد  
صفرة قيل : أحوى ؛ فإن علق بسواده بياض قيل : أورك ؛ فإن زادت ورقة حتى  
أظلم بياضه قيل : أدم ؛ فإن اشتد بنياده قيل : جُون ؛ فإن كان بين الثمرة والحمرة  
قيل : حَوَار والآنثى حَوارة .

وأما أسنانها فإنه يقال لولد الناقة عند الوضع قيل : أن يعرف أذكر أم أنثى :  
سَلِيل ؛ فإن بان أنه ذكر قيل : سَقَب ؛ وإن بان أنه أنثى قيل : حائل ، ثم هو حَوَار .  
حتى يُقَطَّم ؛ فإذا قُطِم وقُصِل عن أمه قيل : فصيل ؛ وذلك في آخر السنة الأولى من  
وضعه ؛ فإذا دخل في الثانية قيل : أبن مخاض ؛ لأن أمه فيها تكون من المخاض — وهى  
الحوامل — والآنثى بنت مخاض ؛ فإذا دخل في الثالثة قيل : أبن لبون ؛ لأن أمه فيها  
تكون ذات لبن والآنثى بنت لبون ؛ وإذا دخل في الرابعة قيل : حَق ؛ لأنه يستحق  
أن يحمل عليه والآنثى حَقَّة ؛ فإذا دخل في الخامسة قيل : جدع والآنثى جدعة ؛  
فإذا دخل في السادسة قيل : قتي ؛ لأنه يلقى فيها شئته والآنثى قتيَّة ؛ فإذا دخل  
في السابعة قيل : رباع — بفتح الراء — لأن فيها يلقى رباعيته والآنثى رباعية

بالتخفيف ؛ فإذا دخل في الثامنة قيل : سَديس وسَدَس ، الذَّكَرُ والأنثى فيه سواء ، وربما قيل : في الأنثى سَديسة ؛ فإذا دخل التاسعة قيل : بازِلٌ ، لأنه فيها يَبْزَلُ نَابُهُ ، والذكر والأنثى فيه سواء ؛ وقد يقال فيه : فاطِرٌ ؛ فإذا دخل في العاشرة قيل : مُحْلِفٌ ؛ وليس وراء ذلك للإبل ضَبْطٌ بل يقال مُحْلِفٌ عامٌ ومُحْلِفٌ عامين فأكثر ؛ فإذا علا السن بعد ذلك قيل فيه : حَوْدٌ والأنثى عَوْدَةٌ ؛ فإن علا عن ذلك قيل : حَقَرٌ ؛ فإن تكسرت أنيابه لطول هَرَمه قيل : ثَلَبٌ والأنثى ثَلَبَةٌ ؛ ويقال في الناقة إذا كان فيها بعضُ الشَّباب : هَرُومٌ ، وربما قيل : شارِفٌ .

وأما ما يستحسن من صفاتها فقد رأيت في بعض المصنفات أن كل ما يستحب في الفرس يستحب في البعير خلا عِرَاضَ ظاريه ، وقتل مِرْقَعه ، ونكس جاعِرَته وهي أعلى الورك ، وأندلاق بطنه ، وتفترش رجله ؛ فإن ذلك يستحب في الإبل دون الخيل .

وقد صرح الشعراء في أشعارهم بعدة أوصاف مستحسنة في الناقة .

منها : دقة الأذن ، وتحديد أطرافها ، وكبر الرأس ، وأستطالة الوجه ، وعظم الوجنتين ، وقُوَّةُ الأنف ، وطول العنق وغلظه ، ودقة المذْبَج ، وطول الظهر ، وعظم السَّنام — وهي : الكَوَماء — وطول ذنبها ؛ وكثرة شعره ؛ غليظة الأطراف ؛ قليلة لحم القوائم ؛ ليست رِجْلة ، ولا مسترخية ؛ وأن تكون مع ذلك كثيرة اللحم ، متسَاءة الجلد ، تامة الخلق ، قوية ، صُلْبَةٌ ، خفيفة مِرْبعة السير .

وأما كرمها فإنه يقال لكل كريم خالص من الإبل : هِجَانٌ من نِتاج مَهْرَةٍ ؛ وهي قبيلة من قُضاعة باليمن ؛ والعبدية منسوبة إلى بنى العيد من قبيلة مَهْرَةٍ المذكورة ؛ والأزخية منسوبة إلى بنى أَرْحَب ؛ والفَريرية منسوبة إلى غُرَيْرٍ ؛ وهو غل كريم

مشهور في العرب، والشذنية منسوبة إلى شذقم : خل كريم أيضا ؛ والجديسة منسوبة إلى جديل : خل كريم ؛ والباعنة منسوبة إلى داعر : خل كريم كذلك . قال في كفاية المتحفظ : والشذنية، منسوبة إلى خل أو بلد .

## الصنف الرابع

### «الميرة»

ومنها : النفيس الغالي الثمن، وغيرها حمر الديار المصرية؛ وأحسنها ما أتى به من صعيدا ؛ وهي تلتقى في الأثمان إلى ما يقارب أثمان أوساط الخيل، وربما يميز العالي القدر منها على المنحط القدر من الخيل . والأحسن فيها ما كان غليظ القوائم، تام الخلق، حديد النفس .

ولا عيب في ركوب الحمار ولا وحيصة<sup>(١)</sup>؛ فقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب الحمار؛ ولا غيرة يرتفع من ترتفع<sup>(٢)</sup> عن ركوبه بعد أن ركبها للنبي صلى الله عليه وسلم .

## النوع الثالث

ما يحتاج إلى وصفه من جليل الوحش وكريم صيوده، وهو أصناف

### الصنف الأول

#### «جلسل الوحش»

وهو ما يتخذ المملوك للزينة وما في معناها . ويحتاج الكاتب إليه لوصفه في الهدايا

والمواكب، وما يجري مجراها .

(١) لعل مراده ولا قص، ولم تقف في مادة (ره ص) ولا (ره ص) على هذا المعنى .

(٢) في الأصل : « يرتفع » .

والمعزول عليه من ذلك خمسة أضرب :

الأول "الأمَد" - ويجمع على أمَد وأُسُد وأُسُود وآساد - ويقال له أيضا : اللَّيْث والضَّيْفَم ، والضَّرْغَام ، والحَزْبَر ، والهِتَم ، والحُرْماس ، والقُرَافِصَة ، وحِدْرَة ، والقَسَوْرَة ؛ وله أسماء كثيرة سوى هذه لا تكاد تدخل تحت الحصر ، حتى قال ابن خالوية : للأسد خمسمائة اسم . ويقال لولده : الشَّبْل ، ولأنثاه : اللَّبْؤَة .

قال ابن السندي في كتابه "المصايد والمطارد" : وإذا تأملت أصناف الحيوان وبجست صورها وما أُعطيَتْ من الأسلحة ومقادير الخلق ، وجدت الأسد أعظم خلقه ، وأكثر أبدته ، وأشد إقداما من جميعها ، ليست له غريزة في الهرب البتة .

ومن خصائصه وعجيب خلقه أن عظم عُنقه عظمٌ واحد ليست له تحرز عظام كما في غيره من الحيوان ، بدليل أنه لا يَلْوِي عنقه ولا يلتفت ؛ ومع ذلك فهو يتلعق الشيء العظيم . ولَبَوِيَّة لا تلد إلا جرّوا واحدا ، وإنها تضعه كالقمة ليس فيه حس ولا حركة ، فتحرسه ثلاثة أيام ، ثم يأتي أبوه فيتنفخ فيه المِرَّة بعد المِرَّة حتى يتحرك ، ثم تأتي أمه فتضعه ؛ ولا يفتح عينيه إلا بعد سبعة أيام ؛ ويكنسب لنفسه بالتعليم من أبيه بعد ستة أشهر . وهو قليل الشرب لئلا وإن كان لا يفارق الفَيَاض ؛ وله صبر على الجوع ، ولكنه إذا جاع ساءت أخلاقه ؛ وليس يُلقَى رَجِيعه إلا مرة واحدة في اليوم ، ويرفع رجله عند البول كما يفعل الكلب ، ويبول إلى خَلْف كما تبول الحمال . وهو أشد السباع ضراوة على أكل بني آدم ؛ وإذا أقترس فريسة وأكل منها لا يعود إليها ؛ ولا يبطأ أثره شيء من السباع .

قال ابن السندي في "المصايد والمطارد" : ولا يأكل من فريسة غيره من السباع . وقد قيل : إنه يهرب من الهر ، ومن الجرّو ، ومن الديك الأبيض ؛ وإنه إذا رأى ،

النار عرضت له فكرة أورثته بهتة؛ وأنه يهرب من عواء الجرو إذا عركت أذنه .  
ويقال؛ إن جلده اذا جعل فيا يخاف عليه السوس من الثياب وغيرها أين من ذلك؛  
وإنه اذا عمل منه وتر قوس وأضيف الى أوتار من فراء ويمى أو غيرها أبطل أصواتها  
وعلا صوته عليها . ومن طبعه أنه لا يشرب ماء ولق فيه كلب وإن مات عطشا .  
الثانى " الثمور " - جمع تمر (يفتح التون وكسر الميم) ويجمع أيضا على أنمار  
ونمار؛ والأشئ ثمرة . وهو حيوان مرقع اللون ليمسود وبياض ، أقرب شئ من  
خيلقة الفهد؛ وهو أخبث من الأسد؛ لا يملك نفسه عند الغضب حتى أنه ربما قتل  
نفسه من شدة غضبه .

قال ابن السندى : وهو ودود لجميع الحيوان ، عدو للنسر ، وينام ذئبة أيام .  
والحيوان يطيف به ويميل اليه استحسانا لجلده .  
وهو جنسان أحدهما : عظيم الجثثة صغير الذنب ، والثانى : صغير الجثثة  
عظيم الذنب .

قال فى " المصايد والمطارد " : ويصاد بالحمر لأنه يحبها . قال : ومن أراد  
قتله تمسح بشحم ضبع ودخل عليه فقتله .

الثالث " الكركدن " - بفتح الكافين ومكون الزاء المهملة وفتح الدال المهملة  
ونون مشددة فى الآخر .<sup>(١)</sup>

قال الزمخشري فى " ربيع الأبرار " : وهو وحش يكون ببلاد الهند يسمى  
الجبار الهندى ، له قرن واحد فى جبهته يبلغ غلظه شبرين ، وهو محدد للرأس  
إلا أنه ليس بالطويل ؛ وأنه اذا قطع ظهرت فيه صور عجبية . وإنه ربما نطح

(١) ضبطه فى القاموس بتثنية الدال (أى وتخفيف النون) ، وقال : والعامة تشدد النون .

الفيل فبَعَجَه بقرنه . وإن أنشأه تجعل سبع سنين ، وإنه إذا كان بأرض لم يدع شيئا من الحيوان حتى يكون بينه وبينه مائة فرسخ من جميع جهاته هيبته له وهربا منه .

الرابع " الفيل " — وهو حيوان يُؤتى به من بلاد الهند والحبشة .

قال الجاحظ : وهو من الحيوانات المائية وإن كان لا يسكن الماء . وهو من ذوات الخراطيم ، وخرطومه أنفه ، كما أن لكل شيء من الحيوان أنفا ، وهو يده ، وبه يتناول الطعام والشراب ، ومنه يُنفى ويميز فيه الصوت كما يميزه الزمزر في القصبة بالتنفخ . قال : وأصحابنا يزعمون أن بينه وبين السنور عداوة ، وأن الفيل يهرب منه هربا شديدا .

وذكر صاحب " الخيل في الحروب " أنه يقصر عن صوت الخنزير وأنه بذلك ينفّر في الحروب . وقد ذكر الجوزي : أن للفيل إقداما على السبع .

قال الجاحظ : وهو يعادى البعوض لأنه يشقّب جلده بقرصه ، ومن ثم يرى الفيل دائما يحرك آذانه ليطرد عنه الناموس . وهو مخصوص بنخلة وقع قوائمه على الأرض إذا مشى ، حتى لو أن إنسانا كان جالسا وجاء الفيل من خلفه لمسا شعر به .

وذكر عبد القاهر البغدادي<sup>(٢)</sup> : أن الفيلة تحمل سبع سنين ، وقيل : ستين ، وقيل : ثلاث<sup>(٣)</sup> قبل أن تضع ؛ وأن لسان الفيل مقلوب : طرفه داخل حلقه وأصله من خارج ، على العكس من سائر الحيوان ؛ وأن نديها على كبدها ، وترضع أولادها من تحت صدرها .

(٢) لعله يقصو بالواو بدل الراء أى يبعد .

(٢) في حياة الحيوان : عبد اللطيف ، وسيأتي بعد صحائف على الصواب مرارا .

(٣) كذا في الأصل ، وعبرة حياة الحيوان : « ولا يزرع عليها إذا وضعت إلا بعد ثلاث سنين » .

وقد ذكر الفزالي: أن فرجها تحت بطنها، فإذا كان وقت الضراب ارتفع وبرز للفصل حتى يتمكن من إتيانها .

الخامس "الزرافة" ( بفتح الزاي وضمة ) وهي حيوان يؤتى به من بلاد الحبشة واليمن، طويل اليدين، قصير الرجلين؛ ذنبه وحوافره كذنب البقر وحوافرها، ورقبته ورأسه كرقبة الجمل ورأسه، ولونه مؤنث بالياض والصفرة .

قال الجاحظ : وقد زعموا أن الزرافة تتولد بين الناقة من نوق الحبشة وبين بقرة الوحش وبين الذئب — وهو ذكر الضياع — وذلك أن الذئب يمرض للناقة فيسفدها فتلقح بولد يميح خلقه بين الناقة والضبع ، فإن كان الولد أنثى عرّض لها الثور الوحشي فيضربها فيأتي الولد زرافة ، وإن كان ذكرا تعرض للهواة فألقحها فيأتي الولد زرافة أيضا .

قال : ومنهم من يزعم أن الزرافة الأنثى لا تلقح من الزرافة الذكر ، ثم قال : وهذا مشهور باليمن والحبشة . ثم إن كانت أسنانها سوداء دلت على هرمها، وإن كانت بيضاء دلت على حداثة سنّها .

ومن أمراضها: الكلب — وهو كالجئون يعثر بها كما يعثر الكلب فيقتلها — وكل من عضته وهي على هذه الحالة قتله إلا ابن آدم فإنه ربما عالج فلم . ومن أمراضها أيضا : الذئبة والقرس .

## الصف الثاني

### "مُعَلَّمَات الصبيد"

وقد عبر عنها بالضواري؛ وهي كل ما يقبل التعليم من الوحوش كأنها ما كان به حتى حكى عن السوداني القناص: أنه بلغ من حذقه أنه عثر ذئبا حتى أصطاد به

الظباء وما دونها، وألفه حتى رجع إليه من ثلاثين فرسخاً، وضرب أسداً حتى أصطاد به حُر الوحش . ويقال : إن ابن عرس يُجعل حبل في عنقه ويدخل على التلعب فلا يخرج إلا به . وهي على ضرين :

الأول "الفهودة" - جمع فهد بكسر الهماء - وقد زعم أرسطو طاليس : أنه يتولد من أسد ونمرة أو من نمرو وبؤة . وهو من السباع التي تصاد ثم تؤنس حتى تصيد . وهو من الحيوان المعتد الأسنان، وأسنانه يدخل بعضها في بعض كالكلب وغيره . قال في "التعريف" : وأول من صاد به كسرى أنو شروان أحد ملوك الطبقة الأخيرة من الفرس . قال في "المصايد والمطاردة" : ويصطادونه بضروب من الصيد :

منها : الصوت الحسن، فإنه يصنئ إليه إصغاء شديداً .

ومنها : كده وإتباعه حتى يحمي ويبها وينهر ويحفي ؛ فإذا أخذ غطيت ميناها، وأدخل في وعاء، وجعل في بيت ما دام وحشياً، ووضع عنده سراج ولازمه سائمه ليلا ونهاراً ولم يدعه يرى الدنيا، ويعمل له مربكاً كظهر الدابة يعوده ركوبه ويطلعمه على يده فلا يزال كذلك حتى يتأنس ؛ فإذا ركب مؤثر الدابة فقد صار داجناً وصاد . وفي طباعه أمور :

منها : كثرة النوم حتى يضرب بنومه المتل فيقال : «أَنُومٌ مِنْ فُهد» ؛ وكثرة الحياء حتى إنه لا يعلم أنه داخل أنى بين يدي الإنس، وقد عني بمراعاته في ذلك فلم يوقف عليه، وإن كان الأسد يفعل ذلك كثيراً .

وقتل ابن السندي عن بعض الفهّادة : أن سائمه إذا أمر به عليه اطمأن إليه ومال، فإذا وضع يده على فرجه نحر وعض يده .



ومنها : القَصْبُ حتَّى إنه إذا أُرْسِلَ على صيد فلم يَحْصِلْهُ أحدٌ؛ وإن لم يأخذ سائمه في تسلية قتل نفسه أو كاد .

قال صاحب "المصايد والمطارد" : والمسّن من القُهود إذا صيد كان أسرع في الصيد من الجرو الذي يُربى ويؤدّب . والأُنثى أصيد من الذكركامة إناث الجوّارح . قال : وليس شيء من الوحش في قدر حرم الفهد إلا والفهد أفضل منه . قال في "المصايد والمطارد" : وضدّ الفهد الظباءُ والوعول على اختلاف أجناسها .

الثاني "الكلاب" -- جمع كَلْبٍ ويجمع على كَلْبٍ أيضا وعلى كَلْبٍ ، كعبد وعبيد . والأُنثى كَلْبَةٌ ، ويجمع على كلبات بالفتح . وهو حيوان شديد الرياضة ، كثير الوفاء مشترك الطباع بين السبع والبيمة ، لأنه لو تم له طباع السبعة لما ألف الناس ، ولو تم له طباع البيمة لما أكل اللحم . ويقال : إنه يحتمل وأثناء تحمض ، ويحمل أثناء ستين يوما ، وربما حملت أقل من ذلك . ويسفد بعد ستة ، وربما تقتم على ذلك ، ولها عند السفاد اشتباك عظيم . وإذا سفد الأنثى كلبان مختلفان أنت من كل واحد بلونه . وفيه من اقتفاء الأكاروشم الرائحة ما ليس لغيره من الحيوان . والميئة أحب إليه من اللحم القريض .

ومن طبعه : أنه يجرّس صاحبه شاهدا أو ظبا ، ذا كرا أو ظفلا ، ونائما أو يقظان . وهو أيقظ حيوان في الليل ؛ وإذا نام كسر أجفان عينيه ولا يطبقها خلفه نومه . ومن عجيب شأنه أنه يكرم الرئيس من الناس فلا ينبّهه وإنما ينبع أو باش الناس .

ومن طبعه أن الضبع إذا مشّت على ظله في القمر رمى بنفسه بين يديها فتناكله ، وإذا ظفر بكلب غريب كاد يفتريه .

وقد أجاز الشارع أخذها للصيد ونحوه ، وأباح صيدها مع نجاسة عينها .  
قال في "التعريف" : وأقول من أخذها للصيد داراً أحد ملوك الفرس . قال  
في "المصايد والمطارد" : وإذا كسر الكلب الأرناب فهو نهاية وإن كان يطبق  
فوق ذلك . والكلب بمسك لصاحبه ، ولذلك لا يأكل من الصيد بخلاف سائر  
الجوارح . قال : وإناتها أسرع تعلماً من الذكور ، وأطول أعماراً حتى إنها تعيش  
عشرين سنة .

ومن خاصية الكلب : أنه إذا طارن الظباء قرية كانت أو بعيدة عرف منها العليل  
من غيره ، والعز من التيس ؛ فيتبع التيس منها دون العترو وإن كان التيس أشد عدواً  
وأبعد وثبةً ، لأنه يعلم أن التيس إذا عدا شوطاً أو شوطين غلب عليه البول ولا يستطيع  
إرساله في عدوه فيقل عند ذلك عدوه ويقصر مدى خطاه فيدركه الكلب ؛ بخلاف  
العترة فإنها إذا احتراها البول أرسلته لسعة مسيله ؛ والكلب يعرف ذلك كله طبعاً ،  
وكذلك يعرف بحجرة الأرناب والثعالب ، وإن ركبها التلج والجليد بشمه فيقف عليه  
ويثير ما فيها من الوحش ؛ وإذا صعد منه أرنب إلى أهل جبل شاهق كان له من  
التلطف في الارتقاء والصمود ما لا يلحقه غيره ، بل لا ينفخ عليه من الصيد الميت  
من المماوت .

ومن خصائص الأنثى : أنها تحمل ستين يوماً ويبقى بحرؤها بعد الولادة اثني عشر  
يوماً أعمى ؛ وأكثر ما تضع ثمانية أجراء ، وربما وضعت واحداً فقط . ورأس الكلب  
كله عظم واحد . والكلب يطرح مقادير أسنانه ويخلفها ، ولكنه لا يظهر لكثير من  
الناس لأنه لا يلقى منها شيئاً حتى ينبت في مكانه غيره . والفرق بين الذكر والأنثى  
أن الذكر إذا أدرك يرفع رجله عند البول والأنثى تبول مقبعية وربما رفعت رجلها ؛  
والذكر يبيع للسفاد في السنة قبل الأنثى ؛ وأسنان الذكر أكثر ومضغه أشد .

قال الجاحظ : وخير الكلاب ما كان لونه يذهب إلى لون الأسود بين الصفرة والحمرة، ثم الأبيض إذا كانت عيونها سوداء . وذكر صاحب "المصايد والمطارد" : أن الأبيض أفره، والأسود أصبر على الحر والبرد .

ومن علامة النجابة والفراة فيه : أن يكون تحت حنكه طاقة شعر مفردة غليظة، وأن يكون شعر حذيه جافيا . ومن علامة الفراة : طول ما بين يديه وزجله، وقصر ظهره، وصغر رأسه، وطول عنقه، وقصْف أذنيه، وبعد ما بينهما، وزُرْقَة عياله، وعظامة مقلتيه، وتواء حذقه، وطول خطمه وذقنه، وسعة شدقه، وتوق جبهته وعرضها .

ويستحب فيه : أن يكون قصير اليدين، طويل الرجلين، طويل الصدر غليظه، قريبه من الأرض، نائي الزور، غليظ المضدين، مستقيم اليدين، منهمم الأنفائير، عريض ما بين مفاصل الأعطاف، عريض ما بين عظمي أصل الفخذين مع طولها وشدة لهما، دقيق الوسط، مستقيم الرجلين، قصير الساقين، غير غني الركبتين، قصير الذنب إن كان ذكرًا مع دقة وصلابة . وإن الكلبة إذا ولدت واحدا كان أفره من أبيه، وإن ولدت اثنتين كان الذكر منهما أفره من الأنثى، وإن ولدت ثلاثة فيها أنثى في شبه الأم كانت أفره من الثلاثة، وإن كان في الثلاثة ذكر واحد كان أفرها، وإذا ألقيت الجراء وهي صغار في مكان ندى فأياها مشى على أربع فهو أفره .

ومن أعظم أدوائها : الكلب — بفتح اللام — وهو داء كالبخون يعترى الكلب يؤثر فيمن عضه أنه يخرج من ذكره جراء صغار .

ومن عجب ما يحكى في ذلك : أن رجلا عضه كلب كلب فتلقاه بكه فأصابته أسنانه ولعابه، فشمركه ساعة ثم نشره فتساقط منه جراء صغار .

ثم كلاب الصيد على ضربين : سَلُوقِيَّة (يفتح السين) وَزَغَارِيَّة (بضم الزاي) .  
فأما "السُّلُوقِيَّة" فنسوبة إلى سَلُوقٍ : بلدة من اليمن ، كما قاله صاحب "المصايد  
والمطارد" والمؤيد صاحب حماه في تقويم البلدان ، والمقرئ الشهابي ابن فضل الله  
في "التعريف" .

قال في "التعريف" : وهي مولدة بين الثعالب والكلاب ، ولذلك لا تقبل التعليم  
إلا في البطن الثالث منها ، قال : ولها سلاح جيد . قال في "المصايد والمطارد" :  
ولها أنساب كأنسب الخيل ، قال : وقل أن يعرض لها مَرَضُ الْكَلْب .  
وأما "الزَّغَارِيَّة" فهي أُلُفٌ قَتْنَا من السُّلُوقِيَّة ، ولم أدر إلى ماذا تُنسب .

### الصف الثالث

ما يعنى بصيده من الوحش ، والمشهور منه عشرون ضرباً  
الأول "الحمار العنابية" وهي حيوان في صورة الِرِّدَّوْن موشى الجلد بالبياض  
والسواد يروق الناظر حسنُها . وقد كان أهْدَى للظاهر برقوق — سقى الله عهده —  
حمارة من هذا النوع ، فأقامت مدة ، ثم أعطاها فقيراً من قراء الحرم فكان يركبها كما  
تركب الخيل والجير ويمشى بها في القاهرة ، ثم عوضه الناصر بن الظاهر سلطان العصر  
عنها عوضاً ، وأعادها منه ، وأرسلها في هدية لابن عثمان صاحب بلاد الروم غربى  
الخليج القسطنطينى .

الثانى "البقر الوحشية" — وتعرف بالآمها ، وهي دون البقر الأهلية في المقدار ،  
ولها قرنان في رأسها ، في كل قرن منهما شُعْب ، وهي من جليل الصيد ، ويقال للفتى  
منها : آمها ، وبها يضرب المثل في حُسْن الميُون وسوايدها .

ومن طبعه : الشَّبَقُ وشِدَّةُ الشهوة ، ولذلك إذا حلت أنثاه هربت منه خوفاً من تعبته بها وهي حامل ؛ وربما ركب الذكر الذكر لشدّة شبقه .

قال صاحب "المصايد والمطارد" : وكل إناث الحيوان أرق صوتاً من الذكور إلا البقر الوحشية فإن الأنثى أغلغ صوتاً وأظهر من الذكر . ومواضعها من البرية : الوهجات ، وما استوى من الأرض ودنا من الماء والغشب ، وليست مما يسكن الجبل ، ولذلك يعيب في ذلك محمد بن عبد الملك الزيات كاتب المعتصم ووزيره حيث وصف نورا من بيرانها برعيه في الجبل .

وهي مما يُصاد بالطرد على الخيل . ويقال : إن أول من طردها على الخيل ربيعة ابن زرار بن معدّ بن عدنان ، فإنه أول من ركب الخيل على قول ؛ ولما ركبها رأى بقرة وحشية فطردها فلجأت الى مكان يمكنه أخذها منه ، فرق لها وتركها . ويقال : إن من الكلاب ما يتسلط عليها ويتعلّق بها ؛ وأغدر معين له عليها من جوارح الطير العقاب . قال ابن السدي : ودما أسرع إلى الجمود من دم سائر الحيوان .

الثالث "الحمر الوحشية" — ويقال للأضنى من حمر الوحش : أنثى ، ولذا ذكر جمار وغيره ، كما يقال في الحمر الإنسية ؛ وربما قيل : القراء ؛ وهو من أشدّ الصيد عدواً ، ولذلك يُصْرَب به المثل فيقال : « كلّ الصيّد في جنب القراء أو في جوف القراء » . وبه تشبّه العرب خيلها وإبلها في السرعة . ويقال : إن الحمار الوحشي لا يتقو إلا إذا كان له من العمر ثلاثون شهراً ؛ وإن الأنثى لا تلقح منه حتى يتم له ثلاث سنين ، وقيل ستان وستة أشهر . ويوصف بشدّة الغيرة على أنثى حتى يقال : إن فيها ما إذا ولّد له ولد ذكر كدم فضيبه وخضيبه حتى يقطعهما .

قال في "المصايد والمطارد" : وليس يتعلّق به شيء من الضواري ولا الجوارح إلا العقاب ؛ ولا شيء أبلغ في صيده من الرمي بالشّباب .

الرابع "الغزلان" ويقال : لها الظباء (بكسر الظاء) واحدها ظبي . ثم الظباء على ثلاثة أضرب :

أحدها : البيض ، ويقال لها : الآرام جمع ريم ، ومساكنها الرمل ، ويقال : هي ضأن الظباء .

وثانيها : الأدم ، وهي ظباء شمر الظهور ، بيض البطن ، طويلة الأعناق والقوائم ، وهي أسرعها عدواً ، ومساكنها الجبال والشعاب .

وثالثها : العقر ، وهو صنف يعلوه مع البياض حمرة ، قصار الأعناق ، ومساكنها صلاب الأرض .

ويصيد جميعها الفهد والكلب والعقاب ، وتصاد أيضا بالحباله والشرك ، وربما صيدت بإيقاد النار بإزائها ، لأن الظبي إذا رأى النار في الليل تأملها وأدمن النظر إليها وعيى بصره وذهل ، وقد يضاف إلى النار تحريك جرس ونحوه فيزداد ذهوله فيؤخذ ، وتصاد بأمر أخرى غير ذلك .

الخامس "الأيايل" جمع أيل (بضم الهمزة وتشديد الياء المشناة تحت ولام في الآخر) . وهو حيوان قريب الشبه من الظباء ، له قرنان في رأسه كالظبي .

قال في "المصايد والمطارد" : وهو معتصم بالجبل قلماً يحمل السهل ، وقرونه مصنعة لا تنجوى فيها ، ويخلفها في كل عام غيرها ، ويتبدى في ذلك بعد مضي سنتين من ولادته ؛ وله أربع أسنان في كل ناحية من ناحيتي فيه ؛ وذكره عصب لا لحم فيه ولا غضروف ولا عظم ، ودم كل حيوان يجمد إلا دمه ؛ وليس للأثني منها قرون البتة ؛ وأصوات ذكورها أحد من أصوات إناثها ؛ وهو يرتاح لسماج الغناء . وإذا

حر بشجرة الزيتون فذل لها ؛ وياكل الحيات ولا يضره سمها . وسياق في الكلام على الأحجار أن البادزهر الحيوانى من صنف منه .

ومن خواصه : أنه إذا بنجر بقرنه مع كبريت أحمر هربت الحيات .  
السادس "الأرناب" - جمع أرنب ، والأرنب مؤنثة ؛ وهى حيوان صغيرة الجثة قصيرة اليدين قريب من لون الثعلب ؛ وليس شئ مما يوصف يقصر اليدين أسرع منها .

ومن خصائصها : كثرة الشعر حتى إنه لينبت فى بطون شديتها وتحت رجليها . وقضيب ذكر الأرنب من عظم ؛ وربما ركبت الأنثى الذكر فى السفاد . ولا ينام الأرنب إلا مفتوح العين . ومن طبعها أنها تخطأ الأرض بباطن كفها لتعنى أثرها ، إلا أن الكلب الماهر يدرك أثر قوائها .

ومن شأنها : ألا تأوى إلى ساحل البحر ، وإذا طردت بلغت إلى الجبال واشتد مدوها فيها ، والأنثى لا تسمن ؛ وهى عند العرب مما يحبض ؛ وتُسفد وهى حيل ؛ وتلد الأول والثانى على ما فى بطنها .

السابع "الذئب" - جمع ذئب ؛ وهو حيوان فى صورة الكلب فى لونه نائق بكودة ؛ والذئبة أجراً من الذئب وأشد مدواً وأسنانه عظم مخلوق فى فكبه ليست مفروسة فيهما كسائر الحيوانات .

قال ابن السدى : وأخبرنى أبو بكر الدقيشى أن هذه الخلقة فى أستان الضبع أيضاً . والذئب صاحب خلوة وأفراد ، ومنى رأى الإنسان قبل أن يراه أخفى صوته ؛ وإن رآه جزع منه أجترأ عليه وساوره . وإذا تسافد هو وأتشاء

(١) فى الصباح : ويقع على الذكر والأنثى ، وقد يؤت بالهاء .

التحما تماما شديدا حتى يقال : إنه اذا هجم عليهما داخل في هذه الحالة قتلها  
كيف شاء ، ولذلك يعمدان في هذه الحال إلى مكان لا يُريَان فيه . وإذا تهارش  
ذئبان فادى أحدهما الآخر هذا الذى أدعى على المذمى فقتله خوفاً من أخذ النار؛  
وإذا عجز الذئب عن الدفع صوى فاجتمع إليه الذئاب نُصرةً له ؛ وإذا لقي الفارس  
والأرض مثلوجة تَمُشّ التلج بيديه ورمى به في وجه الفارس ليُدْهشه ثم يعقر دابته  
فيتمكن منه ؛ ومتى وطئ الفرس أثر الذئب رُمد ونرج الدخان من جسده كله ،  
ولذلك قلَّ مَنْ يطرد من الفرس ولا يتفطن لوطئه أثره . ويصاد بالكلاب وغيرها ؛  
وقد تقدم أن السودانى ضرى ذئبا حتى أصطاد له الظباء .

الثامن "الغالب" — جمع غلب ؛ وهو حيوان معروف ، موصوف بكثرة الرِّوْغان  
في عذوه وبالخيل حتى إنه يتماوت عند رؤية الغراب فيزل عليه الغراب على ظنِّ  
موته ليأكل منه فيقبضه هو . ومن حُبته وحيلته يختلط بكار الوُحوش وجلبتها .

قال في "المصايد والمطارد" : ومن فضائله تشبيههم بمشية الخيل بمشيته التي  
يقال لها : التعلية .

ومن عجائبه : أن قضيبه في خلقه الأنبوبة ، أوسطه عظم في صورة الثقب والباقي  
عَصَب ولحم . وهو كريم الوبر والأسود من وبره في الغاية القصوى ، والأبيض منه  
لا يكاد يُفرق بينه وبين الفئك .

ومن خصائصه : أنه يتبرخ في الزرع فلا ينبت موضعه ، وربما سَقَد الكلبة  
خولدت كلبا في خِقة السلوقي الذي لا يُقدر على مثله ؛ وقد تقدم ذكر ذلك  
في الكلام على الكلاب السلوقية . ومواضع الكروم والآجام . ويصيبه الفهد  
والكلب وجوارح الطير .



التاسع "الضَّبَاع" — جمع ضَبْع — ويقال لها : أم حامر؛ وهى مما يؤكل وإن كانت من ذوات الناب لورود النص بذلك ، وترجم العرب أنها تكون مسنة ذكرا ومسنة أنثى .

ومن خصائصها : أنها إذا رأت الكلب فى ليلة مقمرة على سطح ووطئت يظله وقع فأكلته . وإذا أقصم عليها مقتحم وجارها وقد سد جميع منافذ جحرها حتى يمتنع منه الضوء فلا يبقى فيه نهرم إبرة ؛ وبطلها بجبل ويخرج بها ؛ وإن بقى ما يدخل منه الضوء ، ولو قُدِّرَ سم إبرة وثبت عليه فأكلته . ومن كان معه شيء من الخنظل لم تقربه الضبع .

العاشر "سَنُورُ الْبَرِّ" — وهو الثفا . وفى حله عند الشافية وجهان ، أحدهما التحريم . وصيده يحتاج إلى علاج كبير ؛ وربما وثب على وجوه الناس ؛ وطرده بالخنيل من أعسر الطراد ؛ وأولى ما يُصَاد به الرمى . ومنهم من يعمده فى السباع .

قال فى "المصايد والمطاردة" : وَقَلَمًا أَنْتَفِيعَ بِهِ فى صَيْدٍ إِلَّا أَنَّهُ يَثْبُ على الكُرْكُوما فى مقداره من الطيور فيصيده . أما السَنُورُ الْأَهْلَى ، وهو الهر المعروف ، فغير ما كُول ولا يصيد إلا الفار وما فى معناه من خَشَاش الأرض ؛ ولذلك قال النبى : صل الله عليه وسلم فى الهرة : "ولكنها من الطوائف عليكم" بمعنى أنها تطوف على الناس فى بيته فتقبض ما لعله يسرح عليه من الخَشَاش .

الحادى عشر "الذَّب" — وهو جِذَان قَرِيب فى الصورة من السبع ؛ وهو يسكن الجبال والمغائر ؛ والأثني ترفع ولدها أياما هَرَبًا به من الذر والنمل لأنها تضعه كيف طعمه ، فلا تزال تنقله وترأعيه حتى تشتد أعضاؤه ، وتجعله تحت شجرة الجوز وتضعه لها فتجمع الجوز فى كفها ثم تضربُ أيمنى على اليسرى وترمى إليه ؛ فإذا شبع نزلت و

وربما قطعت من الشجرة العود الذي يعجز الناس عنه وتقبض عليه في موضع مقبض المصا وتشمذ به على الفارس وغيره فلا تُصيب به شيئا إلا أهلكته .  
ومن خصيسته : أنه يستتر في الشتاء فلا يظهر إلا في الصيف بخلاف سائر الحيوان .

الثاني عشر "الختر" — وهو حرام بنص القرآن ، نجس في مذهب الشافعي رضي الله عنه قياسا على الكلب ، بل قالوا : إنه أسوأ حالا منه لعدم حمل أقتنائه ، إلا أنه مباح القتل فيكون في معنى الصيد . وهو حيوان في نحو مقدار الحمار وشعره كالإبر . وله نابان بارزان من فكه الأسفل .

ومن خاصته : أنه لا يلقي شيئا من أسنانه ، بخلاف سائر الحيوان فإنها تلقى أسناتها خلا الأضراس . وهو كثير السَّفاد كثير النسل ، حتى إنه ربما بلغت عدة خثانيته ، وهي أولاده ، آتت عشر<sup>(١)</sup> خنوصا .

قال في "المصايد والمطارد" : وهو من الحيوان البري الجاهل الذي لا يقبل التأديب والتعليم ، ويقبل السَّخَن سريعا ، ويقال إنه إذا جعل بين الخيل سمنت .  
الثالث عشر "السُّمور" — يفتح السين وبالميم المشددة المضمومة على وزن السُّمُود والكَّؤُوب ، وهو حيوان برى يشبه السُّتور ، وقده يكون أكبر منه .

قال عبد اللطيف البغدادي : وهو حيوان برى ليس في الحيوان أجرا منه على الانسان ، لا يصاد إلا بالجِل . ووقع للنوى في "تهذيب الأسماء واللغات" : أن السُّمور طير ، ولعله سبق قلم منه . وأغرب ابن هشام البستي في "شرح الفصيح" فقال : إنه ضرب من الجن . والتحقيق أنه من جملة الوحوش كما تقدم . وحكه

(١) في الأصل : بالسين وهو تصحيف ، انظر كتب اللغة .

جُلُّ أكله . ومنه يتخذ تيمس الفراء التي لا يلبسها إلا الملوك وأكابر الأعيان من يداني الملوك لحسنها ودفاؤها ، وأحسنه ما كان منه شديد النعومة ما تلا إلى السواد .  
الرابع عشر "الفتك" — بفتح الفاء والتون — وهو دَوِيَّةٌ لطيفة لها وبر حسن أبيض يخالطه بعض حمرة يُتخذ من جلوده الفراء .

قال ابن البيطار : وفروه أطيب من جميع الفراء ، ومزاجه أبرد من السمور وأحر من السنجاب ، ويصلح للأبدان المعتدلة ؛ قال : وكثيرا ما يُجلب من بلاد الصقالبة

الخامس عشر "القائم" — بقافين الثانية منها مضمومة — وهو دَوِيَّةٌ في قدر الفأر لها شعر أبيض ناعم ، ومنه يُتخذ الفراء . وهو أبرد مزاجا وأرطب من السنجاب ، ولذلك كان لونه البياض ، وهو أحر قِعة من السنجاب .  
السادس عشر "الدلق" — بفتح الدال المهملة واللام وقلف في الآخر — فارسي معرب ، وهو دَوِيَّةٌ تقرب من السمور .

قال عبد اللطيف البغدادي : وهو يفترس في بعض الأحيان ويكترع في الدم . وذكر ابن فارس : أنه التمس . وقد ذكر الرافعي أنه يسمى : ابن مقرض ، والمعروف أن الدلق حيوان يتخذ منه الفراء .

السابع عشر "السنجاب" — وهو حيوان أكبر من الفأر ووبره في غاية النعومة وجلده في نهاية القوة . وحكه الحُلُّ ، وقال بخرمه بعض الخنا بلة . ويتخذ من جلده الفراء النفيسة التي يلبسها أحيان الناس ورؤسائهم

ومن شأنه : أنه إذا أصر الإنسان سعيد الشجر العالي ، وفيها يأوى ، ومنها يأكل . وهو كثير بيلاذ التريج والصقالبة ، وأحسن ألوانه الأزرق ، ثم إنه يقال

إنه ربما تبقى ذُرَّتُهُ لأنه يُحْتَقَى ولا يُدَثَّى ، فإن صح ذلك فهو مينة لا يطهرُ شعره  
بالدباغ على أظهر القولين من مذهب الشافعي رضي الله عنه خلافاً للأستاذ أبي إسحاق  
الاسفراييني وأبن أبي عَصْرُون فإنهما يريان طهارة الشعر بالدباغ وهو رواية الربيع  
الجيزي عن الشافعي وأخباره الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله .

الثامن عشر "سُورُ الزَّيَّاد" — وهو في صورة السُّورِ الأهلِي إلا أنه أطول ذَنباً  
منه وأكبر جَنَّةً ؛ ولونه إلى السواد أميل ، وربما كان أتمراً ، وهو يُجَلَّب من بلاد  
الهند والسند ؛ والزَّيَّاد فيه شبيه بالوصح الأسود اللزج ، ذِفَرُ الرَّائِحَةِ ، يخالطه طيب  
كطيب المسك ، ويوجد في باطن إبطه ؛ وباطن أنفاده ، وباطن ذنبه ، وحول دُبره ؛  
فيؤخذ من هذه الأماكن بملقعة ونحوها .

التاسع عشر "السُّورُ الأهلِي" — وهو الملقب — ويقال في أصل خلقه : إن أهل  
السفينة شَكَّرُوا إلى نوح عليه السلام ضرر الفأر فسح على وجه الأمد بيده فمَطَّسَ  
نخرج السُّورَ من أنفه ، ولذلك هو يشبه في التكوين وكيفية الأعضاء . وفيه مشاركة  
للإنسان في جُصَلال :

منها : أنه يَمَطِّسُ ، ويتناهب ، ويتناول الشيء بيده ، ويأكل اللحم ، ويمسح  
وجهه بلمابه كأنه يغسله ؛ وإذا آتسَخَ شيء من بدنه نَفَّطَهُ ، وإذا قضى حاجته خَبَأَ  
ما يخرج منه ، ويشبهه حتى تخفى رائحته . ويقال : إنه يفعل ذلك كيلا يَسْمَهُ  
الفأر فيهرب ، وهو يهيج للسَّفَادِ في آخر الشتاء ، ويكثر الصباح حينئذ ، وتعمل  
الأنثى منه مرة في السنة ، ويقيم حاملاً خمسين يوماً ، وإذا ألقت منزلاً منع غيره من  
السنائير من الدخول إليه ؛ وإذا طرده أهل البيت تَمَلَّقَ لهم وترَّقى ؛ وإذا اختطف  
شيئاً هرب به خوفاً المعاقبة عليه .

والهزة إذا جاءت أكلت أولادها، ويقال : إنها تعمل ذلك من شدة الحزن .  
وقد ذكر القزويني : أن نوطا من السناير له أجنحة كأجنحة الخفافيش متصلة من  
أذنها إلى ذنبها .

العشرون "النمس" - قال الجوهري : وهو دويّة عريضة كأنها قطعة قديد ،  
تكون بأرض مصر تقتل الثعالب ، والنمس بمصر معروف ، وهو حيوان قصير اليدن  
والرجلين أغبر اللون ، طويل الذنب ، يصيد الدجاج ، وإذا رأى ثعبانا قبض عليه  
وقتلها ، وربما صيد وأنس فتأنس .

إذا علم الكاتب صفات الوحوش وخصائصها ، عرّف كيف يُورد الجليل منها  
من الأسد والفيل ونحوها موارد في الوصف ، وكيف يصف صواري الصيد كالقنفذ  
وكيف يصف وحوش الصيد كالقطباء ، وبقر الوحش ، وحمر الوحش وغيرها ،  
وكذلك ما يقع من التشبيهات بشيء من الحيوان كما قال بعض الشعراء :  
وَيَجْتَنِبُ الْأَسْوَدُ وَرُودَ مَاءٍ \* إِذَا كَانَ الْكَلَابُ يَلْفَنَ فِيهِ  
وكما أنشد الجاحظ :

جاءت مع الأثنين في هودج \* تُرْجَى إِلَى الْبَصْرَةِ أَجْنَادُهَا  
كَأَنَّهَا فِي يَمَلُهَا هِسْرَةٌ \* تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَ أَوْلَادُهَا

مشيرا بذلك إلى ما تقدم من أكل الهزة أولادها ، وغير ذلك مما يجرى هنا  
المجترى ، ومبني على ذكر ما في معنى ذلك من الرسائل المتعلقة بأوصاف الحيوان في المقالة  
العاشر المعتبر لذلك إن شاء الله تعالى .

## النوع الرابع

فيا يحتاج إلى وصفه من الطيور

ويحتاج الكاتب إلى ذلك في رسائل الصيد، وإهداء الجوارح، والجواب عن إهدائها، وكتابة قدم البندق، وما يجري مجرى ذلك؛ وهو على أربعة أصناف .

## الصنف الأول

## "الجوارح"

وهي يُصاد بها الطير والوحش؛ ويحتاج الكاتب إلى وصفها في الرسائل الصيدية وفي إهداء شيء من الجوارح أو الجواب عنها .

واعلم أن الصائد الكبير الجئنة المختبر في الصيد في جميع أجناس الجوارح هي الإناث؛ أما ذكورها فإنها ألطف في المقدار وأضعف في الصيد على ما يأتي بيانه فيما بعد إن شاء الله تعالى :

قال في "التعريف" : ويستحب في الجوارح كبرها متها، وتوصدها، وأنواع حاليها، وقوة إبصارها، وحدة متاسرها، وصفاء ألوانها، ونعومة ريشها، وقوة قوادمها، وتكاثف خوافيها، وثقل مجلها، وخفة وثباتها، وأشدادها في الطلب، ونهما في الأكل؛ وقد قسمها في "التعريف" إلى قسمين : صُقُورٌ وُبُزاةٌ، وفُزَقٌ بينهما بأن الصُقر ما كان أسود العين، والبازي ما كان أصفر العين على اختلاف المسميات، ثم قال : أما العقاب فإنه لا يعد في الصُقُور ولا في البُزاة وهو معدود في الجوارح، وفي الطير الجليل . وبالجمل فبالجوارح على ثلاثة أقسام :

## القسم الأول

”المُقَاب“ ؛ وهو ضربان

الضرب الأول - المخصوص باسم المُقَاب وهي مؤنثة لا تذكّر ، وتجمع على عِقْبَان وأَعْقَب .

قال في ”المصايد والمطارذ“ : وهي من أعظم الجوارح ، وليس بعد النسر في الطير أعظم منها ؛ وأصل لونها السواد .

لونها : سوداء دَجُوجِيَّة ، وخُدَّارِيَّة ؛ وهي التي لا يَبَاضُ فيها .  
ومنها : البَقَاء ؛ وهي التي يخالط سوادها بياض .

ومنها : الشَّقْرَاء ؛ وهي التي في رأسها قُطْبُ بياض . قال أبو حنيفة ويونس :  
ويقال لذكر العقاب القَرْنُ - بفتح السين والراء المهملة - ويقال : إن دُكُور  
العُقْبَان من طير آخر يُطَافِ الجرم لا تُساوى شيئاً ، تلعب بها الصَّيَّان . والعُقَاب  
من أسرع الطير طَيْرَاناً ؛ فقد حُكِيَ أن عُقَاباً حملت كَفَّ عبد الرحمن بن حَظَّاب  
ابن أسيد المسعى بِمَعْسُوب قريش المقتول يوم الجمل بالكوفة ؛ فالتقتا بمكة فَأَخَذَتْ  
مُؤْجِد بها حَقَّةً ففرف أنها كفبه ؛ وأُرِخَ ذلك الوقت فتبين أنها أَلْقَتْها يوم الجمل  
الذي قتل فيه .

وأوَّل مَنْ صادها أهل المغرب ؛ فلما نظرت الرُّوم إلى شِدَّةِ أَسْرها وإفراط  
سَلَاحها قال حكَّاؤهم : هذا لا يَنْبِي خَيْرُهُ بَشَرُهُ .

وصفة الوثيق العجيب منها : وَثَاقَةُ الخلق ، وَثُبُوت الأركان ، وَحُمرة اللون ،  
وَعُثُور العين بالجماليق ؛ وأن تكون صَقْعَاء ، تَجَزَّاء ، لا سيما ما كان منها من أرض  
سُرَّت أوجال المغرب . وهي تَقْبِذُ الظَّبَاءَ والثَّعَالِبَ والأَرَابَ ، وقد تصيد حُمُرَ

الوحش؛ وطريق صيدها إياها أنها إذا نظرت حمار الوحش رمت بنفسها في الماء حتى يتل جناحها ثم تخرج فتقع على التراب فتحمل منه ومن الرمل ما يعلق بهما، ثم تطير طيراناً ثقيلاً حتى تقع على هامته فتصق على عييه بجناحيها فيمثلان تراباً من ذلك التراب الذي علق بجناحيها، فلا تستطيع المسير بعد ذلك فيدركها القانص فيأخذها وربما كسرت الأديم.

ومما يحكى في ذلك: أن قيصر ملك الروم أهدى إلى كسرى ملك الفرس عقاباً، وكتب إليه: إننا نعمل أكثر من عمل الصقور؛ فأمر بها كسرى فأرسلت على ظني فاقنصته، فأعجبه ما رأى منها فانصرف وجوعها ليصيد بها فوثبت على صبي له ففتلته، فقال كسرى: إن قيصر قد جعل يبلنا وبينه دماً ثاراً بغير جيش، ثم إن كسرى أهدى إلى قيصر سمّاً وكتب إليه: أن قد بعثت إليك فهذا يقتل الظباء وأمثلةا من الوحش، وكنتم ما صنعت العقاب، فأعجب قيصر حسن السم ووافق صفته ما وصف من الفهد، وفعل عنه فاقترس بعض فتيانه فقال: صادنا كسرى.

ومن شأنها: أنها لا تطلب شيئاً من الوحش الذي تصيده؛ وهي لا تقرب إنساناً أبداً خوفاً من أن يطلب صيدها، ولا تزال مرقبة<sup>(١)</sup> على مرقب عال، فإذا رأت بعض سباع الطير قد صاد شيئاً آقضت عليه، فإذا أبصرها هرب وترك الصيد لها، فإن جاءت لم يمتنع عليها الذئب في صيدها، وربما أغتالت البزاة فقتلتها.

ومن خصائصها: أنها أشد إخفاء لإفراخها من سائر الطير.

قال غطريف بن قدامة النسابي صاحب صيد هشام بن عبد الملك: وأول من لعب بالعقاب أهل المغرب؛ فلما عرفوا أسرارها نفذوها إلى ملك الروم



فاستدعى جميع حكايمه فقال لهم : أنظروا في قوة هذا الطير وعظم سلاحه ، كيف تجب تربيته ، وتعرفوا أسرارَه في صيده وتعليمه ، وكيف ينبغي أن يكون ؟ فأجابوا جميعا : بأن هذا الطائر دون سائر أجناسه كالأسد في سائر الوحوش وكما أن الأسد ملك كذلك هذا ملك بين سائر سباع الطير . وعند العداوة والغضب كل الأجناس عنده من سائر الحيوان على اختلاف أنواعه واحد لقوة غضبه وشدة بأسه فهو لا يستعظم الأدنى ولا غيره من الحيوان .

الضرب الثاني : ”الزنج“ — بضم الزاي وفتح الميم المشددة ثم جيم — والعامة تبدل الزاي جيا وألجيم زايًا ، وهو طائر معروف تصيد به الملوك الوحش ، وأهل البيزة يُعدونه من خفاف الطير الجوارح ، إلا أنهم يصفونه بالغدر وقلة الإلف لكثافة طبعه وكونه لا يقبل التعلم إلا بعد بطله .

ومن عادته أنه يصيد على وجه الأرض ، وأحسن صفاته أن يكون أحمر اللون .

وقال الليث : الزنج طائر دون العقاب حمرة غالبه ، والعجم تسميه دوبراً دران ، ومعناه أنه إن عجز عن الصيد أعانه عليه أخوه .

### القسم الثاني

من الجوارح ”البزاة“ وهي ما أصفرت عينه ، وهي على خمسة أضرب :

الأول ”البازي“ — المختص في زماننا باسم البازي ، وفي ضبطه ثلاث لغات أفصحها بازي بكسر الزاي وتخفيف الياء في الآخر ، والثاني بازي بغير ياء في آخره ، والثالث بازي بإثبات الياء وتشديد حكاها ابن سيده ، ويقال في التننية : بازيان ، وفي الجمع : بوازي وبزاة ، ولفظه مشتق من البزوان ، وهو الوثب . وهو خفيف

الجنّاح، سريع الطيران، وهو من أشرف الطيور الجوارح وأحرصها على طلب صيده.

ففي أخبار نصر بن سيار أن بعض كبار الصحّاقين غنّا عليه بطبرستان ومعه متدبّل فيه شيء ملفّف، فكشف عنه بين يديه فإذا فيه شلو باز ودُرّاجة، فأطلقه عليها فأحسّت به — وكنت قد أمرت بإحراق قصّب، قد أفسد أرضاً لي — فتعالمت الدُرّاجة حتّى أقتحمت النار هاربة من البازي، واشتدّ طلبه لها وحرصه عليها فلم ترده النار حتّى وأقتحمها في أقرها، فأسرعت فيهما، فأدركهما وقد احترقا، فأحضرهما إلى الأمير ليراهما فيرى بهما ثمرة الفراط الحرس والفراط الجنب، وهو من أشدّ الحيوان كبراً وأضيقها خلقاً.

قال القزويني: ولا يكون إلا أنقى، وذكرها نوع آخر من حدّاة أو شاهين أو غيرها، ولذلك تختلف أشكالها. والبازي قليل الصبر على العطش وماواه مساقطة الشجر.

ومن فضيلته: أن الصنيد فيه طبيعة لأنّه يؤخذ من وكره فرخاً من غير أن يكون يصيد مع أبويه، فيصيد ابتداءً وقرينةً من غير تضرية، بخلاف الصفر فإنه إذا أخذ قبل أن يتصيد مع أبويه لم يحبب ولم يصد، وإذا كان قد لحق أبويه وصاد معهم ثم عود أكثر مما يوجد عنده في تلك الحال ويرى على ما هو أكبر من الظباء اعتاد ذلك ومهر فيه.

قال صاحب المصايد والمطاردة: وعدد ريش جناح البازي عشرون ريشة: أربع قوادم، وأربع مئالكب، وأربع أباهر، وأربع كلى، وأربع خواف، ويقال: سبع قوادم، وسبع خواف، ومائة لقب. والخواف أخف من القوادم.

والمستحب من صفاته : صغر المنقر، والرأس، وغلظ العنق، وسعة الخمين، ودائرتي الأذنين والشدين، وسعة الحنقة، وطول القوادم، وقصر الخوافي والذنب، وشدة اللحم، وعرض ما بين المنكبين والوزن، وسعة الحوصلاء، وسعة ما ينتقل إليه طعمه، وعرض الخالب، ورزانة المحتل، وغلظ خطوط الصدر، وذكاء القلب، والتشمير، وكثرة الأكل، وتسايع النش، وسرعة الاستمراء، وشدة الانتفاض، وضخامة السلاح، وبعد الذرق. وأن تراه كأنه مفعياً إذا استقبلته على يد حامله، تسببها بالفراب الأبقع.

قال صاحب "المصايد والمطارد": المختار من ألوانها الأحمر الأكثر سواداً، الغليظ خطوط الصدر، والأشهب الشديد الشبهة، الشبيه بالأبيض، والأصفر الملتجج الظهر. قلل : وسواد لسانه أدل على نجابته.

والبازي : يصيد الكلب، والأرنب، والغزال، والكركي وما في معناه، والبزاج، والحجل، وسائر الحمام، والبط، وسائر طيور المساء.

ومن محاسن البازي : عدم الإباق، فإنه إن صاد بقي على فريسته وإن لم يصد وقف مكانه فلا يحتاج إلى كد ولا تعب ولا طرد خيل.

وأول من صاده من الملوك قسطنطين ملك الروم، وذلك أنه مر يوماً يلحف جبل فرأى بازياً يطير ثم نزل على شجرة كثيرة الأغصان كبيرة الشوك، فأعجبته صورته، وراقه حسن لباسه، فأمر بأن يصاد له جملة من البزاة فصيد له وحملت إليه فارتبطها في مجلسه، فعرض لبعضها في بعض الأيام أيام فوشب طية فقتله، فقال هذا ملك يفضبه ما يفضب الملوك فتصب له بين يديه كندرة، وكان هناك ثعلب

داجن، وهو الذي يرثى في البيوت، قَوَّيَ عليه فما أَفْلَتَ إلا جريحا؛ فقال : هذا ملك جبار لا يحتمل ضيحا؛ ثم مرَّ به طائر فكسره ونهش منه؛ فقال : هذا ملك نوعه لما جاع أخذ طعامه بسلطان وقُدرة، فحمله على يده وصاد به .

الثاني "الزُّزُق" — بضم الزاى المعجمة وتشديد الراء المهملة المفتوحة وقاف في الآخر — وهو ذكر البازى .

قال في "المصايد والمطارِد" : وهو يصيد ما يصيد البازى من دِقِّ الطير ولا ينتهى إلى صيد الكُرْكُتِ .  
(١)

الثالث "الفقيمي" — وهو بازٍ قُضِيْفٌ قليل الصيد ذاهل النفس .

الرابع "الباشق" — بكسر الشين وفتحها — فارسى معرَّب وهو طائر لطيف وصفاته الحمودة كصفات البازى المحمودة؛ وأفضلها أثقلها وزنا .

قال في "المصايد والمطارِد" : وهو يصيد المصافير وما قاربها . وقال في حياة الحيوان : إنه يصيد أنغر ما يصيده البازى، وهو الدَّرَاج والحَمَام والوَرِشَان، وإذا قَوَّى على صيده لا يتركه إلا أن يتلف أحدهما .

الخامس "اليثق" — وهو دون الباشق، وصيده المصافير .

### القسم الثالث

من الجوارح "الصقور" — وهى السود العيون من الجوارح، وهى ضربان : الضرب الأول : "الشَّواهين" (واحداهما شاهين) وهى صنفان ؛ الأول : المشتهر باسم الشاهين، وقد ذكر العلماء بالجوارح : أن الشَّواهين هى أسرع الجوارح

(١) فى حياة الحيوان : النفسى، ولم نجد ما فى القاموس .

كلها واشجعها وأخفها وأحسنها قلبا، وإقبالا، وإدبارا، وأشدّها ضراوةً على الصيد؛ إلا أنهم عابوها بالإبقاء وما يعتريها من شدة الحرّص، حتى إنها ربما ضربت نفسها على الغلظ من الأرض فماتت، وهى أصلب عظاما من غيرها من سائر الجوارح؛ ويقال: إن صدرها عَصَبٌ مجدولٌ مُلحم، ولذلك تجدها تضرب بصدرها ثم تعلق بكفها، وهم يحدّون منها ما قرّص داجتاً دون ما قرّص وحشياً.

ومن كلام بعضهم: الشاهين كاسمه — يعنى كالميزان المسمى بالشاهين — فإنها لا تحمل أيسر حال من الشيع ولا أيسر حال من الجوع؛ بل حالها معتدل كاعتدال الميزان؛ ويقال: إن الحمام يخافها أكثر ممّا يخاف غيرها من الصقور.

ثم المختار من صفاتها فيما ذكره صاحب "المصايد والمطارد": الأحمر اللون إذا كان عظيم الهامة، واسع العينين حادّهما، سائل السُّفُتَيْن، تامّ المنِير، طويل النُق، رَحْب الصدر، ممتلئ الزَّور، عريض الوسط، جليل الفخذين، قصير الساقين، قريب القعدة من الفخا، طويل الجناحين، قصير الذنب، سَطَط الكف، غليظ دائرة الخصر، قليل الريش لينه، تامّ الخواقي، ممتلئ العكوة، رقيق الذنب، إذا صلب عليه جناحيه لم يفضل عنهما شئ من ذنبه.

قال صاحب "المصايد والمطارد": وأهل الاسكندرية يزعمون أن السواد منها هى المحمودة، وأن السواد هو أصل لونها وإنما أنقلبت إلى لون البرارى مخالفت؛ قال: والحر منها تكون في الأرياف والمواضع السهلة؛ والشهب في الجبال والبرارى، ثم قال: ولا بصيد منها الكركي والخبج إلا البحرية.

وأول من صادها فيما يقال قُسطنطين ملك الروم أيضا، وذلك أنه رأى شاهينا محلقا على طير الماء بصطاده فأعجبه ما عاين من قراءته ومُرعة طيرانه وحسن صيده؛

فإنه رآه يمتلئ في ظليرائه حتى يلحق بمتان الجوثم يعود في طرفه عين فيضرب طير الماء  
فيأخذُه قناصا، فقال : ينبغي أن يصاد هذا الطائر ويُعلَّم، فإن كان قابلا للتعليم ظهر  
منه أعجوبة في أمر الصيد، فأمر بصيده وتعليمه، فصيد وعلم وحمله على يده .

قال في "المصايد والمطارد" : "وإنه كان من رتبة ملوك الروم أنه إذا ركب سارت  
الشواهين حائمة على رأس الملك حتى يتزل فتقع حوله إلى أن ركب بها ملك منهم،  
خسار وهي على رأسه فطار طائر فانهض بمض تلك الشواهين عليه فاقتنصه، وأعجب  
الملك به فصرأها على الصيد وصاد بها .

وقال ابن عُقَير : كانت ملوك العرب إذا ركب في مواكبها طيروا الشواهين فوق  
برءوسهم، وكان ذلك عندهم هو الرتبة العظيمة .

الثاني من الشواهين : الأنويه<sup>(١)</sup>، قال في "المصايد والمطارد" : وهو دون الشاهين  
على القوة، وله سرعة لا تزيد على صيد المصافير .

الضرب الثاني : من الصقور ما عدا الشواهين وهي أصناف :

الأول "الصقور"، قال في "التعريف" وهو أشرف الجوارح وإن كان لا ذئ كره  
في القديم . قال : والصقور تجلب من البحر الشامي مغالي في أثمانها، ثم قال : وكان  
الواحد منها يبلغ ألف دينار، ثم نزل عن تلك الرتبة، وأحط عن تلك الهضبة .

الثاني --- المخصوص في زماننا باسم "الصقور"، ويجمع على أصقور وصقور  
وصقورة، قال في "التعريف" : والعرب تسمى هذا النوع الحز، ويقال له :  
الأكدر، والأجلد .

(١) لم نثر على هذا الاسم .

قال في "المصايد والمطاردة" : ويقال لها - يقال الطير، لأنها أصبر على الأذى، وأجمل لغليظ الغذاء، وأحسن إلقاء، وأشد إقداما على جلة الطير، ومزاجه أبرد من البازي والشاهين .

و بسبب ذلك يُضَرَّى على الغزال والأرنب ولا يُضَرَّى على الطير لأنه يفوته، وهو أهدي من البازي نفسا، وأسرع استئناسا بالناس، وأكثرها قنعا، وأبرد مزاجا، لا يشرب ماء، وإن أقام دهرًا، ونوعه يُوصف بالبحر وتتن الفم، ومسكنه المغائر والكهوف وصُدوع الجبال دون رموس الأشجار وأعلى الجبال .

والعرب تَحْمَدُ من الصَّقُور ما قَرْنَص وحشيًا، وتذم ما قَرْنَص داجيًا، وتقول : إنه يتبلد ولا يكاد يفلح . وهي تصيد الكركي وما في معناه، والبَطْرُ سائر طير المساء والصقور من أثبت الجوارح جناها في الطيران، وأحرصها في اتباع الصيد، حتى يحكى أن بعض ملوك مصر أرسل صقرا على كركي صبيحة يوم الجمعة بمصر، فبينما الناس يصلون الجمعة بدمشق إذ وقع هو والكركي بالجامع الأموي بدمشق، فاخذ فوجد فيه لَوْحُ السلطان فعرف به ؛ فكتب نائب الشام إلى السلطان يخبره وأرسله إليه هو وصيده .

قال في "المصايد والمطاردة" : ومن ألوان الصقر كونه أحمر، وأبيض، وأحوى، وأبيض، وأخرَجَ، وهو الذي فيه نقط بيض . قال : ويستحب في الصقر أن يكون أحمر اللون، عظيم الهامة، واسع العينين، تام المنير، طويل المنق، رحب الصدر، ممتلئ الزور، عريض الوَسط، جليل التقضين، قصير الساقين، قريب القعدة من القفا، طويل الجناحين، قصير الذنب، سبط الكف، غليظ الأصابع، فبروزها، أسود اللسان . قال : وتجمع هذه الصفات الفَرَاهَةُ والوَثَاقَةُ والسرعة .

قال أنعم بن مجرّز : وأوّل من لعب بالصقر الحارث بن معاوية بن كندة الكنديّ ، خرج يوما الى الصيد فرأى صيادين قد نصبوا شباكاً عدّة ، فوقع فيها عصافير عدّة ، فحين رأها صقر من الجوّ اقتضى عليها يطلبها ، فأمر الحارث بنصيب الشباك للصقور فنصبت لها فاصطاد منها جملة . ويقال : إن صيد الصقر غير طبيعيّ له ، وإنما يستفيد ذلك بالتعليم ، بدليل أنّ فراخ الباز إذا أخذت من العشّ وعلمت اصطادت أجودّ صيد لأن صيدها طبيعيّ ، بخلاف الصقر فانه إذا أخذ من الوكر ثم كبر فانه لا يصطاد غير طعمه فلذلك يُنهي عن تربية الصقر .

الثالث "الكوّنج" — قال في حياة الحيوان : نسبته من الصقور كنسبة الزُرّق إلى البازي إلا أنه أحرّ منه ، ولذلك كان أخفّ جناحا وأقلّ بَحرًا . قال : ويصيد أشياء من طير الماء ويعجز عن الغزال لصقره .

الرابع "الْكُوهِيَّة" — وهي موشاة بالبياض والسواد يخالط لونها صُفرة .

وقال في "التعريف" : ويجلب من البحر .

الخامس "السقاوة" — وهي قريبة الشكل من الصقر .

السادس "الْيُؤْيُؤُ" — بضم الياء المشناة تحت وهمزة بعدها ضمّ الثانية وهمزة بعدها أيضا .

قال في "المصايد والمطارِد" : وتسميه أهل مصر والشام "الجَلَمَ" ، وبهذا سماه في "التعريف" : وهو طائر صغير أسود اللون يضرب للزُرقة ، وهي مع صغرها يجتمع الاثنان منها على الكركي فيصيدهانه ، وسمّوه الجَلَمَ أخذا من الجَلَمَ ، وهو المَقْصُ تشبيها به لأن له سرعة كسرعة المَقْصِ في قطعه ، ومزاجه بالنسبة إلى الباشق بارد رطب لأنه أصبر نفسا منه ، وأثقل حركة . وهو يشرب الماء شربا ضروريا كما



يشربه الباشق؛ ومزاجه بالنسبة إلى الصقر حار يابس ولذلك هو أشجع منه . ويقال :  
إن أول من ضربه على الصيد وأصطاد به بهرام جور — أحد ملوك الفرس — وذلك  
أنه رأى يؤيؤا يطارد قنبرة ، ويراوغها ، ويرتفع معها ثم لم يتركها حتى صادها ، فأمر  
بتأديبه والصيد به .

## الصنف الثاني

### الطير الجليل

وهو المعبر عنه بطير الواجب ، وبه تعنى رماة البندق ونحوها ، وتفتخر بإصابتها  
وصرمه ، ويحتاج إليه في الرسائل الصيدية ، وفي كتابة قدم البندق ونحوها . وهو  
أربعة عشر طائرا ، وهى على ضربين :

الضرب الأول "طيور الشتاء" — وهى التى يكثر وجودها فيه ، وهى عشرة

طيور :

الأول "الكركي" — وهو طائر أغبر ، طويل الساقين ، فى قدر الإوزة ، ويجمع  
على كركاكي ، وفى طبعه خور يحمل على التحارس ، حتى إنه إذا اجتمع جماعة من  
الكركاكي لا بد لها من حارس يحرسها بالنوبة بينها . ومن شأن الذى يحرس منها أن  
يهتف بصوت خفى كأنه ينذر بأنه حارس ، فإذا قضى نوبته ، قام واحد من كان  
نائما يحرس مكانه حتى يقضى كل منها نوبته من الحراسة ، ولا تطير متفرقة بل  
صفوا واحدا ، يقدمها واحد منها كالرئيس لها وهى تتبعه ، يكون ذلك حينما ثم يخلفه  
آخر منها مقدما حتى يصير الذى كان مقدما مؤخرًا ، وفى طبعها التناصر والتعاقد .  
ومن خاصتها أن أبنائها لا تقعد للسفاد بل يسفدها وهى قائمة ، ويكون سفاده سريعا  
كالعصفور .

وذكر جميع بن عمير التيمي أن الكراكى تبيض في السماء، ولا تقع فراخها،  
وكذب المحدثون في ذلك وإن كان قد روى عنه أهل السنن .

قال القزويني في عجائب المخلوقات: والكراكى لا يمشي على الأرض إلا بإحدى رجليه  
ويعلق الأخرى، وإن وضعها وضعا خفيفا مخافة أن تُحسَف به الأرض .

قال في "المصايد والمطارد": وهو من أبعد الطير صوتا يُسمع على أميال . قال :  
وإذا تقدم بجيشها في الفصل استبدل بذلك على قوة الشتاء . ويقال : إن الكراكى  
تأق إلى مصر من بلاد الترك . وفي طلبه وصيده لتغالى ملوك مصر تغاليا لا يدرك  
حده، وتتفق في ذلك الأموال الجمة التي لا نهاية لها، وكان لهم من علو الشأن بذلك  
ما لا يكون لغيرهم . وأكله حلال بلا نزاع .

الثاني "الإوز" — بكسر الهمزة وفتح الواو — واحدته إوزة وجمعوه على إوزون،  
والمراد هنا الإوز المعروف بالتركي، وهو : طير في قدر الإوز البلدي أبيض اللون .  
وله تجفتر في شيشته كالجلجل . وهو من جملة طير الماء مقطوع بجمل أكله .

الثالث "الفلنج" : وهو دون الإوز في المقدار، لونه كلون الإوز الحبشي إلى  
السواد، أبيض الجفن، أصفر العين، ويعرف في مصر بالعراقي، ويأتى إليها في مبادئ  
طلوع زرعها في زمن إتيان الكراكى إليها، ومن شأنها أن يتقدمها واحد منها  
كالدليل لها، ثم قد تكون صفا واحدا ممتدا كالجلجل، ودليلها في وسطها متقدم عليها  
بعض التقدم، وقد يصف خلفه صتين ممتدين يلقيناه في زاوية حادة حتى يصير  
كأنه حرف جيم بلا عراققة، متساوية الطرفين، ومن خاصتها أنها إذا تكبرت حدث  
في بياض بطونها وصدورها نقط سود، والفرح منها لا يعتره ذلك .

الرابع "الحُجْرَج" — بضم الحاء المهملة وسكون الموحدة وضم الراء المهملة وجرم  
في الآخر — وهو الحبارى .

قال في "المصايد والمطاردة" : ويقع على الذكر والأُنثى ويجمع على حَبَارِيَات ؛ وذكر غيره أن واحده وجمعه سواء ، وبعضهم يقول : إنَّ الحُبْرَج هو ذكر الحبارى .  
قال في "المصايد والمطاردة" : وهو طائر في قَدْرِ الديك كثير الرِّيش ، ويقال لها : دَجَاجَةُ الْبَرِّ .

قال في حياة الحيوانات : وهي طائر طويل العُنُق ، رَمَادَى اللون ، في منقاره بعضُ طول ؛ يقال لذكر الحبارى : الحَرْبُ — بفتح الحاء المعجمة وسكون الراء <sup>(١)</sup> المهمله وباء موحدة في الآخر — ويجمع على حِرَابٍ وأَحْرَابٍ ونِحْرَابٍ .

ومن خاصته : أن الجارح إذا احتنقها أرسلت عليه ذَرْقًا حاصلًا معها — متى أحبت أرسلته — فيه حَذَّةٌ تَمُطُّ ريشه ، ولذلك يقال : سُلِّحْهَا سِلَاحُهَا .

قال في حياة الحيوانات : وهي من أشدَّ الطير طَيْرَاتَا ، وأبعدها شَوْطًا ، فإنها تُصَاد بالبصرة فيوجد في حواصلها الحبة الخضراء التي شجرها البُطم ، ومنابتها تُحْرَم بلاد الشام ، وإذا نُفِث ريشها وأبطأ نياحه ماتت كذا ؛ قال : وهي من أكثر الطير جَهْدًا في تحصيل الرزق ، ومع ذلك تموت جوعًا بهذا السبب .

قال في "المصايد والمطاردة" : وهي مما يُعَاف لأنها تأكل كلَّ شيء حتى الخنافس ؛ وقال في حياة الحيوانات : حكها الحلُّ لأنها من الطيبات ؛ واستشهد به بحديث الترمذى من رواية سَفِينَةَ مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "أكلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حُبَارَى" ويقال لولدها : اليتَّحِبُور ، وربما قيل له : نَهَار ، كما يقال لولده الْكَرَّوَان : ليل .

الخامس "وَأَمُّ" — بفتح الهمزة وتشديد الميم — وهو طائر في قدر الإوز أبيض اللون ، طويل العُنُق ، أحمرُ اللَّحْمَاز ، وهو أعظم طيور الواجب وأرفعها قدرًا .

(١) له وضع الراء . انظر القاموس .

السادس "الصوخ" - بضم الصاد المهملة وغيث معجمة في الآخر - وهو طائر مختلط اللون من السواد واليباض، أحمر الصدر، وأكثر ميله إلى الخضرة والأشجار. السابع "العُناز" - بضم العين المهملة وتشديد النون وزاى معجمة في الآخر - وهو طائر أسود اللون، أبيض الصدر، أحمر الرجلين والمناقير.

الثامن "العُقَاب" - وقد تقدم ذكره في الكلام على الجوارح حيث هو معدود منها ومن طير الواجب، ومما يتعلق بهذا المكان أنها منها: الأسود، والخرخية، والشُفْع، والأبيض، والأشقر، ومنها ما يأوى الجبال، وما يأوى الصحارى، وما يأوى الفياض، وما يأوى حول المَدُن.

وقد تقدم ذكر الخلاف في أن ذكرها من جنسها أو من جنس آخر في الكلام على الجوارح. وحكمها تحريم الأكل لأنها من ذوات الخَلْب من الطير، واختلف في قتلها هل هو مستحب أم لا؟ فحزم الرافعي والنووي من أصحابنا الشافعية في الجح باسْتِحْبَاب قتلها. وحزم النووي في شرح المذهب بأنها من القسم الذي لا يستحب قتله ولا يكره، وهو ما يجتمع فيه نفع ومضرة؛ وبه جزم القاضي أبو الطيب رحمه الله. التاسع "النسر" - بفتح النون - ويجمع في القلة على أنُسْر، وفي الكثرة على نُسُور وسُمِّي نَسْرًا لأنه ينسر الشيء ويقتله.

والنسر ذو منير وليس بذى خَلْب وإنما له أظفار حِدَاد الخَالِب، وهو يسفد كما يسفد الديك. ووزعم قوم أن الأتشي منه تبيص من نظر الذكر إليها وهي لا تحضن بيضها، وإنما تبيص في الأمكن العالية الظاهرة للشمس فيقوم حر الشمس للبيض مقام الحضان.

والنسر حاذ البصر يرى الحيفة من أربمائه فرسخ، وكذلك حاسة شمه في الغاية؛  
ويقال: إنه إذا شم الرائحة الطيبة مات لوقتہ؛ وهو أشد الطير طياراً وأقواماً جناحاً  
حتى يقال: إنه بطير ما بين المشرق والمغرب في يوم واحد؛ وإذا وقع على جيفة  
وعليها عقبان تانرت ولم يأكل مادام يأكل منها، وكل الجوارح تخافه، وهو في غاية  
الشرة والنهم في الأكل إذا وقع على جيفة وأتلا منها لم يستطع الطيران حتى يشب  
وثبات يرفع بها نفسه طبقة في الهواء حتى يدخل تحت الريح؛ وربما صاده الضعيف  
من الناس في هذه الحالة. والآتي منه تخاف على بيضها وفراخها الخفاش فتقرش  
في أوكارها ورق الدلب لتنفّر منه الخفاش؛ وهو من أشد الطير حزناً على فراق إلهه،  
حتى إذا نارق أحدهما الآخر مات حزناً.

وهو من أطول الطير أعماراً حتى يقال: إنه يصمر ألف سنة وحكه تحريم أكله  
لأنه يأكل الحيف.

الناشر "الأيّسة" — قال في حياة الحيوان: بذلك تسميه الرماة وإنما اسمه  
الأيّيس.

قال: وهو طائر حاذ البصر، يشبه صوته صوت الجمل، وماواه قرب الأنهار  
والأماكن الكثيرة المياه الملتفة الأشجار؛ وله لون حسن، وتكثير في معاشه.

وقال أرسطو: إنه يتولد من الشِّقْرَاق والغراب، وذلك بين في لونه. ويقال:  
إنه يحب الأتس، ويقبل الأدب والتربة، وفي صيفه وفرقرته أعاجيب، حتى إنه  
ربما أنصح بالأصوات كالقمرى؛ وغذاؤه الفاكهة واللحم وغير ذلك. ومن شأنه  
ألفة الغياض، وحكه الحل لأنه طيب غير مستحب. فإن سم تولده من الشِّقْرَاق  
والغراب فينبئ تحريمه.

والأنيسة ذات ألوان مختلفة، بدنها يميل إلى القُبْرة، وعنقها يشتمل على خضرة وزُرْقَة؛ ويقال : إنها أشرف طيور الواجب وأعزها وجودا .

الضرب الثاني : "طيور الصيف" وهي التي يكثر وجودها فيه، وهي أربعة أطياف: الأول "الكنى" — بضم الكاف — وهو طير أغبر اللون إلى البياض، أحمر المقار والحوصلَة، وجلاه تَضَرُّبان إلى السواد .

الثاني "الغُرْنوق" — بكسر الغين المعجمة وفتح النون — ويقال : فيه غُرْنِيق — بضم الغين وفتح النون — ويجمع على غُرَانِيق . قال الجوهري : وهو طائر أبيض من طير الماء طويل العنق، وتبعه الزخشمري على ذلك . وقال أبو خيرة : وسمي غُرْنِيقًا لبياضه .

وقال صاحب "المصايد والمطارد" : الغرنيق كركي إلا أنه أخضر طويل المنقار، وقيل : لونه كلون الكركي إلا أنه أسود الصدر والرأس، وله ذؤابتان في رأسه . وقال : ومن خصائصها أن ريشها في شبيبته يكون رماديًا، فإذا كبرت أسود وليس ذلك في سائر الطير، فإن الريش لا يحول بياضه إلى السواد بل يحول سواده إلى البياض كما في الغُرْبَان والمصافير والخطاطيف .

الثالث "المرزم" — وهو طير أبيض في أطراف ريشه حمرة، طويل الرجلين والعنق؛ وهو حلال الأكل .

الرابع "الشَّيْطَر" — بضم الشين المعجمة وفتح الموحدة والطاء المهملة — ويسمى : اللَفَّاق أيضًا، ويعرف بالبلاج؛ وكنيته عند أهل العراق : أبو خَدِيج، وهو طائر

(١) لم نثرطيه في حياة الحيوان، ولم يذكر في معجم اللغة .

(٢) مصحف لم تهتد إليه، ولعله البارج .

أبيض، أسود طرقي الجناحين، ورجلاه ومنقاره حمراء، وهو يأكل الحيات ولكنه يوصف بالفطنة والذكاء .

وفي حله عند الشافعية وجهان أحدهما في شرح المهذب والروضة : الحرمة، وإن كان من طير الماء .

وسياق الكلام على ما يجعل من هذه الطيور الأربعة عشر باعتاقه وما يجعل منها بأسيافه فيما يتعلق بمصطلح الرماة في الكلام على كتابة قدم البندق في موضعه إن شاء الله تعالى . وطيور الواجب كلها حلال إلا النسر والعقاب .

### الصنف الثالث

ما جذا الطير الجليل مما يُصَاد بالجواريح وغيرها ، وهو على ضربين :  
الضرب الأول ما يجعل أكله وهو أنواع كثيرة لا يأخذه الحصر ، ونحن نقتصر على ذكر المشهور من أنواعه .

فإنها النعام :- وهو آمم جنس الواحدة نعامة ؛ وهو طائر معروف مركب من صوريّ جميل وطائر، ولذلك، تسمية الترك : دواقش بمعنى طير جمل ؛ وتسميه الفرس : أشتر مرك، ومعناه جمل وطائر . وتجمع النعام على نعلمات ، ويسمى ذكرها : الظليم .

ومن المتكلمين على طبائع الحيوان من لم يجعلها طيرا وإن كانت تبيض لعدم طيرانها ؛ ومن الناس من يظن أنها متولدة من جمل وطير ولم يصح ذلك .

ومساكنها الرمل، وتضع بيضها سطرا مستطيلا بحيث لو مد عليها خيط لم تخرج واحدة منها عن الأخرى ، ثم تغطي كل بيضة منها نصيبها من الحفص ، لأنها

لا تستطيع ضم جميع البيض تحتها، وإذا خرجت للطعم فوجدت بيض نعام أخرى  
حضنته ونسبت بيضها، وربما حضنت هذه بيض هذه، وربما حضنت هذه  
بيض هذه؛ ولذلك توصف في الطير بالحق؛ ويقال: إنها تقسم بيضها أثلاثا؛ فنه  
ما تحضنهم، ومنه ما يجعله غذاء لها، ومنه ما تفتحه وتجعله في الهواء حتى يتولد فيه  
الدود فتغذى به أفراسها إذا خرجت.

وليس للنعام حاسة سمع ولكنه قوى الشم، يستغنى بشمه عن سماعه حتى  
يقال: إنه يشم رائحة القانص من بعد.

والعرب تقول: إن النعام ذهب تطلب قرنين فقطعوا أذنيها. وهو لا يشرب  
ماء، وإن طال عليه الأمد، ولذلك يسكن البراري التي لا ماء فيها. وأكثر ما يكون  
صدوها إذا استقبلت الريح.

ومن خصائصها أنها تبتلع العظم الصلب والحديد فتدنيه معدتها حتى تدفعه  
كالماء، وتبتلع الجمر فيطفئه جوفها، وإذا رأت في أذن صغير لؤلؤة أو حلقة آخطفها.  
وحكها جل أكله إجماعا. ومن خاصته أن مرارته سم وحي.

ومنها "الإوز" — بكسر المعزة وفتح الواو — وهو أسم جنس واحد إوزة،  
وجمعه على إوزون، وهو مما يحب السباحة في البحر، وإذا خرج فرخه من البيضة  
سبح في الحال؛ وإذا حضنت الأنثى قام الذكر يحرسها لا يفارقها، ويخرج فرخها  
في دون الشهر من البيضة. وهو من الطييات، وغذاؤه جيد إلا أنه بلى  
المضغ.

ومنها "البط"، وهو من طيور الماء، واحده بطّة للذكر والأنثى وليس  
بعري، وهو عند العرب من جملة الإوز.



ومنها "الْقِرْيُ" - بكسر القاف - ويسمى : مُلَاعِبَ ظِلِّهِ . وهو طائر صغير  
الجسم من طيور الماء . سريعُ الاختطاف ، لا يزال مرْفِيفًا على وجه الماء على  
جانب كطيران الحِذَاءِ ، يهوى بإحدى عينيه إلى قعر الماء طمعًا ، ويرفع الأخرى  
حذوًا ، فإن أبصر في الماء ما يستقلُّ بحمله من السمك أو غيره أنقضَّ عليه كالسهم  
المرسل فأخرجه من قعر الماء ، وإن أبصر في الجو جارحًا مرَّ في الأرض . وبه  
يضرب المثل في الإقبال على الخير والإدبار عن الشر ، فيقال : " كأنه قِرْيٌ ، إن  
رأى خيرا تدلَّى ، أو رأى شرًا تولى " .

ومنها "الْفَطَّاسُ" - ويقال له : الفَوَّاصُ ، وهو طائر أسودٌ نحو الإوزة ،  
يفوص في الماء فيستخرج السمك فيأكله . ووجه فيه في حياة الحيوان بفعله :  
الْقِرْيُ .

ومنها "الدَّجَاجُ" - بفتح الدال المهملة وكسرها وضمة - حكاه ابن معن  
الدَّمَشَقِيُّ وابن مالك وغيرهما ، وأفصحها الفتح وأضعفها الضم والواحدة دجاجة ،  
والذكر والأُنثى فيه سواء .

قال ابن سيده : وسميت دجاجة لإقبالها وإدبارها ، يقال : دَجَّ القوم إذا مَشَوْا  
بتقارب خَطْوٍ ، وقيل : إذا أقبلوا وأدبروا . والفرخ يخرج من البيضة بالحضين ،  
وتارة بالصنعة والتدفئة بالنار ، وإذا نزع الفرخ من البيضة خرج كاسيا ظريفًا سريع  
الحركة ، يُدعى فَيْجِيبٌ ، ثم كلما مرَّت عليه الأيام حَقَّ وقصص حسنه . ومما  
يعرف به الذكر من الأُنثى في حالة الصغر أن يعلق الفرخ بمنقاره فإن اضطرب فهو  
ذكر ، وإلا فهو أنثى .

والدجاج يبيض في جميع السنة ، وربما باضت الدجاجة في اليوم مرتين ، ويتم  
خلق البيض في عشرة أيام ، وتخرج لينة القشر فإذا أصابها الغواء تصلبت . وتشتمل

البيضة على بياض وصُفرة ويسمى : المُحّ ، ومن البياض يتخلق الولد ، والصفرة غذاء له في البيضة يتغذاه من بَرِّه ، وربما كان للبيضة بياضان ، ويتخلق من كل بياض فرخ ، فإذا كبرت الدجاجة لم يبق لبيضا مُخَّ وحينئذ فلا يتخلق منه فرخ . ثم الدجاج من الطيور الدواجن في البيوت .

وقد ورد في سُنَنِ أبْنِ مَاجَه من رواية أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَمَرَ الْأَغْنِيَاءُ بِاتِّخَاذِ الْغَنَمِ وَأَمَرَ الْفُقَرَاءُ بِاتِّخَاذِ الدَّجَاجِ . قَالَ عَبْدُ اللَّطِيفِ الْبَغْدَادِيُّ : أَمَرَ كُلُّ قَوْمٍ مِنَ الْكَسْبِ بِحَسَبِ مَقَاتِلَتِهِمْ .

ومن عجيب أمر الدجاجة أنها تتمزجها سائر السباع فلا تتأماها ، فإذا مرت بها ابن آدم وهى على سطح رمت نفسها إليه ، وهى توصف بقلة النوم وسرعة الانبثاء ويقال : إن ذلك لخوفها وخَوَرِ طباعها .

ومن الدجاج نوع يقال له : الحَيْشَى ، أرقط اللون ، متوحش ، وربما ألف البيوت . والحكم في الجميع الحل .

ومنها "الديك" — وهو ذكر الدجاج ، ويجمع على دِيَكَةٍ ودُيُوكٍ ، وهو أبْلَهُ الطبيعة حتى إنه إذا سقط من حائط لم يكن له هداية ترشده إلى دار أهله ، ومع ذلك فقد خصه الله تعالى بمعرفة الأوقات حتى رجح الرافى من مذهب الشافعى رضى الله عنه أهتمام الديك المحزَّبِ وَفَاقًا لِلْمَتَوَلَّى وَالْقَاضِي حَسِين .

ومن عجيب أمره أنه يُقَسِّطُ أوقات الليل تقسيطا لا يُحِلُّ فيه بشئ طلال الليل أم قصر . لكن قد ورد في معجم الطبرانى وغيره : إِنْ لَمْ يَسْبَحْهُ وَتَبْعَالَى دِيكًا أبيض ، جَنَاحَاهُ مُوسَّيَانِ بِالزَّرَجِدِ وَالْيَاقُوتِ وَاللُّؤْلُؤِ ، لَهُ جَنَاحٌ بِالْمَشْرِقِ وَجَنَاحٌ بِالْمَغْرِبِ ، رَأْسُهُ تَحْتَ الْعَرْشِ ، وَقَوَائِمُهُ فِي الْمَوَاءِ ، يُؤَدِّدُ كُلَّ سَحَرٍ فَيَسْمَعُ تِلْكَ

الصبيحة أهل السموات وأهل الأرض إلا الثقلين: الجن والإنس، فعند ذلك يُجيبه ديوك الأرض؛ وحيث ذ فيكون الديك في ذلك تابعا . وقد ورد عدة أحاديث في النهي عن سب الديك، ودمج الديك الأبيض، والحث على اتخاذه .

ومن جميد خصال الديك : أنه يسوى بين دجاجة، ولا يُؤثر واحدة على الأخرى . ويقال : إنه يبيض في السنة بيضة؛ ويفرق بين بيضته وبيضة الدجاجة أن يبيضته أصفر من بيضة الدجاجة، وهي مدورة لا تمديد في رأسها .

ومنها "القطا" — بفتح القاف — وهو طائر معروف واحد قطاة ويجمع على قطايات وقطيات، وأكثر ما يبيض ثلاث بيضات، ويسمى قطا لحكاية صوته، لأنه يصيح "قطا قطا" ولذلك تصفها العرب بالصدق .

قال الجوهرى: وهو معدود من الحمام؛ وبه قال ابن قتيبة؛ وعليه جرى الرافعى في الجع والأطعمة؛ قال الشيخ عجب الدين الطبرى: والمشهور خلافه .

ثم القطا نوعان: كُدرى وجوى؛ وزاد الجوهرى نوطا ثالثا وهو الفطاط، خالكدرى: غبر اللون، رُفش البطون والظهور، صفر الحلق، قصار الأذنان . والجوى: سود بطون الأجنحة والقوادم، وظهرا أغبر أرقط، تعلو صُفرة، وهى أكبر حرما من الكدرى، تسيل كل جونية كدرتين؛ والكدرية تقصع باسمها في صياحها، والجونية لا تقصع بل تُقرقر بصوت في حلقها .

ومن خاصتها أنها لا تسير إلا جماعة . ومن طبعها أنها تبيض في القفر على مسافة بعيدة من الماء؛ وتطلب الماء من مسافة عشرين ليلة وفوقها ودونها؛ وتخرج من أفاحيصها في طلب الماء عند طلوع الفجر فتقطع إلى حين طلوع الشمس مسيرة سجع مراحل، تهر الماء تشرب ثم تقيم على الماء ساعتين أو ثلاثا ثم تعود إلى

الماء ثانية . والجؤنية تخرج إلى الماء قبل الكُدْرِيَّة ، وهى توصف بالهداية فتأتى  
أفاحيصها ليلا ونهارا فلا تفضل عنها ؛ وتوصف بحسن المشى وبقلة النوم .

ومنها " الكُرَّوَانُ " - بفتح الكاف والراء - وهو طائر فى قِدر الدجاجة ،  
طويل الرجلين ، حسن الصوت ، لا ينَام الليل ، ويجمع على كُرَّوَان - بكسر الكاف -  
والأُنثى : كُرَّوَانة .

ومنها " الحَجَلُ " - بفتح الحاء المهملة والجيم - وهو طائر على قدر الحمام كالتقطا ،  
أحمر المِثْقَار والرجلين ؛ ويسمى : دَجَاج البر ، ويقع على الذكر والأنثى ؛ وقد يقال  
له : القَبِجُ أيضا - بفتح القاف وسكون الموحدة وجيم فى الآخر - يقال للذكر والأنثى  
منه : قَبِجَة ، ويسمى الذكر منه : اليعقوب . والقَبِجُ<sup>(١)</sup> - بفتح القاف والموحدة وجيم  
فى الآخر - ويقال فى الأنثى منه : حَجَلَة ؛ وهو صَيِّفَان : تَجْدِي وَتِهَامِي ، فالنجدى - أحمر  
الرجلين ، والتهايمى فيه بياض وخضرة ؛ ومن شأنه أنه يأتى إلى مصر عند هيجان  
زراعها ويصيح صياحا حسنا ، تقول العاتمة : إنه يقول فى صياحه : " طَابَ دَقِيقُ  
السَّيْلِ " . ومن شأن الأنثى منه إذا لم تَلْقَحْ ، أنها تفرغ فى التراب وتصبه على أصول  
ريشها فتَلْقَحُ ؛ ويقال : إنها تَلْقَحُ بجماع صوت الذكر ، وبريح هَبُّ من فَيْسِه ؛  
وإذا باضت ميز الذكر الذكور منها فخصنها ، وتخصُ الأنثى الإناث ، وكذلك  
فى التريبة . وفرخها يخرج كاسيا يزغب الريش كما فى الدجاج ؛

وفى " المصايد والمطارد " : أن القَبِجَ كثير السَّفَاد ، وأنه إذا اشتغلت عنه الأنثى  
ورأى بيضها كسره .

(١) هذا معطوف على القَبِج الأول إشارة إلى لغة أخرى ، وليس معطوفا على اليعقوب كما قد يزعم .

قال التوحيدى : ويعيش الجمل عشر سنين<sup>١</sup> ويعمل عشرين<sup>٢</sup>، يجلس الذكر فى واحد والأُنثى فى واحد ؛ وهو من أشد الطيور غيرة على أنشائه حتى إن الذكرين ربما قتل أحدهما الآخر بسبب الأُنثى، فمن غلب منهما دانت له .

ومن طبعه أنه يأتى عُشَّ غيره فيأخذ بيضه ويحضنه، فإذا طارت الفراخ لحقت بأمهاتها التى باضتها، وفيه من قوة الطيران ما يظنه من لم يُحققه عند طيرانه أنه حجر رُمى بمقلع لسرعه .

ومنها "القُمريُّ" — بضم القاف وسكون الميم — وهو طائر معروف حسن الصوت، ويجمع على قَمَارَى غير مصروف . قال فى "المحكم" : ويجمع على قَمَرٍ أيضاً؛ والأُنثى منه قَمْرِيَّةٌ، ويقال للذكر منه : الْوَرَشَانُ — بفتح الواو والراء المهملة والشين المعجمة — ويقال له أيضاً : سَأَقُ حَرٌّ . قال البطليوسى : وسُمى سَأَقُ حَرٌّ، حكاية لصوته كأنه يقول ذلك، ويكنى : أبا الأخضر، وأبا عُمران، وأبا الناجية .

قال ابن السمعاني : والقُمريُّ منسوب إلى القُمَرِ، وهى بلدة تشبه الجملص لياباضها؛ قال : وأظنها بمصر . وقال ابن سيده القُمريُّ طير صغير، وعده فى "المحكم" من الحمام . ويقال : إن الهوام تهرب من صوت القمارى .

قال القزوينى : ومن خاصية القمارى أنها إذا ماتت ذكروها لم تتزوج إنشائها . والْوَرَشَانُ الذى هو ذكر القُمريِّ يوصف بالحنو على أولاده حتى إنه ربما قتل نفسه إذا رآها فى يد الغائص .

قال عطاء : وهو يقول فى صياحه :

لُدُوا لِمَوْتِ وَأَبْنُو لِقَرَابِ \*

ومنه نوع أسود مجازى يقال له : النوى، شغى الصوت جداً .

ومنها "الفاختة" - بالفاء وانحاء المعجمة والتاء المتناة - والجمع الفواخت - بفتح الفاء وكسر الخاء - وهى طائر من ذوات الأطواق، حِجَازِيَّةٌ فى قدر الحمام، مَحَسَنَةٌ الصوت، ويقال: إِنَّ الْحَيَّاتِ تَهْرُبُ مِنْ صَوْتِهَا؛ حَتَّى يَحْكِي أَنَّ الْحَيَّاتِ كَثُرَتْ بِأَرْضٍ، فَشَكَأَ أَهْلُهَا ذَلِكَ إِلَى بَعْضِ الْحُكَمَاءِ، فَأَمَرَهُمْ بِنَقْلِ الْفَوَاحِشِ إِلَيْهَا فَانْقَطَعَتْ الْحَيَّاتُ عَنْهَا. وفى طبعها الأُنْسُ بِالنَّاسِ؛ وَتَعِيشُ فى الدُّورِ، إِلَّا أَنَّ الْعَرَبَ تَسْمِيهَا بِالْكَذِيبِ، لِأَنَّ صَوْتَهَا عِنْدَهُمْ يَقُولُ فِيهِ: هَذَا أَوَانُ الرُّطْبِ، وهى تقول ذلك والنخل لَمْ يُطْلِعْ بَعْدُ؛ وَلِذَلِكَ يَقُولُ الْعَرَبُ فى أمثالهم: «الْكُذْبُ مِنْ فَاخِثَةٍ».

ومنها "الدُّبَيْبِيُّ" - بضم الدال - وهو طائر صغير منسوب إلى دَيْبِشِ الرُّطْبِ - بكسر الدال - وذلك أَنَّهُمْ يُغَيِّرُونَ فى النسب فيقولون فى النسبة إلى الدُّبَيْرِ: دُوبَيْرَى وَنَحْوَ ذَلِكَ، وهو ضرب من الحمام. ثم هو أصناف: مِصْرِيٌّ، وَحِجَازِيٌّ، وَمِصْرَاقِيٌّ، وَكُلُّهَا مُتَقَارِبَةٌ، لَكِنْ أَخْفَرُهَا الْمِصْرِيُّ، وَلَوْنُهُ الدُّكْنَةُ، وَقِيلَ: هُوَ ذِكْرُ الْبِجَامِ. وفى طبع الدُّبَيْبِيِّ أَلَا يُرَى سَاقَطًا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، بَلْ فى الشِّتَاءِ لَهُ مَشَقٌّ، وفى الصَّيْفِ لَهُ مَصِيفٌ، لَا يَعْرِفُ لَهُ وَكْرٌ.

ومنها "الشَّفِينِيُّ"<sup>(١)</sup> - بفتح الشين المعجمة وسكون الفاء ونون مكسورة بعدها ياء محتناة تحت ثم نون - وهو الذى تسميه العامة بمِصْرَ: الْبِجَامِ، وهو دون الحمام فى المقدار، وَلَوْنُهُ الْحُمْرَةُ مَعَ كُوْدَةٍ، وفى صوته ترجيع وعجزين. ومن شأنها أَنَّهُ تَحْسُنُ أَصْوَاتَهَا إِذَا اخْتَلَطَتْ. ومن طبعه أَنَّهُ إِذَا فَقَدَ أَثْنَاهُ لَمْ يَزَلْ أَعْزَبَ إِلَى أَنْ يَمُوتَ، وَكَذَلِكَ الْأَثْنَى إِذَا فَقَدَتْ ذِكْرَهَا؛ وَفِيهِ أَلْفَةٌ لِلْبُيُوتِ، وَعِنْدَهُ أَحْتِرَاسٌ.

(١) الهى فى حياة الحيوان: أَنَّهُ بِالْكَسْرِ.

ومنها "الدرّاج" - بفتح الدال - وكنيته أبو الجحّاج وأبو خطّار؛ وهو طائر ظاهر جناحيه أكبر وباطنهما أسود، على خِطّة القَطَا إلا أنه ألطف. وهو يطلق على الذكر والأنثى. والجاحظ يسمّيه من جنس الحمام لأنه يجمع بيضه تحت جناحيه كما يفعل الحمام. والناس يعبّرون عن صوته بأنه يقول: "وَالشُّكْرُ تَدْوَمُ النِّم". ويقال: إنه طائر مبارك؛ وهو كثير التناج، يبشر بقُدوم الرّيح؛ وهو يصلح بهبوب الشّمال، وصفاء الهواء؛ ويسوء حاله بهبوب الجنوب حتّى لا يقدر على الطيران.

ومنها "العصفور" - بضم العين - وحكى ابن ريشيق في كتاب "الفرائب": فتحها، والأنثى: عصفورة، وكنيته: أبو الصّفور، وأبو محرز، وأبو مزاحم، وأبو يعقوب.

قال حمزة: سمى عصفورا لأنه عصى وفر؛ وهو أنواع كثيرة، وأشهرها المعروف بالدورى؛ ووكره العُمران تحت السقوف خوفا من الجوارح؛ فإذا خلت مدينة من أهلها ذهب العصافير منها؛ وهو كثير السّفاد حتّى إنه ربما سَفَدَ في الساعة الواحدة مائة مرة؛ ولفرخه تكرب على الطيران حتّى إنه يدعى فيجيب. قال الجاحظ: بلغنى أنه يرجع من فرسخ.

ومنها "الشّخُور" - بفتح الشين المعجمة وسكون الحاء المهملة - وهو طائر أسود فوّيق العصفور له صوت شحى؛ ويكون بأرض الشام كثيرا.

ومنها "الهزار" - بفتح الهاء والزاي المعجمة - طائر نحو العصفور له صوت حسن ويسمى: المتدليّب أيضا، ويجمع على عتادل.

(١) في حياة الحيوان والقاموس: ضبطه بضم الدال، أما القى بالفتح فهو القنفذ.

(٢) قال في حياة الحيران: إنه كسحون، وكذلك ضبطه في القاموس بالضم.

ومنها "البَيْلُ" — بضم الموحدين ومكون اللام الأولى والثانية — وهو طائر أسود فوق العصفور، والجحرى منه فوق ذلك؛ ويقال له : النُّقْرُ — بضم النون وفتح الفين المعجمة وراء مهمله فى الآخر — والكُفَيْتُ — بضم الكاف وفتح العين المهملّة ومثناة فوقية فى الآخر — والجَمِيلُ — بضم الجيم — وقد ثبت فى الصحيحين من رواية أنس رضى الله عنه أنه قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس خلقًا، وكان لى أخٌ لأُمِّى قَظِيمٌ يقال له : عُمَيْرٌ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءنا قال : "يا أبا عُمَيْرٍ ما فَعَلَ النُّغَيْرُ؟" لنُغَرَّكَانِ يلعب به .

ومنها "السَّمَانَى" — بضم السين المهملّة وفتح النون ولا تُشَدُّ ميمه — وهو طائر معروف فوق العصفور ويجمع على سُمَانِيَّاتٍ ، وهو من الطيور التى لا يعرف من أين أتى، بل يأتى فى البحر المَلْحَ يغوص بأحد جناحيه فى الماء ويقيم الآخر كالقَلْعِ للسفينة قد نفسه الريح حتى يأتى الساحل؛ وكثيرا ما يوجد ببلاد السواحل، وله صوت حسن . ومن شأنه أنه يسكت فى الشتاء فإذا أقبل الربيع صاح .

ومنها "الحُسُونُ" — وتسميه أهل الجزيرة والشَّامُ وحلب وتوابعها : زقية، وهو طائر قَطَنٌ، ويسميه الأندلسيون : أبو الحسن، والمصريون : أبو زقاية، وربما أبدلوا الزاى : منه سينا، وهو عصفور ذو ألوان : حمرة وصُفْرَة وبياض وسواد وزرقة وخضرة، وهو قابل للتعليم يُعَلِّمُ أَخَذَ الشَّيْءِ كَالْقَلْبِ وسنحوه من يد الإنسان على البعد والإتيان به لصاحبه .

ومنها "أَبُو بَرَّاقِشَ" — بكسر القاف وبالشين المعجمة — وهو طائر كالعصفور يتلون ألوانا، وبه يضرب المثل فى التلون .



ومنها "الزراع" - بزاي وغين معجمتين بينهما ألف - وهو ضرب من الفربان صغير أخضر اللون لطيف الشكل حسن المنظر، وقد يكون أحمر المنقار والرجلين، وهو الذي يقال له : غراب الزيتون، سمي بذلك لأنه يأكل الزيتون .

ومنها "الغدائف"<sup>(١)</sup> - يضم الغين المعجمة وبالدال المهملة والفاء في آخره - وهو غراب الفيط، ويجمع على غدافان بكسر الفين .

قال ابن فارس : هو الغراب الضخم . وقال المبرد : هو غراب صغير أسود، لونه كالون الرماد . وقد قال النوى في الروضة : بتحريمه وإن كان الزاني قد جرم عليه ، ورجحه صاحب المهمات .

ومنها غراب "الزراع" - وهو غراب أسود المنقار . وفيه وجه بالتحريم .

### الضرب الثاني - ما يحرم أكله .

وهو أنواع كثيرة أيضا :

منها "الطائوس" - ويجمع على طواويس - وهو طائر في نحو مقدار الإوزة حسن اللون ، والذي ذكرته غاية في الحسن ، له في رأسه ريش أخضر قائم كالشربوش ، وفي ذنبه ريش أخضر طويل في أحسن منظر، وليس للأشئ شيء من ذلك ، وهو في الطير كالفرس في السواب عزاء وحسنا ، وفي طبعه الزهو بنفسه والخيلاء والإعجاب بريشه ، والأشئ منه تبيض بعد ثلاث سنين من عمرها ، وفي هذا الحد يكل ريش الذكر ويتم لونه . ويبضه مرة واحدة في السنة ، ويكون يبضه من أثني عشرة بيضة الى ما حولها ، ولا يبيض متابعا . ويقادّه في أيام الربيع . وفي الخريف يلقى ريشه كما يلقى الشجر ورقه حينئذ ، فإذا بدا طلوع أوراق الأشجار طلع ريشه . وهو

(١) الذي في الناموس وحياة الحيوان : غراب الفيط .

كثير القبيث بالأشئ إذا حَضَنْتَ وربما كسر بيضها ؛ ولذلك يُحَضَّنُ بيضه تحت الدجاج ؛ لكن لا تقوى الدجاجة على حَضِّين أكثر من بيضتين منها ، وتُتَعاهدُ الدجاجة بالطَّعمَةِ والسقية وهي راقدة عليه ، كيلا تقومَ عنه فيفسد بالهواء ، إلا أن ما تحضُّنه الدجاجة يكون ناقصَ الجنة عما تحضُّنه أنثاء ؛ وليس له من الحسن والبهجة ما لذلك ؛ ومدة حضنه ثلاثون يوما ؛ وفرخه يخرج من البيضة كالفرُوج كاسيا بالريش يُلَقط الحب للحال .

ومنها "السندل" — يفتح السين المهملة والميم وسكون النون وفتح الدال المهملة ولام في الآخر — وقال الجوهرى : السندل بغير ميم . وقال ابن خلكان : السندُ بغير لام ، وهو طائر يكون بأرض الصين والهند ؛ ومن خاصته أنه لا تؤثر النار فيه حتى يقال : إنه يبيض ويُفْرَخُ فيها ويستلذ بمكثه فيها . ويتخذ من ريشه مناديل ونحوها ، فإذا آتسخت ألقيت في النار ، فتأكل النار ومخفها ولا تلتأثر هي في نفسها .

قال ابن خلكان في ترجمة يعقوب بن صابر المتجنق : رأيت منه قطعة مخينة ملسوجة على هيئة حزام الدابة في طوله وعرضه ، فألقيت في النار لما أثرت فيها ، ففُيمس أحد جوانبها في الزيت وجُيِل في النار فاشتعل وبق زمانا طويلا ثم أُطْفِئ ، وهو على حاله لم يتغير . قال : ورأيت بخط عبد اللطيف البغدادى : أنه أُهْدِيَ للظاهر ابن السلطان صلاح الدين صاحب حلب قطعة منه عرض ذراع في طول ذراعين ، ففُيمست في الزيت وقربت من النار فاشتعلت حتى قُبِيَ الزيت ، ثم عادت يبيضاء كما كانت . وبعضهم يقول : إنه وحش كالتمليب وإن ذلك يعمل من وبره .

ومنها "البغاء" — بباءين مفتوحتين ، الأولى منهما مخففة والثانية مشددة وغير معجمة بعدها ثم ألف — وهو المعبر عنه بالذرة — بدال مهملة مضمومة — وقال

أبن السمعاني في الأساطير: هي باسكان الباء الثانية، وهي طائر أخضر اللون في قدر الحمام يحاكي ما يسمعه من اللفظ، ثم هي حل ضريف: هندی وهي أكبر جنة ومطارها آخر، وتربي وهي أدونها ومطارها أسود؛ ويقال: إن منها نوا أبيض، ويذكر أنه أهدى لمز الدولة ابن بويه ببقاء بيضاء اللون سوداء المنقار والرجلين، حل رأسها ذؤابة فُسْتَقِيَّةٌ، وهي طائر دُمِث الأخلاق، فأقب التهم، له خفة على حكاية الأصوات وقبول التلقين، تفتحه الملوك والأكابر ليتم بما يسمع. ومن شأنه أنه يتناول طعمه برجله كما يتناول الإنسان بيده؛ والهندي منه أقرب إلى التعليم من النوبة.

ومنها "أبوزرق" — بزاي مضمومة ثم راء مهملة وفي آخره قاف — ويقال له: اليق — بكسر القاف — والزرب — بزاي معجمة مكسورة ثم راء مهملة ساكنة ثم ياء مثناة تحت، وبعد الألف باء موحدة — وهو طائر ألوف للناس يقبل التعليم، سريع الإدراك لما يعلم، وقد يزيد على البقاء إذا أنجب، بل إذا تعلم جاء بالحروف مينة حتى يظن ساعه أنه إلهان، بخلاف البقاء فإنها لا تبيض كل الإفصاح.

ومن عزيز ما يحكى في أمره ما حكاه صاحب "منطق الطير": أن رجلا خرج من بغداد ومعه أربعمائة درهم، لا يملك غيرها، فوجد في طريقه عدة من فراخه فاشتراها بما معه، ثم رجع إلى بغداد فعلقها في أقفاص في حانوته، فهبت عليها ريح باردة فماتت كلها إلا واحدا كان أضعفها وأصغرها، فنزل ذلك عليه وبات ليلته تلك يتنهل إلى الله تعالى بالدعاء وينادى: يا غياث المستغيثين أغنى؛ فلما أصبح إذا ذاك الفرخ الذي بقى يصيح بلسان قصيح: يا غياث المستغيثين أغنى؛ فأجتمع الناس عليه يسمعون صوته؛ فأجازت جارية تخليفة فاشتريته منه بألف درهم.

ومنها "المدهد" — بضم الهاءين وإسكان الدال المهملة بينهما — وهو طائر معروف ذو خطوط موشية وألوان، ويجمع على هدهد. ويذكر عنه أنه يرى الماء من باطن الأرض كما يراه الإنسان في باطن الزجاج — قوة ركبها الله تعالى فيه — ولذلك عُيِّنَ به سليمان عليه السلام مع صغره كما قاله النبي في "شعب الإيمان" .  
ويقال : إنه كان دليلاً لسليمان عليه السلام على الماء ؛ وقصته مع سليمان مذكورة في التنزيل .

١١ . وقد ذكر الزمخشري أن سبب تخلفه عن سليمان أنه رأى هدهداً آخر، فحكي له عظيم ملك سليمان ؛ فحكي له ذلك المدهد عظيم ملك يقيس باليمن ؛ فذهب ليكشف الخبر فلم يرجع إلا بعد العصر ؛ فلما عاد إليه توعدته ؛ فأرسل رأسه وجناحيه تواضعا بين يديه ، وقال : يا حيُّ الله ، أذكر وقوفك بين يدي الله ! فارتعد سليمان وعفا عنه .  
ومنها "الخطاف" — بضم الخاء المعجمة — ويجمع على خطاطيف وهو طائر في قدر العصفور ، أسود ، وباطن جناحيه إلى الحبرة ؛ والناس يسمونه عصفور الجنة لأنه يعرض عن أقواتهم ويقنات البعوض والذباب . ومن شأنه السكنى في البيوت المعمورة بالناس في أفاجيص بينها من الطين ؛ ويختار منها السقوف والأماكن التي لا يصل إليه فيها أحد .

وقد ذكر العلوي في تفسيره في سورة النمل : أن سبب قرب الخطاطيف من الناس أن الله تعالى لما أهبط آدم إلى الأرض ، استوحش ، فأنس الله تعالى بالخطاف وألزمه البيوت ؛ فهو لا يفارق بني آدم أنساً لهم . والخطاف يعاديه فلذلك إذا أفرخ جعل في عشه قصبان الكرفس لينثر الخفافش عنها .

ومن عاداته أنه لا يفرخ في عش عتيق حتى يطينه بطينه بطين جديد ، ولا يلق شيئاً من ذرقه في عشه بل يلقيه إلى ما شاء . وإذا سمع حس الرعد يكاد يموت . ويوجد

في عُنْه سَجَرُ الْيَرْقَانِ وهو حجر صغير فيه خطوط بين الحمرة والسواد إذا علق على من به الْيَرْقَانُ أو شرب من مُحَالِته بَرِيءٌ ، وإنما يأتي بهذا الحجر إذا أصاب فِرَاتَه الْيَرْقَانُ ، ولذلك يحتال بعضُ الناس بِلَطْع فراخه بِالزَّعْفَرَان لِيُظَن أن الْيَرْقَان قد أصابها فيأتي إليها بهذا الحجر فيؤخذ منه .

ومن الخطاطيف نوع آخر أطفُف قدرا من هذا ، يَسْكُن شَطوطَ الْأَنْهَارِ وجوَانِبَ الْمِيَاهِ . وعدوا من أنواعه أيضا الذي يسميه أهل مصر : الْخَضْبِيرِي ، وهو طائر أخضر دون الْبَيْضَاء في المَهِدَار لا يزال طائرا وهو يصبح ؛ يقاتل الْفَرَاش والذباب .

ومنها "الصُّرْد" - بضم الصاد وفتح المهملة ودال مهملة في الآخر - ويجمع على صُرْدَان . قال ابن قتيبة : وسمى صُرْدًا ، حكاية للصوت ، ويسمى : الْوَاقي - بكتمة القاف - وكنيته : أَبُو كَثِير ، وهو طائر فوق العصفور ، نصفه أبيض ونصفه أسود ، ضمم الرأس ، ضمم المقار والبرائن ؛ لا يرى إلا في شَعَفَة أو شجرة بحيث لا يقدَّر عليه .

أحد ؛ وله صَفير مختلف .

ومن شأنه أنه يصيد العصافير وما في معناها ؛ فيصتر لكل طير يريد صَنْبَدَه بلفته ، يدهو إلى التقرب منه فينبط عليه فيأكله . والعرب تشاء به ويتفرع مع صياحه . وهو مما وردت الشريعة بالتهى عن قتله .

ومنها "الْعَقَّعُ" - يعينين مهملتين مفتوحتين بينهما قاف ساكنة - وربما قيل فيه : الْعَقَّع على القلب .

قال الجاحظ : سمي بذلك لأنه يَمُقُّ فراخه فيترَكهم أيا ما بلا طَم . ويقال لصوته : الْعَقَّعَة ؛ وهو طائر على قدر الحماة في شكل الثراب وجناحه أكبر من جناح الحماة ؛ ذلونين : أبيض وأسود ، طويل الذنب .

ومن شاته أنه لا يأوى تحت سقف ولا يستظل به ، بل يبيى وكره في المواضع  
المُشْرِقة؛ وفي طبعه الزنا والخيانة؛ ويوصف بالسرقة والخُبث . وإذا رأى حُلْبا  
أو عَقدا أخططه؛ والعرب تضرب به المثل في جميع ذلك . وإذا باضت الأنثى  
منه أخفت بيضها بورق الدُّلْب خوفاً عليه من الخُفَّاش ، فإنه متى قُرب من  
البيض مَيزَ وقنير من ساعته . ويقال : إنه يغبا قُوته كما يجبؤه الإنسان والتملة إلا أنه  
يُسمى ما يجبؤه . وبعضهم يمدّه في جملة الثُربان . وفيه وجه عندنا بحلّ أكله .

ومنها "الشَّرْقَاقُ" - بفتح الشين المعجمة وسكون القاف وألف بين الراء المهملة  
والقاف الثانية - ويجوز فيه كسر الشين أيضاً، وربما قلبوه فقالوا : الشَّرْقَاقُ؛  
ويسمى : الأخیل أيضاً؛ وهو طائرٌ صغير بقدر الحمام أخضر مُشَبَّحُ الخُضرة، حسنُ  
المنظر في أجنته سواد . والعرب تشابه به .

وفي طبعه الشَّرُّ حتى إنه يَسْرِقُ فراخَ غيره . وعده الملاحظ نوعاً من الثُربان؛  
ويكثر ببلاد الشام والروم وتُرَاسَانَ؛ ولا يزال متباعداً من الإنسان ، بألف الزواوي  
ورُومس الجبال؛ إلا أنه يَحْضُنُ بيضه في عوالى العُمران التي لا تملكها الأيدي .  
وعُشُّه شديد البُيُئان، وله مَشَقٌّ ويصيف .

قال الملاحظ : وهو كثير الاستفانة، إذا مر به طائر ضربه بمناعه وصاح  
كأنه هو المضروب . وفيه وجه بحلّ أكله .

ومنها "الفُرَابُ الأَبْعَقُ" قال الجوهري : وهو الذى فيه بياض وسواد،  
ويسمى : غراب البين أيضاً؛ قال صاحب "المجالسة" : سمى بذلك لأنه بان عن  
نوح عليه السلام حين أرسله لينظر الماء فذهب ولم يرجع، قال ابن قتبية : وجعل  
فاسقا لأجل ذلك . ويسمى : الأعور . إنما لانه يُفْمِضُ إحدى عينيه لقوة بصره،  
وإما لصفاء عينيه وخلة بصره من باب الأضداد .

ومن طبعه الخيانة والسرقة؛ والعرب نقشام به وتكره صوته؛ وقد سبق القول على ذلك في أوابد العرب من هذه المقالة .

ومن طبع الغراب الاستار عند السَّفاد وأنه يَسْفِدُها مُواجهَةً مُلقاةً على ظهرها، والأشئ تبيض أربع بيضات ونحسا؛ وإذا خرجت الفِراخ من البيض نفر عنها الأبوان لبشاعة منظرها، حيثئذ تفتنذي من البعوض والذباب الكائن في عُشها حتى ينبت ريشها فيعود الأبوان إليها، وعلى الأشئ الجَفْنُ وعلى الذكر أن ياتهما بالطعم . وفيه حَذَرٌ شديد وتناصُر، حتى إنه إذا صاح الغراب مستنصرا أجمع إليه عدة من الغربان .

ومنها "الغراب الأسود الكبير" وهو الخَلِيلُ . وفيه وجه بجله .

ومنها "الحِدَاةُ" — بكسر الحاء، والمهمز — الطائر المعروف، ويجمع على حِدَاةٍ وحِدَاةٍ . ومن ألوانها السُّودُ والرُّمْدُ . وهي لا تصيد بل تَحْتَطِفُ؛

ومن طبعها أنها تَصَفُّفُ في الطيران وليس ذلك لشيء من الكواسر غيرها . وزعم ابن وحشية وأبن زهر: أن الحِدَاةَ والعُقَابَ يتبدلان، فتصير الحِدَاةُ عُقَابًا والعُقَابُ حِدَاةً . وربما قيل: الغراب بدل العُقَاب . ويقال: إنها تصير سنةً ذكرا وسنة أنثى . ويقال: إنها أحسن الطير مجاورة لما جاورها من الطير حتى لو ماتت جوعا لا تعدو حل فرخ جازتها .

وفي طبعها أنها إنما تَحْتَطِفُ ممن تَحْتَطِفُ منه من يده اليمنى دون اليسرى حتى يقال: إنها عصراء . وقد ثبت في الصحيحين حل قتلها في الحل والحرم .

ومنها "الرَّيْمَةُ" — بفتح الزاء المهملة والخاء المعجمة — وكنيتها: أم جِعْرَانُ، وأم رِسَالَةُ وأم عَجِيبة، وأم قَيْس، وأم كثير . ويقال لها: الأُتُوْى<sup>(١)</sup> — بفتح الهمزة —

(١) ألقى في حياة الحوزان "أم كثير" .

وهي طائر أبيض بياض وسواد، فوق الحذأة في المقدار تأكل الخيف . وهي معدودة في ثقات الطير . وهي تسكن رموس الجبال العالية وأبعدها من أماكن أعدائه ؛ ولذلك تضرب العرب المثل بيضه فيقولون : « أَعْرُ مِنْ بَيْضِ الْأُتُوقِ » والأثني لا تمكن من نفسها خبر ذكرها وتبيض بيضة واحدة وربما ياضت بيضتين .

ومنها "البومة" — بضم الباء الموحدة وفتح الميم — للذكر والأثني ؛ وهو طائر من طير الليل في قدر الإوزة ؛ لها وجه مستدير بالريش النبات حوله ، يشبه وجه آدمي ، في صفة عيني وتوقدهما . ويقال للذكر منها : الصدى والضوخ — بضم الضاد المعجمة — والقياد — بالقاف — وتشديد المثناة تحت — ويقال للأثني : الهامة . وكنية الأثني : أم الخراب ، وأم الصبيان ؛ ولها في الليل قوة سلطان لا يمتثلها شيء من الطير ؛ تدخل على كل طائر في وكره في الليل فتخرجه منه وتأكل فراخه ويبيضه ، ولا تنام الليل ؛ والطير يحمله يناديها من أجل ذلك ؛ فإذا رأوها في النهار قتلوها وتنفوا ريشها ؛ ومن ثم يجعلها الصيادون في شباكهم ليقع عليها الطير فيقتنصونها ؛ فهي لا تظهر بالنهار لذلك .

وتقل المسعودي في مروج الذهب عن الجاحظ أنها إنما تختبئ من ظهورها في النهار خوفاً من أن تصاب بالعين لحسنها وجمالها ، لأنها تصور في نفسها أنها أحسن الحيوان . ومن طبعها سكنى الخراب دون العامر .

ومن غريب ما يحكى ما ذكره الطرطوشي في "مراج الملوك" : أن عبد الملك بن مروان أرق ليلة فاستدعى تيمرا يحذمه ، فكان مما حدثه أن قال : يا أمير المؤمنين كان بالبصرة بومة وبالموصل بومة ، نططبت بومة الموصل إلى بومة البصرة بتها لأبناي .

(١) عبارة حياة الحيوان فإذا رأها الطير قتلها وتنفض ريشها ... الخ ، وهو أصوب .



قالت بومة البصرة : لا أقبل حتى يجعل في صدقها مائة ضبعة خراب ؛ قالت بومة الموصل : لا أقدر على ذلك الآن ولكن إن دام والينا سلمه الله علينا سنة واحدة فعلت ؛ فاستيقظ لها وجلس للظالم .

ومنها "البؤة" - بضم الباء وفتح المعزة - قال الجوهري : وهو طائر يشبه البومة ؛ إلا أنه أصغر منها . وذكر ابن قتيبة في أدب الكاتب نحوه ، ويقال له : البؤهة . أيضا ؛ وهي من طير الليل أيضا . ولا يخفى أنها التي يسميها الناس في زماننا المصاصة ؛ ويرحمون أنها تنزل على الأطفال فتعض أنوفهم .

ومنها "الخفاش" - بضم الخاء المعجمة وتشديد الفاء وبالشين المعجمة ، ويجمع على خَفَافِيش - وهو طائر غريب الشكل والوصف لا ريش عليه ؛ وأجنحته جلدة لاصقة بيده ، وقيل لاصقة بيمينه . وسمى خَفَافًا لأنه لا يبصر نهالوا ، وبه سمي الرجل : أخفش ، والعامة تسميه الوطواط ، وقيل : الخفاش الصغير ، والوطواط الكبير ، ويقال : إن الوطواط هو الخُطَّاف لا الخَفَّاش . وليس هو من الطير في شيء ، فإن له أسنانا وخصيتين ، ويمحض ويمضك كما مضطك الإنسان ؛ ويول كما تول ذوات الأربع ، ويرضع ولده من ثديه .

ولما كان لا يبصر نهارا آتس وقتا يكون بين الظلمة والضوء وهو قريب غروب الشمس ، لأنه وقت هيجان البعوض ، فالبعوض يخرج في ذلك الوقت يطلب قومه من دماء الحيوان ؛ والخفاش يخرج لطلب الطعم فيقع طالب رزق على طالب رزق . ويقال : إنه هو الذي خلقه المسيح عليه السلام من الطين ، ونفخ فيه فكان طيرا بإذن الله . قال بعض المفسرين : ومن أجل ذلك كان مبينا لغيره من الطيور ،

(١) لم يسهه أحد من القومين بل ذكره في باب الماء ، وقد رسم في الصباح بالوارء وكذا في القاموس وقال الخضر .

فولئك سائر الطيور مبيضة له وتنظف عليه، لما كان منها يأكل اللحم أكله، وما كان منها لا يأكل اللحم قتله، وهو شديد الطيران، سريع القلب، يقتات البعوض والذباب وبعض القواكه . وهو موصوف بطول العرج حتى يقال : إنه أطول عرجا من النسر، وتلد الأنثى ما بين ثلاثة أفراخ وسبعة، وكثيرا ما ينسقد وهو طائر في الهواء . وهو يحمل ولده معه اذا طار تحت جناحه، وربما قبض عليه بفيه خنوا عليه، وربما أرضعت الأنثى ولدها وهي طائرة . وفي طباعه أنه متى أصابه ورق الدليل خدر ولم يطير. وقد ورد النهي عن قتله .

إذا صرف الكاتب أحوال الطير وخواصها، تصرف فيها بحسب ما يحتاج إليه في نظمه وثره، كما في قول الشاعر :

وإذا السعادة لاحقتك حيوتها • تم، فالحقايف كلهن أمان  
وأصطد بها العقاء فهي حبان • وأقتد بها الجوزاء فهي عنان

إشارة إلى عظم العناء وعدم القدرة على مقاومتها، ومع ذلك تنقاد بالسعد . وكما في قول أبي الفتح كشاجم، مخاطبا لولده يطلب البر منه :

أَتُحِذُ فِي خَلَّةٍ فِي الْكَرَّامِ • أَتُحِذُ فِيكَ خَلَّةَ الْوَطْوَاطِ  
أَنَا إِن لَمْ تَعْرِفِي فِي هَئِهِ • فَبِرِّي تَرْجُو جَوَّازَ الْبِرَّاطِ

يشير إلى ما تقدم من آث في طبع الكركي بر والديه إذا كبيرا، كما أنت في طبع الوطواط بر أولاده بحيث يحملها معه إلى حيث توجه، وكما في قول الشاعر  
مثل النهار يزيد إصبار الوري • نورا ويضيئ أمين الخفايش

إشارة إلى أن الخفايش لا تبصر نهارا، بخلاف سائر أرباب الأبصار، وكما قيل في وصف شارذ عن القتال :

وَمَنْ تَرَكَهُ أَطْعَمَ مِنْ حَبَارَى • رَأَى صَفْرًا ، وَأَشْرَدَ مِنْ نَعَامٍ  
يريد ما تقدم مما يعرض للحبارى من إرسائها سَلَحَهَا على الجوارح عند اقتناصه  
لها ، وإن النعام في غاية ما يكون في البرية من الشَرَادِ والفَارِ ، وبحو ذلك مما  
يمر هذا المجرى •

### الصف الرابع

#### الحمام

وقد اختلف في الحمام في أصل اللغة ، فنقل الأزهري عن الشافعي رضي الله  
عنه أن الحمام يطلق على كل ما عَبَّ وهدر وإن تفرقت أسمائه ، فيدخل فيه الحمام ،  
واليمام ، والدَّيَّاسِي ، والقَبَّارِي ، والفواخت وغيرها ، وذهب الأصمعي إلى أن الحمام  
يطلق على كل ذات طوق كالقواخت والقَبَّارِي وأشباهاها • وتقبل أبو حنيفة من  
الكسائي سماعا منه أن الحمام هو الذي لا يَأْلَفُ البيوت ، وأن اليمام هو الذي يَأْلَفُ  
البيوت ، لكن الذي غلب عليه إطلاق الحمام هذا النوع المخصوص المعروف •

ثم هو على قسمين :

أحدهما ما ليس له أكتداه في الطيران من المسافة البعيدة •

والثاني ما له أكتداه ، ويعرف بالحمام الهدى وهو المراد هنا • وقد أعنى الناس  
بشأنه في القديم والحديث ، وأهتم بأمره الخلفاء ، كلهم حتى ثالث خلفاء بني العباس ،  
والواثق ، والناصر ، وتنافس فيه رؤساء الناس بالعراق ، لاسيما بالهجرة •

فقد ذكر صاحب "الروض المعطار" : أنهم تنافسوا في اقتنائه ، ولم يجؤا بذكره ،  
وبالفعل في أمانته حتى بلغ ثمن الطائر الفاري منها سبعمائة دينار ، ويقال : إنه بلغ ثمن

(١) ورد هذا البيت في حياة الحيوان هكذا : ومَنْ تَرَكَهُ ... • دَأْت ... الخ •

طائر منها جاء من خليج القسطنطينية ألف دينار، وكانت تباع بيضة الطائر المشهور بالفراحة بعشرين ديناراً . وإنه كان عندهم دقائر بأنساب الحمام كأنساب العرب . وإنه كان لا يتمتع الرجل الجليل ولا الفقيه ولا العدل من أخذ الحمام والمنافسة فيه والإخبار عنها ، والوصف لأثرها والنعت لمشهورها ، حتى وجه أهل البصرة إلى يكار بن قتيبة البكراني ، قاضي مصر -- وكان في فضله وعقله ودينه وورعه ما لم يكن عليه قاض -- بمهمات لهم مع نقات ، وكتبوا إليه يسألونه أن يتولى إرسالها بنفسه ، وكان الحمام عندهم متجراً من المتاجر لا يرون بذلك بأساً .

وذكر المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" : أن الحمام أول ما نشأ -- يعني في الديار المصرية والبلاد الشامية -- من الموصِّل وأن أول من أعطى به من الملوك ونقله من الموصل : الشهيد نور الدين بن زنكي صاحب الشام رحمه الله في سنة خمس وستين وخمسمائة . وحافظ عليه الخلفاء الفاطميون بمصر ، وبالغوا حتى أفردوا له ديواناً وجرائد بأنساب الحمام . وقد أعطى بعض المصنفين بأمره ، حتى صنف فيه أبو الحسن بن ملاعب القواس البغدادى كتاباً للناصر لدين الله العباسي ، ذكر فيه أسماء أعضاء الطائر ، وريشه ، والوشوم التي توشم في كل عضو ، وألوان الطيور ، وما يستحسن من صفاتها ، وكيفية إفراخها ، وبعض المسافات التي أرسلت منها ، وذكر شيء من نوادرها وحكاياتها وما يجري مجرى ذلك .

وذكر في "التعريف" : أن القاضي محي الدين بن عبد الظاهر صنف فيها كتاباً سماه "تسائم الحمام" ويتعلق الغرض منها بأمور ،

## الأمس الأول

### ذكر ألوانها

قال أبو الحسن الفؤاد : وقد أكثر الناس من ذكر ألوانها ، ويرجع القصد فيها إلى ذكر ألوان ستة :

اللون الأول "البياض" ومنه الأبيض الصافي ، والأشقر ؛ وهو ما كان بهلوه حمرة ؛ فإن كان الغالب في شُقرته البياض قيل : فضي ؛ فإن زاد قيل : أشقر .

اللون الثاني "الخضرة" إن كانت خضرته مُشبعة إلى السواد قيل : أخضر مسي ؛ فإن كان دون ذلك قيل : نثي الخضرة ؛ فإن كان دون ذلك قيل : صافي الخضرة ؛ فإن تكثرت خضرته بأن لم يكن صافي الخضرة قيل : أسمر .

اللون الثالث "الصفرة" وهي عبارة عن أن تكون خضرته تميل إلى البياض ؛ فإن كان صافيا قيل : أصفر قرطاسي .

اللون الرابع "الحمرة" إذا كان شديد الحمرة قيل : حامي ؛ فإن كان دون ذلك قيل : تيمري ؛ فإن كان دون ذلك قيل : خلوق ؛ فإن كانت حرته تضرب إلى الخضرة قيل : أكفأ ؛ فإن كانت حرته تضرب إلى البياض قيل : أحمر صديقي .

اللون الخامس "السواد" إذا كان شديد السواد لا يبيض فيه قيل : أسود مطبق ؛ فإن كان لون سواده ناقصا قيل : أسود أخلس ؛ فإن كان سواده يضرب إلى الخضرة قيل : أسود رمادي ؛ فإن كان في سواده مائية قيل : أسود براق ؛ فإن كان ساقاه أيضا أسودين قيل : أسود حالك ، وأسود زنجي .

اللون السادس "التيمري" وهو أن يكون في الطائر نقط يخالف بعضها بعضا ، ويختلف لالال فيه باختلاف كبير النقط وصغورها ، فارة يقال : مدرة ، وفارة يقال :

مَلْحٌ ، وثارة يقال : أَرُشٌ ، وثارة يقال : مُوَشَّحٌ ، وثارة يقال : أَبْقَعٌ ، وثارة يقال : أَبْلَقٌ ، وثارة يقال : دَبَّاسٌ ، وثارة يقال : مُدْرَعٌ ، إلى غير ذلك مما لا يُستوفى كثرة . ثم إن كان الطائر أَحْلَى العَيْنَيْنِ وَحَوْلَ عَيْنَيْهِ حَمْرَةٌ قِيلَ : فَصِيعٌ ، فَإِنْ كَانَ أَصْفَرَ الْعَيْنَيْنِ قِيلَ : أَصْفَرُ زُرْبَيْنِ ؛ فَإِنْ كَانَ أبيضَ العنق قِيلَ : هَلَالِي ، وَهُوَ أَحْسَنُهَا ، وَالْأَصْفَرُ الْعَيْنِ بَعْدَهُ ، فَإِنْ كَانَتِ الْعَيْنُ بَيْضَاءَ وَفِيهَا حَمْرَةٌ قِيلَ : رُفْمَانِي الْعَيْنِ .

## الأمسرة الثاني

في عدد ريش الجناحين والذنب المعتد به وأسمائها

أما الجناحان فإن فيهما عشرين ريشةً ، في كل جناح منهما عشر ريشات ، الأولى منها وهي التي في طرف الجناح تسمى : الصمة ، والثانية وهي التي بعدها تسمى : المضافة الرئيسية ، والثالثة وهي التي بعدها تسمى : الواسطية ، والرابعة وهي التي بعدها تسمى : المضافة ، والخامسة وهي التي بعدها تسمى : المنطفة ، والسادسة وهي التي بعدها تسمى : المنحدرة ، والسابعة وهي التي بعدها تسمى : الناقصة ، والثامنة وهي التي بعدها تسمى : المؤنسة ، والتاسعة وهي التي بعدها تسمى : الزائلة ، والعاشرية وهي التي بعدها تسمى : المئينة .

وبعضهم يسمي الأولى : الصغيرة ، والثانية : الرقيقة ، والثالثة : الموفية ، والرابعة : الباحلة ، والخامسة : الحيرة ، والسادسة : الصرافة ، والسابعة : ممسكة الرمي ، والثامنة والتاسعة : الحافظتين ، والعاشرية : الملكة .

وربما كان في كل جناح إحدى عشرة ريشةً ، فيسمى الطائر حيلئذ : أطم . ولهذا الريشات العشر عشر ريشات مع كل واحدة منها رادفةٌ ، وهي الريش الصَّغَارُ التي تغطي قصب الجناح من ظاهره ، ولكل ريشة من هذه الريشات للعشر ريشةً صغيرة تغطي قصبها ، لكل واحدة منها اسم يخصها .

ومن ريش الجناح أيضا : الخواقي ، وهي الريش المسفر مع العشر ريشات الطوال  
المنقلب يرموسه إلى مؤخر الجناح ، وهي تسع ريشات ، الأولى منها تسمى : الحديقة ،  
والثانية : الرزمة ، والثالثة : الفزة ، والرابعة : الحز ، والخامسة : الحائرة ، والسادسة :  
المسلمة ، والسابعة : للملازمة ، والثامنة : الشعنة ، والتاسعة : اللامعة ، وبعضهم يسمي  
الأولى : بنت الملكة ، والثانية : الإبرة ، والثالثة : المقشعة ، والرابعة : الصافية ،  
والخامسة : المصفية ، والسادسة : المصفرة ، والسابعة : الزرقاء ، والثامنة : السوداء ،  
والثامنة : المزرققة ، وعد فيها عشرة تسمى : المنضرة ، ولكل ريشة من الريشات التسع  
ريشة صغيرة تغطي قصبتها لها اسم يخصها أيضا .

وبعد الخواقي : الفغار ، ولكل ريشة من الفغار ريشة صغيرة من باطنها تغطي قصبتها .  
ومن ريش الجناحين : المقومات ، وهي ثلاث ريشات في طرف الجناح ،  
تسمى : الزوائد ، ومن فوقها ثلاث ريشات صغار تغطي قصبتها ، تسمى : القوائى ،  
وأصلها مع أصل<sup>(١)</sup> أيضا .

وأما الذنب ، فالمعتبر فيه اثنتا عشرة ريشة من كل جانب : منه ست ريشات  
تسمى الأولى منها : الفزاة ، والثانية : العروس ، والثالثة : الباشقة ، والرابعة  
الباقية ، والخامسة : المجاورة ، والسادسة : العمود ، ومن الجانب الآخر كذلك .

### الأمم الثالث

#### الفرق بين الذكر والأنثى

وقد ذكرنا بينهما فروقا ، منها أن الأنثى إذا تمت فتدب الرجل البصري ،  
والذكر يهضم الرجل اليمنى ، ومنها أن يرى الذكر مقتديا في الأرض مستقيما ،

(١) له مع أصل الزوائد أيضا كما يلحقه المقام فاعلم .

والأثني بالضد من ذلك ؛ ومنها أن ريش الذكر أعرض وأطول وأحسن استواءً من الأثني ؛ ومنها أن مذبج الذكر يكون عريضاً ومذبج الأثني دقيقاً ؛ ومنها أن يكون وجه الذكر عريضاً والأثني بالضد من ذلك ؛ ومنها أنه الأثني إذا طارت فتمتحت جناحها والذكر إذا طار أخرج عَشرَيه .

### الأمر الرابع

في بيان صفة الطائر الفأري

قال أبو الحسن القواس : علامته أن يكون رأسه مكعباً ، وعينه معتدلةً ، غير فائتة ولا غائرة ، ولا فائرة ، ولا قلقة مترعجة ؛ وأن يكون منقاره غليظاً قصيراً ؛ وأن يكون وسط المتخزين ، مَكَمَّ القِرْطَمَتَيْنِ ، أهرت الشدقين ، واسع الصدر ، نقي الريش ، طويل القيقذين ، قصير السافين ، غليظ الأصابع ، شق البرائن ، طويل القوائم من غير إفراط .

ويستحب فيه قصر الذنب وقصه ؛ واجتماع ريشه من غير تفرق ؛ وأن يكون ظهره معتدلاً وإلى القصير أقرب ؛ وأن يكون جُجُوءُه ، وهو جانب الصدر طويلاً ممتداً ؛ وعقته طويلاً مستصفاً ؛ وريش قوائمه وخوافيه مَبْنِياً متطابقاً بعضها مع بعض من غير تفرق ولا تَمْعُط ؛ وأن يكون شديد اللحم مكتنزا ، غير رخو ولا رهيل . ويستحب فيه أيضاً أن يكون قليل الزعلة عند الفزع ؛ سريع اللقظ للهب ؛ خفيف الحركة والنهوض ؛ والتزول من غير طيش ولا اختلاط ؛ وأن يكون ظهره مستطاعاً لا أحلب ولا أوقص ؛ ويستحب فيه إذا وقف أن ينصب صدره ، ويرفع عُنقه ، ويفتح ما بين نَحْدَيْهِ شبه البازي .



ومن علامة فرأته أنه إذا طال عليه الطيران وأراد النزول على سطحه<sup>(١١)</sup> الا يَنْتَلِ رجليه حتى يقع صدره على سطحه لأنه إذا دلى ساقيه كان عيبا عظيما، يقولون : قد انحلت سراويله بمعنى أنه قد أدى جميع ما عنده من القوة والطاقة ؛ ويكره فيه دقة المفْرِز، وطولُ الذَّنْب، وتفرق الريش .

### الأمير الخامس

الفِرَاسَة في الطائر من حال صغره قبل الطيران

قالوا من علامة الطائر الفاره في صغره : أن يكون حديد النظر، شديد الجدر، خفيف الظم، قليل الريش، سريع التهضبة، كثير التلقت في الجو، متمد العظم، مستويا، لطيف الذنب، خارج المتقى، قصير الساقين، طويل الفخذين، عجلا، مذيل المتقار، مدور القراطيم، مضاعف المخارج، يلزم موضعا واحدا من صغره، إلى ازدواجه ؛ فإذا ازدوج على السطح يكون حريصا على طائرته، حسن الأخلاق معها لا يطردها طرد الكلاب، ولا يفتال غيلة الذئب، قليل الذرق، كثير الدهن، مدلا بنفسه ؛ كأنه يعلم أنه فاره . فإن كان فيه بعض هذه الخصال كانت فراسته على قدر ما فيه من ذلك .

قال أبو الحسن الكاتب : ومن علامة شهامة الفرخ أن تكون فيه الحركة وهو تحت إبيه وأمه، وكلما جمعتة لضمه تحتها، خرج من تحتها ويتعلق للفروج ؛ وأن يكون ريش رأسه كان فيه جَلما، وريش جسده وجناحه مستطيلا عند تبعه من جنده ؛ وأن يطول ريشه حتى يغطي ظهره ولا ينتشر إلا بعد ذلك ؛ وأن يكون من جؤجؤ الصدر إلى مغيزه أقصر من بطنه إلى رأس برأته .

وفي الحمام طائر يقال له : الأندم ، وصفته أن يكون أسود المتقار ليس فيه بياض ،  
ورأسه متقار وأصله سواء ، لا تحديد في رأسه ، حريص القراطم ، غليظ الشدين ،  
منشر المنخرين ، بهوي الصوت ، خائر العين ، قال أبو الحسن القواس : ولا تكون  
هذه الصفة إلا في الطائر الفاره الأصيل ، الكريم الأب والأم .

### الأمسر السادس

بيان الزمان والمكان اللاتيين بالإفراخ

أما الزمان فأصلح أوقات التأليف : أيلول ، وتشرين الأول ، وتشرين الثاني ،  
وأذار ، ونيسان ، وإيار ، فإذا وقع الإفراخ في شيء من هذه الأوقات كانت القراخ  
أقوياء ، لجباء ، أذكاء ، ونُها عن الإفراخ في كانون الأول ، وكانون الثاني ، وشباط ،  
وأب ، وعوز ، وحزيران ، فإن الذي يُفرخ فيه لا يزال ناقص البدن ، قليل الفطنة ،  
يلقى ريشه في السنة مرتين فيضعف .

وأما المكان فقد حكى عن إقليم الهندى : أن أولى ما أفرخ الحمام بالسطوح .  
وذلك أن الفرخ يخرج من القشر فيلقى خشونة الهواء وحر الموضع فيصير له عادة  
ثم لا ينهض حتى يعرف وطنه وينقلب إليه أبوه وأمه بالزق واللف فيعرف السطح  
حق المعرفة ، وينقل خلفهما فيعلمانه الصعود والهبوط ، وربما أخذه إلى الرعى  
بالصحراء فلا يكمل حتى يصير شهما عارفا بأمور الطيران ، بخلاف ما إذا أفرخ  
بالسفل فإنه يتربى تجسده على برودة التربة ولين الهواء ، فإذا كمل وترقى إلى السطح  
لقيه خشونة الهواء وقوة الحز ، فيحدث له الحز الجامد بفؤاده الكباد والدق

## الأمير السابع

في مسافة الطيران

قد تقدم أن طائرا طار من الخليج السُّطُنطِينِيَّ إلى البصرة ؛ وأن الحمام كان يُرْسَل من مصر إلى البصرة أيضا .

وذكر ابن سعيد في كتابه "جنى المحل وجنى النحل" : أن العزيز ثاني خلفاء الفاطميين بمصر ذكر لوزيره يعقوب بن كلث أن ما رأى القَرَّاصِيَّةَ البعلبكية ، وأنه يحب أن يراها ، وكان بدمشق حمامٌ من مصر وبمصر حمام من الشام ؛ فكتب الوزير رسالةً يأمر فيها مَنْ بدمشق أن يجمع ما بها من الحمام المصري ويعلق في كل طائر حَبَاتٍ من القَرَّاصِيَّةِ البعلبكية وُرْسَل ففعل ذلك ؛ فلم يمضِ النهار إلا وعنده قدر كثير من القَرَّاصِيَّةِ ، فقطع بها إلى العزيز من يومه ؛ وذكر أيضا في كتابه "المُغْرِب في أخبار المُغْرِب" : أن الوزير اليازوري المغربي وزير المستنصر الفاطمي وجه الحمام من مدينة تونس من إفريقية من بلاد المغرب إلى مصر فجاء إلى مصر .

وقد ذكر أبو الحسن القَوَّاس في كتابه في الحمام : أنَّ حماما طار من حَبَادَن إلى الكوفة ، وأن حماما طار من التُّرْتَاوَذ إلى الأُبُلَّةِ ونحو ذلك . وسيأتى الكلام على أبراج الحمام بالديار المصرية في المقالة العاشرة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

## النوع الخامس

ما يحتاج إلى وصفه من هائس الأحجار

ويحتاج الكاتب إليه من وجهين : أحدهما من حيث مخالطة الملوك ، فلابد أن يكون عارفا بصفات الجواهر وأثمانها والتقيس منها وخواصها ، لأنه ربما جرى

ذكر شيء من ذلك بحضرة ملكه ، فتكون مشاركته فيه زيادة في رفعة محله ، وعلو مقداره ، وهذا هو الذي عول عليه صاحب "مواد البيان" في احتياج الكاتب إلى ذلك .

والثاني: أن يحتاج إلى وصف شيء من ذلك مع هدية تصدر عن ملكه أو هدية تصل إليه ، مع ما يحتاج إليه من ذلك لمعرفة التشبيهات والاستعارات التي هي عمود البلاغة ؛ فمن لم يكن عارفا بأوصاف الأحجار ، ونفائس الجواهر لا يحسن التعبير عنها ؛ ألا ترى إلى تشبيهات ابن المعتز ووصفه للجواهر كيف تقع في نهاية الحسن ، وغاية الكمال لمعرفة المشاهد فهو يقول عن علم ، ويتكلم عن معرفة « وليس الخبر كالمعاينة » وقد أعنى الناس بالتصنيف في الأحجار في القديم والحديث .

فمن صنف فيه في القديم من حكماء الفلاسفة : أرسطوطاليس ، وبليوس ، وياقوس الأنطاكي .

ومن صنف فيه من الإسلاميين : أحمد بن أبي خالد المعروف بابن الخزاز ، ويعقوب بن إسحاق الكندي وغيرهما . وأحسن مصنف فيه مصنف أبي العباس أحمد بن يوسف التيفاشي ،

والذي يتعلق الغرض منه بذلك اثنا عشر صفا .

## الصنف الأول

### المؤلؤ

وهو يتكون في باطن الصنف ، وهو حيوان من حيوان البحر الملح له جلد عظمي كالخزون ، وينوص عليه الفواصون ، فيستخرجونه من قعر البحر ، ويصعدون به فيستخرجونه منه . وله مناقبات كثيرة ، إلا أن مظان النفيس منه بئرندسية

من الهند ، وبكيش ، وعمّان ، والبحرين من أرض فارس ، وأخره لؤلؤ جزيرة  
خارك، بين كيش والبحرين .

أما ما يوجد منه يبحر القزم وسائر بحار انجاز فردى، ولو كانت الدرّة منه في نهاية  
الكبر ، لأنه لا يكون لها طائل ثمن . وجيّد اللؤلؤ في الجملة هو الشفاف الشديد  
البياض، الكبير الحزم، الكثير الوزن، المستدير الشكل، الذي لا تضريس فيه ،  
ولا تفرطح، ولا أعوجاج . ومن عيوبه أن يكون في الحبة تفرطح، أو أعوجاج،  
أو يلصق بها قشر أو دودة، أو تكون مجوفة غير مصمتة، أو يكون ثقبها منسعا .

ثم من مصطلح الجوهريين أنه اذا اجتمع في الدرّة أوصاف الجوّدة، ما زاد  
على وزن درهمين ، ولو حبة يسّى دزّاء فإن نقصت عن الدرهمين ولو حبة سميّت  
حبّة لؤلؤ، وإذا كانت زتها أكثر من درهمين وفيها عيب من العيوب فإنها  
تسّى حبة أيضا ، ولابرة بوزنها مع عدم اجتماع أوصاف الجوّدة فيها . وتسّى  
الحبة المستديرة الشكل عند الجوهريين : النارة، وفي عرف العامة : المُدخّجة .  
ومن طبع الجوهر أنه يتكوّن قشورا رقاقا طبقة على طبقة حتّى لو لم يكن كذلك  
فليس على أصل الحلقة بل مصنوع

ومن خواصه أنه إذا سُحق وسُقّى مع تَمّن البقر نفع من السُّوم .

وقال أرسطوطاليس : من وقف على حل اللؤلؤ من بكاره وصغاره حتّى يصير ماء  
رَجَاجا ثم طَلّى به البرص أذهب . وقيمة الدرّة التي زتها درهمان حبة مثلا  
أو وحبّتان مع اجتماع شرائط الجوّدة فيها سبعة دنانير ، فإن كان اثنتان على هذه  
الصفة كانت قيمتهما اثني دنانير، كل واحدة ألف دينار لهما قهما في النظم ، والتي  
زتها مثقال وهي بصفة الجوّدة قيمتها ثلثانة دينار ، فإن كان اثنتان زتهما مثقال وهما

بهذه الصفة على شكل واحد لا تفريق بينهما في الشكل والصورة : كانت قيمتهما أكثر من سبعمائة دينار .

وقد ذكر ابن الطوير في تاريخ الدولة الفاطمية : أنه كان عند خلقهم دُرّة تسمى اليُتِمة زنتها سبعة دراهم تجمل على جهة الخليفة بين عينيه عند ركوبه في المواكب العظام على ما سيأتى ذكره في الكلام على ترتيب دولتهم في المسالك والممالك إن شاء الله تعالى .

ويُضَرُّه جميع الأدهان ، والمخوضات بأسرها لإسما الليمون ، ووجع النار ، والقرق ، وذفر الرائحة ، والاحتكاك بالأشياء الخشنة ؛ ويحلوه ماء حماض الأترج إلا أنه إذا أُيِّج عليه به قشره وقصّ وزنه ؛ فإن كانت صفوته من أصل تكونه في البحر فلا سبيل إلى يلائمها .

## الصنف الثاني

### الياقوت

قال بلينوس : وهو حجر ذهبي ، وهو حصي يتكون بجزيرة خلف سرنديب من بلاد الهند بنحو أربعين فرسخا ، دورها نحو ستين فرسخا في مثلها ، وفيها جبل عظيم يقال له : جبل الزاهون تُخَيَّر منه الرياح والسيول الياقوت فيلتقط ، والياقوت حصاة ؛ — وهو الجبل الذي أهبط الله تعالى عليه آدم عليه السلام — فإذا لم تُخَيَّر السيول منه شيئا عمد أهل ذلك الموضع إلى حيوان فذبجوه وسلخوا جلده وقطعوه قطعاً بكارا وتركوه في سفح ذلك الجبل فيختطفه سُور تأوي إلى ذلك الجبل فتصعد بالهم إلى أعلاه فيلصق بها الياقوت ، ثم تأخذ النور وتنزل به إلى أسفل فيسقط منه ما يلقى به من الياقوت ؛ فإذا أخذ كان لونه مظلم ثم يشف بملاقة الشمس ويظهر لونه على أي لون كان .

ثم هو على أربعة أضرب :

الضرب الأول "الأحمر" — ومنه البهرمان ؛ ولونه كلون العصفُر الشديد الحمرة  
الناصع في القوة الذي لا يشوب حمرة شائبة ؛ ويسمى : الرمان لمشايبته حب الرمان  
الرائق الحب ؛ وهو أعلى أصناف الياقوت وأفضلها وأغلاها ثمنا .

ومنه : الخيري ؛ وهو شبه بلون الخيري ؛ وهو المشور ؛ ويتفاضل في قوة الصبغ  
وضمغه حتى يقرب من البياض .

ومنه الوردى ؛ وهو كلون الورد ويتفاضل في شدة الصبغ وضمغه حتى يقرب  
من البياض .

وأردأ ألوانه الوردى الذي يضرب الى البياض ، والسماق الذي يضرب الى  
السواد .

الضرب الثاني "الأصفر" — وأعلاه الجلتارى ؛ وهو أشده صفرة ، وأكثره  
شعاعا ومائية ؛ ودونه الخلوقي ؛ وهو أقل صفرة منه ؛ ودونه الرقيق وهو قليل الصفرة  
كثير الماء ساطع الشعاع . وأردأ الأصفر ما نقص لونه ومال الى البياض .

الضرب الثالث "الأبيض" — ومنه المهاني ؛ وهو أشدها وأكثرها ماء وأقواها  
شعاعا ؛ ومنه الذكر ؛ وهو أثقل من المهاني وأقل شعاعا وأصلب حجرا ؛ وهو أدون  
أصناف الياقوت وأقلها ثمنا . وأجود الياقوت الأحمر البهرمانى والرمانى والوردى  
الير المشرق اللون الشفاف الذي لا يتفد البصر بسرعة . وعيوبه الشعرة ؛ وهى شبه  
تشقق يرى فيه ، والسوس ؛ وهو تحرق توجد فيه باطنة وملوها شئ من ترابسة  
المعسدين .

ومن أردأ صفاته قبح الشكل .

ومن خواص الياقوت : أنه يقطع كل الحجارة كما يقطعها الماس ، وليس يقطعه هو على أي لون كان غير الماس .

ومن خواصه أيضا : أنه لا يحك على خشب العُسر الذي تجلي به جميع الأحجار ؛ بل طريق جلانه أن يكسر الخبز اليابس ويحرق حتى يصير كالنورة ثم يسحق بالماء حتى يصير كأنه الغراء ثم يحك على وجه صفيحة من نحاس حجر الياقوت ؛ فينجل ويصير من أشد الجواهر صقالة .

ومن خواصه : أنه ليس لشيء من الأحجار المشقة شعاع مثله ، وأنه أنقل من سائر الأحجار المساوية له في المقدار ، وأنه يصبر على النار فلا يتكلس بها كما يتكلس غيره من الحجارة النفيسة ؛ وإذا خرج من النار برد بسرعة حتى إن الإنسان يضعه في فيه عقيب إراحه من النار فلا يتأثر به ؛ إلا أن لون غير الأمر منه كالصفرة وغيرها يتحول إلى البياض ؛ أما الحمرة فإنها تقوى بالنار ، بل إذا كان في الفص نُكْثَةٌ حمراء ؛ فإنها تَنْسُجُ بالنار وتَسُطُ في الحجر بخلاف النكتة السوداء فيه ، فإنها تنقص بالنار ، فما ذهبت حمرة النار فليس بياقوت بل ياقوت أبيض مصبوغ أو حجر يشبه الياقوت .

ومن منافع ما ذكره أرسطاطليس : أن التخم به يمنع صاحبه أن يصيبه الطاعون إذا ظهر في بلد هو فيه ، وأنه يعظم لإسه في عيون الناس ، ويسهل عليه قضاء الحوائج ، ويسير له أسباب المعاش ، ويقوى قلبه ويشجعه ، وأن الصاعقة لا تنفع على من تخم به . وإذا وضع تحت اللسان قطع العطش . وأمتعانه أن يحك به ما يشبه من الأحجار ، فإنه يبرحها بأسرها ولا تؤثر في فيه .

قال التيفاشي : وقيمة الأحمر الخالص على ما جرى عليه العرف بمصر والعراق أن الحجر إذا كان زنته نصف درهم كانت قيمته ستة مثاقيل من الذهب الخالص ؛



والجهر الذى زنته درهم قيمته ستة عشر دينارا، والجهر الذى زنته مثقال قيمته بدينارين  
القيراط، والجهر الذى زنته مثقال وثلاث قيمته ثلاثة دنانير القيراط إلى ثلاثة ونصف،  
ويزيد ذلك بحسب زيادة لونه ومائته وكبر جرمه، حتى ربما بلغ ما زنته مثقال من  
جيده مائة مثقال من الذهب إذا كان بهرمانا نهاية في الصبغ والمائية والشعاع، قد  
نقص منه بالحك كثير من جرمه، وقيمة الأصفر منه زنة كل درهم بدينارين، وقيمة  
الأزرق والمساهى كل درهم بأربعة دنانير، وقيمة الأبيض على النصف من  
الأصفر. ويختلف ذلك كله بالزيادة والنقص في الصبغ والمائية مع القرب من المعيد  
والبعد عنه.

وقد ذكر ابن الطوير في ترتيب مملكة الفاطميين: أنه كان عندهم حجر باقوت  
أحمر في صورة هلال زنته أحد عشر مثقالا يعرف بالحافر، يجعل على جبس الخليفة  
بين عينيه مع الدرة المتقدمة الذكر عند ركوبه.

### الصنف الثالث

#### البَلْخَشُ

قال في مسالك الأبصار: ويسمى اللؤلؤ.

قال ياقوت: وأتفقاده في الأصل ليكون باقوتا إلا أنه أبعد عن الياقوتية علل  
من اليئس والرطوبة وغيرهما، وكذلك سائر الأحجار الحمر. ومعدن البلخش الذى  
يتكون فيه بنواحي بلخشان. والعجم يقول: بَدْخْشان بذال معجمة وهى من بلاد  
الترك تتأخر الصين.

(١) في ياقوت: أنها في أعلى طخارستان متاخمة لبلاد الترك.

قال التيفاشي : وأخبرني من رأى معذته من التجار أنه وجد منه في المعدن حجرا  
وفي باطنه ما لم يكمل طبخه وانهقاده بعد . والمجر مجتمع عليه ؛ وهو على ثلاثة أضرب :  
أحمر مُعَرَّبٌ ، وأخضر زَبَرَجِدِيٌّ ، وأصفر ؛ والأحمر أجوده .

قال التيفاشي : وليس لجميعه شيء من خواص الياقوت ومناقمه ؛ وإنما فضيلته  
تشبه به في الصَّبْغِ والمائية والشعاع لا غير . قال : وقيمته في الجملة غالبا على  
النصف من قيمة الياقوت الجيد .

قال في مسالك الأبصار : وهو لا يؤخذ من معذيه إلا يتعب كثير وإشفاق  
زائد ، وقد لا يوجد بعد التعب والإنفاق ؛ ولهذا عز وجوده ، وغَلَّتْ قيمته ، وكثر  
طالبه ، والتفتت الأعناق إلى التحل به . قال : وأنفس قطعة وصلت إلى بلادنا  
من البَلُخْش قطعة وصلت مع تاجر في أيام العادل كتبنا وأحضرت إليه وهو يدْمَشْقُ ،  
وكانت قطعة جليظة مثلية على هيئة المُشْطِ القُدِّي . وهي في نهاية الحسن وغاية  
الجودة ، زنتها نحسون درهما ، كاد المجلس يُضَيء منها ، فأحضر الصاحبُ نعيم الدين  
الحنفى الجوهرى وسأله عن قيمتها ، فقال له نعيم الدين الجوهرى : إنما يعرف  
قيمتها من رأى مثلها ، وأنا وأنت والساطان ومن حضر لم نرمثلها فكيف نعرف  
قيمتها ؟ فأعجب بكلامه ، وصالح عليها صاحبها .

### الصنف الرابع عَبَبُ الْمِرِّ

قال التيفاشي : وهو في معنى الياقوت إلا أن الأعراض المقتصرة به أضعفته  
عن الياقوتية ، ولذلك إنما يوجد في معدن الياقوت المتقدم ذكره ؛ ونخرجه الرياح  
والسيول كما تُخْرَجُ الياقوت على ما تقدم ، قال : ولم أجده في كتب الأحجار ، وكأنه

تحدثُ الظهور بأيدى الناس ، والغالب على لونه الياض بإشراق عظيم ومائية رفيقة شفافة، إلا أنه ترى في باطنه نكتة على قدر ناظر المير الحامل للنور المتحرك في قُصّ منته، وعلى لونه - على السواد - وإذا تحرك القُصّ الى جهة، تحركت تلك النكتة بخلاف جهته، فإن مال إلى جهة اليمين، مالت النكتة إلى جهة اليسار وبالعكس، وكذلك الأعلى والأسفل، وإن كسر الحجر أو قطع على أقل جزء، ظهرت تلك النكتة في كل جزء من أجزائه، ولذلك يسمى : عين المهر .

وأجوده ما أشتدّ بياض أبيضه وشفيفه، وكثرت مائية النكتة التي فيه مع سرعة حركتها وظهور نورها وإشراقها، ولا يخفى أن حُسْنَ الشكل وكثرة الجسم يزيدان في قيمته كسائر الأحجار .

قال التيفاشي : والمشهور من منافع عند الجمهور أنه يحفظ حامله من أعين السوء . ونقل عن بعض ثقاة الجواهرين : أنه يجمع سائر الخواص التي في الياقوت البهرمانى في منافعه، ويزيد عليه ألا يتقصّ مال حامله ولا تعثره الآفات، وأنه إذا كان في يد رجل وحصر مصافّ حرب وهزم حربه فالتقى نفسه بين القنصل رآه كل من يتربه من أعدائه كأنه متول متشعّط في دمه؛ وإن ثمنه بالهند مع قُرب معدنه أغل من ثمنه ببلاد المغرب بكثير، لعلمهم بخواصه؛ وقيّمته تختلف بحسب الرغبة فيه؛ وإذا وقع ببلاد المغرب بيع المثقال منه بخمسة دنانير، ويزيد على ذلك بحسب الغرض .

وذكر التيفاشي عن بعض التجار أن هجرا منه يبع في المغرب من بلاد الهند بمائة ونحسين ديناراً، وأنه يبع منه هجر ببلاد القُرُس بسبعائة دينار .

## الصنف الخامس

## الماس

قال بليزوس في كلاب الأحجار: وأبتدأ في معدنه لينتقد ذهباً، فأبعدته العوارض من ذلك؛ وهو يتكوّن في معدن الياقوت المقتّم ذكره، وتخرجه الرياح والسيول من معدنه كما تخرج الياقوت؛ وهو ضربان: أحدهما أبيض شديد البياض يشبه البوريسمى البورى لذلك؛ والثاني يخالط بياضه صفرة فيصير كونه الزجاج النعرونى، ويعبر عنه: بالزريق .

قال الكندي: والذي عاينته من هذا الحجر ما بين الخردلة الى الجوزة ولم أر أعظم من ذلك .

ومن خواصه: أنه يقطع كل حجر يمز عليه؛ وإذا وضع على سندال حديد ودق بالمطرقة لم ينكسر، وفاض في وجه السندال والمطرقة وكسرها، ولا يلتصق بشيء من الأجساد إلا هنيئاً، ويحوّ النقوش التي في الأحجار كلها؛ وإنما يكسر بأحد طريقين: أحدهما أن يُجعل داخل شيء من الشنع ويدخل في أنبوب قصب وينقر بمطرقة أو غيرها برفق بحيث لا يباشر جسمه الحديد، فينكسر حينئذ؛ أو يجعل في أنسرب وهو الرصاص ويفعل به ذلك فيكسر أيضاً .

ومن خواصه: أن الذباب يشتهي أكله لما سقطت منه قطعة صغيرة إلا سقط عليها الذباب وأبتلعها أو طار بها؛ ومتى أبتلع منه الإنسان قطعة، ولو أصغر ما يكون حرقّت أمعاه وقتلته على الفور .

قال أرسطوطاليس: وبينه وبين الذهب عجة يشبهه به حيث كان .

ومن خاصته: أن كل قطعة تؤخذ منه تكون ذات زوايا قائمة الرأس: يست زوايا وثمان زوايا وأكثر؛ وأقله: ثلاث زوايا، وإذا كسر لا ينكسر إلا مثلثاً،

وبه يتقب البز والياقوت والزمرد وغيرها من جميع ما لا يعمل فيه الحديد من  
الأحجار كما يتقب الحديد الخشب، بأن يُرْكَب في رأس منقار حديد منه قطعة بقدر  
ما يراد من سعة الثقب وضيقه ثم يتقب به، فيتقب بسرعة .

ومن منفعتة فيما ذكره أرسطوطاليس : أن مَنْ كان به الحصاة الحادثة في المثانة  
في مجرى البول إذا أخذ حبة من هذا الحجر والصقها في مِرْوَدِ ثَمَّاسِ بِمِصْطَكِي  
الصفاق مُحْكَمًا ثم أدخل المِرْوَدَ إلى الحصاة فأنها تثقبها .

قال أحمد بن أبي خالد : وبذلك عالج وصيفا الخادم من حصاة أصابته  
وأمتنع من الشق عليها بالحديد .

وقال ابن بوسطر : وإذا حُلِقَ على البطن من الخارج نفع من المقيس الشديد،  
ومن فساد المعدة . وقيمتة الوُسْطَى فيما ذكره التيفاشي أن زنة قيراط منه دينارين .  
وتقل عن اليكندى : أن أغلى ما شاهد منه ببغداد المنقال بمائتين ديناراً، وأرخَصَ  
ما شاهد منه ببغداد أيضاً المنقال بنمسة عشر ديناراً، وأنه إذا بدت منه قطعة كبيرة  
تصلح لفَصٍّ قدر نصف مثقال يضاعف ثمنها على ما هو قدر الحردلة أو الفلقلة  
ثلاثة أضعاف وأربعة وخمسة .

## الصف السادس

### الزمرد

يقال — بالذال المعجمة والمهملية — قال بلينوس : والزمردُ ابتداءً لينعقد ياقوتاً،  
وكان لونه أحمر إلا أنه لشدة كثافة الحمرة بعضها على بعض مرَّضَ له السواد،  
وأمتزجت الحمرة والسواد فصار لونه أخضر . ومعدنه الذي يتكوَّن فيه في الصخور

بين بلاد مصر والسودان خلف أسوان من بلاد الديار المصرية ، يوجد في جبل هناك مجتمد كالجسرفه معادن .

قال في مسالك الأبصار : ويته وين قوص ثمانية أيام بالسير المعتدل ، ولا عمارة عنده ولا حوله ولا قريبا منه ، والماء عنده على مسيرة نصف يوم أو أكثر في موضع يعرف بغدير أعين . فنه ما يوجد قطعاً صناعاً كالخصى منبتة في تراب المدين وهي القصوص ، وربما أصيب العرق منه متصلاً فيقطع وهو القصب ؛ وهو أجوده .

قال في مسالك الأبصار : وتلك العروق منبتة في حجر أبيض تستخرج منه بقطع الجبر . قال التيفاشي : ويوجد على بعضه تربة كالكمحل الشديد السواد ، وهو أشده خضرة وأكثره ماء . وقد ذكر المؤيد صاحب حماء في تاريخه : أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله لما استولى على قصر الفاطميين بعد موت العاضد ، وجد فيه قصبة من دُمر طولها أربعة أذرع أو نحوها . وهو على ثلاثة أضرب :

الأول "الذبابي" — وهو شديد الخضرة ، لا يشوب خضرتة شيء آخر من الألوان من صفرة ولا سواد ولا غيرهما ، حسن الصبغ ، جيد المسائية ، شديد الشعاع ، ويسمى : ذبابيا ، لمشابهة لونه في الخضرة لون كبار الذباب الأخضر الربيعي ؛ وهو من أحسن الألوان خضرة وبصيصا .

قال في مسالك الأبصار : وهو أقل من القليل بل لا يكاد يوجد .

الثاني "الريحاني" — وهو مفتوح اللون ، شبه بلون ورق الزيتون .

الثالث "السلقي" — وخضرتة أشبه شيء بلون السلقي .

الرابع "الصابوني" — ولونه كلون الصابون الأخضر .

قال في "مسالك الأبصار" : وإذا أخرج الزمرد من المعدن جليل في زيت الكتان ثم لف في قطن وصرف في خرفة تكان ونحوها ولم يزل العمل في هذا المعدن إلى إنشاء الدولة الناصرية بمحمد بن قلاوون فترك لكثرة كلفته .

وأفضل أنواعه وأشرفها : الذبابي ، ويزداد حسنه بأكبر الحرم ، وأستواء القصبه ، وعدم الأعوجاج فيها . ومن عيوب الذبابي : اختلاف الصبغ بحيث يكون موضع منه مخالفا لموضع الآخر ، وعدم الاستواء في الشكل ، والتشعير ، وهو شبه شقوق خفية إلا أنه لا يكاد يخلو منه ، والرخاوة ، وخفة الوزن ، وشدة الملاسة والصقال والنومة ، وزيادة الخضرة والماتية إذا ركب على البطانة ، وهو يخل بالنار ويتكلس فيها ولا يثبت ثبات الياقوت .

ومن خاصية الذبابي التي أمتاز بها عن سائر الأحجار : أن الأفاعي إذا نظرت إليه ووقع بصرها عليه أفتقت عيونها ، قال التيفاشي : وقد جربت ذلك في قطعة زمرد ذبابي خالص فحصلت أفي وجعلتها في طشت والصقته بشمع في رأس سهم وقربته من عينها فسمعت قعقة خفية كما في قتل صواية ، فنظرت إلى عينها فاذا هما قد برزتا على وجهها وضعفت حركتها وبهذه الخاصية يمتحن الزمرد الخالص من غيره كما يمتحن الياقوت بالصبر على النار .

ومن منافعه : أن من أذعن نظره أذهب عن بصره الكلال ، ومن تحتم به دفع عنه داء الصرع إذا كان قد لبسه قبل ذلك ، ومن أجل ذلك كانت الملوك تعلقه على أرواحها ، وإذا كان في موضع لم يقربه ذوات السموم ، وإذا نُحِل منه وزن ثمان شعيرات وسقيته شارب السم قبل أن يعمل السم فيه ، خلصته منه ، وإذا تحتم به من به نقت الدم أو إسباله منع من ذلك ، وإذا علّق على المعدة من خارج نفع من وجعها ، وشرب حكاكته ينفع من الجذام .

وقيمة الذبابي الخالص في الحجر الذي زنته درهم : أربعة دنائير القيراط ، ويتضاعف بحسب كبره ، وينقص بحسب صغره ؛ إلا أنه لا ينقص بالصغر نقص غيره من الأحجار لوجود خاصيته في الكبير والصغير والمؤوج والمستقيم . أما بقية أصناف الزمرد فإنه لا قيمة لها يعتد بها لعدم المنافع الموجودة في الذبابي .

### الصنف السابع

#### الزمرد

وهو حجر أخضر يتكون في معادن الزمرد ؛ ولذلك يظنه كثير من الناس نوعاً منه إلا أنه أقل وجوداً من الزمرد .

قال الثيافلي : أما في هذا الزمان فإنه لا يوجد في المعادن أصلاً ، وإنما الموجود منه بأيدي الناس فصوص تستخرج بالنش من الآثار القديمة بالإسكندرية ؛ وذكر أنه رأى منه فصاً في يد رجل أخبره أنه استخرجه من هناك ، زنته درهم ، لا يكاد البصر يقبل عنه لرقه مائه وحسن صفائه .

وأجوده : الأخضر المعتدل الخضر ، الحسن المائية ، الرقيق المستشف ، الذي ينفذه البصر بسرعة ؛ ودونه الأخضر المفتوح اللون ؛ وليس فيه شيء من خواص الزمرد إلا أن إيمان النظر إليه يحلو البصر . وقيمة خالصه نصف درهم بدنيار .

### الصنف الثامن

#### القيروذج

وهو حجر نحاسي يتكون في معادن النحاس من الأبحرة الصاعدة منها ، إلا أنه لا يوجد في جميع معادن النحاس ؛ ومعده الذي يوجد فيه ينسب بؤره ، ومنه يجلب إلى سائر البلدان ؛ ومنه نوع آخر يوجد في نساور إلا أن النيسابوري خير منه .



وهو ضريان : بساق<sup>(١)</sup> وختيجي<sup>(٢)</sup> ، واتخالص منه العتيق هو البسحاق ؛

وأجوده : الأزرق الصافي اللون ، المشرق الصفاء ، الشديد الصقالة ، المستوى الصبيغ ، وأكثر ما يكون فصوصا ؛ وذكر الكندي أنه رأى منه حجرا زنته أوقية ونصف .

ومن خاصته : أنه يصفو بصفاء الجؤ ويكثر بكثرته ؛ وإذا مسه الدهن أذهب حسنه وغير لونه ؛ والعرق يطفى لونه ، والمسك إذا بشره أفسده وأذهب حسنه ؛ وإذا وضع الفص الجيد منه إلى جانب ما هو دونه في الجودة أذهب بهجته ؛ وإذا وضع إلى جانب الدهن غلب الدهن على لونه فأذهب بهجته ، ولو كانت الفص الغير وزج في غاية الحسن والجودة .

ومن منافعه : أنه يحلو البصر بالنظر إليه ؛ وإذا سحق وشرب نفع من لدغ المقارب . وقيمته تختلف باختلاف الجودة اختلافا كثيرا فربما كان الفصان منه زنتهما واحدة وثن أحدهما دينار وثن الآخر درهم .

وبالجملة : فالختيجي الجيد على النصف من البسحاق الجيد .

قال التيفاشي : وأهل المغرب أكثر الناس له طلبا وأشتهم في ثمنه مغالة ، وربما بلغوا بالفص منه عشرة دنانير مغربية ، ويحرصون على التحق به ، وربما زعموا أنه يدخل في أعمال الكيمياء .

(١) في مفردات ابن اليطار : سباجي ، ولعل ما في الأصل تصحيف .

## الصنف التاسع

## الدُّنَج

وقد ذكر أرسطوطاليس : أنه أيضا حجر نحاسي يتكوّن في معادن النحاس يرتفع من أنجرتها ويشعّد، لكنه لا يوجد في جميع معادن كُزْمَان وبيجستان من بلاد فارس . قال : ومنه ما يؤتى به من غار بجي سلّيم من بركة المغرب ، في مواضع أخرى كثيرة . وأجود أنواعه أربعة : وهي الافرندي ، والهندي ، والكُزْمَاني ، والكركي ، وأجوده في الجبلّة الأخضر المُشعّج الخضرة ، الشبه اللون بالزُّمُرّد ، معزق بحضرة حسنة ، فيه أهلةٌ وعيونٌ بعضها من بعض حسان ، وأن يكون صلباً ألسن يقبل الصّقاله .

ومن خاصته في نفسه : أن فيه رخاوةً بحيث إنه إذا صنع منه آنية أو نُصب للسكاكين ومرت عليه أعداد سنين ، ذهب بُوره لرخاوته وأخجل ، ولذلك إذا حُكَّ أخلك سريما ، وإذا خرط خرزا أو أواني أو غير ذلك كان في خرطه سهولة ، وإذا وقع في الزيت آشتدت خضرته وحسن ، فإن غُفِّل عنه حتّى يطول لبثه في الزيت مال إلى السواد .

ومن منافعه : أنه إذا مسح به على مواضع لدغ العقرب سكنه بعض السكون ، وإذا سحق منه تبيّ وأذيب بالخل وذلك به موضع القوبة الحادثة من المِرّة السوداء أذهبها .

ومن عجيب : خواصه أنه إذا سقى من مُحاثته شارب سُم نفعه بعض النفع ، وإن تيرب منه من لم يترب سماً كان سماً مقرباً يَنقُطُ الأمعاء ، ويُلهِبُ البدن ، ويحدث فيه سماً لا يبرأ سريما ، لا سماً إذا حُكَّ بمجذبة ، ومن أسكه في فيه ومصه

أضر به . وقيمته أن الأفریدی الخالص منه كل مثقال يمثقالين من الذهب ، ويوجد منه فصوص وغيرها . وقد ذكر يعقوب بن إسحاق الكندي : أنه رأى منه صحيفة تسع ثلاثين رطلا .

## الصف العاشر

### البور

قال بلينوس : وهو حجر بورق وأصله اليوقرية إلا أنه قعدت به أعراض عن بلوغ رتبة الياقوت ، وقد اختلف أصحاب الشافعية رحمهم الله في نقاسته على وجهين : أحدهما أنه من الجوهر النفيس كالياقوت ونحوه ، والثاني أنه ليس بنفيس لأن نقاسته في صلبته لا في جوهره .

ويوجد بأماكن ، منها برية العرب من أرض الحجاز وهو أجوده ، ومنه ما يرقى به من الصين وهو دونه ، ومنه ما يكون ببلاد الفرنجة وهو في غاية الجودة ، ومنه معادن توجد بأرمينية تحيل إلى الصفرة الزجاجية .

وقد ذكر الثيفاني : أنه ظهر في زمنه تمديد منه بالقرب من مراكش من المغرب الأقصى إلا أن فيه تشعيرا ، وكثر عندهم حتى فرش منه ملك المغرب مجلس كبير ، أرضا وحيطانا . وقيل عن بعض التجار : أن بالقرب من غزنة من بلاد الهند على مسيرة ثلاثة عشر يوما منها بينا وبين كاشغر جبلين من بلور خالص مطلقين على واد بينهما ، وأنه يقطع في الليل لتأثير شعاعه إذا طلعت عليه الشمس بالنهار في الأرض ؛ وأجوده : أصفاه وأماه وأشنه وأبيضه وأسلمه من التشعير ، فإن كان مع ذلك كبير الحجم - آنية أو غيرها - كان غاية في نومه .

وقد ذكر الكندي : أن في البلور قطعا تخرج كل قطعة منه من المعدن أكبر من مائة من . ونقل الـتيفاشي : أنه كان بقصر شهاب الدين الفوري صاحب غرة أربع خواب لـاء كل خابية تسع ثلاث رَوَايا ماء على محامل من بلور ، كل محل ما بين ثلاثة قناطير الى أربعة ؛ وذكر أيضا أنه رأى منه صورة ديك مخروط من صنعة الفرج إذا صب فيه الشراب ظهر لونه في أظفار الديك .

ومن خاصيته : ما ذكره أفرسطس الحكيم أنه يلوب بالنار كما يلوب الزجاج وبقل الصبغ .

ومن خاصته أيضا : أنه إذا استقبل به الشمس زووجه موضع الشعاع الذي يخرج منه الى نـرقية سوداء احترقت وظهر فيها النار .

ومن منافعه : أن من تحتم به أو طقه عليه يرمثام سوء . وقيته تختلف بحسب كبر آيته وصغرها وإحكام صنعتها .

قال الـتيفاشي : وبالجملة فالقطعة التي تحمل منه رطلا إذا كانت شديدة الصفاء مثالة من التـشعير ، تساوي عشرة دنانير مصرية .

## الـصنف الحادي عشر

### المزجيات

وهو حجر أحمر في صورة الأشجار المتشعبة الأغصان ، ومعدنه الذي يتكون فيه بموضع من بحر القلزم بساحل إفريقية ، يعرف بموسى الخرز ، ينبت بقاعه كما ينبت النبات ، وتعمل له شبلـة قوية متقلبة بالرصاص ، وتدار عليه حتى يلتف فيها ، ويحب

(١) غراده : وزن ولكنه كثيرا ما يحصل بعض ثقات العامة .

جذباً عنيفاً يقطع فيها المرجان . وربما وجد ببعض بلاد الفرنجة إلا أن الأكبر والأكثر والأحسن بمربى الخرز؛ ومنه يجلب إلى بلاد المشرق .

ولأهل الهند فيه رغبة عظيمة ؛ وإذا استخرج حك على رَسَن الماء ؛ ويميل بالسَّبَاجِ المعجون بالماء على رُخَامَةٍ فيظهر لونه ويمحى ؛ ويشق بالفولاذ أو الحديد المسقى .

وأجوده ما عظم جرمة ، وأستوت قصباته ، وأشدت حرته ، وسلم من التوسيس — وهو عروق توجد في باطنه حتى ربما كان منه شيء خاوٍ كالعظم — وأردؤه ؛ ما مال منه إلى البياض أو كثرت عقدته وكان فيه تشطيب ، ولا سبيل إلى سلامته من العقد لوجود التشعب فيه ؛ فإن اتفق أن تقع منه قطعة مُصَنَّعة مستوية لأعقد فيها ولا تشطيب كانت في نهاية الجودة .

وقد يوجد منه قطع يكاد تجعل إلى صاحب إفريقية فيعمل له منها دوى وأنصبة سكاكين .

قال التيفاشي : رأيت منها عجرة طول شبر ونصف ، في عرض ثلاث أصابع ، وارتفع مثلها بنطائها في غاية الجمرة وصفاء اللون . وقد ذكر ابن الطوير في تاريخ الدولة الفاطمية بالديار المصرية وترتيبها : أنه كان خلفاء الفاطميين قوة من المرجان تحمل مع الخليفة إذا ركب في المواكب العظام أمام راجب على فرس ، كما سيأتي ذكره في الكلام على المسالك والممالك في المقالة الثانية فيما بعد إن شاء الله تعالى .

ومن خاصته في نفسه : أنه إذا أُلقي في الخل لَانَ وأبيض ، وإن طال مكنه فيه كحل ، وإذا أخذ منه خاتم أو ضربة ولبس جميعه بالشمع ثم هش في الشمع بإبرة بحيث ينكشف حرم المرجان وجعل في خل الخمر الحاذق يوماً وليلة أو يومين

وليتين ثم أخرج وأذيل عنه الشمع ظهرت الكتّابة فيه حفراً بتأثير انحلل فيه، وبقيّة  
الخلّاق على حاله لم يتغير .

قال التيفاشي : وقد جربنا ذلك مراراً . ونفى ألقى في الدهن ظهرت حمرة  
وأشرق لونها .

ومن منافعها فيما ذكره الاسكندر : أنه إذا علق على المصروع أو من به التقرّص  
نفعه ؛ وإن أحرق وأسقن به زاد في بياض الأسنان وقلع الحفر منها وقوى اللثة ؛  
وطريق إحراقه أن يجعل في كوز فخار ويطين رأسه ويوضع في ثور ليلة . وإذا سحق  
وشربه من به عسير البول نفعه ذلك ؛ ويحلل أورام الطحال بشره ؛ وإذا علق على  
المعدة نفع من جميع علالها كما في الزمرد ؛ وإذا أحرق على ما تقدم وشرب منه  
ثلاثة دواقي مع دايق ونصف صمغ عربي بياض البيض وشرب بماء بارد نفع من  
نقص الدم .

قال التيفاشي : وقيمتها بإفريقية عشية الزحل المصري من خمسة دنانير إلى سبعة  
مغربية، وهي بقدر دينارين إلى ما يقاربهما من الذهب المصري، وبالإسكندرية  
على ضعف ذلك وثلاثة أضعافه؛ ومن الإسكندرية يحمل إلى سائر البلاد؛ ويختلف  
سعره بحسب قرب البلاد وبعدها، وقلّته، وكثرتها، وصغره، وجودته، ووراءه،  
وحسن صنّعه .

## الصف الثاني عشر

### البازهر الحيواني

وهو حجر خفيف هش . وأصل تكوينه في الحيوان المعروف بالأيل بنجوم الصين؛  
وإن هذا الحيوان هناك يأكل الحيات، قد أعتاد ذلك غذاء له، فيحدث عن ذلك  
وجود هذا الحجر منه على ماسياتي بيانه؛ وقد اختلف الناس في أي موضع يكون

من هذا الحيوان ، فقيل : إنه يتكوّن في مآقي عيبيه من الدموع التي تسقط من عيبيه عند أكل الحيات ، ويربّي الجحر حتّى يكبرَ فيَحْتَكُ فيسقط عنه ؛ وقيل : يكون في قلبه فيصاّد لأجله ويذبح ويستخرج منه ؛ وقيل : في مرارته .

قال أرسطاطاليس : وله ألوان كثيرة منها : الأصفر والأخضر المُشْرَبُ بالحمرة والمشرّب بالبياض . وأعظم ما يوجد منه من يتمال إلى ثلاثة مناقيل .

وأجوده : الخالص الأصفر الخفيف الهشّ ؛ ويستدلّ على خلوصه بكونه ذا طبقات رقائق متراكبة كما في اللؤلؤ ؛ وبه نقط خفية سود ؛ وأن يكون أبيض المحكّ مرّ المذاق .

قال التيفاشي : وكثيرا ما يُفَسّ فتصنع حجارة صفار مطبقة من أشياء مجموعة تشبه شكل البادزهر الحيواني ، ولكنها تميز عن البادزهر الحقيقي بأن المصنوع أخضر كيمد اللون ساذج غير منقط ؛ والبادزهر الحقيقي الخالص : أصفر أو أخضر بصفوة فيه نقط صفار كالمشمس ، وطبقاته أرقّ من طبقات المصنوع بكثير ، وهو أحسن من المصنوع ، وأهشّ ومَحْكَة أبيض .

ومن خاصته في نفسه : أن أَحْكَاكَه بالأجسام الخشنة يَحْسَنُه ويغير لونه وسائر صفاته حتّى لا يكاد يعرف . وقد ذكر التيفاشي : أنه كان معه حجر منه ، فجعله مع ذهب في كبس وسافر به فاحتك بالذهب فتغير لونه . ونقص وزنه حتّى ظنّ أنه غير عليه ؛ وأنه ربطه بعد ذلك في خريقة وتركه أياما فعاد في الصفة إلى ما كان ، إلا أنه بقيّ على نقص ما ذهب منه .

ومن منافعه : دفع السموم القاتلة وغير القاتلة ، حارّة كانت أو باردة ؛ من حيوان كانت أو من نبات ؛ وأنه ينفع من عضّ الحوام ونهشها ولدغها ؛ وليس في جميع

الأحجار ما يقوم مقامه في دفع السموم . وقد قيل : إن معنى لفظ يادزهر : الثاني  
 قسم ؛ فإذا شرب منه المسموم من ثلاث شعيرات إلى أثنى عشرة شعيرة مسحوقة  
 أو مسحوقة أو معكوكاة على الميزيد زيت الزيتون أو بالماء أخرج السم من جسده  
 بالرقى ؛ وخلصه من الموت . وإذا سحقي وئذ على موضع النخسة جنب السم إلى  
 خارج وأبطل فصله .

قال ابن جهم : وإن حاك منه على مسن في كل يوم وزن نصف داني وسقته  
 الصحيح على طريق الاستعداد والاحتياط فأوم السموم القتالة ولم تخش له غائلة  
 ولا إثارة خلط . ومن تحتم منه يوزن أثنى عشرة شعيرة في قص خاتم ثم وضع ذلك  
 القص على موضع اللدغة من العقارب وسائر الحوام ذوات السموم نفع منها نقما  
 بها ؛ وإن وضع على فم الملدوخ أو من سقى سما نفعه .

قلت : هذه هي الأحجار النفيسة الملوكية التي تلتفت الملوك اليها وتعنى بشأنها ؛  
 أهمها من الأحجار كالنفش ، والعقيق ، والجَزَع ، والمِفْطاطيس ، واليشم ،  
 والسيح ، والألأزورد ، وغيرها مما ذكره المصنفون في الأحجار فلا أعتدأ به ولا نظر  
 إليه وذلك أهملت ذكره .

### النوع السادس

#### نفس الطيب

ويحتاج الكاتب إلى وصفه عدد وصوله في مدينة وما يجري تجرى ذلك ؛ والمعتبر  
 منه أربعة أصناف :



## الصف الأول

### للمسك

وهو أجملها . قال محمد بن أحمد التيمي الملقب في كتابه "طبيب العروس" :  
وأصل المسك من دابة ذات أربع ، أشبه شيء بالطي الصغير ، قيل : لما قرن واحد ،  
وقيل : قرنان ، غير أن له نابين رقيقين أبيضين في فكه الأسفل خارجين من فيه قائمين  
في وجهه كالخزير .

قال بعض أهل المعرفة بالمسك : وهو فضل دعوى يجتمع من جسمها إلى  
سرتها ، بمنزلة المواد التي تنصب إلى الأعضاء في كل سنة في وقت معلوم ، فيقع الورم  
في سرتها ويجمع إليها دم غليظ أسود فيشتد وجعها حتى يمسيك عن الرعي وورود  
المياه حتى يسقط عنها .

ثم قيل : إن تلك الطباء تصاد وتذبح وتؤخذ سررها بما عليها من الشعر ، والمسك  
فيها دم عتيق ، وهي النواخ ، فإن كانت النابغة كثيرة الدم آكثى بما فيها ، وإن  
كانت واسعة قليلة الدم زيد فيها من غيرها ، ويصب فيها الرصاص المذاب وتحاط  
بالخوص وتعلق في حلق مستراح أربعين يوما ، ثم تخرج وتعلق في موضع آخر حتى  
يتكامل جفافها وتشتد رائحتها ، ثم تصير النواخ في مزاول صغار وتحيطها الخجار  
وتجملها ، وقيل : أنه ينفي لهذه الطباء حين يمرض لها هذا العارض بناء كالمنارة  
في طول عظم الذراع تأتي الطباء فتحك سررها بذلك البناء فتسقط النواخ ، حتى أنه  
يوجد في تلك المراغة الوف من النواخ ما بين رطب وجامد .

ثم قيل : إن هذه الطباء توجد بمقاربات بين الصين وبين التبت والمهند من بلاد  
الترك ، وإن أهل التبت ينقطعون ما قرب بهم ، وقد قيل : إن المسك يحل إلى التبت  
من أرض بينها وبين التبت مسيرة كجور .

وبالجملة فإنه تختلف أسماء أنواعه باختلاف الأماكن التي ينسب إليها ؛ إما باعتبار أصل وجوده فيها ، وإما باعتبار مصيره إليها .

وأجوده في الجملة : ما طاب مرعى ظيئه ، ومرعى ظليائه النبات الذي يتخذ منه الطيب كالسبل ونحوه ؛ ولا يخفى أن بعض نبات الطيب أطيب وأرحم من بعض ، حتى يقال إن منه ما رائحته كرائحة المسك . وقيل أجوده : ما بكل في الظي قبل ينوته عنه .

وقال أحمد بن يعقوب : وأجود المسك في الرائحة والنظر ما كان تَفَاحِيًا تشبه رائحته رائحة الفلاح اللباني ، وكان لونه يغلب عليه الصفرة ، ومقاديره وسطا بين الحلال والرقاق ، ثم ما هو أشد سوادا منه إلا أنه يقاربه في الرأي والمنظر ، ثم ما هو أشد سوادا منه ، وهو أذناه قدرا وقيمة . قال وبلغني عن تجار الهند : أن من المسك صنفين آخرين يُخَذَّان من نبات أرض : أحدهما لا يفسد بطول المكث ، والثاني يفسد بطول المكث ؛ والمشهور منه عشرة أصناف .

ونحن نورد هنا على ترتيبها في الفضل مقدما منها في الذكر الأفضل فالأفضل على ما رتبته أحمد :

الأول : الثبتي - وهو ما حمله التجار من الثبت إلى نراسان على الظهر لطيب مرعاه وحمله في البر دون البحر .

الثاني : الصندي - وهو ما حيل من الصند من بلاد الترك على الظهر إلى نراسان .

الثالث : الصيني - وإنما قصصت رتبته لأن مرعاه في الطيب دون مرعى الثبتي ، ولما يلحقه من حقونة هواء البحر بطول مكثه فيه . وأفضل الصيني : ما يرق به من خانفو ، وهي مدينة الصين العظمى ، فيها ترمو مراكب تجار المسلمين ، ومنها

يحمل في البحر إلى بحر فارس؛ فإذا قرب من بلد الأبلّة أرتفعت رائحته؛ وإذا خرج من المركب جادت رائحته ونهبت عنه رائحة البحر.

الرابع: الهندي - وهو ما يحمل من التّبّ إلى الهند ثم يحمل من الهند إلى الديبل ثم يحمل في البحر إلى سيراّف من بلاد العم، ومخالف من البحرين، وعدن من اليمن، وغيرها من النواص؛ وسبب انحطاط رتبته عن الصيني وإن كان من جنس الثّني مع أنه أقرب مسافة من الصيني ما ذكره المسعودي: أنه إذا حمل إلى الهند أخذته كفرة الهند فطأخوه على أصنامهم من العام إلى العام ثم يبدّلونه بغيره؛ ويبيعه سدنة الأصنام، فيطول مكنيته على الأصنام تضعف رائحته؛ على أن محمد بن العباس قد فضل الهندي على الصيني لقرب مسافة حمله في البحر.

الخامس: القنباري - ويؤتى به من بلد تسمى قنبار بين الصين والتّبت.

قال أحمد بن يعقوب: وهو مسك جيد إلا أنه دون التّبي في القيمة، والجوهر، واللون، والرائحة. قال: وربما غلطوا به فنسبوه إلى التّبي.

السادس: الطفرغزي - وهو مسك رزين يضرب إلى السّود، يؤتى به من أرض الترك الطفرغز - وهم التتر - وهو بطل السحق، ولا يسم من الخشونة إلا أنهم ربما غلطوا به أيضا.

السابع: القصارى - ويؤتى به من بلد يقال لها القصار بين الهند والصين.

قال ابن يعقوب: وقد يلحق بالصيني إلا أنه دونه في الجوهر والرائحة والقيمة.

الثامن: الجزيري - وهو مسك أصفر حسن الرائحة، يشابه التّبي إلا أن فيه زعارة.

التاسع : الجليج - وهو مسك يؤتى به من السيد من أرض الموليان، وهو كبير التوالج حسن اللون إلا أنه ضعيف الرائحة .

العاشر : المعمارى - وهو أضعف أصناف المسك كلها وأدناها قيمة، يخرج من النابغة التي زيتها أوقية زنة درهم واحد من المسك .

قلت : أما المسك الناري فإنه منسوب إلى دارين، وهي جزيرة في بحر فارس معروفة من بلاد البحرين ترسوا إليها مراكب تجار الهند، ويحمل منها إلى الأقطار وليست بمثل المسك .

## الصف الثاني

### العنبر

قال محمد بن أحمد التيمي : والأصل الصحيح فيه أنه ينبع من مَحْشُور ومَحْشُور في الأرض ، يجتمع في قرار البحر، فإذا تكاثف اجتذبه الدعانة التي هي فيه على أقطافه من موضعه الذي تعلق به ، وطفاً على وجه الماء وهو حار ذائب فتقطعه الريح وأمواج البحر قطعاً كباراً وصغاراً فتربى به الريح إلى السواحل ، لا يستطيع أحد أن يدنو منه لشدة حره وفورانه ، فإذا أقام أياماً وضربه الهواء جرد ، فيجمعه أهل السواحل .

قال أحمد بن يعقوب : وربما ابتلته سمكة عظيمة يقال لها : الكيال وهو فائر فلا يستقر في جوفها حتى تموت فتطفو ويطرحها البحر إلى الساحل فيشق جوفها ويُسْتَفْرَج منها، ويسمى : العنبر السمكي، والعنبر المبلوغ .

قال التيمي : وهو في لونه شبيه بالنار، رديء في الطيب السجوكة التي يكتسبها من السمك . قال : وربما طرح البحر القطعة العنبر فيجرها طائر أسود كالقطائف

فيرغب عليها بمناحيه ، فإذا سقط عليها ليختطف بمقاربه منها تعلق مقاربه ومغاليبه بها فيموت ويبلى ويبقى مقاربه ومغاليبه فيها ، ويعرف : بالعبر المتأقبرى .

قال التيمي : ولأهل سواحل البحر التي يوجد بها العبر يجب يركبونها مؤذبة تعرف العبر ، يسرون عليها في ليل القمّر على شاطئ البحر ، فإذا رأت العبر وفد ثم راكبها أو غفلت بركت بصاحبها حتى يذل عنها فيأخذها .

قال التيمي : واللوان العبر مختلفة ، منها : الأبيض ، وهو الأشهب ، والأزرق ، والأرمادي ، والجزازي ، وهو الأبرش ، والصفايح وهو الأحمر ، وهما أدنى العبر قدرا . قال : وأفضل العبر وأجوده ما جمع قوة رائحة وذكاء بغير زعارة .

قال أحمد بن يعقوب : وأنواع العبر كثيرة ، وأصنافه مختلفة ، ومعادنه متباينة ، وهو يتفاضل بمعادنه ويجوهره ، والذي وقفت على ذكره منه ستة أضرب :

الأول : الشخري . وهو ما يقذفه بحر الهند إلى ساحل الشحر من أرض اليمن . قال : وهو أجود أنواع العبر ، وأرفعه ، وأفضله وأحسنه لونا ، وأصفاه جوهرًا وأغلاه قيمة .

الثاني : الزنجي . وهو ما يقذفه بحر البربر الآخذ من بحر الهند في جهة الجنوب إلى سواحل الزنج وما والاها .

قال التيمي : وزعم الحسين بن زيد السيرافي أنه أجود العبر وأفضله ، ويرقى به منها إلى عدن ، ولونه البياض .

الثالث : السلامي . قاله التيمي : وأجوده الأزرق الدسم الكثير الدمن ، وهو الذي يستعمل في التوالى .

الراج : القاقئي — وهو ما يؤتى به من بحر قاقلة من بلاد الهند إلى عدن من بلاد اليمن ، وهو أشهب جيد الريح ، حسن المنظر خفيف ، وفيه يسر يسير ، وهو دون السلاطى لا يصلح للغوالى إلا عن ضرورة ، وهو صالح للذئائر والمكلسات .

الخامس : الهندي — وهو ما يؤتى به من سواحل الهند الداخلة ، ويحمل إلى البصرة وغيرها ، ومنه نوع يؤتى به من الهند يسمى : الكرك بالوس ، يأتون به إلى قرب عمان تشتريه منهم اصحاب المراكب .

السادس : المغربي — وهو ما يؤتى به من بحر الأندلس فتحملة التجار إلى مصر ، وهو اردأ الأنواع كلها ، وهو شبيه في لونه بالعنبر الشحري . قال التيمي . ويغالط به فيه .

قال التيمي : ومن العنبر صنف يعرف بالند ، وتقل عن جماعة من أهل المعرفة أن دابة تخرج من البحر شبيهة ببقر الوحش فتلقيه من دبرها فيؤخذ وهو لين يمتد ، لما كان منه صلب الرائحة حسن الجوهر فهو أفضل وأجوده . قال : وهو أصناف : أحدها الشحري وهو أسود فيه صفرة ، يتخضب اليد إذا لمس ، ورائحته كرائحة العنبر اليابس ، إلا أنه لا يقاء له على النار ، وإنما يستعمل في الغوالى إذا حزن العنبر السلاطى . ومنه : الزنجي وهو نظير الشحري في المنظر ودونه في الرائحة ، وهو أسود بغير صفرة . ومنه : انجبري وهو يتخضب اليد وأصول الشعر خضبا جيدا ، ولا ينفع في الطيب .

قلت : أما المعروف في زماننا بالعنبر مما يلبسه النساء فأنما يقال له : الند ، وفيه جزء من العنبر . قال في نهاية الأرب : وهو على ثلاثة أضرب :

الأول : أُمْتُتْ — وهو أجودها وأعطرها ؛ وهو رُكْب من ثلاثة أجزاء : جزء من العنبر الطيب ، وجزء من العود الهندى الطيب ، وجزء من المسك الطيب .  
 الثانى — وهو دونه أن يجعل فيه من العنبر انحام الطيب عشرة مثاقيل ، ومن اللِّدِّ العتيق الجيد عشرة مثاقيل ، ومن العود الجيد عشرون مثقالا .  
 الثالث — وهو أدناها أن يؤخذ لكل عشرة مثاقيل من انحام عشرة مثاقيل من اللِّدِّ العتيق وثلاثون مثقالا من العود ، ومن المسك ما أحب .

### الصنف الثالث

#### العود

قال التميمى : أخبرنى أبى عن جماعة من أهل المعرفة أنه شجر عظامٌ تنبت ببلاد الهند ، فله ما يلعب من أرضٍ قشمية الداخله ، من أرضٍ سَرْدِيَّ ، ومن قَسَارٍ ، وما اتصل بتلك النواحي ؛ وأنه لا تصير له رائحة إلا بعد أن يَتَّقَ وَيَقْشُرَ ؛ فإذا قشروا وجفف حمل إلى النواحي حيثئذ .

قال : وأخبرنى بعضُ العلماء به أنه لا يكون إلا من قلب الشجرة ، بخلاف ما قارب الفُشْرَكَا في الآبُوسِ والعُنَابِ ونحوهما من الأشجار التي داخلها فيه دَعَانَةٌ ، وما في خارجها خشب أبيض ، وأنه يقطع ويقلع ويقلع ظاهره من الخشب الأبيض ، ويدفن في التراب سبعين حُرَّةً تاكل الأرض ما داخله من الخشب ويبقى العود لا تؤثر فيه الأرض .

وحكى محمد بن العباس : أنه يكون في أودية بين جبال شاهقة ، لا وصول لأحد إليها لصعوبة مَسْلَكِهَا ؛ فيتكبر بعض أشجاره أو يتعفن بكثرة السيول لِمَعْرِ الأزمان ، فتاكل الأرض ما فيه من الخشب ويبقى صممُ العود وخالفه فتجزه السيول

وَيُخْرِجُهُ مِنَ الْأَوْدِيَةِ إِلَى الْبَحْرِ فَتَقْدِفُهُ الْأَمْوَاجُ إِلَى السَّوَاوِحِلِ ، فَيَلْقِطُهَا أَهْلُ السَّوَاوِحِلِ وَيَجْمَعُونَهَا فِي بَيْعُونَةٍ .

ويقال : إنه يأتي به قوم في المراكب إلى ساحل الهند فيقفون على البعد بحيث لا ترى أشخاصهم ، ثم يطلعون ليلا فيضعونه بفرضة تلك البلاد ، ويخرج أهل البلد نهارا فيضعون بإزائه بضائع ويتركونها إلى الليل ، فيأتي أصحاب العود فن أعجبه ما بإزائه متاعه أخذه ولا تركه ؛ فيزيدونه حتى يُعْجِبَهُ فَيَأْخُذُهُ ؛ كما يبيع في السُّمَيْرِ وغيره في ساكني أقصى الشمال .

وأجود العود ما كان صلباً ، وزيناً ، ظاهر الرطوبة ، كثير المائية والذهنية ، الذي له صبر على النار ، وغليان ، وبقاء في الثياب .

أما اللون فافضلها : الأسود ، والأزرق الذي لا يبيض فيه ؛ ثم منهم من يفضل الأسود على الأزرق ؛ ومنهم من يفضل الأزرق على الأسود . وهو على ثمانية عشر ضرباً :

الأول : المندل — نسبة إلى مَدَنَهُ ، وهو مكان يقال له : المندل من بلاد الهند .

قال محمد بن العباس الخشبي : وهو أرفع أنواع العود وأفضلها وأجودها وأبقاها على النار وأعجمها بالثياب ؛ على أن التجار لم تكن تجلبه في الجاهلية وإلى آخر الدولة الأموية ، ولا ترغب في حمله للراة في راحته إلى أن دخل الحسين بن برمك إلى بلاد الهند هارياً من بني أمية ، ورأى العود المندل فاستجاده ورغب التجار في حمله ؛ فلما غلب بنو العباس على بني أمية ، وحضر بنو برمك إليهم وقرَّبوهم ؛ دخل الحسين



أبن برك يوماً على المنصور فراه فيبحر بالعود القناري، فأعلمه أن عنده ما هو أطيب منه، فأمره بإحضاره، فأحضره إليه فاستحسنه، وأمر أن يكتب لى الهند يحمل الكثير منه، فاشتهر بين الناس وعز من يومئذ. وأحتمل ما فيه من مراوة الرائحة وزعارتها، لأنها تقتل القمل وتنج من تـكونه<sup>(١)</sup> في الثياب.

الثاني : القايرُونى — وهو ما يحلب من القايرُون، وهو مكان مرتفع من الهند. وقيل القايرُون : أسم لشجر من شجر السود، وهو أغلى العود ثمناً وأرفعه قبرا.

قال التميمي : وهو قليل لا يكاد يُحلب إلا في بعض الحين، وهو عود رطب جداً، شديد سواد اللون، رزيس، كثير الماء.

وذكر الحسين بن يزيد السيرافي : أنه ربما ختم عليه فأنطبع وقيل انختم للينه. قال : ويكون فيه ما قيمة المئ من مائتا دينار.

الثالث : السندوري — وهو ما يحلب من بلاد سندور، وهي بلد سفالة الهند، ويسمى لطيب رائحته : ربحان المود، وبعضه يفضل بعضاً. قال التميمي : وتكون القطعة الضخمة منه متاً واحداً.

الرابع : القناري — وهو ما يحلب من قنار، وهي أرض سفالة الهند، وبعضه يفضل بعضاً أيضاً، وتكون القطعة منه نصف رطل الى ما دون ذلك.

الخامس : القنقل — وهو ما يحلب من جزائر بحر قاقلة، وهو عود حسن اللون، شديد الصلابة ديسم، فيه ربحانية بحرة، وله بقاء في الثياب إلا أن قناره وربما تغير ط الناري حتى لا يستغنى الى آخره.

(١) في الأصل : تـكونه وهو نصيف.

السادس : الصَّنْفِيُّ — وهو ما يجلب من بلد يقال لها؛ الصَّنْفُ ببلاد الصين؛ وهو من أحلى الأعواد وأبقاها في الثياب .

قال التيمي : ومنهم من يفضلهُ على القاقِلِّ ويرى أنه أطيب وأبقى وآمن من القنار ، وربما قدموه على القاري أيضا . قالوا : وأجود الصَّنْفِيُّ الأسود الكثير الماء، وتكون القطعة منه متاً وأكثر وأقل . ويقال : إن شجره أعظم من شجر الهندى والقاري .

السابع : الصندفوري — وهو ما يجلب من بلاد الصندفور من بلاد الصين؛ وهو دون الصَّنْفِيِّ، ويقال : إنه صِنْفٌ منه ولذلك كانت قيمته لاحقة بقيمته ، وفيه حسن لون وحلاوة رائحة، ورزانة، وصلابة؛ إلا أنه ليس بالقطع الجبار .

الثامن : الصَّنِي — ويؤتى به من الصين؛ وهو عود حسن اللون ، أول رائحته تشاكل رائحة الهندى إلا أن قنارهُ غير محمود؛ وتكون القطعة منه نصف رطل وأكثر وأقل .

التاسع : القطي — وهو عود رطب حلويط الرائحة، وهو نوع من الصَّنْفِيِّ . العاشر : القسور — وهو عود رطب حلويط الرائحة؛ وهو أعذب رائحة من القطي إلا أنه دونه في القيمة .

الحادى عشر : الكلهي — وهو عود رطب يمشخ ، وفيه زخامة، وشدة مزاراة للدهانة التي فيه؛ وهو من أعبق الأعواد في الثياب وأبقاها .  
الثاني عشر : المولاتي — وهو عود يجلب من جزيرة المولات ينواحى قسار من أرض الهند .

(١) في باقوت؛ وهو من أردا المود لافرق به وبين الخشب الا اليسير .

الثالث عشر : اللوقيى - وهو ما يجلب من لوقين ، وهى طرف من أطراف الهند وله ثَمَرَةٌ فى الثياب إلا أنه دون هذه الأعواد فى الرائحة والقيمة .

الرابع عشر : المانطائى - وهو ما يجلب من جزيرة ما نطاه ، وقيمته مثل قيمة اللوقيى ، وهو خفيف ليس بالحسن اللون .

قال أحمد بن العباس : وهو قطع كبار مُلَسَّ لا عُقَدَ فيها ، إلا أن رائحته ليست بطيبة وإنما يصلح للأدوية .

الخامس عشر : القندخل - ويؤتى به من ناحية كَلَه<sup>(١)</sup> وهى ساحل الزنج - وهو يشبه القَمَارَى إلا أنه لا طيب رائحته .

السادس عشر : السمولى - وهو عود حسن المنظر ، فيه ثَمَرَةٌ وله بقاء فى الثياب .

السابع عشر : الرابحى - وهو عود يشبه قرون النيران ، لا ذكاه له ، ولا بقاء فى الثياب .

الثامن عشر : المُحَرَّم - سُمى بذلك لأنه قد وقع بالبصرة فشك الناس فى أمره ، فحزمه السلطان ومنعه فسمى المحترم ، وهو من أدنى أصناف العود .

وجعل بعضهم بين الصَّيْنَى والقَائِلَى صِنفاً يقال له : المطلى يؤتى به من الصَّيْنِ ، وهو عود صلب خفيف حسن المنظر إلا أنه قليل الصبر على النار . وقد ذكر أحمد ابن العباس بعد ذلك أصنافاً من العود ليست بذات طائل .

منها : الأفلقى - وهو عود يؤتى به من أرض الصَّيْنِ ، يكون فى العِظَم مثل الخَشَبِ الرابحى الغلاظ يباع المَثَرُ منه بدينار وأقل وأكثر ، والعود الطيب الربيع

(١) القى فى معجم البلدان لياقوت : أنها كَلَه ، وأما كَلَه فقد قال : إنها فرمة بالهند .

في قشوره ، وداخله خشب خفيف مثل الخلاف ، وإذا وضع على الحجر وجد له في أوله رائحة حلوة طيبة ، فإذا أخذت النار منه ظهرت منه رائحة رديئة كرائحة الشعر .

## الصنف الرابع

### الصنل

وهو خشب شجري يؤتى به من سفالة الهند ، وهو على سبعة أضرب :  
الأول : المقاصيري — وهو الأصفر ، الدميم ، الرزين ، الذي كأنه مسيح بالزعفران الذكي الرائحة .

وآختلف في سبب تسميته بالمقاصيري قليل : نسبة إلى بلد تسمى : مقاصير ؛ وقيل : إن بعض خلفاء بني العباس أخذ لبعض أمهات أولاده ومحاطيه مقاصير منه ، وهو شجر عظام يقطع رطباً ، وأجوده ما أصفر لونه وذكت رائحته ولم يكن فيه زعارة .

قال التيمي : وهو يدخل في طب النساء الرطب واليابس ، وفي البرميكات ، والمثلثات ، والنثرات ، ويتخذ منه فلاتد ، ويدخل في الأدوية ، ويقال : إن صاحب اليمن الآن يعمل له منه الأيسرة ، وإنه يأمر بقطع ما يحمل منه من اليمن إلى غيرها من البلاد قطعاً صغاراً حتى لا يكون منها ما يعمل سريراً لغيره من الملوك

الثاني : الأبيض منه الطيب الريح — وهو من جلس المقاصيري المتقدم ذكره لا يخالفه في شيء إلا في البياض ، ويقال : إن المقاصيري هو باطن الخشب وهذا الأبيض ظاهره .

الثالث : الجوزى — وهو صُلب العود أبيض ، يضرب لونه الى السُمرّة ، ويؤتى به من موضع يقال له : الجوّز ؛ وهو طيب الرائحة إلا أنه أضعف رائحة من الذى قبله .  
الرابع : الساوس ويقال : الكاوس — وهو صندل أصفر طيب الرائحة إلا أنّ فى رائحته زعارة ، ويستعمل فى الدوائر ، والمثلثات ، فى الطيب والبُخُورات .

الخامس : يضرب لونه الى الحمرة — وهو ملّ نحو من الذى قبله .

السادس : صندل جعد الشعرة — لا بساطة فيه اذا شقق بل يكون فيه تجميد كما فى خشب الزيتون ؛ وهو أدكى أصناف الصندل إلا أنه لا يستعمل فى شئ سوى البُخُورات والمثلثات .

السابع : أحمر اللون — وهو خشب حسن اللون ، ثقیل الوزن لا رائحة له ، إلا أنه يُتخذ منه المنجورات والمخروطات كالدوى وقطع الشطرنج ونحوها مع ما يدخل فيه من الأعمال الطيبة .

قلت : هذا ما يحتاج الكاتب الى وصفه من أصناف الطيب النفيسة مما نهى أو يرد هدية ، ويحرم ذكره ومكتبات الملوك ؛ أما ما عدا ذلك من أصناف الطيب كالسُبُل ، والقرنفل ، والكافور ، فليس من هذا القبيل .

### النوع السابع

وما يحتاج الى وصفه من الآلات ، وهى أصناف :

#### الصف الأول

#### الآلات الملوكة

ويحتاج الكاتب الى وصفها عند وصف المواكب الخفيفة التى يركب فيها السلطان ، وهى عدة آلات :

منها : الخاتم - بفتح التاء وكسرها - وحكى فيه ابن قتيبة وأبو جهرى وغيرهما  
يَخْتِمُ وَخَاتَمٌ ، وهو ما يجعل في الإصبع من الخلق ، وهو ما خوذ من الختم ، وهو الطبع ؛  
سمى بذلك لأنه يختم بنقشه على الكتب الصادرة عن الملوك . وسيأتى في الكلام  
على ختم الكتب : أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب إلى بعض ملوك  
الأعاجم ف قيل له : إنهم لا يقرءون كتابا غير مخنوم ، فأخذ خاتما من ورق وجعل  
نقشه "محمد رسول الله" وأقتدى به في ذلك الخلقاء بعده ، ثم توسعوا فيه إلى أن  
جعلوا للكتب طابعا مخصوصا وأفردوا له ديوانا سموه "ديوان الخاتم" وأقتنى الملوك  
أثرهم في ذلك ، ثم طلب بملككتنا وما تاهوها الاكتفاء في المكتبات بالاصاق ، وصار  
اسم الخاتم مقصورا على ما يحصل في الإصبع خاصة سواء كان فيه نقش أم لا ،  
وصارت الملوك إنما تلبس الخواتم بفصوص الجواهر من اللياقيت ونحوها تحملا ،  
وربما بنتت بها في تأمين الخائف علامة للرضا عليه والصفح عما جناه وأقرره .

ومنها : المُنْدِيل بكسر الميم ، وهو مندبل يُجعل في المنطقة المشدودة في الوسط مع  
الصولق وغيره ، ثم جرى اصطلاح الملوك على البعث به في الأمانات كما تقدم في الخاتم .

والمُنْدِيل : آلة قديمة للوك ، فقد حكي أنه كان للأفضل بن أمير الجيوش أحد  
وزراء الفاطميين مائة بئلة مغلقة على أوتاد من ذهب ، كل بئلة منها مندبل من  
لونها ، ولم يكن المندبل من آلات الخلافة بل إنما كان من آلات البردة على ما سيأتى  
ذكره في الكلام على ترتيب الخلافة في المقالة الثانية إن شاء الله تعالى .

ومنها : التَّخْتُ ، ويقال له : السريرة ، وهو ما يجلس عليه الملوك في المراكب ؛  
ولم يزل من رسوم الملوك قديما وحديثا ، رفعة لسان الملك في الجلوس عن غيره  
حتى لا يساويه غيره من جلسائه ، وقد أخبر تعالى في كتابه العزيز أنه كان لسلطان عليه

السلام كرسى بقوله : (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّه جَسَداً) ورأيتُ في بعض التواريخ أنه كان له كرمى من عاج مُغشَّى بالذهب .

ثم هذه الأسيرة تختلف باختلاف حال الملوك ، فتارة تكون من أبلية رخام ونحوه ، وتارة تكون من خشب ، وتارة من قُرْشٍ مَحْشُوءَةٍ متراكبة ، وقد حكى أنه كان للملوك القُرْشُ سريراً من ذهب يجلسون عليه ، وكان عمرو بن العاص رضى الله عنه وهو أمير مصر يجلس مع قومه على الأرض فيصرتفع عليهم ، ويأتيه المَقْوِسُ ومعه سرير من ذهب ، يجعل معه على الأيدي ، فيجلس عليه فلا يمنعه عمرو من ذلك ، إجرأ له على عادته في الملِكِ فيما قبل ، لما عقده له من الدقة وأتخذته معه من العهد .

ومنها : المِظْلَةُ ، وأسميها بالقارمية : إنظر - بنون بين الجيم والزاي المعجمة - وبعبارة العاقبة الآن بالقبة والطير ، وهي قبة من حرير أصفر ، تجعل على رأس الملك ، على رأس ربح بيد أمير يكون راجعاً بجذاء الملك ، يُظَلُّ بها حالة الركوب من الشمس في المواكب العظام ، وسيأتى ذكرها في الكلام على ترتيب المملكة في الدولة الفاطمية . وهذه الدولة في المقالة الثانية إن شاء الله تعالى .

ومنها : الرِّقْبَةُ ، وهي لباس لرقبة فرس السلطان من حرير أصفر ، قد طُرِزَتْ بالذهب الزُّرْكُش حَتَّى ظلم عليها وصار الخريز غير مرئي فيها ، تشبه على رقبة فرس المَلِكِ في المواكب العظام لتكون مضاهية لما يركب به من الكنبوش الزركش المغطى لظهر الفرس وكفله .

ومنها : الغاشية ، وهي غاشية سُرْج من أديم محروزة بالذهب ، يظنها الناظر كلها ذهباً ، يلقبها على يديه يميناً وشمالاً .

ومنها : الجفتاء ، وهي قَرَبَانِ أشبهان قريبا الشبه ، يرقبتين من زركش ، ومدة تضاهى عدة مركوب السلطان كأنهما مُعَدَّان لأن يركبهما السلطان ، يعلوهما مملوكان

من الممالك السلطانية قريبي الشبه أيضا ، على رأس كل منهما قُبْعَةٌ من زَرَكَشٍ مشابه للآخَر .

ومنها : المِنَظَقَةُ — بكسر الميم — وهي ما يشد في الوسط ، وغنها يعبر أهل زمانها بالحِصَاة ؛ وهي من الآلات القديمة ؛ فقد روى : أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه كان له مَنَظَقَةٌ . وهذه الآلة قد ذكرها في " التعريف " في الآلات الملوكية ؛ على أن ملوك الزمان لم تجر لهم عادةً بَشَدَ مَنَظَقَةٍ ، وإنما يلْبِسُها الملكُ للأمراء عند لباسهم الخَلَع والشاريْف ؛ وهي تختلف بحسب اختلاف الرتب ، فمنها ما يكون من ذهب مرصع بالفُصُوص ، ومنها ما ليس كذلك .

ومنها : الأعلام ؛ وهي الرايات التي تُحْمَل خلف السلطان عند ركوبه ؛ وهي من شعار الملوك القديمة ؛ وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يَمَقْدُ لأمرأه سراياه الرايات عند بُعْثها ؛ ثم قد يعبر عن بعضها بالمصائب جمع عِصَابَةٍ ؛ وهي الألوِيَّة ، أخذنا من عصابة الرأس ؛ لأن الراية تَمُصَّبُ رأس الرمح من أعلاه ؛ وقد يعبر عنها بالسَّاجِق جمع سَنَجِي ، والسَّنَجِي باللغنة التركية معناه الطعن ؛ سميت الراية بذلك لأنها تكون في أعلى الرمح ، والرمح هو آلة الطعن يسمى بذلك مجازا .

ومنها : الطُّبُول ؛ ويقال لها : الدَّيَابُ ، والبُوقَات ، والزمر المعروف بالصهان الذي يُضْرَبُ به عِشَّة كل ليلة بباب الملك وخلفه إذا ركب في المواكب ونحوها ، وهي المعبر عنها بالطَّبْلَخَانَة ؛ وهي من شعار الملوك القديم .

وقد ذكر في " مسالك الأبصار " : أن الطبل في بلاد المغرب يُختصض ضربه بالسلطان دون غيره من كل أحد كما سيأتي ذكره في الكلام على مملكة المغرب في المسالك والممالك إن شاء الله تعالى .



والسرفيها إرهابُ العدو ونخذيذه كما كتب به أرسطو في كتاب "السياسة" للإسكندر، أو تقوية النفوس وتشجيعها على الحرب كما قاله الفزالي رحمه الله في "الإحياء"، وكلما كثرت أعدادها كان أنعم لسان الملك وأبلغ في رفعة شأنه . وقد حكى أن ديادب الإسكندر كانت أربعين حملا .

قلت : وقد ذكر في "التعريف" من جملة الآلات الملكية البدوة، والقلم، والمِرْمَلَةُ ؛ ولا يخفى أنها آلات الكُتَّاب أليق وإن كان السلطان لا يستغنى عنها ؛ وسيأتى الكلام عليها في الكلام على آلات الكتابة من هذه المقالة إن شاء الله تعالى .

### الصف الثاني

#### آلات الركوب ؛ وهي عدة آلات

منها : السرج — وهو ما يقعد فيه الراكب على ظهر الفرس ؛ وأشكال قوابله مختلفة ؛ ثم من السرج ما يكون مغطى بالذهب، وهو مما يصلح للولوك .

ومنها : ما يكون مغطى بالفضة البيضاء ؛ وكل منها قد يكون منقوشا وقد يكون غير منقوش، ومنها ما يكون بإطراف فضة، ومنها ما يكون سادجا .

ومنها : القمام — وهو الذي يكون في فكّ الفرس يمنعه من الجماح ؛ وقوابله أيضا مختلفة ؛ ثم منها ما يكون مطليا بالذهب، ومنها ما يكون مطليا بالفضة، ومنها ما يكون سادجا، ومنها ما يكون رأسه وجنيامه مغطى بالفضة، ومنها ما يكون غير مغطى .

ومنها : الكنبوش — وهو ما يستر به مؤخر ظهر الفرس وكفله ؛ وهو تارة يكون من الذهب الزركش، وتارة يكون من الخفايش ؛ وهي القضة الملبسة بالذهب، وتارة يكون من الصوف المرقوم ؛ وبه يركب القضاة وأهل العلم .

ومنها : العباءة بالمذ — وهي التي تقوم مقام الكنبوش .

ومنها : **المِهْمَانُ** — وهو آلة من حديد تكون في رِجْل الفارس ، فوق كعبه ، فوق الخلف وما في معناه ؛ ومؤخره يصبح مَعْدُّ الرأس إذا أصاب جانب الفرس فتمركت وأسرعت في المشي أو جلت في العدو ؛ وهو تارة يكون من ذهب محض ، وتارة يكون من فضة ، وتارة يكون من حديد مطلي بالذهب أو الفضة ؛ وقد اعتاد القضاة والعلماء في زماننا تركه .

ومنها : **الكُور** — وهو ما يقعد فيه الراكب في ظهر النجيب ؛ وهو المِجْنين ، والعرب تسميه : **الرَّحْل** ؛ ثم قد يكون مقدمه ومؤخره منثنى بالذهب أو الفضة ، وقد يكون غير منثنى .

ومنها : **الزَّيَام** — وهو ما يُقَاد به النجيب ، ويَضْبِطُ به الراكب كما يَضْبِطُ الفارس الفرس بالِمِثَان .

ومنها : **الرَّكَبُ** — وهو ما تجعل فيه الرَّجُل عند الركوب ، وكانت العرب تعتاده من الجلد والخشب ، ثم حُدِّل عن ذلك إلى الحديد .

قال أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" : وأول من أخذ من الحديد **المُهْلَبُ بْنُ أَبِي سُفْرَةَ** ؛ وكانت رُكْبُ العرب من خَشَب فكان الفارس يَصُبُّ <sup>(١)</sup> الراكب بركابه فيوهن مِرْقَتَهُ .

ومنها : **السُّوْط** — وهو ما يكون بيد الراكب يضرب به الفرس أو النجيب ، وأهل زماننا يسمونه بالمِقْرَمَة لأنه يُقَرَّع به المركوب إذا تقاعس ؛ وهو بدل من الفضيب الذي كانت الخلفاء على ما سياتي ذكره في الكلام على ترتيب الخلافة في المقالة الثانية إن شاء الله تعالى .

## الصينف الثالث

## آلات السفر؛ وهى عدة آلات

منها : المَحْفَةُ - بكسر الميم - وهى تَحْمِلُ على أعلام قُبَّة، وله أربعة سواعد : ساعدان أمامها وساعدان خلفها، تكون مغطاة بالجوخ نازة وبالحرير أحمرى <sup>١</sup> تَحْمِلُ على بقلين أو بعيرين يكون أحدهما فى مقبعتها والآخرفى مؤخرتها، إذا ركب فيها الراكب صار كأنه قاعد على سرير، لا يلحقه ارتجاج، وقد برث عادة المملوك والأكابر باستصحابها فى السفر خشية ما يعرض من المرض .

ومنها : المِحْمَلُ - بكسر الميم الأولى وفتح الثانية <sup>(١)</sup> - وهو آلة كالمَحْفَةِ إلا أنه يحمل على أمل ظهر الجمل بخلاف المَحْفَةِ فانها تحمل بين جملين أو بقلين .

ومنها : التَّوَانِيس - جمع تَانُوس - وهى آلة كُورِيَّة ذات أضلاع من حديد، منشأة بخرقه من رقيق الكَنِّ الصافى البياض، يتخذ للاستضاءة بغرز الشمعة فى أسفل باطنه فيشرف عن ضوئها، ومن شأنها أن يحمل منها آثنان أمام السلطان أو الأمير فى السفر فى الليل .

ومنها : المَشَاعِل، جمع مَشَعْل، وهى آلة من حديد كالقفص مفتوح الأعلى، وفى أسفلها حرقه لطيفة، توقد فيه النار بالحطب فيسطو <sup>٢</sup>، يحمل أمام السلطان ويحويه فى السفر لئلا أيضا .

ومنها : الخِيَام، جمع خَيْمَة، ويقال لها : الفُسْطَاطُ والقُبَّة أيضا، وهى بيوت تتخذ من خرق القطن الغليظ ويحويه، تحمل فى السفر لوقاية الحذر والبرد، وكانت العرب تستخدمها من الأديم، وقد آمن الله تعالى عليهم بذلك فى قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ .

(١) ضربه فى القاموس والصباح : كسبل؛ ولعل ما فى الأصل لغة ثانية نظرا لكتابة آلة .

والملوك نَتَاهَى فِي سَعْيِهَا ، وَتَبَاهَى بِكِبَرِهَا . وَسَيَّاتِي فِي الْكَلَامِ عَلَى تَرْتِيبِ  
الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ أَنَّهُ كَانَ لِبَعْضِ خَلْقَائِهِمْ خَيْمَةٌ تَسْمَى : الْقَرَاوِلُ سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ  
قَرَارِشًا مِنَ الْقَرَارِشِينَ وَقَعَ مِنْ أَعْلَى عَمُودِهَا فَنُفِثَتْ لَطُولُهُ .

وَمِنْهَا : الْخُرُكَاهُ ، وَهِيَ بَيْتٌ مِنْ خَشَبٍ مَصْنُوعٌ عَلَى هَيْئَةِ مَخْصُوصَةٍ وَيُشْفَى  
بِالْجُوحِ وَنَحْوِهِ ، تَحْمَلُ فِي السَّفَرِ لَتَكُونَ فِي الْخَيْمَةِ لِلْبَيْتِ فِي الشِّتَاءِ لَوْ قَايَةِ الْبَرْدِ .  
وَمِنْهَا : الْقُدُورُ ، جَمْعُ قَدِيرٍ ، وَهِيَ آلَاتٌ تَلْقَى يَطْبِخُ فِيهَا وَتَكُونُ مِنْ نُحَاسٍ غَالِبًا ،  
وَرُبَّمَا كَانَتْ مِنْ رِيَّامٍ .

وَالْمُلُوكُ تَبَاهَى بِكَثْرَتِهَا وَعِظَمِهَا ، لِأَنَّهَا مِنْ دَلَائِلِ كَرَمِ الْمَلِكِ وَكَثْرَةِ رِجَالِهِ ؛ وَقَدْ  
أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِعَظِيمِ قَدْرِ مَا كَانَتْ الْجِنُّ تَعْمَلُهُ لَهُ مِنَ الْقُدُورِ  
بِقَوْلِهِ : ( يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ) .  
وَمِنْهَا : الْإِثْقَانُ ؛ وَهِيَ آلَاتُ الْمَثَلَةِ الَّتِي تَعَلَّقُ عَلَيْهَا الْقَدَرُ عِنْدَ الطَّبِخِ ، وَتَكُونُ  
مِنْ حَسَدِيدٍ .

وَمِنْهَا : النَّارُ الَّتِي يُوْقَدُ بِهَا لِلطَّبِخِ وَنَحْوِهِ ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى نِيرَانِ الْعَرَبِ  
ذِكْرُ نَارِ الْفِرَى ؛ وَهِيَ نَارُ كَانَتْ تُرْفَعُ لَيْلًا لِيَرَاهَا الضَّيْفُ فَيَهْتَدِيَ بِهَا إِلَى الْحَيِّ .

وَمِنْهَا : الْإِثْقَانُ ، جَمْعُ جَفْنَةٍ ؛ وَهِيَ الْآتِيَّةُ الَّتِي يَوْضَعُ فِيهَا الطَّعَامُ ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ  
فِي الْكَلَامِ عَلَى الْقُدُورِ أَنَّهَا مِمَّا كَانَتْ الْجِنُّ تَعْمَلُهُ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْضًا . وَقَدْ  
كَانَتْ الْمَرْبُ تَفْتَحُ بِكَبِيرِ الْإِثْقَانِ لِدَلَالَتِهَا عَلَى الْكَرَمِ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْأَعَشَى  
فِي مَدْحِ الْمُحَلَّقِ لَيْلَةً بَاتَ عَلَيْهِ :

فِي الدَّامِ مِنْ آلِ الْمُحَلَّقِ جَفْنَةٌ \* بَنَاجِيَةِ الشَّيْخِ الْعِرَاقِيِّ تَهْنِئَةٌ

قِيلَ : أَرَادَ بِالشَّيْخِ الْعِرَاقِيِّ كَسْرِي ، فَشَبَّهَ جَفْنَتَهُ بِجَفْنَتِهِ .

ومنها : جَيَاضُ الْمَاءِ ؛ وهى حياض من جلد تحمل فى السفر ليقي الماء فيها  
لسقى الدواب ونحوها ؛ وَكَبَرُ قَتَرِهَا دليل على رَفْعَةِ قدر صاحبها ونفادته لدلائلها  
على كثرة دوابه ، واتساع عسكره .

### الصفنف الرابع

#### آلات السلاح ؛ وهى عدة آلات

منها : السَّيْفُ ؛ وهو معروف . وسبأى فى الكلام على الألقاب فى المقالة الثالثة  
أنه مأخوذ من قولهم : ساف إذا هلك لأنه به يقع الهلكُ .

واعلم أن السيف إن كان من حديد ذَكَرَ - وهو المعبَّر عنه بالقولاذ - قيل : سيف  
قُولَاز ، وإن كان من حديد أُنْثَى - وهو المعبَّر عنه فى زماننا بالحديد - قيل : سيف  
أُنْثَى ؛ فإن كان مُنْتَه من حديد أُنْثَى وحده من حديد ذكر كما فى سيوف الفَرَنْجِيَّةِ ،  
قيل : سيف مُذَكَّر . ويقال : إن الصاحقة إذا نزلت الى الأرض وردَّتْ صارت  
حديداً ، وربما حفر عليها وأخرجت فطُبعت سيوفاً ، فتجىء فى غايَةِ الحُسْنِ والمُضَاءِ .  
ثم إن كان حريض الصَّيْفِ قيل له : صَفيحة ؛ وإن كان محدقاً لطيفاً قيل له :  
قَهْبِيب ؛ فإن كان قَصِيراً قيل : أَبْز ؛ فإن كان قَصِراً بحيث يحمل تحت الثياب  
ويُشْتَمَل عليه قيل : مِشْمَلٌ - بكسر الميم - فإن كان له حدٌ واحد وجانبه الآخر  
جاف قيل فيه : حَصْلَبه - وبهذا كان يُوصَفُ سيفُ عمرو بن معدى كرب فارس  
العرب ، فإن كان فيه حُرُوزٌ مستطيلة قيل فيه : قَقَارَات - وبذلك سمى سيفُ  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ذَا الْقَقَار" يروى أنه كان فيه سبع حشرة قَقَارَة .

(١) هكذا فى الأصل وأصلها : مصحفة من بردت .

(٢) له : مدققا . (٣) هكذا بالأصل ، وربما : مطبقة كما فى المخصص بالسان .

ثم تارة ينسب السيف الى الموضع الذي طبع فيه، فيقال فيما طبع بالهند: هِنْدِيٌّ ومُهَنْدٌ، وفيما طبع باليمن: يَمَانِيٌّ، وفيما طبع بالشارف—وهي قُرَى من قُرَى العرب قريبة من ريف العراق—قبل له: مَشْرِفِيٌّ؛ فإن كان من المعدن المسَمَّى بَقَسَّاسٍ، وهو معدن موصوف بجودة الحديد قيل له: قُسَّاسِيٌّ .

وتارة ينسب السيف الى صاحبه كالسيف الشَّرِيحِيّ—نسبة الى قَبْن من قُبُون الغرب اسمه: سُرِيح معروف عندهم بِحُسْن الصَّنعَةِ . ويوصف السيف بالحُسَام، وهو القاطع، اخذاً من الحُصَم، وهو القطع، وبالصارِم، وهو الذي لا ينو عن الصَّريبة .

والناس يبالغون في تحلية السيوف فتارة تُرَصَّع بالجواهر، وتارة يُحْلَوْنَها بالذهب، وتارة يجلونها بالفضة؛ وإن كان الاختيار انما هو بالسيف لا بالحلية .

ومنها: الرُّمَحُ: وهو آلة الطعن . والرماح ضربان :

أحدهما: متخذ من القنأ؛ وهو قَصَب مسدود الداخل، بنبت ببلاد الهند يقال للواحدة منه: قَنَاء، ويقال لمقاصلها: أَنَابِبُ، ولمقدتها: كُؤُوبٌ؛ فإن كان قد نشأ في نباته مستقيماً بحيث لا يحتاج الى تنفيف قيل له: الصُّدْبُ—بفتح الصاد وسكون العين المهملتين—وإن احتاج الى تقويم مقوم قيل له: مُثَقَّفٌ .

ويوصف القنأ: بالخطَّيْ—بفتح الخاء المعجمة—نسبة الى الخطِّ؛ وهي بلده بالبحرين تجلب اليها الرُّمَاح من الهند، وتنقل منها الى بلاد العرب؛ وليست تُنْبِت القنأ كما توهمه ابن أصبغ في أرجوزته المذهبية .

الثاني: ما يُتَّخَذ من الخشب كالزان ونحوه، ويسمى: الذَّائِلُ حسب الذال المعجمة وكسر الموحدة .

ويقال للحديد الذى فى أعلى الرُخ : السَّنان، وللذى فى أسفله : الرُّجُ والعَقَب .  
ويُوصف الرُّخ : بالاسمر، لأن لون القنَّ الشَّعْرُ، وبالصَّال، وهو الذى يضطرب  
فى هزه، وباللَّذن، وهو اللّين، وبالسَّمهرى، نسبة الى بلدة يقال لها سَمَّهْرَة من  
بلاد الحبيشة، وقيل الى السَّمهره، وهى الصَّلابَة .

ومنها : الطَّبَر، وهو باللغة الفارسية الفأس، ولذلك يسمّى الشَّكْر الصُّلب،  
بالطَّبَر زَد يعنى الذى يكسر بالفأس . والى الطَّبَر تنسب الطَّبَر دَارِيَّة — وهم الذين يحملون  
الأطبار حول السلطان — على ما سياتى ذكره فى الكلام على ترتيب المملكة والمسالك  
والممالك إن شاء الله تعالى .

ومنها : السَّكِين، وسياتى ذكرها فى آلات الدَّوَاة فى الكلام على آلات الكتابة،  
وانما سميت سَكِينًا لأنها تُسَكِّن حركة الحيوان، وتسمى : المُدِّيَّة أيضا لأنها تقطع  
مدى الأجل . وهذه الاشتقاقَات أَوْلَى بآلة الحرب من آلة الكتابة .

وحاصل الأمر أن السكِين تختلف أحوالها بحسب الحاجة إليها، فتكون لكل  
شئ . بحسب ما يناسبه .

ومنها : القَوْس، وهى مؤنثة . والقيس على ضربين .

أحدهما : العربية، وهى التى من خشب فقط، ثم إن كانت من عُود واحد  
قيل لها : قَيْضِب، وإن كانت من فلقين قيل لها : فُلُق .

الثانى : الفارسية، وهى التى تُركَّب من أجزاء من الخشب والقُرْن والعَقَب  
والفراء، ولاجزائها أسماء يخفض كل جزء منها اسمًا، فوضع إمساك الرامى من القوس  
يسمى : المَقْبِض، ويجرى السهم فوق قَبِض الرامى يسمى : كَيْد القوس، وما يُعْطَف  
من القوس يسمى : نِجَّة القوس، وما فوق المَقْبِض من القوس، وهو ما على

يمين الراى يسمى : رأس القوس ، وما أسفله ، وهو ما على يسار الراى يسمى :  
رجل القوس .

ومنها : النشاب ، والنبل ، فالنبل ما يرى به عن القيسى العربية ، والنشاب  
ما يرى به عن القيسى الفارسية حكاه الأزهري .

وتجوزى الوتر من السهم يسمى : الفوق ، حديدته يسمى : النصل ، والريش  
يسمى : القذذ ، والسهم قبل تركيب الريش يسمى : القِدَح — بكسر القاف وسكون  
الدال المهملة — .

ومنها : الكانة ، ويقال لها الحجة ، وهى بكسر الكاف ، وهى ظرف السهام ،  
وتكون تارة من جلد وتارة من خشب .

ومنها : الدبوس ، ويسمى : المامود ، وهو آلة من حديد ذات أضلاع يتنفع  
بها فى قتال لابس البيضة ومن فى معناه ، ويقال إن خالد بن الوليد رضى الله عنه :  
به كان يقاتل .

ومنها : المعصا ، وهى آلة من خشب تفيد فى القتال نحو إقادة الدبوس .

ومنها : البيضة ، وهى آلة من حديد توضع على الرأس لوقاية الضرب ونحوه ،  
وليس فيه ما يرسل على الفنا والآذان ، وربما كان ذلك من زرد .

ومنها : المغتر — بكسر الميم ، وهو كالبيضة إلا أن فيه أطرافا مسدولة على قفا  
اللابس وأذنيه ، وربما جعل منها وقاية لأنفه أيضا ، وقد تكون من زرد أيضا .

ومنها : الدرع ، وهو جبة من الزرد المنسوج يلبسها المقاتل لوقاية السيوف  
والسهام ، وهى تذكر وتؤنث ، وقد أخبره تعالى عن داود عليه السلام أنه ألين  
له الحديد فكان يعمل منه الدروع بقوله تعالى : ﴿ وَأَلَّنا لَهُ الْحديدَ أَنْ اعْمَلَ سَاقِياتِ



وَقَدَّرَ فِي السَّرْنِ . وَقَوْلُهُ : (وَعَلَمَنَاهُ صِنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِحُصْنِكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ) وَلِذَاكَ نَسَبَ الدَّرُوعُ الْفَاتِقَةَ إِلَى نَسِجِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ومن الدروع ما يقال لها : السَّلَوِيَّةُ ، نِسْبَةً إِلَى سَلَوٍ — قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الْيَمَنِ ، وَرَبَّمَا قِيلَ : دُرُوعٌ حَطُومِيَّةٌ — بضم الحاء المهملة — نِسْبَةً لِحَطُومِ رَجُلٍ مِنْ صَبَدِ الْقَيْسِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِبَاسَ الْعَرَبِ فِي الْحَرْبِ كَانَ الزَّرْدَ ، أَمَّا الْآنَ فَقَدْ غَلَبَ عَمَلُ الْقَرَقَلَاتِ مِنَ الصَّفَانِحِ الْمَتَّخَذَةِ مِنَ الْحَدِيدِ الْمُتَوَلِّصِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ .

ومنها : الثَّرْسُ ، وَهُوَ الْآكَةُ الَّتِي يَتَّقَى بِهَا الضَّرْبَ وَالرَّمِيَّ عَنِ الْوَجْهِ وَنَحْوِهِ ، وَنَسَبُهَا : الْجَنَّةُ أَيْضًا بِضَمِّ الْجِيمِ أَخْذًا مِنَ الْاِجْتِنَانِ وَهُوَ الْإِخْتِفَاءُ ، وَرَبَّمَا قِيلَ لَهَا : الْجَفَّةُ — بِفَتْحِ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالْجِيمِ — ثُمَّ هِيَ تَارَةٌ تَكُونُ مِنْ خَشَبٍ ، وَتَارَةٌ تَكُونُ مِنْ حَدِيدٍ ، وَتَارَةٌ تَكُونُ مِنْ عِيدَانٍ مَضْمُومٍ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ يَخِيطُ الْقَطَنَ وَنَحْوَهُ ، فَإِنْ كَانَتْ مِنْ جِلْدٍ قِيلَ لَهَا : دَرَقَةٌ — بِفَتْحِ الدَّالِ وَالرَّاءِ الْمَهْمَلَتَيْنِ — .

### الصنف الخامس

آلات الحصار ، وهي عدة آلات

منها : الْمُتَجَنِّقُ — بِفَتْحِ الْمِيمِ وَسُكُونِ النُّونِ وَفَتْحِ الْجِيمِ وَكسْرُ النُّونِ الثَّانِيَةِ وَسُكُونِ الْيَاءِ وَقَافٍ فِي الْآخِرِ — وَحِكْيُ آيِنِ الْجَوَالِقِيِّ فِيهِ كَسْرُ الْمِيمِ ، وَحِكْيُ فِيهِ مِجْنُونٌ بِالْوَاوِ وَمِجْنَمِيٌّ بِإِبْدَالِ النُّونِ الثَّانِيَةِ مِيمًا ، وَهُوَ أَسْمُ أَجْعَمِيٍّ ، فَإِنَّ الْجِيمِ وَالْقَافَ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي كَلِمَةٍ عَرَبِيَّةٍ ، وَيَجْمَعُ عَلَى جَانِبَيْهِ وَمُنَاجِيقُ .

(١) لِمَلِّ زِيَادَةِ الْوَاوِ مِنْ تَحْرِيفِ النَّسَاجِ . وَالصَّوَابُ حَطْمُهَا نِسْبَةً إِلَى حُطْمِ رَجُلٍ أَيْضًا ، أَنْظَرَ لِلْعَمَلِ وَالْقَامُوسِ .

قال الجوهري : فأصله من جى نيك وتفسيره بالعربية : ما أجودنى . قال  
ابن خلكان : تفسر من وتفسير جى : أيقى ، وتفسير نيك : جيد .

قال ابن قتيبة في كتابه "المعارف" وأبو هلال العسكري في "الأوائل" : وهو  
آلة من خشب لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف ،  
وفيه تجمل كفة المنجنيق التي يعمل فيها الجحر ، يجذب حتى ترفع أسافله على أعاليه ،  
ثم يرمي فيرتفع ذنبه الذي فيه الكفة فيخرج الجحر منه لما أصاب شيئا إلا أهلكه .

وأول من وضع المنجنيق : جزيمة الأبرش ملك الحيرة على العرب موذكر  
الواحدى في تفسير سورة الأنبياء : أن الكفار لما أضرموا النار لإحراق إبراهيم  
عليه السلام لم يقدروا على القرب من النار ليقتوه فيها ، يطأهم اللعين إبليس فعلمهم  
وضع المنجنيق فعملوه وألقوه فيه فقتلوا به في النار ، فكان أول منجنيق عميل .

وعما يتحقق بالمنجنيق : الزيارات وهي اللوالب والحبال التي يجذب بها المنجنيق  
حتى يخطأ أهله ليرى به الجحر .

ومنها : السهام الخطابة <sup>(١)</sup> ، وهي سهام عظام يرى بها عن قيس عظام توتر بلوالب  
يعز بها ويرى عنها فتكاد تحرق الجحر .

ومنها : مكامل البارود ، وهي المدافع التي يرى عنها بالنفط ، وحالها مختلف :  
فبعضها يرى عنه بأسهم عظام تكاد تحرق الجحر ، وبعضها يرى عنه ببندي من حديد  
من زينة عشرة أرتال بالمصرى إلى ما يزيد على مائة رطل ، وقد رأيت بالإسكندرية  
في الدولة الأثرية - شعبات بن حسين ، في نيابة الأمير صلاح الدين بن عزام  
رحمه الله - بها مدفعا قد صُنع من نحاس ورسايس وقيد بأطراف الحديد رُمي عنه

(١) لعله مصحف والذي يؤخذ من المصنف أن السهم الخطاطي هو السهم النظيف الحاد وقليل هذا منه  
كما يفيد التفسير بعد ، تأمل .

من المبدآن بُندُقة من حديد عظيمة مُحَمَّاة، فوقعت في بحر السلسلة خارج باب البحر؛ وهي مسافة بعيدة .

ومنها قوارير النقط؛ وهي قدور ونحوها يعمل فيها النقط ويرى بها على الحصون والقلاع للإحراق؛ على أن القوارير في اللغة اسم للزجاج وإنما استعيرت في آلات النقط مجازاً .

ومنها السائر؛ وهي آلات الوقاية من الطوارق وما في معناها مما يستعمله على الأسوار والسفن التي يقع فيها القتال ونحو ذلك

### الصف السادس

آلات الصيد؛ وهي عدة آلات

منها قوس البندق - ويسمى الجلاحق - قوس يقصد من القنا ويلف عليه الحرير ويفترى؛ وفي وسط وتره قطعة دائرية تسمى الجوزة توضع فيها البندقة عند الرمي .

ومنها الجراوة؛ وهي آلة من جلد يعمل فيها البندق الطين الذي يرمى به من القوس المقدم ذكره .

ومنها الشباك؛ وهي آلة تُفخذ تعقد من خيطان وتصبب لاقتناص الصيد، وكذلك تطرح في الماء فيصاد بها السمك .

ومنها الزبطانة؛ وهي آلة من خشب مستطيلة كالرُح بجوفه الداخل يعمل الصائد بُندقة من طين صغيرة في فيه، ويتنح بها فيها فتخرج منها بحدة فتصيب الطير فتربيه؛ وهي كثيرة الإصابة .

ومنها الفخ، وهو آلة مقوسة لها دفتان تفتحان فمرا، وتعاقدان في طرف شظاة ونحوها، إذا أصابها الصيد أنطقت عليه .  
ومنها الصنابير، جمع صنارة، وهي حديدة معلقة بحدة الرأس يصاد بها السمك .

### الصف السابع

آلات المعاملة، وهي عدة آلات

منها الميزان، وهو أحد الآلات التي يقع بها تقدير المقدرات، فالموازين قديمة الوضع قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقَ رُفِعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَتِمُّوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ وأمر شعيب عليه السلام قومه بإقامة القسط بالوزن كما أخبر تعالى عنه بقوله: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ .

قال أبو هلال العسكري: وأول من اتخذ الموازين من الحديد عبد الله بن عامر . قال: وأول من وضع الأوزان سمير اليهودي، وذلك أن الحجاج ضرب الدرامم بأمر عبد الملك بن مروان ونهى أن يضربها أحد غيره، فضربها سمير، فأمر الحجاج بقتله لاجترأه عليه . فقال سمير: أنا أدلك على ما هو خير للساميين من قتلي، فوضع الأوزان، وزن ألف ونحماية وثلاثمائة إلى وزن ربيع قيراط، وجعلها حديدا ففعا عنه .

وكان الناس قبل ذلك إنما يأخذون الدرهم الوازن فيزنون به غيره، وأكثرها يؤخذ عندها .

ومنها: الذراع، مؤنثة، وهي إحدى الآلات التي تقدر بها المقادير أيضا، بها تقدر الأرضون، ويقاس البز وما في معناه، ولم يزل الناس قديما وحديثا يتعاملون بها

على اختلافها ؛ وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى : ( فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ) . وقد ذكر الماوردي في الأحكام السلطانية سبع أذرع ؛ إحداها العُمريَّة ؛ وهي الذراع التي قدرها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمسح سواد العراق . قال موسى بن طلعة : وطولها ذراع وقبضة وإبهام . قال الحكم بن عتيبة : عمّد عمر رضي الله عنه إلى أطولها ذراعا وأقصمها ذراعا ، فجمع منها ثلاثة وأخذ الثلث منها وزاد عليها قبضة وإبهاما قائمة ، ثم ختم في طرفها بالرصاص ، وبعث بذلك إلى حذيفة وعثمان بن حنيف فمسحا بها السواد .

الثانية الهاشمية ، وتسمى الزبديَّة .

قال : وهي أربع وعشرون إصبعا ، كل إصبع سبع شعيرات مُعتدلات معتزلات ظهرا لبطن ؛ كل شعيرة عرض سبع شعرات من شعر الزبون ؛ وهذه للذراع التي يتمددها الفقهاء في الشرحيات ، وبها قدروا البريد المعتبر في مسافة قصر الصلاة وغيرها ، وربما عبروا عنها بذراع الملك ؛ وسميت بالهاشمية لأن أبا جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس اعتبها ويميل بمقتضاها في المساحة وتبعه سائر خلفائهم على ذلك ، ويسو العباس من بني هاشم ؛ فنسبت إلى بني هاشم مباينة لمن تقدمهم من سلفاء بني أمية .

قال الماوردي : وتسمى الزبديَّة ، لأن زيادا مسح بها السواد أيضا .

الثالثة البليَّة ، وهي أقص من الهاشمية المقدم ذكرها ثلاثة أرباع عشرها ؛ وإنما سميت البليَّة لأن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري هو الذي وضعها ، وذكر أنها ذراع جده أبي موسى

الرابسة السوداء ؛ وهي دون البليَّة بإصبعين وثلاثي أصبع ؛ وأقل من وضعها الرشيد ، قدرها بذراع خادم أسود كان قائما على رأسه .

قال المازردى : وهى التى يتعامل بها الناس فى ذرع البذر والتجارة والأبنة وقياس نيل مصر .

الخامسة اليوسيفية ؛ وهى ذراع السوءا بثلى اصبع ، وأول من وضعها أبو يوسف صاحب أبى حنيفة .

قال المازردى : وبها يدرع الفضاة السود بيغداد .

السادسة القصبة ؛ وهى أقص من الذراع السوءا بإصبع وثلى اصبع ، وأول من وضعها ابن أبى لى القاضى .

قال المازردى : وبها يتعامل أهل كاواذى .

السابعة المهرانية ؛ قال المازردى : وهى بالذراع السوءا ذراعان وثلثا ذراع ، وأول من وضعها المأمون ؛ وهى التى يتعامل بها فى حفر الأنهار ونحوها

ومنها : المقص - بكسر الميم - وهو الآلة المعروفة ، ويُنفع به فى أمور مختلفة .

### الصف الثامن

آلات اللعب ؛ وهى عدة آلات

منها : الرّد - يفتح النون وسكون انزاء المهملة - وهو من حكم الفرس ، وضعه أردشير بن بابك أول طبقة الأكاسرة ، من ملوكهم ، ولذلك قيل له : نردشير ، وضعه مثالا للدنيا وأهلها ، فرتب الرقعة اثنى عشر بيتا بعدد شهور السنة ، والمهارة ثلاثين قطعة بعدد أيام الشهر ؛ وجعل الفصوص بمشابة الأفلاك ، ورميها مثل ثقلها وبورانها ، والنقطة فيها بعدد الكواكب السيارة ، كل وجهين منها سبعة : وهى الشش ويقابله اليسك ، والبنج ويقابله الدو ، والجهار ويقابله التا ؛ وجعل

ما يأتي به اللاعب من النقوش كالقضاء والقدر تارة له وتارة عليه، وهو يصرف المهارك على ما جاءت به النقوش، إلا أنه إذا كان عنده حُسن نظر عرف كيف يتألى، وكيف يعميل على القلب وقهر خُصمه، مع الوقوف عند ما حكمت به الفصوص كما هو مذهب الأشاعرة، لكن قد وردت الشريعة بذكره، قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لَيْسَ بِالرَّذِيئِشِيرِ فَكَأَنَّمَا تَحَسَّسَ يَدُهُ فِي لَحْمِ خَنْزِيرٍ» وفي رواية: «مَلْعُونٌ مَنْ لَيْسَ بِالرَّذِيئِشِيرِ». وفي تحريمه عند أصحابنا الشافعية وجهان: أحدهما التحريم، والثاني الكراهة. وإذا قلنا: حرام فالأصح أنه صغيرة، وقيل: كبيرة.

ومنها: الشُّطْرُجُ<sup>(١)</sup> - بفتح الشين المعجمة أو السين المهملة لقان، والأولى منهما أفصح - وهو فارسيٌّ معرَّب، وأصله بالفارسية شش رنك، ومعناه ستة ألوان وهي الشاه - والمراد بها المَلِكُ - والفرزان، والفيل، والفريس، والرَّيْخُ. واليدين.

ثم الشُّطْرُجُ من أوضاع حكماء الهند وحكَّيم. وضعه صصبه بن داهر الهندى بلهيب ملك الهند مساواة لأردشير بن بابك في وضعه التردى وعرضه على حكماء زمانه قسماً بتفضيله؛ ثم عرضه على الملك وعزفه أمره، فقال: «أحتكم على»، فتحسَّ عليه عددٌ تضعيف بيوتهم من قطعة إلى نهاية البيوت، فاستصغرتهم وأنكر عليه مواجهته بطلب تزييسير؛ فقال: هذه طَلَبِي، فأمر له بذلك، فحسَّه أرباب دواوينه فقالوا للملك: إنه لم يكن عندنا ما يقارب القليل من ذلك، فأنكر ذلك فأوضحه له بالبرهان، فكان إعجابه بالأمر. الثاني أكثر من الأول.

قال ابن خَلِّكَانَ: ولقد كان في نفسى من هذه المبالغة شيء حتى أجتمع بي بعض حُساب الإسكندرية، فأوضح لى ذلك وبينه؛ وذلك أنه ذكر أنه ضاعف (١) الذى فى القاموس أنه يكثر الشين ولا يفتح أزه، وفى لسان العرب أنت الكسر فيه أجره لكونه من باب يفتح.

الأعداد الى البيت السادس عشر ، فأثبت فيه اثنين وثلاثين ألفا وسبعمائة وثمانية وستين حبة ، وقال : فجعل هذه الجملة مقدار قنجر ، ثم ضاعف الساج عشر الى البيت العشرين فكان فيه وية ، ثم انتقل من الويات الى الأردب ، ولم يزل يضعفها حتى انتهى في البيت الأربعين الى مائة ألف إردب وأربعة وسبعين ألف إردب وسبعمائة واثنين وحتين إردبا وثلاثي إردب ، وقال : هذا المقدار شونة ، ثم ضاعف الشون الى بيت الخمسين فكانت الجملة ألفا وأربعة وعشرين شونة ، وقال : هذا المقدار مدينين ، ثم انه ضاعف ذلك البيت الى الرابع والستين ، وهو نهايتها ، فكانت الجملة ست عشرة ألف مدينة وثلاثمائة وأربعا وثمانين مدينة ، وقال : تعلم أنه ليس في الدنيا مدن أكثر من هذا العدد .

قال الصلاح الصفدي في شرح الالامية : وأتحرما اقتضاه تضعيف رقعة الشطرنج ثمانية عشر ألف ألف ست مرات ، وأربعمائة وستة وأربعون ألفا خمس مرات ، وسبعمائة وأربعة وأربعون ألفا أربع مرات ، وثلاثة وسبعون ألفا ثلاث مرات ، وسبعمائة وتسعة آلاف مرتين ، ونجممائة وأحد ومحمسون ألفا ، وستمائة ونمسين عشرة حبة عددا .

قال الشيخ شمس الدين الأنصاري : إذا جمع هذا العدد مراما واحدا مكعبا ، كان طوله ستين ميلا ، وعرضه كذلك ، وأرتفاعه كذلك ، بالميل الذي هو أربعة آلاف ذراع ،

واللعب بالشطرنج مباح ، وقد ذكر الشيخ أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله في "المهذب" : أن سعيد بن جبير الإمام الكبير التابعي المشهور كان يلعب الشطرنج عن استئجار . ومن يضرب به المثل في لعب الشطرنج الصولي ، وهو أبو بكر محمد ابن يحيى بن عبد الله بن العباس بن صولي تكمين الكاتب . ويقال : إن انامون كان



لا يبيد لعب الشطرنج، فكان يقول : عجباً منى كيف أدبر ملك الأرض من الشرق إلى الغرب ولا أحسن تدير رقعة ذراعين فى ذراعين . ثم فى حله عند أصحابنا الشافعية ثلاثة أوجه أحسها أنه مكروه ، والثانى أنه مباح ، والثالث حرام ، فإن اقترن به رهن من الجانيين أو أحدهما فإنه محرم بلا نزاع .

### الصفحة التاسع

#### آلات الطرب ، وهى عدة آلات

منها العود ، وهو آلة من خشب غرقنة ، له عنق ورأسه ممال إلى خلقه ، وهو آلة قديمة وتسميه العرب المزهر — يكسر الميم — وهو أنقر آلات الطرب وأرغمها فدرا وأطيبها سماعا ، حتى يقال إنه قيل له : هل يسمع أحسن منك ؟ فقال : لا ، وأمال رأسه إلى خلقه فهى مالة لأجل ذلك

ومنها الخنك ، قال فى "التعريف" : وهو آلة محدثة طيبة النغمة ، لذيد السماع يقابب العود فى حسنة ، وشكله مبين لشكل العود ، ورأسه ممال إلى أسفل ، يقال إنه قيل له : هل يسمع أحسن منك ؟ فقال : هم ، يريد العود .

ومنها الرباب — بفتح الراء — وهى آلة مجوفة مركب عليها خصلة لطيفة من شعر ثم عليها بقوس وتره من شعر فيسمع لها حس طيب ، وأكثر من يعانها العرب

ومن أنواعها نوع يعبر عنه بالكنتجة لطيف القدر فى تدوير ، أطيب حسا وأشهى من الرباب

ومنها الدف — بضم الدال — وهو معروف ، ثم إن كان بغير صنوج — وهى للمبر عنها فى زمنا بالصراصير — خل سماعه ، أو بصنوج فالأصح كذلك .

ومنها : الشَّابَّةُ — بفتح الشين — روى الآلة المخذة من القَصْبِ المَخُوف ،  
ويقال لها : اليرَاع أيضا نسبة لها باسم ما اتخذت منه ، وهو اليراع يعنى القصب ،  
وربما عثر عليها بالزمان العراقي ، وتصحيح مذهب الشافعي رضي الله عنه يختلف فيها ،  
فالزلفي رحمه الله يميز سماها والنووي يمنع من ذلك .

### الصنف العاشر

المسكرات والآلات ، وهي عدة أشياء

منها الخمر ، وهي ما اتخذ من عصير العنب خاصة ، وهي محرمة بنص القرآن .  
قال تعالى : ( إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ  
فَاجْتَنِبُوهُ ) وأبو حنيفة يبيحها للتداوي والعطش ، ولم ينع عند الشافعية إلا لاساعة  
لحمه المغصوم خاصة ، وشاربها يحسد بالاعتق ، وحكم بغاسها تغليظا في الزجر  
عنها ، وأباح أبو حنيفة المثلث : وهو ما ذهب ثلثه وبقي ثلثه ، وقال بطهارته ،  
وجرى عند أصحابنا الشافعية وجه بالطهارة

أما المخذ من الزبيب والنمر وما شاكله فإمّا يقال له نبيذ ، وقد ذهب الشافعي  
رضي الله عنه الى القول بتنجيسه والحذر بشربه وإن لم يلبث منه الى قدر يحصل منه  
سكر . ومنع أبو حنيفة الحذر في القدر الذي لا يسكر .

ثم للمعمر أسماء كثيرة باعتبار أحوال ، فتسمى الخمر لأنها تخر العقل أي تفتيه ،  
والحميا لأنها تسمى الجسد ، والعقار لأنها تعاق الدنس أي تطول مدتها فيه الى غير  
ذلك من الأسماء التي تكاد تجاوز مائة .

ومنها الإبريق ، وهو الإناء الذي يصب منه ، والإبريق في أصل اللغة ماله  
خرطوم يصب منه .

ومنها القَدْحُ ؛ وهو إناء من زجاج ونحوه يصب فيه من الإبريق المقدم ذكره .  
ومنها الكَأْسُ ؛ وهو القَدْحُ بعد امتلائه ؛ ولا يسمى كأساً إذا كان فارغاً بل  
قَدْحاً كما تقدم .

ومنها الكُوبُ — بالباء الموحدة — وهو الذي لا عُرْوَةَ له يُمسك بها ، أما  
إذا كانت له عُرْوَةٌ فإنه يقال له كُوز بالزاي المعجمة .

قلت : والعَجَبُ ممن يُلْهِبُ طِيَّانَهُ في حياته الدُّنْيَا ، ويفوز بما وَصَفَهُ المَرَارَةُ  
وطبعه إزالة العقل الذي به تُدْرِكُ اللَّذَّةُ ، ويفوت النعيمُ المقيمُ في دار البقاء ! فقد  
ورد " أن من شرب الخمر في الدنيا لم يَطْعَمَهَا في الآخرة "

قال العلماء : إذا رآها ، لا يشتهيها ولم تطلبها نفسه ، وقد وصف الله تعالى حال  
مهر الجنة بقوله : ( يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ  
لَّا يُصَدَّعُونَ فِيهَا وَلَا يُزْنَوْنَ ) وأنبع ذلك بكال النعمة في قوله : ( وَقَالِكُمَا يَمَّا  
يَتَخَيَّرُونَ وَلَحِمٍ طَيْرٍ يَمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَزَاءً يَمَّا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا )

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ! فلا تحرمنا خير ما عندك بشر ما عندنا .

ومنها : الحَيْشِيَّةُ التي يأكلها سَفِيلَةُ النَّاسِ وأراذلهم ، وقسمها الأطباء بالشهيدانج  
ومعها ابن البيطار في مفرداته ما يقنّب الهندى ؛ وهى مذمومة شرعاً ، ومضرة  
طبعاً ، تُفسد المزاج ، وتؤثر فيه الجفاف وغلبة السوداء ، وتفسد الذهن ، وتورث  
مَسَاءَةَ الأخلاق ، وتُحْطُّ قَدَرُ متاعها عند الناس ؛ الى غير ذلك من الصفات الذميمة  
المتكاثرة . و كلام القاضي حُسَيْن يدل على أنه لا يَحْدُ متاعها وإن فُسِقَ ، فإنه قال :  
وغير الخمر مثل البَنَجِ وجوز مانل والأفيون لا يَحْدُ متاعها بحال ؛ بل إن تعدد

تسأله فسق به، وإن تناوله غلطاً أو للتداوى لم يفسق؛ وقد أفرد ابن القسطلاني الحشيشة بتصنيف سماه "نكزامة المينشة"، في ذم الحشيشة، ذكر الكثير من معانيها ومساوي متعاطيها، أعادنا الله تعالى من ذلك .

### النوع الثامن

بما يحتاج الى وصفه الأفلاك والكواكب، وفيه مقصدان :

#### المقصد الأول

في بيان ما يقع عليه اسم الفلك وعيد أكره<sup>(١)</sup>، وما بين كل كرتين

وحركة الأفلاك في اليوم والليلة

أما ما يقع عليه اسم الفلك فالمراد بالأفلاك السموات . قال صاحب "مناج الفكر" : "تواطأت الأمم على تسمية أجرام السموات أفلاكا، وقال ابن قتيبة في "أدب الكاتب" : "الفلك مدار النجوم الذي يضمها"، وأحتج بقوله تعالى بعد ذكر النجوم: "وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ" قال : "وسمي فلکا لاستدارته"، ومنه قيل : فلانة المنزل لاستدارتها .

وأما شكل الفلك وهيئة، فقد اختلف علماء الهيئة في ذلك : فذكر الأكثرون منهم أنها كرية لا مسطحة، لأن أسرع الأشياء حركة السموات وأسرع الأشكال حركة الكرة لأنها لا تثبت على مكان من الأمكنة إلا بأصغر أجزائها .

وأما عدد أكره، فقد ذكر الجمهور من علماء الهيئة أن الفلك عبارة عن تسع أكره منسقة، ملثثة بعضها فوق بعض الغلاف طبقات البصلة، بحيث يماس عذب

(١) في التاموس الأكره ثنية في الكرة . وقد جمعا المؤلف على هذه اللفظة، وفي اللسان : أن أكره جمع كرة مغلوب اللام الى موضع الفاء فالتلوه .

كلُّ كُرَّةٍ سُفِّلَ مقعر كُرَّةٍ أُخرى عُلِّيَا اذ لا خَلَاءَ بينهما عندهم . قالوا : وأقربُ هذه الأُكُرِ الى الأرض كُرَّةُ القَمَرِ ، ثم كُرَّةُ عَطَّارِدَ ، ثم كُرَّةُ الزُّهْرَةِ ، ثم كُرَّةُ الشَّمْسِ ، ثم كُرَّةُ المِرْيَجِ ، ثم كُرَّةُ المُشْتَرَى ، ثم كُرَّةُ زُحَلٍ ، ثم كُرَّةُ الكَوَاكِبِ الثَّابِتَةِ ، ثم كُرَّةُ الفَلَكِ الأَطْلَسِ ؛ وسمي بالأطلس لأنه لا كواكب فيه ، ثم الفَلَكُ المحيط . ويسمى <sup>(١)</sup> فَلَكَ الكَل ، وفَلَكَ الأَفلاك ، والفَلَكَ الأعظم ، وحكى النوحى فى "كتاب الآراء والديانات" أن بعض القدماء ذهب الى أن كُرَّةَ الشمس أعلى من سائر كُرَّات الكواكب ، وبعدها كُرَّةُ القمر ، وبعدها كُرَّةُ الكواكب المتحركة ، ثم كُرَّةُ الكواكب الثابتة . والمتفلسفون من الإسلاميين لما حكمت عليهم لصوص الكتاب والسنة بالانقصار على ذكر سبع سموات ، زعموا أن الفلك الثامن من الأفلاك التسعة هو الكُرْبُسى ، والفلك التاسع هو العرش . وذهب بعض القدماء من علماء الهيئة الى أن فوق الكُرَّةِ التاسعة كُرَّةٌ ثاشرة هى المحركة لسائر الأُكُرِ . وذهب آخرون الى أن وراء هاية الأجرام السماوية خَلَاءٌ لانهائية له ، وذهب بعض الفلاسفة الى أن وراءها عالمُ الصورة ، ثم عالمُ النفس ، ثم عالمُ السياسة ، ثم عالمُ العِلَّةِ الأولى ، ويعنون به البارئ تعالى عن الجهة . والصائبة يسمون هذه العوالم أفلاكا

واما ما بين كل كُرَّتَيْنِ ، فذهب أهل الهيئة الى أنها متراصة لا خلاءَ بينها لكن قد ورد الشرع بما يخالف ذلك ، فاطبق القصاصُ من أهل الأثر على أن بين كلِّ سماءَ وسماءَ ثَمَنِمائة سنة ؛ وفى سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ أن "بين كلِّ سماءَ وسماءَ واحدة أو اثنتان أو ثلاثٌ وسبعون سنة"

وأما حركة الأفلاك اليومية، فإن الفلك الأطلس المتقدم ذكره يحتك بما في ضمنه في اليوم واليلة حركة واحدة دورية على قطبين بائلين يسميان قطبي العالم أحدهما عظمى تقطع هذا الفلك نصفين تسمى دائرة مُعدّل النهار، لأن الشمس متى حلت بها اعتدل النهار في سائر الأقطار، وتقاطع هذه الدائرة دائرة أخرى متوهمة تقسم هذا الفلك نصفين على قطبين متقابلين، يصير نصفها في شمالي مُعدّل النهار ونصفها الآخر في جنوبيه، ويسمى منطقة البروج، وهذه الدائرة ترسمها الشمس بحركتها الخاصة في السنة الشمسية، ومن ثمّ قسمت اثني عشر قسما ويسمى كل قسم منها برجا.

### المقصد الثاني

في ذكر الكواكب وعملها من الأفلاك؛ وهي على ضربين

#### الضرب الأول

##### الكواكب السبعة السيّارة

وهي زُحل، والمُشتري، والمريخ، والشمس، والزهرة، وعطارد، والقمر. ويتعلق القول بها من جهة مراتبها، وأشتقاق أسمائها، ومقادير أبعادها من الأرض، وقدر تحطّ كل كوكب منها.

فاما القمر، فماخوذ من القمر وهو البياض، سمي بذلك لبياضه؛ وقد تقدّم أنّ فلكه أقرب الأفلاك الى الأرض؛ وهو المبرع عنه بالسما الدنيا، ودوره ألف ومائة وخمسة وثمانون ميلا، وهو جزء من تسعة وثلاثين جزءا من الأرض؛ وبعده

(١) في المواضع للقرنيزي: «يرقسم الفلك خط من دائرة تقسمه نصفين ... وتسمى هذه الدائرة دائرة معدل النهار». قلل في عبارة الأصل سقطا من النسخ وجره.

من الأرض مائة ألف وسبعة آلاف وخمسمائة وتسعون ميلاً . وهو يسمى هلالاً  
الليلة الأولى والثانية والثالثة ثم هو قرص إلى آخر الشهر . ويسمى في ليلة أربع عشرة :  
بالبدء ، قيل لمبادرته الشمس قبل الغروب ، وقيل : لتماها وأمتلائه ، كما قيل  
لعمرة آلاف : بدنة لأنها تمام العدد ومتناه . ويستمر ليلة في آخر الشهر ، وربما  
استمر ليلتين فلا يرى بمعنى أنه يختفي فلا يرى ؟ ويسمى هذا الاختفاء السرار .

وأما عطارد فتمناه النافذ في الأمور ، ولذلك سمى الكاتب ، وهو في الفلك  
الثاني بعد قلك القمر ، ودور قرصه سبعمائة وعشرون ميلاً ، وهو جزء من اثنين وعشرين  
جزءاً من الأرض ، وبعد ما بينه وبين الأرض مائتا ألف وخمسة آلاف وثمانمائة  
ميل .

وأما الزهرة فاخوذة من الزاهر وهو الأبيض ، سميت بذلك لياضها ،  
وهي في الفلك الثالث من القمر ، ودور قرصها ستة آلاف وسبعة وأربعون ميلاً ، وهي  
جزء من ستة وثلاثين جزءاً من الأرض ، وبعدها عن الأرض خمسمائة ألف وخمسة  
وثلاثون ألفاً وستمائة وأربعة عشر ميلاً .

وأما الشمس فسميت بذلك لشبهها بالشمسة وهي الواسطة التي في الحقيقة ،  
لأن الشمس واسطة بين ثلاثة كواكب سفلية ، وهي القمر وعطارد والزهرة ، وبين  
ثلاثة علوية ، وهي المريخ والمشتري وزحل ، وذلك أنها في الفلك الرابع من القمر ،  
ودور قرصها مائة ألف وثمانمائة وثمانون ميلاً ، وهي مثل الأرض مائة وست  
وستون مرة وربع وثمن مرة ، وبعدها عن الأرض ثلاثة آلاف ألف وخمسة آلاف  
وأثنان وتسعون ألفاً ومائة وثلاثة وأربعون ميلاً

وأما المِرِّيخُ فماخوذ من المَرِخ؛ وهو شجر تَحَنُّكُ أغصانه فتورى النار، فسمى بذلك لشبهه بالنار في أحمراره، وقيل: المِرِّيخُ في اللغة هو السهم الذي لا ريش له، والسهم الذي لا ريش له يتوى في سيره، فسعى النجم المذكور بذلك لكثرة التواءه في سيره، وهو في الفلك الخامس من القمر، وهو مثل الأرض مرة ونصفاً، وبُعدُه عن الأرض ثلاثة آلاف ألف وتسعمائة ألف وأتتا عشر ألفاً وثمانمائة وستة وستون ميلاً.

وأما المُشْتَرَى فسمى بذلك لحسنه كأنه اشترى الحسن لنفسه، وقيل: لأنه نجم الشراء والبيع عندهم، وهو في الفلك السادس من القمر، وتدور قمره أحد وتسعون ألفاً وتسعمائة وتسعة وسبعون ميلاً، وهو مثل الأرض خمس وسبعون مرة ونصف، وثمن مرة، وبُعدُه عن الأرض ثمانية وعشرون ألف ألف وأربعمائة ألف وثمانية وستون ألفاً ومائتا ميل.

وأما زُحَلُ فماخوذ من زَحَلَ إذا أهلاً، سمي بذلك لبطله في سيره، وقد فسره بعض المفسرين قوله تعالى «النجم الثاقب» وتدور قمره تسعون ألفاً وسبعمائة وتسعة عشر ميلاً، وبُعدُه عن الأرض ستة وأربعون ألف ألف ومائتا ألف وسبعمائة وسبعة وسبعون ميلاً، وأهل المغرب يسمون زُحَلَ المُقَاتِلِ، ويسمون المِرِّيخَ الأحمر، ويُسمون عطارد الكَتَبَ.

والقُرْسُ يسمون الكواكب السبعة بأسماء بلغتهم، فيسمون زحل كِبْوَان، والمُشْتَرَى تير، والمِرِّيخَ بهرام، والشمس مهر، والزهرة أناميد، وعطارد هرمس، والقمر ماه.

وأعلم أن لكل من هذه الكواكب السبعة حركتين:



إحداها قنبرية ؛ وهى حركته بمحركة فلک الكل فى اليوم واللييلة حركة تامة ،  
وتسمى الحركة السريعة .

والثانية حركة ذاتية يتحرك فيها هو بنفسه من المغرب الى المشرق وتسمى  
الحركة البطيئة .

ويختلف الحال فيها بالسير باختلاف الكواكب ، فلكل واحد منها سير يخصه ؛  
وهذه الحركة فى القمر أين لمرعة سيره ، إذ يقطع الفلك بالسير من المغرب الى  
المشرق فى كل ثمانية وعشرين يوما مرة . وقد مثل القدماء من الحكماء للحركتين  
الذكرتين بمثلين .

أحدهما بمحركة السفينة براكبها الى جهة جريان الماء وتحرك الراكب فيها الى  
خلاف تلك الجهة .

والثانى يتحرك نملة تدب على دؤلاب الى ذات الشمال ، والدؤلاب يدور الى  
ذات اليمين .

## الضرب الثانى

### الكواكب الثابتة

وهى الكواكب التى فى الفلك الثامن على رأى علماء الهيئة ، ومثبت ثابتة لأنها  
ثابتة بمكانها من الفلك لا تتحرك من المغرب الى المشرق ، كما تتحرك السبعة السيارة ،  
إلا حركة يسيرة جدا ، وإنما تتحرك بحسب حركة فلک الكل بها من المشرق الى  
المغرب فى اليوم واللييلة ، والذي يحتاج الى ذكره منها الكواكب المشهورة مما تُتعارَف به  
الأزمنة على ما تقدم ذكره ، أو ما يدخل تحت الوصف والتشبيه .

وهى ثلاثة أصناف :

## الصنف الأول

بحجم البروج التي تتصل فيها الشمس في فصول السنة

وهي اثنتا عشرة صورة في اثني عشر رجلا، بعضها من منازل القمر، وبعضها من صور أخرى جنوبية وشمالية، وبعضها من كواكب متفرقة لا تنسب إلى صورة .

الأول الحمل وهو الكباش ، وهو صورة كبش على خط وسط السماء مُقَدَّمه في المغرب ومؤخره للشرق؛ وأول ما يطلع منه قَد ، وهو الكوكب الجنوبي المنفرد من الكوكبين الشماليين من مَفْصِل ألد من الشرطين ، وعلى قرنيه الكوكبان الجنوبيان المقتربان من الشرطين ، وعلى جنبه اليمنى الكوكب الشمالي المضى من الشرطين ، وعلى جنبه اليسرى كوكب خفي بقرب الشمالي من الشرطين ، وعلى تحيته آخر مثله ، وعلى مَفْصِل يده الكوكبان الشماليان اللذان على عقب الرجل اليسرى من الثريا ، وهو الذي يقال له البُعَيْن ، ويده وساقاه تمتدان إلى الشمال ، وكأنه إنما يظهر منه يد واحدة ورجل واحدة ، والثريا على طرف أَلْتِه .

الثاني الثور وهو صورة ثور على خط وسط السماء ، مُقَدَّمه إلى المشرق ومؤخره إلى المغرب ، وظهره إلى الشمال ، ويده ورجلاه إلى الجنوب ، وعلى مؤخره أربعة كواكب تسمى القطع أي هي موضع ذنبه المقطوع ، والدَّبْرَانُ وجهه ، وركن الدَّبْرَانِ قَد ، والكوكب المضى الذي في الدَّبْرَانِ جنبه ، وكوكبان خارجان عن الدَّبْرَانِ فَرْدَة قرنيه ، وقرنه الآخر كوكب متباعد عن الدَّبْرَانِ نفسه إلى الشمال ، وليس وجهه مستويا ولكنه شبه بالمقطوع الذي جعل خذله على رأس عُنقه ويده منحطتان إلى الجنوب ، ويظهر منه رجل واحدة ويدان ، وذَنَبُه أبتر ، والثريا خارجة عنه إلى الشمال وكذلك اللطخة ، وهي ثلاثة أنجم تشبه الثريا بين الثريا والدَّبْرَانِ وليستا من صوره .

الثالث التَّوَمُّ : وهو المعبر عنه في السِّتَةِ الناس بلحوزاء . قال الحسين بن يونس .  
الحاسب في كتابه في "هيئة الصور الفلكية" : والناس مخطئون في ذلك وإنما  
الجزءاء هي الصورة المعروفة بالجبار في الصور الجنوبية ، وقدم التوَم الأيمن بعض  
كواكب الجبار التي على تاجه . قال : والتوَم على خط وسط السماء جَسَدَانِ  
ملتصقان برأسين ، يظهر لكل واحد منهما يد واحدة ورجل واحدة ، والرأسان  
في جهة المشرق ، ورجلاهما في جهة المغرب ، والذراع الشامي هو الرأسان ، ويده  
اليمنى وهي التي في جهة الشمال هي الذراع اليماني ، والمضىء من الذراع اليماني يسمى  
الشَّعْرَى القَمِيبَاء ، ويده اليسرى تمتد إلى التوابع .

الراح السَّرَطَانُ : وهو صورة سَرَطَانٍ على وسط السماء ، رأسه إلى الشمال ومؤخره  
إلى الجنوب ؛ والنَّثْرَةُ على صدره ، وحيثه كوكبان خفيان تحت النثرة يُدْعَيَانِ بِالْجَمَارَيْنِ  
وَرُبَّانَاهُ كوكبان فيهما خفاء ، وأحدهما أضوأ من الآخر ، يكونان تيمالين من التوَم  
ومؤخره كُفُّ الأَسَد .

الخامس الأَسَد ، في وسط السماء ، فَمُّ مفتوح إلى النَّثْرَةِ ، وعلى رأسه كواكب  
مضيئة ، والطَّرْف على عنقه ، والجهة على صدره وقلبه الكوكب الجنوبي . المضىء  
من النَّثْرَةِ ؛ وهو عظيم النور ، وكأمله كواكب خفية خارجة عن الطَّرْف والجهة إلى  
الشَّمال وانحراناً خاصرتة ، والصَّرْفَة ذنبه ، وكُفُّه المتقدمة في آخر السَّرَطَان ، وكفه  
الأخرى بعد هذه الكف إلى المشرق ، ورجله الأولى تخرج من الكوكب القبلي من  
الخَرَاتَيْنِ إلى الجنوب ، والأخرى تحت هذه المشرق ، وكبده كوكب يتوسط مع الجهة  
شمالاً منها . وسائر قماراته إلى المشرق .

السادس العُذراء في وسط السماء . قال حسين بن يونس : والعرب تسميها السُّبُلَة وهو خطأ ، وإنما هي حاملة السُّبُلَة ، ورأسها في الشَّمال بِمِيلَة الى المغرب ورجلها في الجنوب ، وهي مستقبلَة المشرق وظهرها الى المغرب . قال : ورأسها كواكبٌ صفراء مستديرة كاستدارة رأس الإنسان تكون جنوبيه من كوكبي الخرتاين ومتجاها أربعة كواكب تحت هذه الى الشرق ، وجناحها الأيمن ستة كواكب كهيئة الخنّاط .

السابع الميزان ، وهو صورة ميزانٍ كُفَّتْهَا الى جهة المشرق وقبها الى جهة المغرب ، والنمالة الأعزل على قَبْها من الجهة اليمنى ومقابله كوكب آخر على قَبْها من الجهة الشَّمالية ، وكوكب آخر خارج من وسطها الى المغرب على علاقتها ، وهو على قُصْبَة السُّبُلَة ، وكوكبان من القُفَر على محامله مع كواكب أُتْرَ ، وُزْبَانِيَا العقرب كُفَّتْهَا .

الثامن العقرب ، وهو صورة عَقْرَب على وسط السماء ، رأسه في المغرب ، وذنبه في المشرق ، وإحدى رجله في الجنوب ، والأخرى في الشَّمال ، والقُفَر على رأسه ، والزُّبَانِيَان اللذان هما كُفَّتَا الميزان زُبَانِيَاهُ ، وعيناه كوكبان خفيان فيما بينهما وبين الإكليل ، والإكليل على صدره ، والقلب هو قلبه ، ونياط القلب كوكبان خفيان والقلب في وسطهما ، وهو خارج عنهما الى الشَّمال ، والشُّوْلَة ذَنْبُهُ ، والكواكب التي على طرفها جبهته ، وإبرته لَطْمَةٌ مستطيلة فيما بين الشُّوْلَة والنَّعَائِم الصادرة ؛ ففيه من منازل القمر خمسٌ منازلٌ ، وهي القُفَر ، والزُّبَانِيَان ، والإكليل ، والقلب ، والشُّوْلَة ؛ وأظهر ما تكون صورة العقرب وهو على الأنف عند الغروب ؛ ففيه من منازل القمر ثلاثٌ منازلٌ : الإكليل والقلب والشُّوْلَة .

الناصح القوس، ويسمى الراى، ونجوم هذا البرج نصفه شبه قوس، وهو مؤخره الى جهة المغرب، ونصفه وجه إنسان تقوس وهو فى جهة المشرق، ورأسه فى الشمال ورجلاه فى الجنوب؛ والنعام الواردة على وسطه، وهو على الجسد الذى يشبه بدن القوس، وذنبه يشبه لطفة مستطيلة مع كوكب صغير تحتها والكواكب دعبان أى النعام، والبلدة على مقيض القوس ويده اليمنى قابضة على رأس السهم، وهى كواكب تكون تحت لطفة صغيرة قريبة منها

العاشر الجدى: وهو صورة جدى مستلقي على ظهره، مقدمه فى المغرب، ومؤخره فى المشرق، وظهره للجنوب ويده ورجلاه الى الشمال، وهو شبيه بالمقلب الى القوس وقرناه الى بطنه، وفه الى القوس، وليس له إلا يد واحدة، والكوكب الشمالى من سعد النابح أحد قرتيه، والجنوبى منه قرنه الآخر، وكوكب آخر خفى تحت سهم القوس غربى سعد النابح فله، وعلى كتفه سعد بضع، وعلى وركه سعد السعد، والمضى من سعد السعد حق وركه وشق الحوت الجنوبى على ظهره، وطرف يده ثلاثة كواكب مضيئة بقرب اللاح فيها خفاء، وطرف رجله الكوكب المسمى رأس الدلو.

الحادى عشر الدلو، وهو صورة رجل قائم بيده دلو، رأسه الى الشمال ورجلاه الى الجنوب، وظهره الى المشرق، ووجهه الى المغرب، والكواكب التى تسمى الحياء من سعد الأخبية رأسه، ويده اليسرى من فوق رأسه حتى تنزل الى الدلو الذى عن يمينه، وسعد الأخبية مرفقه الأيسر، وبطنه يسمى الحزة، ودلوه أربعة سعدود من السعد السبعة التى ليست من منازل القمر، هى سعد نائشة، وسعد الملك، وسعد الهام وسعد المانح، وكل سعد منها كوكبان، وعلى رجله اليسرى كوكب عظيم النور،

وعلى وجهه اليمنى كوكب أبيض يقرب في العظم من الذي قبله ، والفرع المقدم خارج من صورته الى الشمال .

الثاني عشر الحوت : وهو صورة سمكتين إحداها المنزلة التي تسميها أصحاب المنازل بطن الحوت وهي شمالية ، والثانية جنوبية عنها وهي أطول منها وأخفى الكواكب ، والكواكب السبعة السيارة ترسم الجنوبية منهما بمسيرهن ، ويشق السمكة الجنوبية ثلاثة من السعوط السبعة التي من غير منازل القمر هي سعد الممائم وسعد البارح وسعد الماطر<sup>(١)</sup> ، وليس الفرع المؤخر في جسم الحوت بل خارج عنه الى الشمال والمغرب .

### الصنف الثاني

بجوم منازل القمر التي ينتقل فيها القمر من أول الشهر الى الثامن والعشرين منه وهي ثمان وعشرون منزلة يداخل أكثرها صور البروج الاثني عشر المتقدمة . الأولى الشرطان ، والشرطان تثنية شرط ، وهو العلامة ، كأنه سمي بذلك لكونه علامة على طلوع الفجر عند طلوعه ، وتسمى أيضا النطع والناطح لأنها عند أصحاب الصور قرنا الحمل ، وهما كوجان يريان بينهما قاب قوسين ، أحدهما في الشمال والآخر في الجنوب الى الجانب الجنوبي ، ومنها كوكب ألطف منه يعد معه أحيانا ولذلك يسمى بعضهم هذه المنزلة الأشراط على الجمع لا على التثنية ، وهذه الثلاثة الكواكب إذا ظهرت في المشرق ظهرت كأنها مقلوبة منكسة ، وواحد منها أحمر مضى وتحت آخر خفي ، والثالث في الشمال وهو أحمر مضى .

(١) الذي في القاموس سعد ماطر .

الثالثة الثريا، ويسمى النجم علما عليها، وبه فسر قوله تعالى (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ) وهي ستة أنجم صفار يظنها بعض الناظرين سبعة أنجم، وهي في شكل مثلث متساوي الساقين، وبين نجومها نجومٌ صفار جدًا كالرشاش، ومطلعها الى الشمال عن مطلع الشرطين والبطين، وأول ما يطلع منها وينيب هو الجانب العريض دون الأنفاد منها، وهي عند أصحاب الصور بالقرب من محل ذئب الثور المقطوع. قال ابن يونس: وليست من صورة الثور، وبعضهم يسميها آية الحمل لقربها منه.

الرابعة الدُّرَّانُ، ويسمى تَالِي النجم لكونه يطلع تَلَو الثَّريَّا، وربما سمى حَادِي النجم لذلك، ويسمى أيضا المُجَدِّحَ وعين الثور؛ وهذه المذلة سبعة أنجم تشبه شكل الدال، واحد منها مضى أحمر عظيم الثور، واسم الدُّرَّان واقع عليه في الأصل ثم قلب عليه وعلى باقي المذلة . وهذه الكواكب السبعة عند أصحاب الصور هي رأس الثور، وأقل ما يطلع منه طرف الدال، ويكون رميها الى الجنوب وفتحها الى الشمال، والكوكب الأحمر المضى هو آخر ما يطلع منها، والعرب تقول للكوكبين القريين منه : كَلْبَاهُ، والباقي غَنَمُهُ، وربما قالوا : قِلَاصُهُ، ويقولون في خرافاتهم : إن الدُّرَّانَ خطب الثَّريَّا الى القمر فقالت : ما أصنع بِسُتْرُوتٍ ؟ فساق اليها الكواكب المسماة بالقِلَاصَ مَهْرًا، فهربت منه فهو يطلبها أبداً، ولا يزال تابعها لها، ومن قَمَّ قالوا في أمثالهم : «أَوْفَى من الحَادِي وأَعْدَر من الثَّريَّا» .

(١) المراد بالحادى الدبران كما تقدم فى كلامه وكما يشير إليه قول الشاعر : كما وفى قلاص النهم حادياً •  
 ووقع فى الأصل الجارى وهو تصحيف •

الخامسة المَهْنَعَةُ ، سميت بذلك تشبيهاً بدائرة تكون في عُنق الفرس ، وقد مر القول عليها في الكلام على أوصاف الخيل ؛ وهي ثلاثة كواكب محابية صفار تسمى الأثافي ، وهي على أعلى القدم اليسرى من التوهم المعبر عنه بالجوزاء .

السادسة المَهْنَعَةُ ، وهي خمسة النجم على شكل الصُّوْلَجَانِ ، أربعة منها على خط مستقيم ، الثالث منها يسمى قوس الجوزاء ، والخامس منعطف الى جهة الجنوب مقدار شبر في رأى العين ، وسميت هَئِئَةً لانعطافها اخذاً من قولهم : هَئِئْتُ الشيء إذا عطفتَه ، وبعضهم يسميها التحية ، وهي عند أصحاب الصور خلاف لأحد التوهمين المعبر عنهما بالجوزاء ، ويقال : الهنعة قوس الجوزاء يرى بها ذراع الأسد ، وقائل ذلك يزعم أنها ثمانية النجم في صورة قوس من مقبضها النجمان الاذان يقال لهما : الهنعة ، وبعضهم يقول : إن الهنعة كوكبان مقتزمان ، الشمالُ منهما أضوؤها وحذاءهما ثلاثة كواكب تسمى التحايا وربما عدل القدر فقتل بها .

السابعة الذراع : وهي كوكبان : أحدهما نير والآخر مظلم ، بينهما قدر سوط في رأى العين ، وفيما بينهما كواكب صفار تسميها العرب الأطفار ، وسميت هذه المترلة بالذراع لأنها عندهم ذراع الأسد وللأسد ذراعان ، مقبوضة وفيها يتزل القمر وهي جنوبية ، وسميت مقبوضة لأن الأخرى أرفع منها في السماء ، ولهذا سميت مبسوطة ، وهي مثلها في الصورة ؛ وأصحاب الصور يعملون هذه الذراع في صورة الكلب الأصغر ، وربما عدل القمر عن المقبوضة فقتل بها .

الثامنة الثرة ، وهي لَطْخَةٌ كَقِطْعَةٍ مَحَابٍ يعملها أصحاب الصور على صدر السُّرَّكَانِ ؛ وسميت ثرة لأن الى جانبها نجمين صغيرين هما عند العرب على متخوى



الأسد، وتسميها الحارين، وقيل إنها لما كانت أمام جبهة الأسد شبهت بشيء نثره من أنه، ويقال إنها قم الأسد ومتخراه، وتسمى اللهاة أيضا وتشبه بالمعلف .

التاسعة الطرف، وهي كوكبان خفيان مقترنان بين يدي الجبهة، سمي بذلك لموقعهما موقع عيني الأسد، وقدامهما ستة كواكب صفار تسميها العرب الأشعار اثنان منها في تسقي الطرف، والأربعة البواقى بين يديه .

العاشر الجبهة، ثلاثة كواكب ثيرة قد عدل أوسطها الى الشرق، فهي لذلك على شكل مثلث مستطيل القاعدة قصير الساقين، وإلى الجنوب عنها نجم أحمر مضى جدا يسمى قلب الأسد يزسمه المنجمون في الأسطرلاب، وأصحاب الصور يحولون الجبهة حل كتيف الأسد .

الحادية عشرة الخواطان، وتسمى الزبرة وعُرف الأسد والزبرتين، وهما كوكبان ثيران بينهما في رأى العين مقدار ذراعين، وهما معترضان ما بين المشرق والمغرب، يمتدان عند التوسط مع خط الاستواء، وسمي الخواطين تشبيها بثقبين في السماء، ومنه نَحَرَتُ الإبرة، ونَحَتَ هذين النجمين تسعة النجم صفار . وسميت الزبرة لشعر يكون فوق ظهر الأسد مما على خاصرته، وعدوا الجميع أحد عشر كوكبا منها بجمان هما الخواطان والتسعة الشعر .

الثانية عشرة الصرقة، وهي كوكب ثير، وهو عند أصحاب الضور قُنب الأسد، والتُنْبُ : وعاء القضيبي، وبالقُرب من هذا الكوكب سبعة النجم صفار طُمَس ملاصقة له، وسمي هذا الكوكب بالصرقة لانصراف الحر عند طلوعه مع الفجر من المشرق، وانصراف البرد إذا غرب مع الشمس، ويقال الصرقة ناب الدقر لأنها يَفْتَقِرُ قَصَل الزمانين، ويشكل مع الخواطين مثلثا له زاوية قائمة وإحدى ساقيه أطول من الأخرى وفي قاعدته قصر .

الثالثة عشرة العواء، وهي خمسة كواكب <sup>(١)</sup> نيرة على شكل لام، كان أعتبر ابتداءها من الشمال وعطفها من جهة الجنوب لكن المصطف منها أربعة والمنعطف واحد، ويقال لها أيضا وركا الأسد، وتشبهها العرب بكلاب تعوى خلف الأسد لأنها وراه، ولذلك سميت العواء، وأصحاب الصور يجعلونها في السنبلة على صدرها.

أربعة عشرة السماء، وهو السماء الأعزل: وهو كوكب نير يميل لونه الى الزرقة، وسمى سيماءا لكونه قريبا من سمت الرأس، وسمت الرأس أعلى ما يكون من الفلك وسمته العرب الأعزل لأنه يطلع الى جانبه نجم مضى يسمونه السماء الراح لكوكب صغير بين يديه، والأعزل لا شيء بين يديه ففوق بينهما، وأحدهما جنوبي، وهو المتلة، وأصحاب الصور يهتون السماكين: الأعزل والراح في صورة العذراء، وهي السنبلة، والعرب تجعلها ساق الأسد، وربما عدل القمر فذل بسجز الأسد، وهو أربعة كواكب بين يدي السماء الأعزل يقال لها عرش السماء، وتسمى أيضا الخباء، والأخبال، والقرباب، وهذه المتلة حد ما بين المنازل اليمانية والمنازل الشامية، عما كان أسفل من مطلقه فهو يمانى وهو شسق الجنوب، وما كان فوقه فهو شامى وهو شسق الشمال.

الخامسة عشرة القفر، ثلاثة كواكب خفية على خط فيه تقويس، وسميت بذلك لخفاها مأخوذة من المغفرة التي تستر الذنب وتخفيه يوم القيامة، ومنه المغفر الذى فوق الرأس، وقيل لأنها زباني القرب، وقيل مأخوذة من القفرة وهي الشعر الذى فى طرف ذنب الأسد، وأصحاب الصور يجعلونها بين ساقى الأسد.

(١) فى لسان العرب كأنها نخابة الهـ ... ويقال كأنها نون .

السادسة عشرة الزبائان، وهما كوكبان نيران هما عند العرب يذ المقرب يترس بهما: أى يدفع عن نفسه، وأصحاب الصور يعملونهما كفتى الميزان، وبينهما فى رأى العين قدر قامة الرجل .

السابعة عشرة الإكليل، وهو ثلاثة كواكب مجتمعة فى خفاء الغفر مصطفة معترضة، بين كل كوكب وكوكب منها قدر ذراع وفى رأى العين، سميت بذلك لأنها فوق جبهة المقرب كالنواج، وهى عند أصحاب الصور على عمود الميزان .

الثامنة عشرة القلب، وهو كوكب أحمر تير مضطرب قريب من الجهة بين كوكبين خفيين تسميهما العرب نياطى القلب أى علاقته، وسمته أصحاب الصور قلباً لوقوعه موضع القلب من صورة المقرب، والقلوب أربعة هذا أحدها، والثانى قلب السمكة، والثالث قلب الثور، والرابع قلب الأسد، وحيث ذكر القلب على الإطلاق دون إضافة فالمراد قلب المقرب هذا .

التاسعة عشرة الشولة، وهى كواكب متقاطرة على تقويس فى برج المقرب أشبه شئ بهذب المقرب إذا شالته، ولذلك سميت الشولة، وفى الشولة كوكبان خفيان ملتصقان يظهران كأنهما كوكب واحد ميثوق يسميان الإبرة والحمة، وخلفهما نجم صغير لا يرايهما يقال له التابع . وقال قوم : إنما ينزل القمر الشولة على المخاضة ولا يخط إليها لأنها منعقدة عن طريقه، وربما نزل بالسفار فيما بين القلب والشولة، وهى ستة كواكب بيض منعقدة .

العشرون النعائم، وكواكبها ثمانية، منها أربعة يمانية نيرة تشكل مربعا فيه أطراف تسمى الواردة وهى المقتلة، وسميت واردة: لأنها لما كانت قريبة من البحيرة شبت بنعام وردت نهرا، والأربعة الأخرى تسمى النعائم الصادرة لأنها لما كانت

بعيدة من الحجرة شبت بنمّام وردت ثم صدرت ، والواردة التي هي المنزلة عند أصحاب الصور واقعة في يد الراي الذي يجذب بها القوس .

الحادية والعشرون البَلْدَةُ ، وهي قُرْبَةُ في السماء مستديرة شبه الرقعة ليس فيها كواكب ، والبلدة في كلام العرب الْقُرْبَةُ من الأرض ، ويقال لصدر الإنسان : الْبَلْدَةُ لأنها قطعة مستطيلة ، ويدل عليها ستة كواكب مستديرة صغار خفية تشبه القوس ، وبعضهم يسميها الْأَدْحَى لأن بالقرب منها كواكب تسميها العرب الْبَيْضَ لقربها من النعام ، وربما عدل القمر فزل بالأدحى ، وأصحاب الصور يجعلون البلدة على جبهة الراي .

الثانية والعشرون سَعْدُ الدَّائِجِ ، وهو كوكبان صغيران بينهما في رأي العين أقل من قدر ذراع ، أحدهما مرتفع في ناحية الشمال والآخر منخفض في ناحية الجنوب سمي سعدا لانهمال الأمطار في أيام طلوعه ، وسمى دَائِجًا لقوة البرد في إِيَّانِ طُلُوعِهِ فتموت المواشي ببرده ، وقيل سمي دَائِجًا لأن بالقرب من تجمه الشمالين بها صغيرا كأنه ملتصق به ، تقول العرب : هو شَأْنُهُ الَّتِي تُدْجِجُ ، ولذلك جعلوا الدَّائِجَ صِفَةً لِسَعْدٍ بخلاف سائر السعود ، فإنها يضاف إليها ما بعدها كما قاله الزجاج في مقدمة أدب الكاتب ، وأصحاب الصور يثبتون هذا السعد في موضع قَرْنِ الْجَدَى من الصورة .

الثالثة والعشرون سَعْدُ بُلْعٍ ، وهو نجمان أيضا يشبهان سعدا الدَّائِجِ في المسافة التي بينهما لكن أحد الكوكبين خَفِيَ وهو الذي يَلْمُه ؛ وهذا السعد عند أصحاب الصور على كَهَبِ سَاكِبِ الْمَاءِ الْقَرِيبِ مِنْ صُورَةِ الدَّلْوِ ، وسمى بُلْعٍ لأنه في أيام طُلُوعِهِ تَغِيضُ الْأَنْهَارُ وَتَزِيدُ الْآبَارُ ، فَكَانَ الْأَرْضُ أَبْطَلَتْ مَاءَهَا ، وَقِيلَ لِأَنَّهُ يَطْلُعُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي قِيلَ فِيهِ "يَا أَرْضُ أَبْلَيْ مَائِكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَيْ" زمن نوح (عليه السلام) .

الرابعة والعشرون سعد السُّعُود، وعدته كوكبان أيضا على ما تقدم في السعدين من البعد، وقيل هو ثلاثة كواكب أحدهما نير والآخران دونه في النور، وأصحاب الصور يثبتونه على صدر ساكب الماء القريب من صورة الدلو، وربما قصر القمر فتزل بعد نائثرة، وهو أسفل من سعد السعود، ويسمى أصحاب الصور بحجبه بالمحجيين، وهما في مؤخر الدلو، ومنهم من يثبت سعد السعود لمجا واحدا .

الخامسة والعشرون سعد الأخيصة، والناس مختلفون فيه، فمنهم من يقول : إنه كوكب واحد حوله ثلاثة كواكب مثلثة تشبه رجل بطة والكوكب هو السعد والثلاثة الخباء، ومنهم من يجعل الكوكب الذي في وسط الثلاثة عمود الخباء، وهو عند أصحاب الصور على الكتف الشرقية من جسد ساكب الماء، وسمى سعد الأخيصة لخروج الخببات فيه من الثمار والحشرات، وكانت العرب تتبرك به لاخضرار العود فيه .

السادسة والعشرون الفرغ المقدم، ويقال فيه مقدم الدلو والفرغ الأول والفرغ الأمل وعرقوة الدلو العليا، وهو كوكبان تتران بينهما في رأى العين نحو من خمسة أذرع، وأصحاب الصور يزعمون أن الشهابي منها على متن الفرس .

السابعة والعشرون الفرغ المؤخر، ويقال له مؤخر الدلو السفلى، وهو كوكبان يشبهان ما تقدم، أحدهما شمال والآخر جنوبي، وهما عند أصحاب الصور على مؤخر الفرس، وربما قصر القمر فتزل في الكرب الذي في وسط العراق، وربما تزل ببدة الثعلب .

الثامنة والعشرون الحوت، وهو آخر المنازل، ويقال لها السمكة، وتسمى الرشاء أيضا، وهي ثمانية عشر كوكبا تشكل شكل سمكة رأسها في جهة الشمال

وَدَّيْهَا فِي جِهَةِ الْخَنُوبِ ، وَفِي الشَّرْقِيِّ مِنْهَا كَوْكَبٌ يُقَالُ يُسَمَّى سُرَّةَ الْحَوْتِ ، وَبَطْنَ الْحَوْتِ ، وَبَطْنَ السَّمَكَةِ ، وَقَلْبَ السَّمَكَةِ ، وَرَبْمَا عَدِلَ الْقَمَرُ فَتَزَلُّ بِالسَّمَكَةِ الصُّغْرَى ، وَهِيَ مِنَ السَّمَكَةِ الْكُبْرَى فِي الشَّمَالِ مِثْلَ صَوْرَتِهَا إِلَّا أَنَّهَا أَعْرَضُ مِنْهَا وَأَقْصَرُ ، وَأَصْحَابُ الصُّوَرِ يَعْمَلُونَ الْكَوْكَبَ النَّيِّرَ مِنَ الْحَوْتِ فِي حَذِّ الْمِرْأَةِ الْمُسْلَسَةِ ، وَرَأْسُهَا هُوَ الشَّمَالُ مِنَ الْقَرْنِ الْمُوْتَرِ .

### الصنف الثالث

من النجوم الثوابت ما ليس داخلًا في شيء من البروج ومنازل القمر مما هو مشهور بما ذكرته العرب في شعرها وشبهت به وضربت به الأمثال وهي عدة نجوم :

منها بنات نعش وهي سبعة أنجم على القرب من القطب الشمالي ، منها أربعة في صورة نعش وثلاثة أمامه مستطيلة وهي المعبر عنها بالبنات ، وتُعرف هذه بنات نعش الكبرى ، وبالقرب منها سبعة أنجم على شكلها .

ومنها الجدي الذي تعرف به القبلة ، وهو نجم صغير على القرب من القطب الشمالي يستدل به على موضع القطب ، ويقال له جدي بنات نعش الصغرى .

ومنها القردان ، وهما كوكبان متقاربان معدودان في بنات نعش .

ومنها السما ، وهو كوكب خفي في بنات نعش الكبرى ، والناس يمتحنون به أبصارهم لخفائه .

ومنها السماك الراجح ، وهو غير الأعزل المتقدم ذكره في منازل القمر ، سمي راجحاً لكوكب يقدمه ، تقول العرب : هو رَجَحُهُ بخلاف الأعزل فإنه الذي لا رَجَحَ معه .

ومنها النسر الواقع ، وهو ثلاثة أنجم كأنها أتانى ، سمى الواقع لأنهم يعملون اثنين منه جناحيه ويقولون : قد ضمهما إليه كأنه طائر وقع .

ومنها النسر الطائر ، سمى بذلك لأنهم يعملون اثنين منه جناحيه ويقولون : قد بسطهما كأنه طائر ، والعامة تسميه الميزان .

ومنها الكف الخضيب ، وهو كف الثريا المبسوطة ، ولما كف أخرى يقال لها الجذماء ، وهى أسفل من الشرطين .

ومنها البوق ، وهو فى طرف المجرة الأيمن ، وعلى أثره ثلاثة كواكب بينة يقال لها الأقلام ، وهى من مواقع البوق .

ومنها سهيل ، وهو كوكب أحمر مفرد عن الكواكب وقربه من الأفق كأنه أبداً يضطرب ، وهو من الكواكب الإيمانية ، قال ابن قتيبة : ومطلعه عن يسار مستقبل قبلة العراق . قال : وهو يرى فى جميع أرض العرب ، ولا يرى فى نوى من بلاد أرمينية .

ومنها الشعران : العبور ، وكانت تعبد فى الجاهلية لقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ﴾ وهى فى الجوزاء ، والشعرى الغنيماء ، ومع كل واحدة منهما كوكب يقال له الميزم .

ومنها سعد ناشرة ، وسعد الملك ، وسعد الهام ، وسعد الهام ، وسعد البار ، وسعد مطر ، وكل سعد منها كوكبان ، بين كل كوكبين فى رأى العين قدر ذراع فهى متناسقة ، وهذه السعد الستة غير السعد الأربعة المتقدمة فى منازل القمر ، تكون جملة السعد عشرة .

فلذا عرّف الكاتب أحوال الأفلak والكواكب وأسماءها وصفاتها ، عرف كيف يصفها عند احتياجه الى وصفها ، وكيف يسميها عند بحرمان ذكرها

كما قال بعضهم يمدح بعض الرؤساء :

لَا زِلْتَ تَتَّقِ وَتَرَقِّ لِلْعَلَا أَبَدًا \* مَا دَامَ لِلسَّبْعَةِ الْأَفْلَاكِ أَحْكَامُ  
مَهْرٍ وَمَاءٍ وَكَيَوَانٍ وَتَبِيرُ مَعَا \* وَهَرَمُسُ وَأَنَا هَيْدُ وَبَهْرَامُ

مشيرا بذلك الى ذكر الأفلاك السبعة ، وما لها من الكواكب السبعة السيارة  
بالأسماء الفارسية المقدم ذكرها .

وكما قال الطُّفْرَانِيُّ في لامية العجم :

وَإِنْ عَلَانِي مَنْ دُونِي فَلَا عَجَبُ \* لِي أُسُوءُ بِالْمَحْطَاطِ الشَّمْسِ عَنْ زُحَلِ

مشيرا الى كون فلک زحل أعلى من فلک الشمس لما تقدم أنها في الرابع ، وهو  
في السابع .

وكما قال بعضهم يصف خُضْرَةَ السماء وما لها من الكواكب :

كَانَ سَمَاءَنَا وَالشُّهْبُ فِيهَا \* وَأَصْفَرُهَا لَا كُبْرَاهَا مُزَارِحُ

يَسَاطُ زُمْرُودٌ نَثَرَتْ طَيْهَ \* دَنَائِدُ يَخَالِطُهَا دَرَاهِمُ

وكما قال ذو الرِّمَّةِ وقد ذكر الثريا :

يَدْفُ عَلَى آثَارِهَا دَبْرَانُهَا \* فَلَا هُوَ مَسْبُوقٌ وَلَا هُوَ يَلْحَقُ

بِشَرِّينَ مِنْ صُفْرِ النُّجُومِ كَأَنَّمَا \* وَلِمَاءُ فِي الْخَضِرَاءِ لَوْ كَانَ يَنْطَلِقُ

قِلَاصُ حَذَاهَا رَاكِبٌ مَتَمِّمٌ \* إِلَى الْمَاءِ مِنْ جَوْزِ التَّنُوفَةِ مُطْلَقُ

مشيرا الى ما تقدم من خطبة الدبران الثريا وهربها منه وإمهاره إياها بالقلاص

بهي النجوم التي حولها .

وكما قال أبو الفَرَحِ الْبَيْهَقِيُّ ذاكرا حال غنَّيفٍ يَرْمِي لَهُ الظُّهُورُ :

سَتَخْلُصُ مِنْ هَذَا السِّرَارِ وَأَيْمًا \* هَلَالٌ تَوَارَى فِي السَّرَارِ فَا خُلِصَ

مشيرا بذلك الى حالة توارى القمر حالة السَّرَارِ ثم خلوصه عند إهلاله .



## النوع التاسع

ما يحتاج الكاتب إلى وصفه العلويات مما بين السماء والأرض،

وهي على أصناف

### الصنف الأول

#### الريح

وهي مؤنثة، يقال هبت الريح تهب هبوباً، وتجمع على رياح، وقد دل الاستقراء على أنها حيث وردت في القرآن الكريم في معرض العذاب، كانت بلفظ الإفراد وحيث وردت في معرض الرحمة كانت بلفظ الجمع. قال تعالى في جانب العذاب : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ وقال : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾ وقال في جانب الرحمة : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ وقال جللت قدرته : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ إلى غير ذلك من الآيات . ومن ثم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتدت الريح قال : « اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيَّاحًا وَلَا تَجْعَلْهَا رِيحًا » وقد ورد القرآن الكريم بأن الله تعالى هو الذي يرسلها، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾

ونهبست الفلاسفة إلى أنها تحدث عن الطبيعة، وأن سبب ذلك دُخان يرتفع من الأرض فيضربه البرد في ارتفاعه فينتفخس ويتحامل على الهواء ويمزجه الهواء بشدة فيحصل الريح .

وأصول الرياح أربعة :

الأولى «الصَّبَا» وهي التي تأتي من المشرق، وتسمى القبول أيضاً، لأنها في مقابلة مستقبل المشرق .

قال في صناعة الكتاب : وأهل مصر يسمونها الشرقية ، لأنها تأتي من مَشرق الشمس ؛ وهي التي تُصيرها النبيّ طلي الله عليه وسلم يوم الأحزاب كما أخبر صلى الله عليه وسلم بقوله : «تُصِرُّهُ بالصَّبَا» .

الثانية «الدُّبُورُ» : ومهبطها من مغرب الشمس إلى حدّ القطب الجنوبي ، وسُميت الدُّبُورُ لأن مستقبل المشرق يستدبرها ، وتسمى الغربية لمهبها من جهة المغرب ؛ وبها هَلَكْتُ حاد كما أحر عليه السلام بقوله : «وَأَهْلَكْتُ عَادَ بالدُّبُورِ» .

الثالثة «الشَّمَالُ» : ويقال فيها شَمَالٌ وَشَمَالٌ وَشَامْلٌ مهموزا وغير مهموز ؛ ومهبطها من حدّ القطب الشمالي إلى مغرب الشمس ، وسُميت شَمَالًا لأنها على شمال من مستقبل المشرق .

قال في صناعة الكتاب : وتسمى البحرية لأنها يُسَار بها في البحر على كل حال .  
الرابعة «الجنُوبية» : ومهبطها من حدّ القطب الأسفل إلى مطلع الشمس وتسمى بالديار المصرية : القِبْلَةُ لأنها تأتي من القبلة فيها ، وتسمى بها أيضا المَرِيسِيَّة لأن في الجهة القبليّة بلاد المَرِيس ، وهم حُرب من السودان ؛ وهي أَرْدأ الرياح عند أهل مصر . وقال النحاس : وكل ريح جاءت من مَهَيٍّ ريحين تسمى النجاء ، سميت بذلك لأنها تَنَجِّت عن مَهَابِّ هذه الرياح وعَدَلت عنها .

قال في «فقه اللغة» : وإذا جاءت بَنَفَسٍ ضعیف وروّج فهي النسيم ؛ وإن ابتدأت بشِدَّة قيل لها : النافخة ؛ فإن حركت الأغصانَ تحريكا شديداً وقلمت الأشجار قيل : زَعَزَع ؛ فإن جاءت بالخصباء قيل : حاصبة ؛ فإذا هبَّت من الأرض كالعمود نحو السماء قيل لها : أعصار . وقد ورد بها القرآن في قوله تعالى : (فَأَصَابَهَا أَعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ) والعامة تسميها : الزُّوبَعَة ، ويزعمون أن الشيطان هو

الذى يشربها، ومن ثمّ سماها الترك نعيم بك معنى الشيطان؛ فإذا كانت باردة، فهي :  
الصرصر . وقد وقع ذكرها في قوله تعالى : ( إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ) ؛  
فإذا لم تُلقح شجرا ولم تحمل مطرا ، فهي العقيم . وقد قال تعالى في قصة عاد :  
( إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ) كانت لا مطر فيها .

## الصف الثاني

### السحاب

وهو الأجرام التي تحمّل المطر من السماء والأرض ينشأها الله سبحانه وتعالى  
كما أخبر بقوله : ( وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ) ويسوقها إلى حيث يشاء كما ثبت  
في الصحيح "أَنَّ رجلا سمع صوتا من سحابة : أَسْقَى حَديقَةَ فُلَانٍ" .  
وذهب الحكماء إلى أنه يُجَار متصاعد من الأرض مرشح من الطبقة الحارة إلى  
الطبقة الباردة فيثقل ويتكاثف ويتعقد فيصير سحبا .

قال الترمذی في "فقه اللغة" : وأوّل ما ينشأ يقال له : النَّشْءُ ؛ فإذا انسحب  
في الهواء ، قيل له : سَحَابٌ ؛ فإذا تغيرت به السماء ، قيل له : غَمَامٌ ، فإن شمع  
صوت رعد من بعيد قيل فيه : عَقْرٌ ؛ فإذا أظلم ، قيل : عَارِضٌ .

وقد أخبر تعالى من قوم عاد بقوله : ( فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقِيلًا وَاذْبَحَتْهُمُ قَالَوا  
هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرًا ) ؛ فإن كان بحيث إذا رُؤِيَ ظَنَّ أَن فيه مطرا قيل له : مُّحِيلَةٌ ؛  
فإن كان السحاب أبيض قيل له : مُزَنٌّ ؛ فإذا هراق ما فيه قيل : جَهَامٌ ، وقيل  
الجَهَامُ : هو الذي لا مطر فيه .

وقد أولج أهل النظم والنثر بوصفه وتشبيهه .

## الصنف الثالث

## الرعد

وهو صوت هائل يُسمع من السحاب ، وقد اختلف في حقيقته فروى أنه صوت ملك يزجر به السحاب ، وقيل : غير ذلك ؛ والنصيرية من الشيعة يزعمون أنه صوت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه حيث زعموا أن مسكنه السحاب ، وذهبت الفلاسفة إلى أنه دُخان يتصاعد من الأرض ويرتفع حتى يتصل بالسحاب ويدخل في تضاعيفه ويبرد فيصير ريحا في وسط النسيم ، فيتحرك فيه بشدة فيحصل منه صوت الرعد ، ويقال منه : رَعَدَتِ السَّمَاءُ ؛ فإذا زاد صوتها ، قيل : أَرْتَجَسَتْ ؛ فإذا زاد قيل : أَرَزَمَتْ وِدَوَتْ ؛ فإذا اشتد قيل : قَصَفَتْ وَقَعَقَعَتْ ؛ فإذا بلغ النهاية قيل : جَلَجَلَتْ وَهَمَعَتْ .

## الصنف الرابع

## البرق

وهو ضوء يرى من جوانب السحاب ، وقد اختلف فيه أيضا فروى أن الرعد صوت ملك يزجر به السحاب وأن البرق صَهِكَةٌ ؛ والنصيرية من الشيعة يزعمون أنه صَهِكٌ أمير المؤمنين علي رضى الله عنه أيضا ، والفلاسفة يقولون : إنه دُخان يرتفع من الأرض حتى يتصل بالسحاب كما تقدم في الرعد ، ثم تقوى حركته فيشتعل من حرارة الحركة الهواء والدخان فيصير نارا مضيئة وهو البرق ، ويقال : وَمَضَ البرق إذا لمع لَمَعَانًا قَوِيًّا ، وأومض إذا لمع لَمَعَانًا خَفِيًّا ؛ فإن أظلم في المطر ثم ظهر أن لا مطر فيه قيل : غَلَبَ .

## الصفحة الخامسة

## المطر

وهو الماء الذى يخلفه الله تعالى فى السحاب ويسوقه إلى حيث يشاء وقد ذهب الحكماء إلى أنه يُبحر يتصاعد من الأرض أيضا فيه أوفى حرارة الشمس أو فيهما<sup>(١)</sup> فيجتمع، وربما أعانت الرياح على جمعه بأن تسوق البعض إلى البعض حتى يتلاحق؛ فإذا انتهى إلى الطبقة الباردة تكاثف وصار ماء وتقاطر كالبخار الذى يتصاعد من القدر ويتبى إلى غطاء القدر، وعند أدنى برودة يتعقد قطرات .

ثم لطر زمان يكثر فيه ، وزمان يقل فيه ؛ وقد رتب العرب ذلك على أنواع الكواكب التى هى منازل القمر، وجعلوا لكل منها نوماً ينسب إليه .

قال أبو حنيفة البتورى<sup>٢</sup> فى كتاب الأنواء الكبير<sup>٣</sup> : كانت العرب تقول : لابد لكل نوء كوكب من أن يكون فيه مطر، أو ريح، أو غيم، أو حر، أو برد . ينسبون ما كان فيه من ذلك إليه ؛ وقد اختلف فى معنى النوء فذهب ذاهبون إلى أن النوء فى اللغة : النهوض ؛ وذهب الفراء إلى أنه : السقوط والميلان ؛ وذهب آخرون إلى أنه يطلق على النهوض والسقوط جميعا ، على أنهم متفقون أن العرب كانت ترى الأمر للسقوط دون الطلوع ، فمن ذهب إلى أن المراد بالنوء : السقوط يجرى على بابه ، ومن ذهب إلى أن المراد بالنوء : النهوض يقول : إنما سمي نوماً بطلوع الكوكب لا لسقوط الساقط ، ومنهم من يطلق النوء على السقوط وإن كان موضوعه فى اللغة النهوض من باب التماثل ، كما يقال للديع : سليم ، وللهلكة : مفارقة ، على أن بعضهم قد ذهب إلى أن الكوكب ينوء بمعنى ينهض ثم يسقط ، فإذا سقط فقد مضى نوءه ودخل نوء الكوكب الذى بعده .

(١) كتبنا بالأصل . ولعل الصواب من الأرض أيضا أو من حرارة الشمس أو منها .

قال أبو حنيفة النُّبَوَيْ : وهو التأويل المشهور الذى لا يتنازع فيه لأَنَّهُ  
الكوكب إذا سقط النجم الذى بين يديه أَطْلَّ هو على السقوط، وكان أَشبهه حالا  
بحال الناهض . وقد صعد أبو حنيفة ثمانية وعشرين يوماً بعد منازل القمر المتقدمة  
لذلك، وذكر أَن بعضها أَجهرُ وأشهر من بعض .

الأول - "نوء الشَّرْطَيْنِ"، وهو ثلاث ليال، وأثره محمود عندهم .

الثانى - "نوء البُطَيْنِ"، وهو ثلاث ليال، وليس بمذكور عندهم ولا محمود .

قال ابن الأعرابى : يقال إنه مائة البُطَيْنِ والدُّبْرَانِ أو أحدهما فكان له نظر،  
إلا كاد ذلك العام يكون جَدًّا .

الثالث - "نوء الثَّرْيَاءِ"، وهو خمس ليال وقيل سبع، وأثره محمود عندهم مشهور .

الرابع - "نوء الدُّبْرَانِ"، وهو ثلاث ليال وقيل ليلة، وليس بمحمود عندهم،  
ولم ينسج في أشعارهم له ذكر .

الخامس - "نوء المَقْعَةِ"، وهو ست ليال، ولا يذكرونه نوءاً إلا بنوء  
الجوزاء التى المقعة رأسها، والجوزاء مذكورة النوء مشهورة .

السادس - "نوء المُنْتَمَةِ"، وهو ثلاث ليال لا يكاد ينقرض عن نوء الجوزاء .

السابع - "نوء الذَّرَاعِ المَقْبُوضَةِ" وهى خمس ليال وقال ابن خلدون : ثلاث  
ليال، وهو أوَّل أنواء الأسد، وأثره محمود عندهم موصوف؛ وربما نسب إلى المِرْزَمِ،  
وهو أحد كوكبي الذراع المذكورة، وربما نسب إلى الشَّعْرَى المُقْبِضَاءِ، وهو كوكبها  
الآخر الذى هو أنور من المِرْزَمِ؛ وقد ذكر العرب مع الذراع المَقْبُوضَةِ الذَّرَاعَ  
المبسوطة فتجمعهما معا فى النوء، وهما لا ينوءان معا بل ولا يطلمان معا، لكن لكثرة

صحبة إحداهما للأخرى في الذكر وأجتماعهما في اسم واحد مع تجاورهما وكونهما  
عُضْوَيَّ صورة واحدة، وهى صورة الأسد .

الثامن — "نوء النثرة"، وهو سبع ليال، وله عندهم ذكر مشهور .

التاسع — "نوء الطرفة"، وهو ست ليال، ولم يسمع به مفردا لفلبة الجبهة  
الآتية الذكر عليه .

العاشر — "نوء الجبهة"، وهو سبع ليال، وذكره مشهور لديهم .

الحادى عشر — "نوء الزبرة"، ونوعا أربع ليال، وقلما تنفرد لفلبة الجبهة  
عليها أيضا .

الثانى عشر — "نوء الصرفة"، وهو ثلاث ليال، ولا يكاد يوجد لها ذكر  
عندهم في أشتاتهم .

الثالث عشر — "نوء المواء"، وهو ليلة واحدة، وليس من الأنواع المشهورة .

الرابع عشر — "نوء السماء الأعزل"، وهو أربع ليال، وله ذكر مشهور، وكثيرا  
ما يذكر معه السماء الرابع، وليس له نوء معه ولكنهما متقاربان في الطلوع، وحيث  
فأفراد السماء الرابع بالنوء خطأ .

الخامس عشر — "نوء النفر"، وهو ثلاث ليال، وقيل ليلة، وما بينه وبين

نوء الهنعة المتقدمة الذكر من أنواء الأسد، وهى ثمانية أنواء : أولها الذراع، وآخرها  
نوء السماء، وليس له فى السماء نظير فى كثرة الأنواء .

السادس عشر "نوء الزباني"، وهو ثلاث ليال .

السابع عشر "نوء الإكليل"، وهو أربع ليال .

الثامن عشر — "نوء القلب"، وهو ليلة واحدة، وليس بمحمود .

- التاسع عشر "نوء الشَّوْلَة"، وهو ثلاث ليال، وقيلما يذكر .
- العشرون "نوء النعام"، وهو ليلة واحدة، وليس له ذكر .
- الحادي والعشرون "نوء البَلْدَة"، وهو ثلاث ليال، وقيل ليلة .
- الثاني والعشرون "نوء سعد الذابح"، وهو ليلة واحدة .
- الثالث والعشرون "نوء سعيد بلع"، وهو ليلة واحدة .
- الرابع والعشرون "نوء سعد السعد"، وهو ليلة، وليس بمحمود، ولا مذكور .
- الخامس والعشرون "نوء سعد الأخية"، وهو ليلة واحدة .
- السادس والعشرون "نوء القرغ المقدم"، وهو أربع ليال، وله ذكر مشهور .
- السابع والعشرون "نوء القرغ المؤخر"، وهو أربع ليال، وله ذكر أيضا .
- الثامن والعشرون "نوء الحوت"، وهو ليلة واحدة، وليس بالمذكور من حيث إنه يقلب عليه ما قبله وما بعده فلا يذكر .

قال أبو حنيفة الدَّيْنَوْرِيُّ : والأيام في هذه الأنواء تابعة لليال، تتقدم الليل عليها، قال : وإنما جعلوا هذه النجوم أنواء موقوتة وإن لم تكن جميع فصول السنة مَظَنَّة الأمطار، لأنه ليس منها وقت إلا وقد يكون فيه مَطَر .

وقال ابنُ قُتَيْبَةَ : أوَّلُ المَطَرِ الوَسْمِيُّ، مسمى بذلك لأنه يسمُّ الأرض بالنبات، ثم الربيع، ثم الصيف، ثم الخميس .

قال الثعالبي عن ابن عمرو : إقبال الشتاء انخريف، ثم الوَسْمِيُّ، ثم الربيع، ثم الصيف<sup>(١)</sup>، ثم الخميس .



## الصنف السادس

### التلج

وهو شئ يزل من الهواء كالقطن المتدوف فيقع على الجبال وعلى سطح الأرض  
فأذيب الشمس منه ما لاقته شدة حرارتها ، وينقى في أماكن مخصوصة من أعلى  
الجبال بالأمكنة الباردة جميع السنة ؛ وقد ذكر الحكماء أنه بخار يتصاعد من الأرض  
إلى الهواء كما يتصاعد المطر فيصيبه برد شديد قبل أن ينمقد قطرات فيساقط أجزاء  
لطيفة ، ثم ينمقد بالأرض إذا نزل إليها ؛ ويوصف بشدة البرد وشدة البياض  
وساوى الكلام على ما ينقل منه من الشام إلى ملوك الديار المصرية في خاتمة الكتاب  
إن شاء الله تعالى .

## الصنف السابع

### البرد بفتح الراء

وهو حب يسقط من الجو ؛ وقد ذكر الحكماء أنه بخار يتصاعد من الأرض  
أيضا ويرتفع في الهواء فلا تدركه البرودة حتى يجتمع قطرات ، ثم تدرك حرارة من  
الجوانب فتتهزم برودتها إلى مواطنها فتتمعد ؛ وحسب هذا البرد متفاوت المقادير ، منه  
ما هو قدر الجحش فما دونه ، ومنه ما هو فوق ذلك ؛ ويذكر أنه يقع منه ما هو بقدر  
بيض الحمام والدجاج .

قال الحكماء : ولا يتصور وقوعه إلا في الخريف والربيع ويوصف بما يوصف  
به التلج من شدة البرد وشدة البياض ؛ ويُشَبَّه به أسنان الإنسان الناصعة البياض .

## الصنف الثامن

### قوس قزح

وهو قوس يظهر في الجو من حمرة وخضرة؛ وقد ورد النهي عن تسميته قوس قزح، وتسميته قوس الله، لأن قزح اسم للشيطان.

قال الحكماء: والسبب فيه أن الهواء إذا صار رطبا بالمطر مع أدنى مسافة صار كالمراة، والمحاذا له إذا كان الشمس في قفاه يرى الشمس في الهواء كما يرى في الشمن المراة، ويستبك ذلك الضوء بالبخار الرطب فيتولد منه هذا القوس.

قال الحكماء: ويكون له ثلاثة ألوان يتنون حمرة بين خضرتين أو خضرة بين حورتين، وربما لا يكون للون المتوسط، ويكون مرصعا ارتفاعا قريبا من الأرض؛ فإن كان قبل الزوال رُؤي ذلك القوس في المغرب، وإن كان بعد الزوال رُؤي في المشرق، وإن كانت الشمس في وسط السماء، فلا يمكن أن يُرى الا قوسا صغيرا في الشتاء إن اتفق.

وفيه تشبيهات للشعراء يأتي ذكرها في آخر المقالة العاشرة إن شاء الله تعالى.

## الصنف التاسع

### الهالة

وهي الدائرة التي تكون حول القمر. قال الحكماء: والسبب فيها أن الهواء المتوسط بين البصر وبين القمر صليل رطب، فيرى القمر في جزء منه، وهو الجزء الذي لو كان فيه مرآة لرؤي القمر فيها، ثم الشيء الذي يرى في مرآة من موضع لو كانت فيه مرآة كثيرة محيطة بالبصر، وكانت موضوعة على تلك النسبة فيرى

النشئ وكل واحدة من المراتى ، فإذا تواصلت المراتى وروى في الكل ، فترى  
حيثذ تاترة .

وأهل النظم والنثر فيها وصف وتثنيه .

## الصف العاشر

### الحر

وسُلطانه أو انتر فصل الربيع وأوائل فصل الصيف ، والسبب فيه مسامنة  
الشمس للرؤوس ، فتشند تاترة في الهواء وجرم الأرض ، لاسمها الجحاز وما في مناه .  
وأهل النظم والنثر مؤلفون بوصف شدة حره .

## الصف الحادى عشر

### البرد

وسُلطانه أو انتر فصل الخريف وأوائل فصل الشتاء .  
وأهل النظم والنثر مكثرون من ذكره وصفه ، حتى إنه بها أفرد بعض الناس  
ما قيل فيه وفي وصفه بالصفيف .

## الصف الثانى عشر

### الهباء

وهو الذى يحصل من ضوء الشمس عند مقابلتها كوة يدخل منها الضوء ، فيكون  
شبه عمود تمتد من الكوة إلى حيث يقع ضوء الشمس من الأرض ، وفيه أجزاء  
لطيفة متفاوتة تُحس بالنظر دون اللمس ، وقد شبه الله تعالى به أعمال الكفار

في القيامة فقال جل من قائل : (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا)؛  
ومن الناس من يزعم أن الواحدة من أجزائه هي المراد بالذرة المذكورة في القرآن  
بقوله تعالى : (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) .  
ولأهل النظم والنثر أيضا فيه الوصف والتشبيه .

## النوع العاشر

مما يحتاج الكاتب إلى وصفه الأجسام الأرضية،  
ومن كل أصناف

## الصف الأول

الجبّال ، والأودية ، والبقار

فأما "الجبّال" فهي أوتاد الأرض ، أرسى الله تعالى بها الأرض حيث مادّت لها دحاما الله تعالى على الماء . وقد روى أنّ الكعبة كانت رابيةً حمراء طافيةً على وجه الماء قبل أن يدعو الله الأرض ، ولَمَّا الأرض منها دُحِيتْ ، فلما مادّت وأُرسيت بالجبّال كان أوّل جبل أرسى منها جبل أبي قُبَيْس بِمَكَّةَ الْمُشْرِفَةِ ، فلهذا هو أقرب الجبال من الكعبة مكانا . وقد نقل أن قلف جبيلٌ يحيط بالدنيا عنه تنفّرع جميع جبال الأرض ، والله أعلم بحقيقة ذلك . وتوصف الجبال بِالْمَقَمَةِ فِي الْقَدَرِ وَالْمُلُوِّ وصعوبة المسلك ، وما يجري مجرى ذلك .

وأما "الأودية" فهي وهاد في خلجان الجبلان جعلها الله تعالى مجارى للسيل ونبات  
الزراع ومدارج الطرق وبهذا ذلك . وتوصف بالكساح وبعد المسافة واللعمق ، وربما  
وصفت بخلاف ذلك .

وأما "القفار" فهي : البرارى المتسعة الأرجاء الخالية من الساكن . وتوصف بالسعة وبعد المسافة وقلة الماء والإيجاش وصعوبة المسلك ، وما يجرى مجرى ذلك .

### الصف الثاني

المياه الأرضية ؛ وهي على ضربين

### الضرب الأول

#### الماء الملح

ووقع في لغة الإمام الشافعي رضي الله عنه الماء الملح ؛ وهو أحد العناصر الأربعة ، وساقى في الكلام على الأرض في المقالة الثانية أنه محيط بالأرض من جميع جهاتها إلا ما اقتضته الحكمة الإلهية لهارة الدنيا من كشف بعض ظاهرها الأعلى وأنه تفرعت منه بحار منهية في سحائب الأرض لتجرى السفن فيها بما ينفع الناس . وقد ذكر الحكماء أن في الماء الملح كثافة لا توجد في الماء العذب ، ومن أجل ذلك لا ترسب فيه الأشياء الثقيلة كما ترسب في الماء العذب ، حتى يقال : إن السفن التي تفرق في البحر الملح لا تبلغ أرضه بخلاف التي تفرق في الأنهار فانها تنزل إلى قعرها . وشاهد ذلك أنك إذا طرحت في الماء العذب بيضة دجاجة ونحوها غرقت فيه ، فإذا لفتت في ذلك الماء ملحاً بحيث يغلب على الماء وطرحت فيه البيضة عاتت . وقد اختلف في لكاء الملح هل هو كذلك من أصل الخلقة أو عرضت له الملوحة بسبب ملاقاته من سبخ الأرض على طحين . ومن خصائص البحر للملح أنه في غاية الصفاء حتى إنه يرى ما في قعره على القرب من سطحه . ويوصف البحر بالسعة والطول والعرض وكثرة العجائب حتى يحصل في المشي : "حدث عن البحر ولا حرج" .

## الضرب الثاني

### الماء المنب

قالت الحكاء : والسبب فيه أن الأبخرة تتصاعد من قعر الأرض فتدخل في الجبال وتحتبس فيها ولا تزال تتكامل ويحصل منها مياه عظيمة فتنبعث لكثرتها . وهو على ثلاثة أنماط :

النمط الأول — "ماء الأنهار" ، وهي ما بين صفار وبقار وقرية المدى وبميدته ، وقد وردت الأخبار بأن أفضلها خمسة أنهار ، وهي : سِيحُون ، وَجِيحُون ، والدَّجَلَةُ ، والقُرَات ، ونِيل مِصْرَ ، والنيل أفضل الخمسة وأصلها وأخفها ماء على ما سيأتي ذكره في المقالة الثانية إن شاء الله تعالى . وفي الأنهار الكبار تسير السفن .

النمط الثاني — "العيون" ، وهي مياه تنبع من الأرض وتعلو إلى سطح الأرض ثم تسرح في قُبَيٍّ قد حُفِرَتْ لها ، وهي منبثة في كثير من الأقطار .

النمط الثالث — "الينار" ، وهي حفائر تخفر حتى يبلغ الماء من أسفلها ويرفع فيها ارتفاعا لا يبلغ أعلاها . وقد اختلف في الماء الذي ينبع من الأرض هل هو الذي نزل من السماء أو غيره ، فذهب فاهبون إلى أنه هو الذي نزل من السماء محتجين لذلك بقوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ ﴾ الآية . وذهب آخرون إلى أن الذي ينبع من الأرض غير الذي نزل من السماء محتجين بقوله تعالى : ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْتَمِرٍ وَبَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ ويوصف الماء للاستحسان بالمذوبة ، والصفاء ، والرقّة ، والحلقة ، وشدة البرد ، وفي معناه الشِّمُّ . ويشبّه في شدة البرد بالزَّلَال وهو ما يدرى داخل الثلج في تجاويرف توجد فيه فيكون من أشد الماء بردا .

## الصنف الثالث

النبات ، وفيه ثلاثة مقاصد

### المقصد الأول

في أصل النبات

قد ذكر المسعودي في مروج الذهب : أن آدم عليه السلام لما هبط إلى الأرض خرج من الجنة معه ثلاثون قصيباً مودعة أصناف الثمر، منها عشرة لها قشر وهي الجوز، واللوز، والبلوط، والفستق، والبلوط، والشاه بلوط، والصنوبر، والتاريخ، والرمان، والخشخاش، ومنها عشرة لثمرها نوى وهي الزيتون، والرطب، والمشمش، والخرنوب، والإجاص، والفيءاء، والبق، والعناب، والخيطي<sup>(١)</sup>، والخرزور، ومنها عشرة ليس لها قشر ولا نوى وهي التفاح، والسفرجل، والكبرى، والعنب، والبن، والتاريخ، والخرنوب، والتوت، والقناء، والبطيخ .

### المقصد الثاني

فيما يختص به أرض دون أرض من أنواع النبات

أعلم أن النبات منه ما يوجد في كثير من الآفاق، ومنه ما يختص ببعض الأماكن دون بعض، وقد حكى أبو بكر بن وحشية في كتاب الفلاحة النبطية : أن بلاد يجلانة من جنوبي بلاد المغرب الأقصى شجرة ترتفع نصف قامة أو أربع، ورقها كورق الغار، إذا عمل منها أكابيل ولبسه الرجل على رأسه ومشي أو عدا أو عمل عملاً لم يتم مادام ذلك الإكليل على رأسه، ولا يناله من ضرر السهر وضعف القوة ما ينال من سهر وعمل .

(١) كذا في المصدرات لابن البطار أيضاً ولكن في القاموس : وكثامة وجيز ، ظهر به لغة لانه .

وفي بلاد إفريقية شجرة إذا قعد الإنسان تحتها نصف ساعة مات ، وإن مسها مأس  
أو قطع منها غصناً أو ورقة أو هنّرها مات .

قلت : وما يخصّ بأرض دون أرض اللّسان وهو : شجرة لطيفة على نحو  
ذراع تنفّزع فروعا ، لا تنهت في سائر الدنيا إلا في الديار المصرية بموضع مخصوص  
من بلدة يقال لها المطرية ، على القرب من مدينة عين شمس ، وتسقى من بئر هناك ؛  
ويقال : إنه اغتسل فيها المسيح عليه السلام ، ولذلك النصارى يعظمون اللّسان  
ويبرّكون به .

### المقصد الثالث

في ذكر أصناف النبات التي أولع الكتاب والشعراء بوصفها وتشبيهها ،  
وهي على ضرب

### الضرب الأول

ما له ساق

وهو الشجر ، وأكثر ما أولع أهل النظم والنثر بشارها أو نورها في الوصف  
والتشبيه تما ونظما ؛ كاللوز ، والفستق ، والجوز وهو البندق ، والشاه بلوط وهو  
القسطل ، والصنوبر ، والرمان ، والجنانار ، والإيجاص ، والقراصيا ، والزعرور  
والخوخ ، والمشمش ، والمثاب ، والنبق ، والعنب ، والتين ، والثوت ، والتفاح ،  
والسفرجل ، والككتي ، والتفاح ، والخروب ، والأترج ، والنانج ، والليمون ،  
والطلع ، والبس ، والبسر ، والراتج وهو جوز الهند ، والتجاريسمونه  
النارجيل . وربما وقع الوصف والتشبيه لبعض أصول الشجر ، كالنخل والكرم  
غيرها .



## الضرب الثاني

ما ليس له ساق

وقد أولعوا بالوصف والتشبيه منه ؛ فمن ذلك الزرع : من البرّ والشعير ونحوهما  
ويُتبع ذلك تورّ الباقلاء ، وكذلك الخشخاش ، والكُنّان ، والبطيخ الهندى وهو  
الأخضر ، والخُرّاسانى وهو العبدلى ؛ نسبة إلى عبد الله بن طاهر ، فإنه أوّل من نقله  
من خراسان إلى مصر ، والبطيخ الصبى وهو الأصفر ؛ والرسنيو وهو المعروف بالفلاح ،  
والقنّاء ، والخيار ، والباذنجان ، والسلجم وهو اللّفت ، والجَزَر ، والثوم ، والبصل ،  
والكَرّاث ، والريّاش ، والهلّيون ، والتمّناع ، وغير ذلك .

## الضرب الثالث

القواكه المشعومة

والذى أولع بوصفه وتشبيهه منه الورد على اختلاف ألوانه : من أحمر ،  
وأبيض ، وأصفر ، وأزرق ، وأسود ؛ والقمير ، والبأن ، والخلاف ، والتيلوفر ،  
والبنفسج ، والفرّجس ، والياسمين ، والآس ، والزعفران ، والريحان .

## الضرب الرابع

الأزهار

والذى وقع اللّوؤع بوصفه وتشبيهه من ذلك الخيري وهو المشور من أصفر  
أو أزرق ، والسوسن ، والآدريون وهو ورد أصفر له ريح ، والخزم وهو الخراسانى ،  
والشّقيق<sup>(١)</sup> . ويسمى : الشقاق ، ويقال له : شقائق النعمان ، لأن النعمان بن المنذر  
حمى ظهر الكوفة وبه هذا النبات فعرف به ، والبهار وهو تورّ أحمر والأخوان ،  
وغير ذلك .

(١) لله والشّقيقة ، فمن السان : أن الشقائق لا واحد له أو واحدة شقيقة ، وظل ذلك فأنظره .

## الضرب الخامس

## الرياض

وهي الأماكن المشتعلة على الأشجار، والأزهار، والمياه الجارية ونحو ذلك .  
وقد اتفق جَوَاوِرُ الأرض على أن مترهات الأرض أربعة مواضع وهي : سُدَّ سَمَرَقَنْدَه ،  
وَسَمْبَ بَوَانْ ، ونهر الأبله ، وغُوطَة دِسْتَقْ .  
وقد أكثر الشعراء في وصف الرياض وَوَلَّعَ الكُتُبَ بمثل ذلك .

## الطرف الثالث من الباب الأول من المقالة الأولى

في صنعة الكلام، ومعرفة كيفية إنشائه، ونظمه، وتأليفه، وفيه مقصدان

## المقصد الأول

في الأصول التي يبنى الكلام عليها وهي سبعة أصول

## الأصل الأول .

المعرفة بالمعاني ، والنظرفيه من وجهين

## الوجه الأول

في شرف المعاني، وفضلها

إعلم أن المعاني من الألفاظ بمنزلة الأبدان من الثياب ؛ فالألفاظ تابعة ، والمعاني  
متبوعة ؛ وطلب تحسين الألفاظ إنما هو لتحسين المعاني ؛ بل المعاني أرواح الألفاظ  
وغايتها التي لأجلها وُضِعَتْ ، وعليها يُبْنَى ؛ فأحتياج صاحب البلاغة إلى إصابة المعنى  
أشد من احتياجه إلى تحسين اللفظ ، لأنه إذا كان المعنى صواباً واللفظ منحطاً ماقطلاً

(١) كذا وقع بالأصل ولم نجد في مكتب اللغة التي بأيدينا « انزه » أو « مترها » والصواب  
« مترهات » بتقديم التاء على النون .

عن أسلوب الفصاحة كان الكلام كالإنسان المشوه الصورة مع وجود الروح فيه ، وإذا كان المعنى خطأ كان الكلام بمنزلة الإنسان الميت الذى لا روح فيه ؛ ولو كان على أحسن الصور وأجملها .

قال الوزير ضياء الدين بن الأثيرى "المثل السائر" : ومما رأيته من المدعين لهذا الفن الذين حصلوا منه على الثُشُور ، وقصروا معرفتهم على الألفاظ المسجوعة الفتن ، اتى لا حاصل وراءها ، أنهم إذا أنكرت هذه الحالة عليهم ؛ وقيل لهم : إن الكلام المسجوع ليس عبارة عن تواطؤ الفقر على حرف واحد فقط ، إذ لو كان عبارة عن هذا وحده لأمكن أكثر الناس أن يأتوا به من غير كثرة ، وإنما هو أمر وراء هذا ، وله شروط متعددة ، فإذا سمعوا ذلك أنكروه نخلوهم عن معرفته ؛ وإذا أنكر عليهم الاقتصاد على الألفاظ المسجوعة ، وهُدُوا إلى طريق المعانى ، يقولون : لنا أسوة بالعرب الذين هم أرباب الفصاحة ؛ فإنهم إنما اعتنوا بالألفاظ ، ولم يعتنوا بالمعانى اعتناهم بالألفاظ . فلم يكفهم جهلهم فيما أرتكبوه حتى آذعوا الأسوة بالعرب فيه فصارت جهالتهم جهالتين . قال : ولم يعلموا أن العرب ، وإن كانت تعتنى بالألفاظ تُصليحها وتهذيبها فإن المعانى أقوى عندها ، وأكرم عليها ، وأشرف قدراً فى نفوسها .

ولما كانت الألفاظ عنوان المعانى وطريقها إلى إظهار أغراضها أصلحوها ، وزينوها وبالفنوا فى تحسينها ، ليكون ذلك أوقع لها فى النفس ، وأذهب بها فى الدلالة على القصد . ألا ترى أن الكلام إذا كان مسجوعاً لَدَّ سامعه خِفْظُهُ ، وإذا لم يكن مسجوعاً لم يأتس به أُنْسُهُ فى حالة السجع ؛ فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظهم وحسنوها ورققوا حواشيها وصقلوا أطرافها ، فلا تظن أن العناية إذ ذاك إنما هى بالألفاظ فقط ، بل هى خدمة منهم للمعنى ؛ فصار ذلك كإبراز صورة الحساء

في الحُلل المَوْشاة والأَتواب المَحْبَرَة ؛ فإنما قد نجد من المعاني الفانخة ما شوه من حسنة  
بِنَازة لفظه وسوء العبارة عنه .

قال أبو هلال العسكري رحمه الله : ومن عرف ترتيب المعاني وأستعمل الألفاظ  
على وجوهها بُنِيت من اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى تبيأ له فيها من صنعة الكلام  
ما تبيأ له في الأولى . ألا ترى أن عبد الحميد الكاتب أستخرج أمثلة الكتابة التي رسمها  
لمن بعده من اللسان الفارسي ؛ وحولها إلى اللسان العربي . فلا يكمل لصناعة الكلام  
إلا من تَجَلَّى لإصابة المعنى وتصحيح اللفظ والمعرفة بوجوه الاستعمال .

قال في "المنل النائر" : وأعلم أن المعاني الخطابية قد حُصرت أصولها ، وأول  
من تكلم في ذلك حكاه اليونان ؛ غير أن الحصر كلي لا جزئي ، ومَحَال أن نُحْصِر  
جزئيات المعاني وما يتفرع عليها من التفريعات التي لا نهاية لها ، لا جرم أن ذلك  
الحصر لا يستفيد بمعرفة صاحب هذا العلم ، ولا يفترق إليه ؛ فإن البدوي البادئ  
راعى الإبل ما كان يمشى من ذلك بفهمه ، ولا يخطئ بياله ، ومع هذا ؛ فإنه كان  
يأتى بالسحر الحلال إن قال شعرا أو تكلم نثرا .

قال : ولقد فاضل بعض المتفلسفين في هذا ، وأنساق الكلام إلى شيء ذكره  
لأبي علي بن سينا في الخطابة والشعر ، وذكر ضربا من ضروب الشعر اليوناني يقال  
له اللوغازيا ، وقام فأحضر كتاب الشقاء لأبي علي ووقفني على ما ذكره ، فلما وقفت  
عليه أستجبهته ؛ فإنه طَوَّل فيه وعَرَّض كأنه يخاطب بعض اليونان ، وكل هذا الذي  
ذكره لغو لا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئا ، ثم مع هذا جميعه فإن معول  
القوم فيما يذكر من الكلام الخطابي أنه يُورَد على مقدمتين ونتيجة ؛ وهذا بما لم يخطئ  
لأبي علي بن سينا بيال فيما صاغه من شعر أو كلام مسجوع عنه وعند إفاضة

في صَوْغ مصاغه لم تحطِر المقتتان والنتيجة له بيال ؛ ولو أنه فكر أولاً في المتقدمين والنتيجة ؛ ثم أتى بنظم أو تر بعد ذلك ، لما أتى بشيء يُنتفع به ، ولطال الخطب عليه .

قال : بل إن اليونان أنفسهم لما نظموا ما نظموه من أشعارهم ، لم ينظموه في وقت نظمه وعندهم فكرة في مقدمتين ولا نتيجة ، وإنما هذه أوضاع توضع وتطول بها مصنفات كتبهم في الخطابة والشعر ، وهي كما يقال :

فما قيل ليس لها طائل • كأنها شعر الأبيوردي

### الوجه الثاني

في تحقيق المعاني ، ومعرفة صوابها من خطئها ، وحسنها من قبحها .  
وقد قسم صاحب الصنائع المعاني على خمسة أصناف

#### الصنف الأول

ما كان من المعاني مستقيماً حسناً ، كقولك رأيت زيدا  
وهو أعلى الأنواع الخمسة وأشرفها

قال في "الصنائع" : والمعنى الصحيح الثابت يتأدى على نفسه بالصحة ، ولا يجوز إلى التكلف لصحته حتى يوجد المعنى فيه خطيئاً .

فأما المعنى المستقيم الجزل من النظم ؛ فمن الوعظ قول النمر بن تَوَلَّب ينم طول الحياة :

يَوَدُّ الفتي طُولَ السَّلامَةِ والفتى • فكيف ترى طُولَ السَّلامَةِ يفعل ؟

يَكَادُ الفتي بَعْدَ اعتِدالٍ وَصِحَةٍ • يَنْسُو إِذَا رَامَ القِيَامَ وَيُحْتَمِلُ

وقول أبي العتاهية في الوعظ بزوال العز والنعمة بالموت :

وكانت في حياتك لي عظامٌ • وأنت اليوم أوعظ منك حيا !

وفي وصف الأيام قول أبي تمام :

على أنها الأيام قد صرن كلها • عجائب حتى ليس فيها عجائب

ومن الممدوح قول أمية بن أبي الصلت :

عطاؤك زين لأمرئى إن حبوته • بنسب وما كل العطاء زين

وليس بشين لأمرئى بذل وجهه • إليك كما بعض السؤال يشين

وقول أبي تمام :

يستعذبون متابهم كأنهم • لا يبتشون من الدنيا إذا قبلوا

وقول الآخر :

هم الألى وهبوا للجد أنفسهم • لما يألون ما نألوا إذا حمدوا

ومن الفخر قول معن بن أوس :

لعمرك ما أهديت كفى لريسة • ولا حمتني نحو فاحشة رجلى !

ولا قاذفى تهمى ولا بصرى لها • ولا دلى رأيت عليها ولا عقلى !

وأعلم أنى لم يُصننى مُصيبةٌ • من الدهر الاقدأصابت قتي قلى !

ولست بمائش ما حييت لُنكر • من الأمر لا يمشى إلى مثله مثلى !

ولا مؤثر نقبى على ذى قرابة • وأوثر ضيغى ما أقام ، على أهل !

وقول الآخر :

ولست بنظار إلى جانب النفى • إذا كانت العليا في جانب الفقر

وقول الشفري :

أطيلُ مِقالَ الجوعِ حتَّى أُميتَه • وأضربُ عنه القلبَ صَفْعاً فَيَذَلُ  
ولولا أَجْتابُ العارِ لم يُلَفَّ شَرِبُ • يُعاشُ بِهِ إلا لَدَى وَمَا كَلُ

ومن الغزل قول جرير :

إِنَّ النُّيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ • قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُجَيِّتْ قَتْلَانَا  
يَصْرَعُنْ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا تَرَكَ بِهِ • وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا

وقول النظام :

تَوَهَّمَهُ طَرْفِي فَأَلَمَ خَدَّهُ • فَصَارَ مَكَانَ الْوَهْمِ مِنْ نَظَرِي أَثَرُ  
وَصَالَحَهُ قَلْبِي فَأَلَمَ كَتَمَهُ • كَيْنَ صَفِيحُ قَلْبِي فِي أَنَامِلِهِ حَفَرُ  
وَمَرَّ بِفِكْرِي خَاطِرًا بَهِرَاجُهُ • وَلَمْ أَرَ خَلْقًا قَطُّ يَحْمِرُهُ الْفِكْرُ

ومن التشبيب قول الفاعل :

وَمِنْ تَجَمُّعِ أُنَى أَحِبِّ الْيَوْمِ • وَأَسْأَلَ عَنْهُمْ مَنْ أَرَى وَهُمْ مَعِي  
وَتَطْلُبُهُمْ عَيْنِي وَهُمْ فِي سَوَادِهَا • وَيَسْتَأْثِمُّ قَلْبِي وَهُمْ بَيْنَ أَضْلَلِي

وقول الآخر :

إِنْ لَمْ أَزُرْ رَبَّكُمْ سَبِيحًا عَلَى حَدَقٍ • فَلَا تَ وَدَّى مَلْسُوبٌ إِلَى الْمَلَقِ  
تَبَّتْ يَدِي إِنْ تَنَتْنِي عَنْ زِيَارَتِكُمْ • بِمِصِّ الصَّفَاحِ وَلَوْ سُدَّتْ بِهَا طَرْفِي

ومن الحكمة قول المتنبي :

وَالظُّلَمُ مِنْ شَيْمِ النَّفُوسِ إِنْ تَجَمَّدَ • ذَا عَفَا فَلِلْعَلَّةِ لَا يَظْلِمُ

وقول الآخر :-

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى • ظَلِمْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصِفُ مَشَارِبُهُ؟

وقول الآخر :

وَلَسْتُ بِمُتَّبِعِي أَحَا لَا تُلْهُهُ • عَلَى شَعْبِ أَى الرِّجَالِ الْمُهْدَبُ ؟

ومن المهجوعول الطرمّاح في تميم :

تَمِيمٌ بِطَرَفِ الثُّؤْمِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا • وَلَوْ سَلَكَتُ سُبُلَ الْمَكَارِمِ ضَلَّيْتُ

وقول الآخر :

لَوْ أَطْلَعْتُ الْفُرَابُ عَلَى تَمِيمٍ • وَمَا فِيهَا مِنَ السُّوءَاتِ شَابَا

إلى غير ذلك من معاني الشعر الحسنة البليغة الرائقة .

ومما يخرط في هذا السلك من النثر ما يُحكى أن أعرابيا وقف على عبد الملك بن مروان برملة اللوى فقال : رحم الله امرأ لم تمنح أذناه كلامي ، وقدّم معاذة من سوء مقايي ؛ فإن البلاد مجذبة ، والحال مُسْغِية ، والحياة زاجر ، يمنع من كلامكم ، والفقر حاذر ، يدعو إلى إخباركم ؛ والدعاء إحدى الصلتين ، فرحم الله امرأ أمر بغيره ؛ أودما يجير .

ومعاني القاضى الفاضل هي التي ترقص لها القلوب ، وتطرب لها الألباب ، ويهجم قبولها على النفوس من غير حاجب ولا بواب ؛ فمن ذلك قوله :

” يا بني أيوب ، لو ملكتم الدهر لامتطيتم ليايّه أقدام ، ولقدّم إيامه صوّارم ، وأنتم شموه وأفاره في الهبات دنانير ودرام ؛ وأيامكم أعراسن وما تمّ فيها على الأموال مآتم ، والجود في أيديكم خاتم ، ونفس حاتم في نقش ذلك الخاتم “ .

فهذا هو السحر الحلال ، والمعاني التي تخضع لما شئ الجبال ، ولا يقال فيه قيل

ولا قال .



## الصنف الثاني

ما كان مستقيا قيحا كقولك قد زيدا رأيت

قال في "الصناعتين" : وإنما قُبِحَ لأنك أفسدت نظام اللفظ بالتقديم والتأخير .  
وهذا النوع يسميه علماء الماني : التعميد . وسماه ابن الأثير في "المتل السائر"  
المُعَاظَلَة المعنوية ، وهو تقديم ما الأولي به التأخير ، كتقديم الصفة أو ما يتعلق بها  
على الموصوف ، وتقديم الصلة على الموصول ونحو ذلك ؛ وهو من المذموم المرفوض  
عند أهل الصنعة ، لأن المعنى يختل به ويضطرب . قال في "المتل السائر" : وهو ضد  
الفصاحة ، لأن الفصاحة هي الظهور والبيان ، وهذا عار عن هذا الوصف ؛ فمن  
ذلك قول بعضهم :

فأصبحت بعد خط بهجتها • كان قفرا رؤسوها قلما

يريد فأصبحت بعد بهجتها قفرا كأن قلما خط رؤسوها فقدم خبر كان ، وهو خطأ  
عليها بقاء مختلا مضطربا ، وأصح منه وأكثر اختلافا قول الفرزدق :

إلى ملك ما أمه من محارب • أبوه ، ولا كانت كليب نصايره

يريد إلى ملك أبوه ما أمه من محارب ، والمعنى ما أم أبيه من محارب ؛ يمدحه بذلك  
ذما لمحارب . وكذلك قوله ، يمدح خال هشام بن عبد الملك :

وما مثله في الناس إلا ملكا • أبو أمه حتى أبوه يقاربُه

يريد وما مثله في الناس حتى يقاربه إلا ملكا أبو أمه أبوه ، وهو خاله ، فلما استعمل  
فيه التقديم والتأخير في غير موضعه جاء مشوها رثا كما تراه . قال الوزير رضى الله عنه  
ابن الأثير : وقد استعمل الفرزدق من التعاقل كثيرا كأنه يقصد ذلك ويتعمده  
لأن مثله لا يبيح إلا متكلفا مقصودا ، وإلا فإذا ترك مؤلف الكلام نفسه تجرى

على بحبيتها وطبيعتها في الاسترسال لم يعرض له شيء من هذا التعقيد؛ ألا ترى أن المقصود من الكلام معدوم في هذا النوع، إذ المقصود من الكلام إنما هو الإيضاح والإبانة وإفهام المعنى؛ فإذا ذهب هذا الوصف المقصود من الكلام ذهب المراد به. ولا فرق عند ذلك بينه وبين غيره من اللغات كالفارسية والرومية وغيرهما.

### الصف الثالث

ما كان مستقيماً ولكنه كذب كفولك حملت الجبل،

وشربت ماء البحر، وما أشبه ذلك

وأعلم أن المعاني المستعملة في الشعر والكتابة أكثرها جارية على هذا الأسلوب خصوصاً المعاني الشعرية، فإنه مقدمات تخيلية تُوجب في النفس اقتضاً وأبسطاً على ما هو مقترن في المنطق. وقد قال في "الصناعاتين": إن أكثر الشعر معنى على الكذب والاستحالة من الصفات المنتمة، والنوع الخارجة عن العادة، والألفاظ الكاذبة من قسوف المخصّصات، وشهادة الزور، وقول البهتان، ولا سيما الشعر الجاهلي الذي هو أقوى الشعر وأخفله. قال: وليس يراد منه إلا حسن اللفظ وجودة المعنى فهذا الذي يسوغ استعمال الكذب وغيره مما جرى ذكره فيه. وقيل لبعض الفلاسفة: فلان يكذب في شعره. فقال: يراد من الشاعر حسن الكلام، والصدق يراد من الأنبياء طهيم السلام.

قال الشيخ زكي الدين بن أبي الأصم رحمه الله في كتابه "تحرير التحجير": وأنا أقول قد اختلف في المبالغة، فقوم يرون أن أجود الشعر كذبه، وخير الكلام ما بولغ فيه، ويحتجون بما جرى للناطقة الديباني مع حسان بن ثابت رضي الله عنه في استدراك النابغة عليه تلك المواقع المحمية في قوله:

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرَيَّامَعْنَ بِالضَّحَى • وَأَسْبَابُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا

فإن النابغة إنما عاب على حسان ترك المبالغة والقصة مشهورة • قال : والصواب مع حسان وإن روى عنه أقطاعه في يد النابغة ، وقوم يرون المبالغة من عيوب الكلام ، ولا يرون عفاسته إلا ما خرج مخرج الصدق ، وجاء على منهج الحق ، ويعمون أن المبالغة من ضعف المتكلم وتعجزه عن أن يمتزع معنى ، أو يفزع معنى من معنى ، أو يحل كلامه شيئا من البديع ، أو ينتخب ألفاظا موصوفة بصفات الحسن ، ويجيد تركيبها ، فإذا عجز عن ذلك كله عدل إلى المبالغة يستدبها خَلَّه ويتم قصه ، لما فيها من التحويل على السامع ، ويدعون أنها ربما أحالت المعاني فأخرجتها عن حد الإمكان إلى حد الامتناع . قال : وعندي أن هذين المذهبين مردودان ، أما الأول فلقول صاحبه إن خير الكلام ما بولغ فيه ، وهذا قول من لا ينظر له ، لأننا نرى كثيرا من الكلام والأشعار جاريا على الصدق المحض خارجا مخرج البحث ، وهو في غاية الجودة ، ونهاية الحسن ، وتمام القوة ، وكيف لا والمبالغة ضرب واحد من المحاسن ، والمحاسن لا تُحصَرُ ضروريتها ، فكيف يقال : إن هذا الضرب على أنفراده يفضِّل سائر ضروريات المحاسن على كثرتها ! وهذا شعر زهير والحطيئة وحسان ، ومن كان مذهبه توثي الصدق في شعره غالباً ، ليس فوق أشعارهم غايةً لَمَرَقَ ، ألا ترى إلى قول زهير :

وَمَهْمَا يُكْنَى عِنْدَ أَمْرِي مِنْ خَلِيقَةٍ • وَإِنْ حَالَهَا تَخَنَّى عَلَى النَّاسِ تُعَلَّمْ

وإلى قول طرفة :

لَعَمْرُكَ إِنْ الْمَوْتُ مَا أَخْطَا الْفَتَى • لَكََا لَطَوَّلِ الْمُرْتَنَى وَتَبَاهُ فِي الْيَدِ

وإلى قوله :

سَتَيْدِي لَكَ الْإَيَّامُ مَا كُنْتُ جَاهِلًا • وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودْ

وإلى قول الخطيئة :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَسُدُّ جَوَازِيَهُ • لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ  
فإنك تجد هذه الأشعار في الطبقة العليا من البلاغة، وإن خلت من المبالغة،  
والذي يدل على أن مذهب أكثر الفحول ترجيح الصدق في أشعارهم على الكذب  
ما روى عن الحرورية امرأة عمران بن حطان قاضى الصفرية من الخوارج أنها  
قالت له يوما : أنت أعطيت الله تعالى عهدا ألا تكذب في شعرك ، فكيف  
قلت :

فَهُنَاكَ تَجْمِزُاءُ بَنُ تَوْ • زِيكَانُ اجْتَمَعَ مِنْ أَسَامِهِ ؟

فقال : يا هذه، إن هذا الرجل فتح مدينة وحده وما سمعت بأسد فتح مدينة  
قط ، وهذا حسان يقول :

وَأَمَّا الشَّرْلُبُ الْمَرَّةَ يَغْرِضُهُ • عَلَى الْمَجَالِسِ إِنْ كَيْسًا وَإِنْ حَمَقًا

وَأِنْ أَشْعَرَ بَيْتَ أَنْتَ قَائِلُهُ • يَتُّ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقًا

على أن هؤلاء الفحول وإن رجحوا هذا المذهب لا يكرهون ضده، ولا يمتدحون  
فضله، وقلنا تخلو بعض أشعارهم منه إلا أن توخى الصدق كان الغالب عليهم،  
وكانوا يكثرون منه، ومن أكثر من شيء عُرِفَ به؛ كما أن النابضة ومن تابعه  
على مذهب لا يكرهون ضد المبالغة، وإلا فكل احتجاج جاء به على الثماني في  
الاعتذار جار مجرى الحقيقة، كقوله :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً • وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْسِرِّ مَذْهَبُ

فمأنب الكلام الحسن بترك المبالغة فقط مخطئ، وعائب المبالغة على الإطلاق  
غير مصيب، وخير الأمور أوساطها .

والتحقيق أن المبالغة إذا لم تخرج من حد الإمكان ، ولم تجر مجرى الكذب المحض ، فإنها لا تؤثم بحال ، كقول قيس بن الخطيم :

طعنتُ ابنَ عبد القيس طعنة نائر • لها نقدٌ لولا الشعاعُ أضاعها

ملكْتُ بها كفى فأنهرتُ فتقها • يرى قائمٌ من دونها من وراءها

فإن ذلك من جيد المبالغة ، إذ لم يكن خارجاً مخرج الاستعالة مع كونه قد بلغ النهاية في وصف الطعنة ، وكذلك قول أبي تمام :

تكاد تنقل الأرواح لو تركت • من الجسوم إليها حين تنقل

فإنه لم يقع بصحيح المبالغة وقربها من الوقوع فضلاً عن الجواز بتقديم كاد ، حتى قال : لو تركت ، قال : وهذا أصح بيت سمعته في المبالغة وأحسنه ، وعلى حذو ورد قول شاعر الحماسة ، وقد بالغ في مدح ممدوحه فقال :

رهنتُ يدي بالعجز عن شكر بره • وما فوقُ شكري للشكور مزيد

ولو كان مما يستطاعُ استعطفه • ولعن مالا يستطاعُ شديد

فإن هذا الشاعر ألقي بيده وأظهر عجزه ، وأعترف بقصوره عن شكر بره هذا الممدوح ، وقطن أنه لو أقصر على ذلك ، لاحتمل أن يقال له : عجزك عن شكره لا يدل على كثرة بره ، لاحتمال أن يكون لضعف ماذنك عن الشكر ، إذ لا يلزم من عجز الإنسان عن شيء تعظيم ذلك الشيء ، ولا بد لاحتمال أن يكون العجز لضعف الإنسان ، فأحترز عن ذلك بقوله :

• وما فوقُ شكري للشكور مزيد •

ثم تمّ المعنى بأن قال للشُّكُور، للبالغة في الشكر، فإن شُكُوراً معدول عن شاكر للبالغة كما تقدّم، ثم أظهر عنده في عجزه بأن قال في البيت الذي يليه :

• ولو كان مما يُستطاع استطاعته •

ثم ذيل هذا المعنى بإخراج بقية البيت مُخَرَّج المثل السائر ليكثر دَوْرُهُ على الألسنة فيحصل تجميد مدح المدوح كل حين، والتنبؤ به بذكره في كل زمان ، حيث قال :

• ولكنّ ما لا يُستطاعُ شديداً •

أما إذا خرجت المبالغة عن حدّ الإمكان، وجرت مجرى الكذب المحض، فإنها مذمومة في الشرع وإن كان الشعراء يستيحيون مثل ذلك ولا يتحاشون الوقوع فيه . وقد أخبر تعالى عنهم بالكذب بقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمُسُونَ أَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ مَا لَا بَعْلُونَ ﴾ وفي قوله صلى الله عليه وسلم : ” أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةٌ لَيْدٍ : ” أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ “ . إشارةً لذلك أيضا ،

فمن المبالغة في الشعر المنتهية إلى حدّ الكذب قول البُعْتُرى :  
ولو قُست يوماً جمَلُها بِجَمَلِها • لكانا سواءً لا بل الجمل أوسع  
وصَفَها بِرِقَّةٍ الخَصِيرِ وَغَلِظِ السَّاقِ حَتَّى جَمَلُ جَمَلِها الذي يدور على ساقها أوسع  
من جَمَلِها الذي يدور على خَصِيرِها ؛ وأبلغ منه قول الآخر :

من الهيف لو أن الخَلَاخِيلَ صُبِّرَتْ • لها وَهْمًا جَالَتْ طليها الخَلَاخِيلُ  
بفعل الخَلَاخَالِ يحول في بدنها ، لكنه ليس من المدح في شيء ، لأن الخَلَفَالَ لو صار  
وُشاحًا للرأه لكانت في غاية النمامة حتى تصير في خلقه الحُرُ والهِرَّ .

وأبلغ منه قول الآخر .

وَرَحِبٌ صَدِيرٌ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةٌ • كَوْسِيهِ لَمْ يَضُقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدٌ  
لجعل صدره في السعة والرحب أوسع من الأرض ، ونحوه قول الآخر :

وَيَوْمَ كَطُولِ الدَّهْرِ فِي عَرَضٍ مِثْلِهِ • وَوَجْدِي مِنْ هَذَا وَهَذَا أَطْوَلُ

إلا أنه استعمل العَرَضُ في غير موضعه ، إذ الدهر يوصف بالطول لا بالعرض ،

وهو قد جعل له طولاً وعرضاً ، ويقرب منه قول أبي الطيب :

كَيْفِي يَجْسِسُ نُحُولًا ابْنِي رَجُلٌ • لَوْلَا مَخَاطِبِي لَأَكَلْتُ لَمْ أَبْنِ<sup>(١)</sup>

لجعل كلامه هو الذي يدل عليه من شدة النحول .

قال الشيخ زكي الدين بن أبي الأصبع : ومما يجرى به التمثيل في باب المبالغة قول بعض العرب يلزم إنساناً بقوله : فلان تكون له الحاجة فينقبس قبل أن يطلبها ، وتكون إليه فيردّها قبل أن يفهمها . وقول بعض بغاء الكتاب : إن من النعمة على المؤمن عليك ألا يخلو من مساعد ولا ينحى من معاند ، ولا تلحقه نقبصة المكذب ، ولا يكرهه عوز الأوصاف بالطلب ، ولا ينتهي من القول إلى منتهى إلا وجد بعده مقتضى ووراء منتهى . وسيأتى من المبالغة في أوصاف الخيل والسلاح ، وغيرها في قسم الأوصاف من ذلك ما فيه مقتضى إن شاء الله تعالى .

### الصنف الرابع

ما كان محالاً ، وهو ما لا يمكن كونه البتة ، كقولك آتيتك أمس .

وأتيتك غداً ، وما أشبه ذلك

قال في "الصناعتين" : فإن اتصل الكذب بحال صار كذباً محالاً ، كقولك :

رَأَيْتُ قَاعِدًا قَائِمًا ، وَصَرَدْتُ بَيِّقْظَانًا نَائِمًا ، فإنه كذب للإخبار بخلاف الواقع ، ومحال

(١) المشهور في الرواية : لم تبن ، وهي التي شرح عليها التكمي .

لعدم إمكان الجمع بين التقيضين؛ وقد تقدم في النوع الثالث أن أكثر الشعر مبنى على الكذب، والاستحالة من الصفات الممتنة والنموت الخارجة عن العادة، وذلك في الكذب مما لا نزاع في كثرته في الشعر كما تقدم.

أما المحال فانه قليل الوقوع، نادر في النظم والثر، معدود من المايب، محكوم عليه بالرد.

فمن ذلك قول عبد الرحمن بن عبد الله القس :

وإني إذا ما الموتُ حلَّ بنفسها • يُزَالُ بنفسي قبلَ ذاك فأقبرُ

قال المسكوي : هذا من المحال الذي لا وجه له، قال : وهو شبه بقول القائل : إذا دخل زيد الدار، دخل عمرو قبله، ثم قال : وهذا عين المحال المتنع الذي لا يجوز يريد أنه قد توقف كل من الأمرين على الآخر لأنه لا يوجد إلا به فيلزم الدور، وهو محال فيحكم فيه بالبطلان وقطع الدور.

ومما يلحق بالمحال ويغفوط في سلكه تناقض المعاني وأضطرابها.

فمن ذلك قول المسيب بن عيسى في وصف ناقة :

فلسل حاجتها إذا هي أعرضت • بجيصة سرج اليدى وساع  
فكانت قطرة موضع كورها • ملساء بين قوامض الأضلاع  
وإذا أظفت بها أظفت بكل كل • بيض الفرائص مجفّر الأضلاع

قال في "الصناعين" : وهذا من المتناقض لأنه قال بجيصة، ثم قال موضع كورها قطرة، وهي مجفّرة الأضلاع فكيف تكون جيصة وهذه صفتها ! وقريب منه قول الحطّية :

جريح يلاؤد بالكاس مكانه • متطوّف حتى الصبح يدور



حَتَّى إِذَا مَا الصُّبْحُ شَقَّ عَمودَهُ • وعلاه أَسْطَعُ من سَنَاءِ مُنِيرٍ  
وَحَصَى الكَيْتِيبَ بِصَفْحَتِهِ كَأَنَّهُ • خَبَّتْ الحديدُ أَطَارَهُنَّ اليَكْبُرُ  
زعم أنه لم يزل يطوف حتى أصبح وأشرف على الكتييب، فمن أين صار الحصى  
بصفحته ! • وقول المُرْقِش الأصغر :  
صَحَّاءَ قَلْبِهِ عَنا عَلِ ابْ ذُكْرَةٌ • إذا خَطَرَتْ دَارَتْ بِهِ الأَرْضُ قَانِمَا  
وكيف صَحَّاءَ عَنا مَن إِذَا ذَكَرَتْ دَارَتْ بِهِ الأَرْضُ !

### الصفن الخامس

مَا كَانَ قَلَطًا، وهو أن تريد الكلام بشئ فَيَسْبِقُ لسانك إلى خلافه، كقولك :  
ضَرَبَنِي زَيْدٌ وَأَنْتَ تَرِيدُ ضَرْبَتِي زَيْدًا  
قال في "الصناعتين" : فإن تعمدت ذلك، صار كذبا، وهذا النوع أكثر وقوما  
من الذي قبله، قال : وقد وقع فيه الفحول من الشعراء •  
وأصناف الفلظ في المعاني كثيرة، فمن ذلك الفلظ في الأوصاف، وهي على  
وجوه : منها وصف الشئ بخلاف ما هو عليه وذكرة بما يتأف به •  
فمن غريب هذا النوع قول الراعي في وصف المِسْك :  
يَكْسُو المَقَارِقَ والأَلْبَاتِ ذَا أَرْجٍ • من قُصِبِ مُعْتَلِفِ الكافُورِ ذَوَاجِ  
بفعل المِسْك من قُصِبِ الظُّلِيِّ، وهو مِمَّاهُ وجعل الظُّلِيَّ يَتَلَفِ الكافُورَ فيتولد منه  
المِسْك، وهذا من طرائف التَّلَطُّ • وقريب منه قول زُهَيْرٍ يَصِفُ الضَّفَادِعَ :  
يَخْرُجْنَ مِنْ شَرَابَاتِ مَائِهَا طَلِحْلُ • على الجُلُوعِ تَخَافُ النِّهْمَ والنَّوَقَا

ظن أن الضفادع يخرجن من الماء مخافة الفرق، ونسبوا لها فيه ، وقرب منه قول  
دَى الرِّمَّةِ :

إذا أنجابت الظَّلَاءُ أُمَحَّتْ رُؤُسُهَا • عَليهن من جَهْدِ الكَرَى وهى ضُلَعُ  
فوصف الروس بالضلَع . قال ابن أبي فروة : ما أغفلت هذا، ولقد قلت  
لدى الرمة : ما علمتُ أحدا أضلَعُ الرُّؤُسَ غيرك، قال : أَجَل .

قال في "الصناعين" : ومما لم يُسمع مثله قط قول عِدَى بن زيد في النمر :  
والمُشْرِفُ المَيْدَبُ يَسَى بِهَا • أَخْضَرَ مَطْمُوءًا بِمَاءِ الحَرِيصِ  
فوصف النمر بالخصرة، والحريص : السحابة تَحْرِصُ وجه الأرض أى تَقْشِرُهَا،  
ومنه سميت إحدى الشَّجَاجِ في الرأس الحارصة لأنها تشق الجلد .

ومنها وصف الشيء على خلاف المهود والعادة المعروفة .

فمن ذلك قول المَرَّار :

وَحَالَ عَلَى خَدَّيْكَ يَسْدُو كَأَنَّهُ • سَنَا البَدْرِ فِي دَنَجَاهُ بِأِدِّ دُجُونِهَا

والمعروف أن الحِيلَانَ سَوْدٌ أو سُمرٌ، والخلود الحسان إنما هي البيض، فاقى  
هذا الشاعر قلب المعنى، ومثله قول الآخر :

كَأَنَّمَا الحِيلَانُ فِي وَجْهِهِ • كَوَاكِبٌ أَحَدَقْنَ بالبَدْرِ

قال أبو هلال السكري : ويمكن أن يُحتج لهذا الشاعر بأن يقال : تشبيه  
الحِيلَانِ بالكواكب من جهة الاستدارة لا من جهة اللون .

ومن ذلك قول امرئ القيس في وصف الفرس أيضا :

وللسوط المُنُوبُ وللساقِ رَّةٌ • وللزَّهرِ منه وَقْعٌ أَخْرَجَ مُهَذِّبُ

قال أبو هلال العسكري : فلو وصف أحسن حمار وأضعفه ، ماذا على ذلك ؛  
وفول القائل :

صَبَّنا عليها ظالمينَ سَيَّأنا • فطارت بها أيدٍ سراعٌ وأرجُلُ

بفعل ضريها بالسوط من باب الظلم لأنها لا توجهه إلى ذلك ؛ ومن ذلك قول  
أمرئ القيس :

وَأَرْكَبُ فِي الرُّوعِ خَيْفَانَةً • كَسَا وَجْهَهَا سَعْفٌ مُنْتَشِرٌ

شبه ناصية الفرس بسعف النخلة لطولها ، وإذا غطى الشعر من الفرس  
لم يكن كريما .

ومثله قول طرفة يصف ذئب البعير :

كَأَنَّ جَنَاحِي مَضْرَبِي تَكْتَفِي • حِفَاقِيهِ ، شُكَا فِي الْعَيْبِ وَمُسَرِدٌ

بفعل ذئبه كثيفا ، طويلا عريضا ؛ وإنما توصف النجائب بخفة الذئب  
ورقة الشعر .

ومنها أن يجرى في مقاصد المعاني على خلاف المألوف المعروف ، وذلك قول  
جُنادة :

مَنْ حُبَّهَا أَتَمَّنَى أَنْ يَلَاقِيَنِي • مِنْ تَحْوِ بَلَدِهَا نَاجٍ فَيَنْعَاها

لَكَ يَكُونُ فِرَاقٌ لَا لِقَاءَ لَهُ • وَتُضْمِرُ النَّفْسُ يَأْسًا ثُمَّ تَسْلَامُ

فإذا نمتي المحب للحبيب الموت فإذا عني أن يفتي البنيض لبغيضه  
وفول الآخر :

وَلَقَدْ مَمَّنْتُ بِقَتْلِها مِنْ حُبِّها • كَيْفَا تَكُونُ خَيْصِمَتِي فِي الْخَشَرِ

فذكر أن شدة الحب حملته على قتل محبوبته حتى تخاصمه في الحشر لطلب حقها،  
 وشدة الحب لا تحمل إلا على الإكرام والبر، على أنها قد تكون تكرمه، فترك حقها  
 له حتى لا يطول وقوفها معه للمخاض؛ وقول نُضِيبُ :  
 فإن تصلي أصلك وإن تعودى • بهجبر بعد ذلك فلا أبالي  
 والماشق يلاطف قلب محبوبه ولا يُحاجّه، ولا يلأجه •

### الأصل الثاني

من صناعة إنشاء الكلام النظر في الألفاظ، والنظر فيها من وجهين

#### الوجه الأول

في فضل الألفاظ وشرفها

قد تقدم في الكلام على المعاني أن الألفاظ من المعاني بمنزلة الثياب من الأبدان  
 فالوجه الصحيح يزداد حسنا بالحلل الفاحرة والملابس البهيّة، والقيح يزول عنه  
 بعض القبيح، كما أن الحسن يتقصّ حسنه برّاقة ثيابه وعدم بهجة ملبوسه، والقيح  
 يزداد قبحا إلى قبحه. فالألفاظ ظواهر المعاني، تحسّن بحسنها، وتقبح بقبحها؛  
 وقد قال أبو هلال العسكري في كتابه "الصناعتين" : ليس الشأن في إيراد المعاني،  
 لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي والقرويّ والبدويّ وإنما هو في جودة اللفظ،  
 وصفائه، وحسنه وبهائه، وزاخرته وقوّته، وكثرة طلاوته ومائه، مع صحة السبك  
 والتركيب، والخلق من أود النظم والتأليف •

قال : وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صوابا، ولا يُنقّض من اللفظ بذلك  
 حتى يكون على ما تقتضيه من نعوته؛ ثم قال : ومن الدليل على أن مدار البلاغة تحسين  
 اللفظ أن الخُطبَ الرائعة، والأشعار الرائقة، ما عملت لإفهام المعاني فقط، لأن

الزدي، من الألفاظ يقوم مقام الجيد منها في الإفهام ، وإنما يدل حسن الكلام وإحكام صناعته ، ورويق ألفاظه ، وجودة مقاطعه ، وبدع مبادئه ، وغريب مبادئه ، على فضل قائله ، وفهم منشئه ، وأكثر هذه الأوصاف ترجع إلى الألفاظ دون المعاني ، وتوثق صواب المعاني أحسن من توثق هذه الأمور في الألفاظ ، فلهذا يتأق الكاتب في الرسالة ، والخطيب في الخطبة ، والشاعر في القصيدة ، وبالقون في تجويدها ، ويقولون في ترنيها ، ليدلوا على براعتهم ، وحذقهم بصناعتهم ؛ ولو كان الأمر في المعاني لطرخوا أكثر ذلك فربحوا كذا كثيرا ، وأسقطوا عن أنفسهم قبا طويلا ، وأيضا فإن الكلام إذا كان لفظه حلوا عذبا ، وسائسا سهلا ، ومعناه وسطا ، دخل في جملة الجيد ، وجرى مع الرائع النادر كقول الشاعر :

ولما قضيتا من مني كل حاجة \* ومسح بالأركان من هو ماسح  
وشدت على حذب المهاري رحالنا \* ولم ينتظر الفادي الذي هو رائج  
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا \* وسالت بأعناق المعلى الأباض

وليس تحت هذه الألفاظ كثير معنى ، وهي رائعة مُعجبة ، وإنما هي : ولما قنينا الحج ، ومسحنا بالأركان ، وشدت رحالنا على مهازيل الإبل ، ولم ينتظر بعضنا بعضا ، جعلنا نتمت وتسير بنا الإبل في بطون الأودية ؛ وإذا كان المعنى صوابا واللفظ باردا فاترا كان مستهجا ملفوظا ، ومنموما مردودا ، كقول أبي العاتية في أبي عثمان سعيد بن وهب :

مات والله سعيد بن وهب \* رحم الله سعيد بن وهب  
يا أبا عثمان أبكت عني \* يا أبا عثمان أوجعت قلبي

## الوجه الثاني

الألفاظ المفردة، وبيان ما ينبغي استعماله منها، وما يجب تركه  
اعلم أن الذي ينبغي أن يستعمل في النظم والنثر من الألفاظ هو الرائق **التيج**  
الذي قبله النفس، ويميل إليه الطبع، وهو الفصيح من الألفاظ دون غيره .  
والفصيح في أصل اللغة هو الظاهر **البيّن**، يقال : أفصح الصبح إذا ظهر وبان  
ضوءه ، وأفصح اللبن إذا تجلت عنه رغوته وطهر، وأفصح الأعجمي - وقصَحَ إذا  
أبان بعد أن لم يكن **يُبين**، وأفصح الرجل عما في نفسه إذا أظهره .

قال في "المثل السائر" : **أهل البيان يَفْقُونَ** عند هذا التفسير، ولا يكشفون عن  
السريه . قال : وهذا القول لا تبين حقيقة الفصاحة، لأنه يلزم أنه إذا لم يكن  
اللفظ ظاهرا يينا لم يكن فصيحاً جيداً، ثم إذا ظهر وتبين صار فصيحاً، على أنه قد  
يكون اللفظ ظاهراً زليد ولا يكون ظاهراً لعمرو، فيكون فصيحاً عند واحد دون  
آخر، وليس كذلك؛ بل الفصيح ما لم يُخْتَلَفْ في فصاحته، لأنه إذا تحقق حد  
الفصاحة وعُرف ما هي لم يبق في اللفظ المختص بها خلاف؛ وأيضا فإنه لو جيء بلفظ  
فبيح ينبو عنه السمع، وهو مع ذلك ظاهر **يَب** فيلبي أن يكون فصيحاً، وليس  
كذلك لأن الفصاحة وصفٌ حَسَنٌ للفظ لا وصفٌ قُبُحٌه .

قال : وتحقيق القول في ذلك أن يقال : الكلام الفصيح هو الظاهر **البيّن**؛  
والظاهر **البيّن** أن يكون ألفاظه مفهومة لا يحتاج في فهمها إلى استخراج من كتب  
لغة؛ وإنما كانت بهذه الصفة لأنها تكون مألوفة الاستعمال بين أرباب النظم والنثر،  
دائرة في كلامهم؛ وإنما كانت مألوفة الاستعمال دائرة في الكلام دون غيرها من الألفاظ  
لمكان حُسْنِها، وذلك أن أرباب النظم والنثر غَرَّبُوا اللغة باعتبار ألفاظها، وسَرَّبُوا

وَقَسَمُوا فَأَخْتَارُوا الْحَسَنَ مِنَ الْأَلْفَاظِ فَأَسْتَعْمَلُوهُ، وَتَفَوُّوا الْقَبِيحَ مِنْهَا فَلَمْ يَسْتَعْمَلُوهُ؛  
حَسَّنُ الْأَلْفَاظِ سَبَبُ اسْتِعْمَالِهَا دُونَ غَيْرِهَا، وَاسْتَعْمَلُهَا دُونَ غَيْرِهَا سَبَبُ ظَهْوِهَا  
وَبَيَانِهَا؛ فَالْفَصِيحُ إِذَا مِنَ الْأَلْفَاظِ هُوَ الْحَسَنُ. ثُمَّ قَالَ: وَالْمَرْجِعُ فِي تَحْسِينِ الْأَلْفَاظِ  
وَقَبْحِهَا إِلَى حَاسَةِ السَّمْعِ، فَلَا يَسْتَلْزِمُ السَّمْعُ مِنْهَا وَيَمِيلُ إِلَيْهِ هُوَ الْحَسَنُ، وَمَا يَكْرَهُهُ  
وَيَنْفِرُ عَنْهُ هُوَ الْقَبِيحُ، بِدَلِيلِ أَنَّ السَّمْعَ يَسْتَلْزِمُ صَوْتَ الْبَلْبَلِ مِنَ الطَّيْرِ وَصَوْتَ  
الشُّجُرِ وَيَمِيلُ إِلَيْهَا؛ وَيَكْرَهُ صَوْتَ الْغَرَابِ وَيَنْفِرُ عَنْهُ، وَكَذَلِكَ يَكْرَهُ نَبِيْقَ الْجَمْرِ  
وَلَا يَجِدُ ذَلِكَ فِي صَهِيلِ الْفَرَسِ؛ وَالْأَلْفَاظُ جَارِيَةٌ هَذَا الْمَجْرَى؛ فَإِنَّهُ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ  
لَفْظَةَ الْمُزْنَةِ وَالذِّمَّةِ يَسْتَلْزِمُهُمَا السَّمْعُ، وَلَفْظَةُ الْبَقَايِ قَبِيحَةٌ يَكْرَهُهَا السَّمْعُ، وَالْأَلْفَاظُ  
الثَّلَاثَةُ مِنْ صِفَةِ الْمَطَرِ وَمَعْنَاهَا وَاحِدٌ؛ وَأَنْتَ تَرَى لَفْظَتِي الْمُزْنَةِ وَالذِّمَّةِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُمَا  
مَالُوفَةٌ الْاِسْتِمَالِ، وَتَرَى لَفْظَ الْبَقَايِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُ مَتْرُوكَةٌ لَا يَسْتَعْمَلُ وَإِنْ اسْتَعْمَلَ  
فَإِنَّمَا يَسْتَعْمَلُهُ جَاهِلٌ بِحَقِيقَةِ الْفَصَاحَةِ أَوْ مَنْ ذَوَّقَهُ غَيْرُ سَلِيمٍ؛ لِأَجْرَمَ أَنَّهُ ذَمُّ وَقَدْحٌ فِيهِ،  
وَلَمْ يُلْقِمْ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ عَرَبِيًّا مَعْضَا مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأَقْدَمِينَ؛ فَإِنَّ حَقِيقَةَ الشَّيْءِ إِذَا  
عَلِمْتَ وَجِبَ الْوُقُوفُ عِنْدَهَا وَلَمْ يُعْرَجْ عَلَى مَا خَرَجَ عَنْهَا.

إِذَا عَامَتْ ذَلِكَ فَلَا يَوْصَفُ اللَّفْظُ الْمَفْرُودُ بِالْحُسْنِ حَتَّى يَتَصَفَّ بِأَرْبَعِ صِفَاتٍ:

### الصفة الأولى.

أَلَّا يَكُونَ غَرِيبًا، وَهُوَ مَا لَيْسَ مَأْنُوسُ الْاِسْتِمَالِ وَلَا ظَاهِرُ الْمَعْنَى.  
وَيُسَمَّى: الْوَحْشِيُّ أَيْضًا نِسْبَةً إِلَى الْوَحْشِ لِتَقَارُهِ وَعَدَمِ تَأَنُّسِهِ وَتَأَلُّفِهِ،  
وَرَبَّمَا قَلْبٌ فَقِيلَ: الْخَوْشِيُّ نِسْبَةً إِلَى الْخَوْشِ، وَهُوَ الْفَارُ.  
قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَزَعَمَ قَوْمٌ أَنَّ الْخَوْشَ بِلَادُ الْخَنْ وَرَاءَ رَمْلٍ يَهْرَبُ لَا يَسْكُنُهَا  
أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، فَالْغَرِيبُ وَالْوَحْشِيُّ وَالْخَوْشِيُّ كُلُّهُ بِمَعْنَى.

(١) كَذَا فِي النُّسَخِ أَيْضًا، وَهُوَ سَاهِلٌ لِأَنَّ الْفَارَ مَقَى لِحَامَشِ الْأَسَاسِ، أَنْظَرَ الْفَارُوسَ.

ثم الغريب على ضربين :

الضرب الأول — ما يُعَابَ أَسْمَلُهُ مطلقاً، وهو ما يُحتاج في فهمه الى بحث وتفتيح، وكشف من كُتِبَ اللغة، كقول ابن جندب .

حَلَقْتُ بِمَا أَرْقَلْتُ حَوْلَهُ • هَمْرَجَلَةٌ خَلَقَهَا شَيْظُمُ  
وما شَبَرَقْتُ مِنْ تَوَفِيَةٍ • بها من وحى الجن زيزِرُمُ

فالإرقال : ضرب من السير، وهو نوع من الخَبَب، يقال منه : أرقلت الناقة تُرْقِل إرقالاً، والهمْرَجَلَةُ : الناقة السريسة، وقال أبو زيد : الهمْرَجَلَةُ : الناقة النَجْجِيَّة الراحلة، والشَيْظُمُ : الشديد الطويل، وهو من صفات الإبل والحيل والأشْي شَيْظُمَةٌ • والشَبَرَقَةُ : القطع، يقال : شَبَرَقْتُ الثوب أَشَبَرَقَهُ شَبَرَقَةً إذا قطعته، وشَبَرَقْتُ الطريق إذا قطعته • والتَّوَفِيَةُ : المغازة، ويقال فيها : تَوَفِيَةٌ أيضاً • والوَحْي هنا : الصوت الخفي، يقال : سمعت وَحَاةَ الرعد، وهو صوته الممتد الخفي • وقوله زيزِرُمُ : حكاية لأصوات الجن إذا قالت : زى زى؛ وحاصله أنه يقول : حَلَقْتُ هذه الحلقة بما سارت هذه الناقة الشديدة السير العظيمة الخلق، وما قطعت من مَفَاذَ لا يُسمع فيها إلا أصواتُ الجن؛ وهذا مما لا يوقف على معناه إلا بكثرة وتعب في كشفه وتبَيُّمه من كتب اللغة •

الضرب الثاني — ما يحتاج إلى تدقيق النظر في التصريف وتخريج اللفظ على وجهه بعد، كلفظ مسرَّج من قول العجاج •

ومُقَلَّةٌ وحاجِبٌ مُزَجَّجٌ • وفاحِمٌ ومَرَسِنٌ مُسَبَّرَجٌ

فالْمُقَلَّةُ : شحمة العين • والحاجِبُ معروف • والمزجج : المُقْوَس مع طول ودقة في طَرَفِهِ • والفاحِم : الشَّعر الأسود الذي لوئِه كلون الفحم • والمَرَسِنُ : الأنف •



وضفه بكونه مُسَرَّجاً إما أنه كالسيف السُرَّيحي في الدقة والاستواء، والسُرَّيحي نسبة إلى قَيْن يسمَّى سُرَّيحا تنسب إليه السيوف؛ وإما أنه كالسراج في البريق واللمعان، أو من قولهم سَرَّج الله وجهه إذا بهَّجه وحسَّنه . فهذا ومثله مما لا يقف على معناه إلا من عرف التصريف وأتقنه .

إذا تقرر ذلك فاعلم أن اللفظ يختلف في القراءة وعدمها باختلاف النسب والإضافات ؛ فقد يكون اللفظ مألوفاً متداول الاستعمال عند كل قوم في كل زمن، وقد يكون غريباً متوحشاً في زمن دون زمن، وقد يكون غريباً متوحشاً عند قوم، مستعملاً مألوفاً عند آخرين .  
وهو أربعة أصناف :

### الصنف الأول

المألوف المتداول الاستعمال عند كل قوم في كل زمن

وهو ما تداول استعماله الأول والأخير من الزمان القديم إلى زماننا كالسماء والأرض، والليل والنهار، والحز والبرد، وما أشبه ذلك؛ وهو أحسن الألفاظ وأعذبها، وأعلىها درجة، وأغلاها قيمة؛ إذ أحسن اللفظ ما كان مألوفاً متداولاً كما تقدم؛ وهذا لا يقع عليه اسم الوحش بحال .

قال في "المثمل السائر" وأنت إذا نظرت إلى كتاب الله العزيز الذي هو أنصح الكلام وجدته سهلاً سليماً، وما تضمنه من الكلمات الغريبة يسيراً جداً . هذا وقد أنزل في زمن العرب العاربة، وألفاظه كلها من أسهل الألفاظ وأقربها استعمالاً وكنى بالقرآن الكريم قدوة . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني " يريد فاتحة الكتاب . وإذا نظرت إلى

ما أشقّت عليه من الألفاظ وجعلتها سهلة قريبة يفهمها كل أحد حتى صبيان المكاتب وعوام السوقة وإن لم يفهموا ما تحتها من أسرار الفصاحة والبلاغة، فإن أحسن الكلام ما عرف الخاصة فضله، وفهم العامة معناه، وهكذا فتتكن الألفاظ المستعملة في سهولة فهمها وقرب متناولها، والمقتضى بالفاظ القرآن يكفى بها عن غيرها من جميع الألفاظ المنثورة والمنظومة؛ وقد كانت العرب الأول في الزمن القديم تحاشي اللفظ الغريب في نظمها وثرها، وتميل إلى السهل وتستعذب به، ويكفى من ذلك كلام قبيصة بن نعيم لما قدم على أمراء القيس في أشياخ بني أسد يسألونه العفو عن دم أبيه، فقال له: "إنك في المحل والقدر من المعرفة بتصرف الدهر وما تحيذه أيامه، وتنقل به أحواله بحيث لا محتاج إلى تذكير من واعظ، ولا تبصير من مجرب؛ ولك من سودة متصبك، وشرف أعراقك، وكرم أصلك في العرب محتدّ يحتمل ما حمل عليه من إقالة العثرة ورجوع عن العقوبة؛ ولا تجاوز الهجم إلى غاية إلا رجعت إليك فوجدت عندك من فضيلة الرأي، وبصيرة الفهم، وكرم الصنيع ما يطول وغباتها، ويستغرق طلباتها، وقد كان الذي كان من الخطب الخليل، الذي عمت رزيته زاراً واليمن، ولم يخص بذلك كندة دوننا للشرف البارع الذي كان تجرّ، ولو كان يقدر هالك بالأنفس الباقية بسده لما بخلت كرائمها على مثله، ولكنه مضى به سبيل لا يرجع أجراء على أولاه؛ ولا يلحق أقصاه لذناه؛ فاحمد الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك في إحدى خلايل ثلاث؛ إما أن اخترت من بني أسد أشرفها بيتاً، وأعلاها في بناء المكرمات صوتاً، فقد نام إليك بنسمة تذهب مع شفرات حسامك بياق، قصرت به فنقول: رجل امتحن بهالك عزيز فلم يستل سخيته إلا تمكينه من الانتقام؛ أو فداء بما يروح على بني أسد من نعمها، فهي ألوف تجاوز الحسنة، فكان ذلك فداءً وجعت به القضب إلى أجفانها، لم يرددها تسليط

الإحس على البراءة، وإما أن وأدعينا إلى أن نضع الحوامل ففسد الأزر ونفقد النحر فوق الرأيات .

فبكي أمرؤ القيس ساعة، ثم رفع رأسه فقال :

”لقد جلبت العرب أنه لا كُفءَ يُجْرى دم، وأنى لن اعتاض به جلا ولا ناقة،  
فاكتسب به سبة الأبد، وفَتَّ المضد، وأما النظرة فقد أوجبتها الأجنة في بطون  
أمهاتها، ولن أكون لمطعها سببا، وستعرفون طلائع كسدة من بعد ذلك، تحمل  
في القلوب حقا، وفوق الأسنة علقا .

إذا جالت الحرب في مازق • نصايح فيه المنايا الثغور

أتقيمون أم تصرفون؟“ قالوا : بل تصرف بأسوا الاختيار وأبلى الاجترار،  
بمكروه وأذية، وحرب ويلة .

ثم نهضوا عنه وقبيصة يتخل :

لعلك أن تستوخم الورد إن غدت . • تكائبنا في مازق الحرب يُنظر

فقال أمرؤ القيس : لا والله ! ولكن أستمذه، مرويدا ينفرج لك دجاها عن  
فرسان كئنة وكائب حيدر . ولقد كان ذكر غير هذا بي أولى إذ كنت نازلا برمي،  
ولكلك قلت فأوجبت .

فقال قبيصة : ما يُتوقع فوق قدر المعاتبة والإعتاب ، فقال أمرؤ القيس .

هو ذاك .

قال في ”المثل السائر“ : فليُنظر الى هذا الكلام من الرجلين : قبيصة وأمرؤ  
القيس حتى يدع المتعمقون تعميمهم في استعمال الوحشي من الألفاظ ، فإن هذا  
الكلام قد كان في الزمن القديم قبل الإسلام بما شاء الله ، وكذلك هو كلام كل فصيح

من العرب مشهور، وما عداه فليس بشئ . قال : وهذا المشار إليه هاهنا هو من  
جزل كلامهم ، وهو على ما تراه من السلاسة والمُدوبة ؛ وإذا تصفّحت أشعارهم  
أيضا وجدت الوحش من الألفاظ قليلا بالنسبة إلى المسلسل في القم والسمع ؛  
وعلى هذا المنهج في الجزالة والسهولة يجرى من النظم قول امرئ القيس :

فلو أنب ما أسى لآدنى مَعِيشَةٍ • كَفَّانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ  
ولكنما أسى يَحْجِدُ مُؤْتَلٌ • وَقَدْ يُدْرِكُ الْجَدُّ الْمُوْتَلُ امْتَالِ

فانظر إلى هذين البيتين ليس فيهما لفظة غريبة ، ولا كره مع ما فيها من  
الجزالة ؛ وكذلك أبيات السَّمَوَل المشهورة وهى :

إذا المَرءُ لم يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عَرَضُهُ • فَكُلُّ رِداٍ يَرْتَدِيهِ بِجَمِيلٍ  
وإنْ هُوَ لم يَجْعَلْ عَلَى النَّفْسِ حَتَمِهَا • فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ النَّسَاءِ سَبِيلُ  
تُعبِّرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَسِيدُنَا • فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلُ  
وما حَسَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا • عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَسْكَرِينَ ذَلِيلُ  
يُقَرِّبُ حُبُّ الْمَوْتِ أَجَالَنَا • وَتُكَرِّهُهُ أَجَالُهُمْ فَتَطْوُلُ  
وما مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ فِي فِرَاشِهِ • وَلَا طُلٌّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ  
وَأَسْبَأْنَا فِي كُلِّ غَرَبٍ وَمَشْرِيقٍ • بِهَا مِنْ فَرَاجِ الدَّارِيعِينَ لَوْلُ  
مُعَوْدَةٌ أَلَا تُسَلِّ نِصَالُهَا • فَتُغَمَدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَيْلُ

فإذا نظرت ما تضمنته هذه الأبيات من الجزالة، خلقتها زبرا من الحديد مع ما  
عليه من السهولة والمُدوبة، وأنها غير قظة ولا غليظة . وقد ورد للعرب في جانب الرقة  
من الأشعار ما يكاد تلوث لرقته القلوب ؛ كقول عروة بن أذينة :

إِنِ الَّتِي زَعَمْتَ فَوَازَكَ مَلَهَا • خُلِقْتَ هَوَاكَ بِمَا خُلِقْتَ هَوَىٰهَا  
يَبْضَاءُ بِأَكْرَاهَا نَعِيمُ فَصَاغَهَا • بِلَبَاقَةٍ فَأَدَقَهَا وَأَجْلَهَا

تَجَبَّتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي \* مَا كَانَتْ أَكْثَرُهَا لَنَا وَأَقْلَمُهَا !  
وَإِذَا وَجَدْتُ مَا وَسَّوَسَ سَأَلُوهُ \* شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفَوَادِ فَمَسَلَهَا  
وَقَوْلُ يَزِيدَ بْنِ الْعُظْرَةِ فِي مَحَبَّتِهِ مِنْ بَنِي حَرَمٍ :  
بَنَفْسِي مِنْ لَوْ مَرَّ بَرْدُ بَنَاتِهِ \* عَلَى كَعْبِي كَانَتْ شِفَاءً أَنَامِلِهِ

وَإِذَا كَانَ هَذَا قَوْلُ مَا كُنَّ الْقَلَاةُ، لَا يَرَى إِلَّا شَيْعَةً أَوْ قَيْصُومَةً، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا  
نَسِيبًا أَوْ رِبُوعًا، فَبِأَلِّ قَوْمٍ سَكَنُوا الْحَضَرَ، وَوَجَدُوا رَقَّةَ الْعَيْشِ يَتَعَاطَوْنَ وَحِشِي  
الْأَلْفَاظِ وَشِطْفَ الْعِبَارَاتِ ! وَلَا يُجَلِّدُ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا جَاهِلٌ بِأَسْرَارِ الْفَصَاحَةِ، أَوْ عَاجِزٌ  
مِنْ سُلُوكِ طَرِيقِهَا، فَإِنْ كُلُّ أَحَدٍ مِنْ حَصْلِ عِلْمِ نَبَذَةٍ مِنْ عِلْمِ الْأَدَبِ يَكُنُّ أَنْ يَأْتِيَ  
بِالْوَحْشِيِّ مِنَ الْكَلَامِ، إِمَّا بِأَنْ يُلْتَظَّهُ مِنْ كَتَبِ اللُّغَةِ، أَوْ يَتَلَقَّه مِنْ أَرْبَابِهَا، وَأَمَّا  
الْفَصِيحُ الْمُتَعَصِّفُ بِصِفَةِ الْمَلَاةِ، فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَلَوْ قَدَّرَ عَلَيْهِ لَمْ يَعْلَمْ أَيْنَ يَضَعُ  
يَدَهُ فِي تَأْلِيفِهِ وَسَبْكِهِ .

قَالَ : وَإِنْ مَرَى فِي ذَلِكَ تُمَارٍ فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَشْعَارِ عُلَمَاءِ الْأَدَبِ مِنْ كَانَ يُسَارُّ إِلَيْهِ  
حَقٌّ، يَعْلَمُ حَقَّةَ ذَلِكَ، فَإِنْ أَبَى دَرَبُ قَدْ قِيلَ إِنَّهُ أَشْعَرُ عُلَمَاءِ الْأَدَبِ وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى  
شِعْرِهِ وَجَدْتَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى شِعْرِ الشُّعْرَاءِ الْمَجِيدِينَ مُنْخَطًا، مَعَ أَنَّ أَوَّلَكَ الشُّعْرَاءَ لَمْ  
يَعْرِفُوا مِنْ عِلْمِ الْأَدَبِ حُسْرَ مُسْتَارِ مَا عَلَيْهِ، وَأَيْنَ شِعْرِهِ مِنْ شِعْرِ الْعَبَّاسِ ابْنِ الْأَحْنَفِ !  
وَهُوَ مِنْ أَوَائِلِ الشُّعْرَاءِ الْمُتَحَدِّثِينَ، وَشِعْرُهُ كَمْ نَسِمْ عَلَى عَذَابَاتِ أَحْصَانٍ، أَوْ كَلَوَّلَاتِ  
عَلٍّ عَلَى طَرَرِ رَيْحَانٍ، وَلَيْسَ فِيهِ لَفْظَةٌ وَاحِدَةٌ غَرِيبَةٌ يُنْتَاجُ إِلَى اسْتِخْرَاجِهَا مِنْ كِتَابٍ  
مِنْ كَتَبِ اللُّغَةِ، كَقَوْلِهِ :

وَإِنِّي لِيُرِضَنِي قَلِيلُ نَوَالِكُمْ \* وَإِنْ كُنْتُ لَا أَرْضَى لَكُمْ بِقَلِيلٍ  
بُحْرَمَةٍ مَا قَدْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ \* مِنَ الْوَدِّ إِلَّا عُدْمُو بِجَمِيلٍ

وقوله في محبوبته قَوْز :

يَا قَوْزُ يَا مَيْيَّةَ عَبَّاسٍ • قَلْبِي يُغْدِي قَلْبَكَ الْقَاسِي  
 اسأتُ إِذْ أَحْسَلْتُ ظَنِّي بِكُمْ • وَالْحَزْمُ سَوْءُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ  
 يُفْلِقُنِي شَوْقِي قَاتِيَكُمْ • وَالْقَلْبُ مَمْلُوءٌ مِنَ الْيَاسِ

وهل أعذب من هذه الأبيات ؟ وأعلق بالباطل ، وأسرى في السمع ؟ ولعلها تسهر  
 واقدمات الأجفان ، وعن مثلها تتأخر السوابق عند الرّحان ، ومن الذي يستطيع أن  
 يسلك هذه الطريق التي هي سهلة وعرة ، قرية بعيدة ؟ . وقد كان أبو العتاهية  
 أيضا في غرة الدولة العباسية ، وشعر العرب إذ ذاك موجود كثيرا ، وإذا تأملت  
 شعره وجدته كالماء الجاري ، رقة الفاظ ، ولطافة سبك ، وليس بريك ولا واه ،  
 وأنظر إلى قصيدته التي يمدح بها المهدي ويشب بيجارته عتب وهي :

أَلَا مَا لَيْسِيذِي مَالًا • تُبْلُ فَاخْلُ إِذْ لَمَّا  
 أَلَا إِن جَارِيَةً لِلْإِمَا • مَقْدَأْسِكُنِ الْحُسْنُ يَمْرِيهَا  
 لَقَدْ أَتَعَبَ اللَّهُ قَلْبِي بِهَا • وَأَتَعَبَ فِي الْيَوْمِ عُنَاهَا  
 كَانَ بَعِيثِي فِي حَيْثُ مَا • مَلَكَتِ مِنَ الْأَرْضِ يَمَانُهَا

فلما وصل إلى المدح قال من جملة :

أَتَتَهُ الْخِلَافَةُ مَقَادَةً • إِلَيْهِ تَجَرَّرُ أَذْيَاهَا  
 فَلَمْ تَكُ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ • وَلَمْ يَكُ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا  
 وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ • لَزُلْزِلَتْ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا  
 وَلَوْ لَمْ يَطْلِعْ نِيَاتُ الْقُلُوبِ • لَمَا قَبِلَ اللَّهُ أَعْمَالَهَا

فهذه الأبيات من أرق الشعر غزلا ومديحا ، وقد أذعن لمديحها الشعراء  
 من أهل ذلك العصر ، وهي على ما ترى من السلاسة واللطافة على أقصى الغايات ؛

حَتَّى قَالَ يُسَارُّ عِنْدَ سَمَاعِ الْمَهْدِيِّ لَهَا مِنْ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ .. "انظروا إلى أمير المؤمنين هل طار عن أعواده ؟" يريد هل زال عن سريره طرباً بهذا المديح . وعلى هذا الأسلوب كان أبو نُوَاسٍ في السهولة والسلاسة والرِّقَّةِ ، ولذلك قَدَّم على شعراء عصره مع ما فيه من لحول الشعراء ومقلبيهم كسلم بن الوليد وغيره ، وذلك لرقعة شعره وسهولته ، كقوله في محبوبته جَنَان :

أَلَمْ تَرَ أَنِّي أَقْبَيْتُ عُمْرِي • يَطْلُبُهَا وَمَطْلَبُهَا عَيْسِرُ  
فَلَمْ أَجِدْ سَبَّأَ إِلَيْهَا • يَقْرُبُنِي وَأَعْيَتُنِي الْأُمُورُ  
تَجَبُّتُ وَقُلْتُ قَدْ تَجَبَّتْ جَنَانُ • فَيَجْمَعُنِي وَإِيَّاهَا الْمَسِيرُ

فانظر إلى هذه الأبيات ليس فيها لفظة منفلطة ، وكذلك سائر شعره ، وكان هو وأبو العتاهية كأنما يتفقان من كيس واحد . ومن لطيف ما يحكى في تَوَاقِي طريقتهما واتحاد ما أخذهما أن أبا نُوَاسٍ جلس يوماً إلى بعض التجار ببغداد هو وجماعة من الشعراء فاستسقى أبو نُوَاسٍ ماءً فلما شرب قال :

• حَلَبَ الْمَاءُ وَطَابَا •

ثم قال : اجيزوه ، فأخذ أولئك الشعراء يترددون في إجازته وإذا هم بأبي العتاهية مجازاً فقال : ما شأنكم بجمعين ؟ فقالوا كَيْتَ وَكَيْتَ وقد قال أبو نُوَاسٍ ،

• حَلَبَ الْمَاءُ وَطَابَا •

فقال أبو العتاهية مجيزاً له

• حَلَبَ الْمَاءُ شَرَابَا •

فَعَجِبُوا لِقَوْلِهِ عَلَى الْقُورِ مِنْ غَيْرِ تَلْبِثٍ ، فهذا هو الكلام السهل المنتعج تراه يُطْمَعُكَ أَنْ تَأْتِيَ بِمِثْلِهِ ، فإذا حاولت مماثلته راغ عنك كما يروغ الثعلب ؛ وهكذا ينبغي أن يكون مَنْ خَاضَ في كُتَابَةِ أَوْ شَعْرِ ، فإن خير الكلام ما دخل الأذنُ بغير إذْنٍ .

ومن الثر قول سعيد بن حميد : وأظن من لا يُحاجك عن نفسه ، ولا يغالطك عن  
جرميه ، ولا يستدعي بك إلا من طريقته ، ولا يستعطفك إلا بالإقرار بالذنب ،  
ولا يستميلك إلا بالاعتراف بالجُرم ؛ بُنيت في عنك غيرة الحدائث ، وردتني إليك  
الحُنيكة ، وواعدتني منك الثقة بالأيام ، وقادتنني إليك الضروة ؛ فإن رأيت أن تستقبل  
الصليعة بقبول الصُدر ، وتجدد النعمة بأطراح الحقد ، فإن قديم الحرمة وحديث  
التوبة يهفان ما بينهما من الإساءة ؛ وإن أيام القدرة وإن طالت قصيرة ، والمنعة  
بها وإن كثرت قليلة ، فقلت إن شاء الله تعالى .

فانظر إلى قوة هذا الكلام في سهولته ، وقُرب ماخذه مع بُعد تساوله والإتيان  
بمُشاكله . وأجزل منه مع السهولة قول الشَّعْبِيِّ للججاج ، وأبراد قتله لخروجه عليه  
مع ابن الأشعث : "أجذب بنا الجَنَابُ ، وأحزن بنا المَترِلُ ، فاستطسنا الحَذَرُ ،  
واكتعلنا السهر ، وأصابتنا فتنة لم تكن فيها بررة أضياء ، ولا بجررة أقوياء" فمعا عنه .

قال صاحب "الصناعتين" : وقد غلب الجهل على قوم فصاروا يستعجلون  
الكلام إذا لم يفخوا على معناه إلا بكدة ، ويستفصحونه إذا وجدوا الفاظه كرة غليظة ،  
وجاسية مرصية ؛ ويستحقرون الكلام إذا رأوه سليسا عذبا ، وسهلا حلوا ؛ ولم يعلموا  
أن السهل أمتع جانباً ، وأحز من مطلباً ، وهو أحسن موقعاً ، وأعذب مُستمعاً ؛ ولهذا  
قيل : "أجود الكلام السهل المتنع" وكان المفضل يختار من الشعر ما يقل تداوله  
الرواة له ، ويكثر الغريب فيه . قال العسكري : وهذا خطأ في الاختيار ، لأن الغريب  
لم يكثر في كلام إلا أفسده ، وفيه دلالة على الاستكراه والتكلف .

ووصف الفضل بن سهل عمرو بن مسعدة فقال : هو أبلغ الناس ، ومن بلاغته  
أن كل أحد يظن أنه يكتب مثل كُتُبِهِ ، فإذا رامها ، تعذرت عليه .



وقال العباس بن ميمون: قلت للسيد ، ألا تستعمل الغريب في شعرك؟ فقال : ذلك عيٌّ في زمانى ، وتكلفتُ منى لو قتله ، وقد رزقت طبعاً وأتساعاً في الكلام ، فإنا أقول ما يعرفه الصغير والكبير ، ولا يحتاج إلى تفسير ، ثم أشتدق .

أيا ربِّ إني لم أُرِدْ بالذى به • منحت علماً عبر وجهك فأرحم

قال في "الصناعتين" : فهذا كلام عاقل يصحُّ الكلام موضعه ، ويستعمله في إبانته .

ومن كلام بعض الأوائل : تلخيص المعاني رفئ ، والتشادق في غير أهل نقص ، والنظر في وجوه الناس عيٌّ ، ومس القية هلك ، والاستعانة بالغريب عجز ، والخروج عما بُني عليه الكلام إسباب ، فأجود الكلام ما كان جزلاً سهلاً ، لا يتعلّق معناه ، ولا يستبهم مغزاه ، ولا يكون مكوداً مستكهاً ، ومتوعراً متّعراً ، ويكون بريئاً من الثنائة ، عارياً من الرثائة ، فالكلام إذا كان لفظه ثناً ، ومغرضه رثاً ، كان مردوداً ولو احتوى على أجل معنى وأنبله ، وأرفعه وأفضله . قال "في المثل السائر" : أما الهداوة والمُعْجِبة ، فذلك أمة قد خلت ، ومع أنها قد خلت وكانت في زمن العرب العاربة فإنها قد عيبت على مستعملها في ذلك الوقت فكيف الآن ، وقد غلب على الناس رقة الحطر

## الصنف الثاني

الغريب المتوحش عند كل قوم في كل زمن

وهو ما لم يكن متداول الاستعمال في الزمن الأول ولا ما بعده ، بل كان مرفوضاً عند العرب كما هو مرفوض عند غيرهم ، ويسمى الوَحْشِيُّ الغليظ ، والصيْرُ ، والمتوعّر وهو على ثلاثة أضرب :

## الضرب الأول

ما يعاب استعماله في النظم والنثر جميعاً

قال في "المثل السائر" : والناس في قبح استعماله سواء ، لا يختلف فيه عربي  
بَادٍ ، ولا قُرَوِيٌّ مَحْضَرٌ . قال : وليس وراءه في القبح درجة أخرى ؛ ولا يستعمله  
إلا أجهل الناس ممن لم يحيط بباله شيء من معرفة هذا الفن أصلاً ، وهو ما تَجَمَّعَ  
سمكٌ ، ونَبَا عنه لسانك ، وتَقَلَّ عليك النطق به ؛ على أنه قد وقع منه ألفاظ لبعض  
الشعراء المُفْلِحِينَ من العرب والمُحَدِّثِينَ . فمن ذلك لفظ الجَحِيشِ في قول تَابِطٍ شِراً  
من أبيات الحَسَاةِ :

يَقْلُ عَوَامَةٌ وَيُمِى بِغَيْرِهَا • تَجِيشًا وَيَعْرَوِي ظُهُورَ الْمَسَاكِينِ

فإن لفظة تَجِيشٍ من الألفاظ المنكرة القبيحة

قال في "المثل السائر" : وبالله العجب ! ليس أنها بمعنى فَرِيد ؟ وفَرِيدٌ لفظةٌ  
حَسَنَةٌ راقية لو وضعت في هذا البيت موضع تَجِيشٍ لما أختل شيء من وزنه ،  
فنابط شراً ملوم من وجهين : أحدهما استعماله القبيح والثاني أنه كانت له مندوحة  
عن استعماله فلم يبدل عنها ؛ وأفصح من ذلك لفظ أَطْلَحَ في قول أبي تَمَّامٍ :  
قَدْ قُلْتُ لِمَا أَطْلَحَ الْأَمْرُ وَأَنْبَعَثَ • عَشَوَاهُ تَالِيَةً فُهَسَا دَهَارِيسَا

فإن لفظة أَطْلَحَ من الألفاظ المنكرة التي جمعت الوصفين القبيحين من أنها  
غريبة ، وأنها غليظة في السمع ، كريمة على اللُوق ؛ وكذلك لفظة دَهَارِيس في آخر  
البيت المذكور .

وعلى حد ذلك ورد لفظ جَيِّدٌ في قوله من أبيات في وصف قرص :

فِيمَ مَتَاعِ الدُّنْيَا حَبَاكَ بِهِ • أَرْوَعُ لَاجِيْدٍ وَلَا يَجِيْسُ

لفظة جيدر وحشية غليظة؛ وأغلظ منها لفظة جَفَحَتْ في قول أبي الطَّيِّب المتنبي :

جَفَحَتْ وهم لا يَتَفَحُّونَ بها بهم • شِيمٌ على الحسب الأغر دلائل  
فإن لفظة جَفَحَ مُرَّةُ الطعم ، وإِذَا مَرَّتْ على السمع أَفْتَشَرَ مَبْهًا ، وكان له  
مندوحة من استمالتها فَإِنَّ جَفَحَتْ بمعنى فَخَرَتْ وهما في وزن واحد، فلَو أَنَّى بَلَقَ  
فَخَرْتُ وَيَفْخَرُونَ مكان جَفَحَتْ وَيَتَفَحُّونَ لَأَسْتَقَامَ وزن البيت وحِطِّي في استمالة  
بالأحسن ، فهو في ذلك كَنَاطِطٌ شَرًّا في لفظة تجحيش في توجه الملامة عليه من وجهين .  
قال في "المثل السائر" : وما أعلم كيف ينهب هذا وأمثاله على هؤلاء الفحول  
من الشعراء !

هذا ما أورده ابن الأثير من هذا النوع ؛ ويشبه أن يكون منه لفظ الحَقْلَدُ  
في قول زُهَيْرٍ :

نَقِيٌّ نَقِيٌّ لَمْ يُسَكَّرْ غَنِيمَةً • بِهَيْكَةِ ذِي قُرْبَى وَلَا يَحْقَلَدُ  
والْحَقْلَدُ : السَّيِّءُ الْخَلْقُ .<sup>(١)</sup>

قال في "الصناعتين" : وقد أخذ الزُّوَّاءُ على زُهَيْرٍ في لفظة الْحَقْلَدُ فاستبشعوها ،  
وقالوا : ليس في لفظ زُهَيْرٍ أَنْكَرٌ منها ، وكذلك لفظ الجَرِيثِيَّ في قول أبي الطَّيِّبِ  
في مدح سيف الدولة بن حمدان وأسمه عَلِيٌّ :

مُبَارَكُ الْأَنْسَمِ أَغْرُ الْقَلْبِ • كَرِيمُ الْجَرِيثِيَّ شَرِيفُ النَّسَبِ

لفظ الجَرِيثِيَّ مما يكرهه السمع ، وينبئ عنه اللسان ، والجَرِيثِيَّ بمعنى النَّفِيسِ فجعل  
اسمه مباركاً ، ولقبه أَغْرًا ، وقسمه كَرِيمَةً ، ونسبه شَرِيفًا ، وذلك أنه كان يُسَمَّى عَلِيًّا  
وهو أَسَمُ مُبَارَكٍ لموافقة أَسَمِ أمير المؤمنين عليٍّ كَرَمَ الله وجهه ، ويلقب سيف الدولة

(١) في القاموس «الحقلد في قول زهير : الأنم» ومثله في لسان العرب .

وهو لقب أعرابي مشهور، وأغرأ أخذنا من غزاة الفرس لأنها أشهر ما فيها، ووصفه  
 بكرم النفس إما باعتبار الحسب والقرابة، وإما باعتبار بذل المال وكثرة العطاء،  
 وأشار إلى شرف نسبه باعتبار عرقته في بيت الملك وعراقية حسيبه .

### الضرب الثاني

ما يعاب استعماله في التردون النظم

وهذا الضرب مما ذكر صاحب المثل السائر أنه استخرجه بفكره، ولم يجد فيه  
 قولاً لغيره . قال : وهذا ينكره مَنْ يسمعه حتى يتبى إلى ما أوردته من الأمثلة ،  
 ولربما أنكره بعد ذلك إما عنادا وإما جهلا لعدم الذوق السليم عنده، ثم ذكر منه  
 أمثلة . منها لفظ شَرَبْنَةً من قول الفرزدق :

ولولا حيَاءُ زِدْتُ رَأْسَكَ نَجْبَةً • إِذَا سُرِيتْ خَلَّتْ جَوَانِبُهَا تَقِيلُ  
 شَرَبْنَةً تَحْمَطَاءَ مَنْ يَرَمَاهَا • يُشْبِهُ وَلَوْ يَنْ الْخَمَاسِي وَالطُّفِيلُ

قال : فلفظة شَرَبْنَةً من الألفاظ الغريبة التي يسوغ استعمالها في الشعر، وهي  
 هاهنا غير مستكرهة إلا أنها لو وردت في كلام مشور من كتاب أو خطبة، لعلبت  
 على مستعملها .

ومنها لفظة مُشْمِخَرٌ الواردة في أبيات، يشرى في وصفه لقاءه الأسد حيث قال :

وأطلقتُ المَهْنَدَ عن يَمِينِي • فَقَدَّ لَهُ مِنَ الْأَضْلَاعِ عَشْرًا  
 فَخَسَّرَ مُضْرِبًا يَدِيمَ كَأَنِّي • هَدَمْتُ بِهِ بِنَاءَ مُشْمِخَرًا

وكذلك في قول البُحَيْرِيُّ في قصيدته التي يصف فيها إيوان كسرى :

مُشْمِخَرٌ تَمَلُّوْهُ شُرَفَاتٌ • رُفِقتُ فِي رُءُوسِ رَضْوَى وَقُدَيْسِ

(١) في مقامات يديع الزمان المبدأ في تعليق الشيخ محمد عبده : « رأيت المهد من ... الخ »

فإن لفظة مُشْمِخِرٌ لا يحسن استعمالها في الخطب والمكاتبات، ولا بأس بها في الشعر؛ وقد وردت في خطب الشيخ الخطيب ابن نباتة كقوله في خطبة يذكر فيها أهوال يوم القيامة : أَقْمَطَرُ وَبَالُهَا، وَأَشْمَخَرُ نَكَالُهَا، فما طابت ولا ساءت .

ومنها لفظة الكَنُهورِ من أوصاف السحاب كقول أبي الطيب :  
يَا لَيْتَ بَارِكَةَ تَجَانِي دَمْعَهَا \* فَظَرْتُ إِلَيْكَ مَا ظَنَرْتُ تَعْدِرًا  
وَرَى الْفَضِيلَةَ لَا تُرْدُ فِضِيلَةً \* الشَّمْسُ تُشْرِقُ وَالسَّحَابُ كَنُهورًا  
فللفظة الكَنُهورِ لا تعاب نظما، وتعاب ثرا .

ومنها لفظة العيريس، وهو أسم الناقة الشديدة فإن هذه اللفظة يسوغ استعمالها في الشعر ولا يعاب مُستعملها كقول المتنبي :

وَمَهْمَ جَبْتُهُ عَلَى قَدَمِي \* تَعِجُزُ عَنْهُ الرَّمَامُ الدُّلُ

فإنه جمع هذه اللفظة ولا بأس بها، ولو استعملت في الكلام المشهور من الخطب لما طابت ولا ساءت؛ وقد جاءت موحدة في شعر أبي تمام في قوله :  
هِيَ الْعِيرِيسُ الْوَجْنَاءُ وَابْنُ مُلَيْبَةٍ \* وَجِأَتْ عَلَى مَا يُحَدِّثُ الدَّهْرُ خَافِضُ  
ومنها لفظة الشَّدْنِيَّةُ في قول أبي تمام أيضا .

\* يَا مَوْضِعَ الشَّدْنِيَّةِ الْوَجْنَاءِ \*

وهي ضرب من النوقِ فإن الشَّدْنِيَّةُ لا تعاب شعرا وتعاب لو وردت في كتابة أو خطبة . هذا ما أورده في "المثل السائر" لهذا الضرب من الأمثلة

ثم قال : وهكذا يجري الحكم في أمثال هذه الألفاظ؛ وعلى هذا فاعلم أن كل ما يسوغ استعماله في الكلام المشهور يسوغ استعماله في الكلام المنظوم، وليس كل ما يسوغ استعماله في الكلام المنظوم يسوغ استعماله في الكلام المشهور . قال : وذلك

شيء، أستنبطته وأطلعت عليه لكثرة ممارستي هذا الفن، ولأنك الذوق الذي عندي  
 دلتني عليه، فمن شاء أن يقلدني فيه، وإلا فليدمن النظر حتى يطلع على ما أطلعت  
 عليه، والأذهان في مثل هذا المقام تتفاوت، على أن الشيخ سعد الدين التفتازاني رحمه الله  
 قد تابعه على ذلك في شرح التلخيص، فلا أعلم أقلده في ذلك أم ذوقه أذاه إليه ؟

### الضرب الثالث

ما يعاب استعماله بصيغة دون صيغة

قال في "المثل السائر" : وهذا الضرب من هذه الصناعة بمنزلة عليّة، ومكانة  
 شريفة، وجلُّ الأسرار اللفظية منوط به . قال : وقد لقيت جماعة من مدّعي فن  
 الفصاحة وفواوضهم وفواوضي، وسألهم وسألوني، فما وجدت أحدا منهم يتقن  
 معرفة هذا الموضوع كما ينبغي، وقد أستخرجت فيه أشياء لم أسبق إليها فإن اللفظة  
 الواحدة قد تنقل من هيئة إلى هيئة، أو من صيغة إلى صيغة، فننقل من الضم  
 إلى المحسن وبالعكس فيصير القبيح حسنا، والحسن قبيحا، والمرجع في ذلك إلى  
 الذوق الصحيح والطبع السليم، وقد به منه على تسعة أنماط :

النمط الأول — ما يرجح فيه الأسم في الاستعمال على الفعل، وذلك في مثل  
 لفظ خَوَدَ، فإنها عبارة عن المرأة الناعمة، فإذا نقلت إلى صيغة الفعل، قيل خَوَدَ  
 على وزن فَعَلَ بتشديد العين ومعناها أسرع . يقال : خَوَدَ البعير إذا أسرع في مشيه،  
 فهي على صيغة الأسم حسنة رائقة، قد وردت في النظم والنثر كثيرا، وإذا جاءت  
 على صيغة الفعل لم تكن حسنة، كقول أبي تمام :

والى بنى عبد الكريم تَوَاهَقَتْ • وَتَكَ النَّعَامُ رَأَى الطَّرِيقَ فَخَوَدَا<sup>(١)</sup>

(١) في المثل السائر : التلام . وكذا في ديوان أبي تمام .

إلا أن لفظة خَوَدَ قد استعملت على غير هذا الوجه في بعض المواضع فزال عنها بعض القبح وإن لم تلحق بدرجة الرائق الحسن، كقول بعض شعراء الحماسة :  
أَقُولُ لِنَفْسِي حِينَ خَوَدَ رَأْمًا : \* رُوَيْدُكَ لِمَا تُشْفِقِي حِينَ تُشْفِقِي  
رُوَيْدُكَ حَتَّى تَنْطَرِي عَمَّ تَجَلِي \* عَمَايَةُ هَذَا الْمَارِضِ الْمَتَلَقِّ  
وَالرَّالِ : النعام، والمراد أن نفسه قوت وفزع، شبه بإسراع النعام في فواره وفزعه، فلما أورد ذلك على سبيل المجاز زال بعض القبح .

قال : وهذا يذكره الذوق الصحيح فهي في بيت أبي تمام قبيحةٌ سمجةٌ، وهانها بينَ يَنَ، ويقاس على ذلك أشباهه ونظائره .

الخط الثاني - ما يرجح فيه فعل الأمر والمستقبل في الاستعمال على الفعل الماضي وذلك في مثل لفظة وَدَعَ، وهي فعل ماض ثلاثي لا يُقَلَّ بها على اللسان، ومع ذلك فإنها لا تستعمل على صيغتها الماضية إلا جاءت غير مُستَحْسَنَةٍ، فإنا استعملت على صيغة الأمر أو الاستقبال جاءت حسنة بهجة راقية؛ أما على صيغة الأمر فكان في قوله تعالى : ﴿ فَتَذَرُهمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا ﴾ ولم ترد في القرآن الكريم إلا على هذه الصيغة . وأما على صيغة الاستقبال فكقول النبي صلى الله عليه وسلم وقد واصل في شهر رمضان فواصل معه قوم، فقال : «لَوْ مَدَّ لَنَا الشَّهْرُ لَوَاصِلَنَا وَإِصْلَا بَدَعَ لَهُ الْمُتَمَعِّقُونَ تَمَعِّقَهُمْ» . وقد استعملها أبو الطَّيِّبِ على هذا الوجه في قوله :  
تُشْفِكُمْ بِقَنَاهَا كُلِّ سَلْهَةٍ \* وَالضَّرْبُ بِأَخْذٍ مِنْكُمْ فَوْقَ مَا يَدْعُ

بجاءت في كلامه بهجة راقية؛ وأما الماضي من هذه اللفظة فلم يستعمل إلا شاذًا ولا حُسْنَ له، كقول أبي العنابية :

(١) في الحماسة : "مكانك" (٢) كان عليه أن يقل بقره تعالى : "ودع أذاهم" .

أَثَرُوا فَلَمْ يُدْخِلُوا قُبُورَهُمْ • شَيْئًا مِنَ الثَّرْوَةِ الَّتِي جَمَعُوا  
وَكَانَ مَا قَدَّمُوا لِأَنْفُسِهِمْ • أَعْظَمُ قَعًا مِنَ الَّذِي وَدَّعُوا

فلم تقع في كلامه من الحسن موقعا، ولا أصابت من الطلاوة غرصا، وهذه لفظة واحدة لم يتغير شيء من أحوالها سوى أنها نقلت من صيغة الى صيغة، وكذلك لفظة وَدَّعَ، فإنها لا تستعمل ماضية، وتستعمل على صيغة الأمر كقوله تعالى: (وَذَرُّهُمْ يَا كُلُّوا وَتَسْتَعْمَلُوا) وتستعمل مستقبلة أيضا كقوله تعالى: (سَأَصْلِيهِ سَفَرًا وَمَا أَذْبَكَ مَا سَفَرًا لَّا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ) ولم ترد في القرآن الكريم إلا على هاتين الصيغتين، وكذلك في غير القرآن الكريم من فصيح الكلام، أما في حالة المضى، فإنها أقيح من لفظة وَدَّعَ، وقد استعملت ماضية مع شذوذ، وهذه لم تستعمل أصلا.

النمط الثالث — ما يرجح فيه الأفراد في الاستعمال على التنبيه، وذلك في مثل لفظ الأخذ، فإنها يحسن استعمالها في حالة الأفراد دون التنبيه، كما وردت فيه مفردة فجاءت حسنة رائقة، قول الصِّمَّةِ بن عبد الله من شعراء الحماسة:

تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُي • وَجَعْتُ مِنَ الْإِصْفَاءِ لَيْتًا وَأَحَدًا

ومما ورد فيه لفظ التنبيه بجاء ثقيلًا مستكرها قول أبي تمام:

يَادَهُرُ قَوْمٌ مِنْ أَخَذَيْكَ فَقَدْ • أَجْجَبَتْ هَذَا الْإِنَامُ مِنْ خُرَيْقِ

هكذا ذكره في المثل السائر، ثم قال: وليس لذلك سبب إلا أنها جاءت موحدة في أحدهما لحسن، وجاءت مثناة في الآخر فقبحت.

النمط الرابع — ما يرجح فيه الأفراد في الاستعمال على الجمع، وذلك كلفظة الأرض فإنها لم ترد في القرآن الكريم إلا مفردة، سواء أفردت بالذكر عن السماء كما في قوله تعالى: (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا) أو قرنت بالسماء مفردة كما في قوله تعالى،



﴿وَمِنْكَ السَّاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ أو مجموعة كما في قوله تعالى :  
 ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ولو كان استعمالها بلفظ الجمع مستحسناً  
 لكان هذا الموضع وشبهه به البقي لمقابلة الجمع في السموات ، ولما أراد أن يأتي بها  
 مجموعة قال : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ وكذلك لفظة  
 البقعة ، وكذلك لفظة طيف في ذكر طيف الخيال ، فإنها تجمع على طيوف ، وهي  
 في حالة الإفراد من أرق الألفاظ والطفها ، فإذا جمعت زالت عنها تلك الطلاوة ،  
 وفارقتها تلك البهجة ، ولذلك وردت في القرآن الكريم بلفظ الإفراد قال تعالى :  
 ﴿لِئَلَّا الَّذِينَ أَتَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ .  
 ولم نزل الشمرء في القديم والحديث يستعملونه بلفظ الإفراد فيقع أحسن موقع ،  
 ولم يأتوا باستعماله مجموعاً .

قال في " المختل السائر " : وبالله العجب ! من هذه اللفظة ومن أختها علة  
 ووزنا ، وهي صيف فإنها تستعمل مفردة وبمجموعة ، وكلاهما في الاستعمال حسن رائق ،  
 قال : وهذا مما لا يعلم السرف فيه ، والدوق السليم هو الحاكم في الفرق بين هاتين  
 اللفظتين وما يجرى مجراهما ، وكذلك يجرى الحكم في جميع المصادر ، فإنها في حالة  
 الإفراد أحسن منها في حالة الجمع ، وقد جاء منها بعض ألفاظ مجموعة بخاتم غنة  
 مستكرهة ، كما في قول عنترة :

فإن يرا فلم انبت عليه • وإن يفقد حق له الفؤود

فالفؤود جمع مصدر من قولنا : فقد يفقد فقداء ، وليس له من الرووق والطلاوة  
 ما لمفرده ، وهو لفظ فقد ، وإن كان جائزاً من جهة العربية .

الخط الخامس — ما يترجح فيه الجمع في الاستعمال على الإفراد كلفظة اللب الذي  
 هو العقل ، فإن استعمالها بصيغة الجمع في غاية الحسن والبهجة والطلاوة ، وقد ورد

بهذه الصيغة في غير موضع من القرآن الكريم، كقوله تعالى : ﴿ وَلَيَذَّكَّرْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ وقوله : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرْ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الوارد فيها ذلك بصيغة الجمع ، أما في حالة الإفراد فإنها قليلة الاستعمال مع أنها لفظة ثلاثية خفيفة على النطق ، بعيدة المخارج ، ليست بمستغلة ولا مكروهة .

قال في "المثل السائر" : وإذا تأملت القرآن الكريم ودققت النظر في رموزه وأسراره وجدت هذه اللفظة قد روى فيها الجمع دون الإفراد، فإن أضيفت أو أضيف إليها حسن استعمالها ، وساغ في طريق الفصاحة إيرادها . أما إضافتها فكقول النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر النساء : " مَا رَأَيْتُ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَبْذَهَبَ لِبِّ الْحَاظِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ " وأما الإضافة إليها فكقول جرير:   
إِنَّ الثَّبُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْدٌ • قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَ قَتْلَانَا  
يَصْرَعْنَ ذَا أَلْبٍ حَتَّى لَا تَحْرَكَ بِهِ • وَهْنٌ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا

قال في "المثل السائر" : فإن عيرت هذه اللفظة عن الجمع والإضافة لم تأت حسنة . قال : ولا تجهد دليلا على ذلك إلا مجزؤة النوق السليم ، وكذلك لفظة كوب فإنها لم ترد في القرآن الكريم إلا مجموعة، وهي وإن لم تكن مستطبعة في حالة الإفراد فإن الجمع فيها أحسن . وأنظر إلى ما عليها من الطلاوة والمائية في قوله تعالى : ﴿ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُغْلَدُونَ وَأَيُّوَابُ وَأَيُّوَابُ وَكَأَيُّ مِينَ ﴾ وصل هذا النحو لفظ رجا بالقصر، ومعناه الجانب ، فإنها قد وردت في القرآن بلفظ الجمع في قوله تعالى : ﴿ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا ﴾ أى جوانبها، ولم تستعمل مفردة : لأن الجمع يكتسبها من الحسن ما لم يوجد لها حالة الإفراد، فإن أضيفت حالة الإفراد كرجا البئر ونحوه حسنت كما في حالة الجمع .

قال في "المثل السائر" : وليس كذلك لفظ الصوف والأصواف، وإن كان لم يرد في القرآن الكريم إلا مجموعا حيث قال تعالى : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارُهَا وَأَشْعَارُهَا أَتَانًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴾ لأن لفظ الصوف مستحسن في حالة الأفراد كما في حالة الجمع . قال :  
وإنما قُبِحَ ذكره في قول أبي تمام :

كَانُوا بُرُودَ زَمَانِهِمْ فَتَصَدَّعُوا \* فَكَيْفَ لَيْسَ الزَّمَانُ الصُّوفَا

لأنها جاءت مجازية في نسبتها إلى الزمان . قال : وعلى هذا التهج وردت لفظة جبر وأخبار فإنها مجموعة أحسن منها مفردة، ولم ترد في القرآن الكريم إلا مجموعة .

النقط السادس — ما يترج فيه بعضُ المجموع في الاستعمال على بعض كما في جمع صائب من قواك : سهم صائب، فإنه يقال في الجمع سهام صواب وصائب وصائب بالتشديد، وهذه المجموع كلها حسنة، راقية، مُعْجِبة، دائرة على ألسنة أرباب النثر والنظم، ويقال في جمعة أيضا صُيِّبَ على وزن كُتِبَ، وهو جمع قبيح، مرفوض الاستعمال، ثقيل على النطق، جاف عن السمع، وقد آتته أبو نواس في شعره حيث قال :

مَا أَحَلَّ اللَّهُ مَا صَنَعْتُ \* عَيْثُ تِلْكَ الْعَشِيَّةِ فِي

قَتَلْتُ إِنْسَانًا كَرِيدِي \* بِسَهَامٍ لَرْدِي صُيِّبِ

بفأنت غنة كريمة نابعة عن السمع، نافرة عن اللسان، وكذلك الجمع في قيده، فإنه يجمع على قيود، وهو جمع سائق القبول، شائع الاستعمال؛ ويقال في جمعه أيضا : أقياد، وهو من الجروع المستكرهة الخارجة عن الاستعمال، وقد ورد في قول عوفيف القوافي من أبيات الحماسة :

ذهب الرقاد لما يحس رقاده \* مما شجلك ونامت العواد

لما أتاني من عينة أنه \* أمست عليه تظاهرة الأقياد

فلم يحسن ولم يرق ، وكذلك القول في جمع قبة ، فإنه يجمع على قباب وهو جمع حسن دائر على السنة الفصحاء من أهل النظم والنثر ، ويجمع أيضا على قُبَب ، وليس بمحسن ، وإن كان هو في الكراهة دون أقياد في جمع قيد ، وقد أستعمله ابن محنك التميمي في قوله :

مَآذَا تَرَيْنَ أَتَدْنِيهِمْ لِأَرْحَلِنَا \* فِي جَانِبِ الْبَيْتِ أَمْ نَبِيْ لَهُمْ قُبَا ؟

فلم يحسن كحسن قباب بل جاءت كريمة مستشعة ، وأعجب ما في هذا الباب أن الجمع قد يكون متفقا في لفظة واحدة إلا أنها مختلفة المعنى فيختلف الاستعمال في الجمع باختلاف المعاني حتى لو جمع يجمع في مكان جمع لم يحسن استعماله وإن كان جائزا من جهة العربية ، كلفظ العين ، فإنها تطلق من جملة مدلولاتها على العين الباصرة ، والعين من الناس ، وهو النبيه منهم ، والعين الباصرة تجمع على عيون ، والعين من الناس تجمع على أعيان ، وقد شذ هذا الموضع على المتنبي في قوله :

وَالْقَوْمُ فِي أَعْيَانِهِمْ تَزْدُ \* وَانْقِصَلُ فِي أَعْيَانِهَا قَبْلُ

بجمع العين الباصرة على أعيان في الموضعين .

قال في "المتل السائر" : وكانت النوق يابى ذلك ولا يجد له على اللسان حلالة وإن كان جائزا ، وأعجب من ذلك كله أنك ترى وزنا واحدا من الألفاظ ، فتارة تجد مقرده حسنا ، وتارة تجد جمعه حسنا ، وتارة تجدهما جميعا حسنين .

فما مقرده أحسن من جمعه هُبرور ، وهو فَرَحُ الحُبَّارِ ، فإنه يجمع على حَبَّارٍ ومفرده أحسن من جمعه ، وكذلك طُنْبُورٌ وطنابير ، وعُرْقُوبٌ وعمرأقِبٌ ، وما أشبه ذلك .

ومما جمعه أحسن من مفردة **يَهْلُولُ وَيَهْلِيلُ** ، و**طُومٌ وَطَامِي** ، وهذا ضد الأول .  
ومما مفردة حسن وجمعه حسن **جُمُورٌ وَجَاهِيرٌ** ، و**عُرْجُونٌ وَعَرَّاجِينُ** وما أشبه ذلك .

الخط السابع — ما ترجح فيه أحد هياوزن الواحد باختلافه بالحركة والسكون كلفظ الثلث والرَّبع إلى العشر ، فإنها في حالة سكون الوسط كلها حسنة سائفة الاستعمال فإذا تحركت أوساطها قللت : **ثُلُثٌ** ، و**رُبْعٌ** ، و**خُمْسٌ** ، وكذلك إلى عَشْرٍ ، فإن الحسن من ذلك جميعه ثلاثة وهي **الثُلُثُ** ، و**الخُمْسُ** ، و**السُّدُسُ** ، أما **الرُّبْعُ** ، و**السَّبْعُ** ، و**الثَّغْنُ** ، و**التَّسْعُ** ، و**العَشْرُ** فليس كذلك في حسنه . قلت : إنما يظهر ذلك في **السَّبْعِ** ، و**التَّسْعِ** ، و**العَشْرِ** خاصة فإن **الثَّقْلَ** ظاهر فيها ، أما **الرُّبْعُ** و**الثَّغْنُ** فانهما في الحسن مع تحريك الوسط ك**الثُلُثِ** ، و**الخُمْسِ** ، و**السُّدُسِ** ، وقد ورد القرآن بتحريك الوسط فيهما في سورة النساء حيث قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ يَصُفُّ مَا تَرَكُوا أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ ﴾ وقوله : ﴿ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ ﴾ وأى حُسْنٍ وفصاحة بعد وروده في القرآن الكريم ؟

الخط الثامن — ما ترجح فيه أبنية بعض أسماء الفاعلين في الاستعمال على بعض كاسم الفاعل المبني من فَعَلَ بفتح الفاء وكسر العين ، فإنه يبنى على فاعل وقيل بكسر العين وقَعْلَانٌ ، نحو **حَمِدَ** فهو **حامدٌ** ، و**حَمِدَ** ، و**حَمَدَانٌ** ، و**قَرِحَ** فهو **قَرِيحٌ** ، و**قَارِحٌ** ، و**فَرَحَانٌ** ، و**غَضِبَ** فهو **غَضِبَانٌ** ، و**غَضَبٌ** ، فالأفعال الثلاثة على وزن واحد ، وصيغُ أسماء الفاعلين المبنية منها مختلفة في الأحسن الغالب استعماله ، ف**حامدٌ** من **حَمِدَ** أحسن من **حَمِدَ** و**حَمَدَانٌ** ، و**قَرِحٌ** من **قَرِحَ** أحسن من **قَارِحَ** و**فَرَحَانٌ** ، و**غَضِبَانٌ** من **غَضِبَ**

أحسن من غاضب ، وإن كان جائزا ، وقد جاء بناء اسم الفاعل من فَرِحَ على فارح  
في قول بعض شعراء الحماسة :

لما أنا من حزين وإن جَلَّ جَارِعٌ • وَلَا يَسْرُورُ بِمَدِّ مَوْتِكَ فَأَرِحْ  
فلم يحسن تحسن فَرِحَ ، أما ما جاء منه على وزن فُعْلَةٍ نحو هُمَزَةٍ وَلَمَزَةٍ وَجُثَمَةٍ  
وَوُتْمَةٍ وَلُكْنَةٍ وَلُحْنَةٍ ، وما أشبه ذلك ، فقد قال في "المثل السائر" : الغالب على  
هذه اللفظة أن تكون حسنة .

الخط التاسع - ما يترجح من أوزان الأفعال بعضها على بعض كلفظة فعل  
وأفعل ، فإن لفظة فعل لما موضع تستعمل فيه ، ولفظة أفعل لما موضع تستعمل  
فيه ، تقول : قعدت إلى فلان إذا جلست إليه ، وأقعدت غارب الجمل ، إذا ركبت  
عليه ، ولا يحسن أن تقول أقعدت إلى فلان وقعدت على غارب الجمل وإن كان  
ذلك جائزا ، وكذلك أفعل وأفوعل فإنك تقول أعشب المكان ، فإذا كثر عُشْبُهُ  
قلت : أعشوش فلفظة أفوعل للتكثير ، وهي على ما فيها من تكرار الحروف طيبة  
صَدْبَةٌ ، وكذلك مائر ما في وزنها نحو آخشوشن المكان ، وأغرورقت العين ، وأحلولى  
الطعم ، وما أشبه ذلك .

قال في "المثل السائر" : وهذا كله مما أخذته بالاستقراء ، وفي اللغة مواضع  
كثيرة من ذلك لا يمكن استقصاؤها .

فانظر إلى ما يفعله اختلاف الصيغة بالألفاظ ، وعليك بتفقد أمثال هذه الكلمات  
لتعلم كيف تضيع يدك في استعمالها ، فكثيرا ما يقع خلل الخطباء والشعراء في مثلها ،  
ومؤلف الكلام من كاتب وشاعر إذا مرَّت به الألفاظ عرضها على ذوقه الصحيح ،  
فما يبعده الحسن منها مَوْحَدًا وَحَدًا ، وما يبعده الحسن منها بمجوعا جمعه ، وكذلك يجري  
الحكم فيما سوى ذلك من الألفاظ .

## الصنف الثالث

## المتوحش في زمن دون زمن

وهو ما كان متداول الاستعمال في زمن العرب، ثم رُفِضَ وترك بعد ذلك، وبهذا لا يعاب استعماله على العرب لأنه لم يكن عندهم وحشياً، ولا لئيم محريباً كما سيأتي التنبيه عليه، وإنما يعاب استعماله على غيرهم ممن قُصِرَ فهمهم عنه، وقُلَّتْ معرفتهم به، وقد كانت كلام العرب مشحونا به في نظمهم وشعرهم، دائرا على ألسنتهم في مخاطباتهم ومحاوراتهم، غير معيب ولا ملوم عليه، وأنظر إلى ما تضمنته خطبهم وأشعارهم من الغريب ترى ذلك عيلاً، فمن ذلك قول أبي المظن الهذلي:

أَبِي الْمُضَيِّمَةِ نَازِلٍ بِالْعَظِيمَةِ مِثْلَ لَفِّ الْكَرِيمَةِ جَلْدُ فَيْرٍ نَيَّاسٍ  
حَاضِي الْحَقِيقَةِ نَسَّالُ الْوَدِيقَةِ مِعْنَاتِي الْوَسِيقَةِ لَا يَكْسُ وَلَا رَايَ  
رَبَّاءَ مَرْقَبَةٍ مَنَاعٍ مَغْلَبَةٍ • وَهَابُ سَلْهَةٍ قَطَاعُ أَقْرَانِ  
هَبَّاطُ أَوْدِيَةِ حَمَلِ أَلْوِيَةِ • شَبَادُ أُنْدِيَةِ يَسْرَحَاتُ يَتِيمَانِ

وقول أصرافى في وصف إبل: كُومٌ يَهَازِرُ، مُكْدُ خَنَاجِرٍ، عِظَامُ الْخَنَاجِرِ، سِبَاطُ الْمَشَافِرِ، أَجَوَافُهَا رِقَابٌ، وَأَعْطَانُهَا رِحَابٌ، مُنْتَمِعٌ مِنَ الْبَهْمِ، وَتَبْرُكُ الْجَمْعِ • يريد بالكوم جمع كَوْمَاءَ، وهى الناقة العظيمة السنَامُ، والبهَازِرُ جمع بهَزْرَةٍ، وهى الناقة العظيمة، والمُكْدُ جمع مَكْوَدٍ، وهى الناقة الغريرة اللبن، والخَنَاجِرُ جمع خُنْجُورٍ، وهى بمعنى المَكْوَدِ أيضاً، والعِظَامُ الخَنَاجِرُ: غِلَظُ الْأَعْنَاقِ، وَسِبَاطُ الْمَشَافِرِ أى مرسلات المشافر، والمَشْفَرُ من الناقة كالجَحْفَلَةِ من الفرس، ونحو ذلك. بما يجرى هذا الجرى ويغفط في هذا السلك، فهذا ومثله لا يعاب استعماله على العرب لأنه لم يكن عندهم غريباً ولا لئيماً وحشياً، بل شائعاً بينهم، دائرا على ألسنتهم في نظمهم وشعرهم، وأعظم

شاهد لاستحسان استعماله عندهم ووضوح متهجيه لديهم أن القرآن الكريم الذى هو أنصح كلام وأبهج لفظ قد أشتمل على ألفاظ من ذلك ، كقوله تعالى : ﴿وَبَقَدْ ثَوَّنَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ذُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ﴾ وقوله : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ وما أشبه ذلك ؛ وهذه الألفاظ كانت مفهومة عند العرب ، معلومة المعانى عند المخاطبين ؛ لأن الله تعالى قد خاطبهم به وأمرهم فيه ونهاهم ، والمخاطب بما لا يفهم بعيد ، وقد قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ . وكذلك ورد فى الأخبار النبوية جملة مستكثرة من ذلك ، وهى المعبر عنها بغير الحديث . كقوله صلى الله عليه وسلم "مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرْ اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى رِزَّةٌ" أى قصص ، وقيل تيممة ، وقيل حشرة . وقوله صلى الله عليه وسلم : "لَيْسَتْ رُجُجٌ أَحَدٌ كَمْ حَقٌّ فِي سِنِّهِ قَتْلِهِ فَإِنَّهَا مِنَ الْمَصَائِبِ" والشَّعْ : أحد سيور النمل ؛ وقوله صلى الله عليه وسلم : "أُظِلُّوا بِبَازَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ" أى ألزموا هذه الدعوة وأكثروا منها ، وقوله صلى الله عليه وسلم فى الدعاء : "وَأَغِثْ حَوَّتِي وَأَسْأَلُ سَخِيمَةَ قَلْبِي" وأشباه ذلك

وحديث أم زَرْجٍ صريح فى شيوع ذلك فيهم ؛ وعمومه فى مخاطباتهم ومكالماتهم ؛ وهو ما ثبت فى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : "جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ أَمْرَأَةً فَمَاهَدَنَ وَمَقَاتَنَ إِلَّا يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا" قالت الأولى : زوجى لم يجل غث على رأس جبل ، لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقى ، وفى رواية فينقل .

قالت الثانية : زوجى لا أبث خبره ، إني أخاف ألا أذره ، إن أذكره أذكر حجره ويحمره .

الثالثة : زوجى العشتى ، إن أنطق أطلق ، وإن أسكت أعاق



قالت الرابعة : زوجى كليلة يثامة ، لا حر ولا قر ولا خوف ولا سامة .

قالت الخامسة : زوجى إن دخل قهده ، وإن خرج أسد ، ولا يسأل عما عهده .

قالت السادسة : زوجى إن أكل لف ، وإن شرب أشنف ، وإن أضطجع أنف ، ولا يؤج الكف ، ليعلم البت .

قالت السابعة : زوجى حياء طباقه ، كل داء له داء ، شجك أو فلك أو جمع كلاك .

قالت الثامنة : زوجى الريح ريح زرب ، والمس مس أرتب .

قالت التاسعة : زوجى رفيع العماد ، طويل للتجاد ، عظيم الرمد ، قريب البيت من الناد .

قالت العاشرة : زوجى مالك ، وما مالك ؟ مالك خير من ذلك ، له إبل قليات المسارح ، كثيرات المبارك ، وإذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوائك .

قالت الحادية عشرة : زوجى أبو زرع ، وما أبو زرع ؟ أناس من حل أدنى ، وملا من نغم عضدى ، ويبحني فيجحت إلى نفسي ، وجدني في أهل غنمة يشق ، فجعلني في أهل صهيل وأطيط ودائس ومنق ، فسنده أقول فلا أقبح ، وأرقد فأنصب ، وأشرب فأنقع ، (وفي رواية فأنقع) ، أم أبي زرع ، فما أم أبي زرع ؟ عكومتها رداح ، ويثها فساح ، ابن أبي زرع ، فما ابن أبي زرع ؟ مضجعه كسل شطية ، ونسجه ذراع الجفرة ، بنت أبي زرع ، فما بنت أبي زرع ؟ طوع أيها ، وطوع أمها ، وبل كسائها ، وغيظ جارتها ، جارية أبي زرع ، فما جارية أبي زرع ؟ لا نثت حديثنا تقيتنا (وفي رواية لا نثت حديثنا تقيتنا) ، ولا تنقت ميرتنا تقيتنا ، ولا تملأ بيتنا تعيشا . قالت : نرج أبو زرع والأوطاب مخص ، فلي أمرأة معها

وَأَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ، يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَاتَيْنِ، فطَلَّقْنِي وَنَكَحَهَا، فَنَكَحَتْ  
بِمَدِّ رَجُلٍ سِيرِيًّا، رَكِبَ سِيرِيًّا، وَاخَذَ خَطِيًّا، وَأَرَاخَ عَلَى نَعْمًا تَرِيًّا، وَأَعْطَانِي مِنْ  
كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا، (وفي رواية فأعطاني من كل ذائِجَةٍ زَوْجًا). وقال: كُلِّي أُمَّ زَرْجٍ  
وَمِيرَى أَهْلِكَ، فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِي مَا يَبْلُغُ أَصْفَرَ آيَةِ أَبِي زَرْجٍ“

قالت عائشة: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ”كنت لك كَأُمِّي زَرْجٍ  
لَأُمِّ زَرْجٍ“ وفي رواية ”غير أُمِّي لا أطلقك“.

فإذا كان هذا كلام نسانهم الدائر فيما بينهم من محادثاتهن مع بعضهن في خلواتهن،  
فما ظنك بفُرسان الكلام في نظمهم وترهم! فإني يُعَاب عليهم ذلك، ويُنكر عليهم  
الإتيان بمثله!

وقد اختصم رجل وأمرأة إلى يحيى بن يعمر، وهو من أكابر التابعين وجهلته،  
فقال للرجل: أَأَنْ سَأَلْتُكَ نَحْنُ شَكَرْهَا وَشَبَّرَكَ، أَنْشَأْتَ تَطَلُّهَا وَتَضَلُّهَا؟ أما غير  
العرب ممن تكلف ذلك وأتى به في كلامه المعتاد في مخاطباته أو تهره ونظمه فإنه يُعَاب  
عليه ذلك، ويخطئ به عن درجة الفصاحة، ويخرج به عن قانونها، إذ المقصود  
من الكلام إنما هو الإفهام لا غير، فيخاطب كل أحد بما يفهمه ولا يُكَلِّفُ بما  
لا يعلمه، وخير الكلام ما جاد وأفاد.

قال بشر بن المعتمر: إِيَّاكَ وَالتَّوَعُّرَ، فإنه يُسَامِكُ إلى التعميد والتقييد، وهو  
الذي يستبَلِكُ معانيك، ويمنَعُكَ مَرَامِيكَ.

قال أبو هلال العسكري: وربما غلب سوءُ الرأى وقلةُ العقل على بعض علماء  
العربية فيخاطبون السُّوقَ، والمُحَلِّوْكَ والأَخْمَى، بألفاظ أهل نجد، ومعاني أهل  
السَّراةِ، وحكاياتهم في ذلك كثيرة.

قال أبو نصر الجوهري: سقط عيسى بن عمر عن حماله فاجتمع عليه الناس فقال: مَا لَكُمْ تَكَاكُكُمْ عَلَى تَكَاكُكُمْ عَلَى ذِي جَنَّةٍ! افْرَقِعُوا عَنِّي. أَيْ مَا لَكُمْ أَجْمَعْتُمْ عَلَى أَجْمَاعِكُمْ عَلَى ذِي جَنَّةٍ تَفْرَقُوا عَنِّي. وَذَكَرَ الْحَافِظُ هَذِهِ الْحِكَايَةَ عَنْ أَبِي عَلْقَمَةَ النَّحْوِيِّ بِزِيَادَةِ فَقَالَ: مَرَّ أَبُو عَلْقَمَةَ بِبَعْضِ طُرُقِ الْبَصْرَةِ فَهَاجَتْ بِهِ مِرَّةٌ فَوَثَبَ عَلَيْهِ قَوْمٌ يَعْصُونَ إِبَاهِمَهُ وَيُؤْذِنُونَ فِي أُذُنِهِ، فَأَقْلَّتْ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَقَالَ: مَا لَكُمْ تَكَاكُكُمْ عَلَى تَكَاكُكُمْ عَلَى ذِي جَنَّةٍ! افْرَقِعُوا عَنِّي. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: دَعُوهُ فَإِنَّ شَيْطَانَهُ يَتَكَلَّمُ بِالْمِنْدِيَّةِ.

وقال أبو علقمة يوماً لحاجبه: اشْدُدْ قَصَبَ الْهَازِمِ، وَأَرْهِفْ ظُلُمَاتِ الْمَشَارِطِ، وَأَمِرُ الْمَسْحِ، وَاسْتَنْجِلِ الرِّيحَ، وَخَفِّفِ الْوُطْدَ، وَجْعَلِ التَّرْعَ، وَلَا تُكْرِهَنَّ أَبْيَا، وَلَا تَرْدَنَّ أَبْيَا، فَقَالَ لَهُ الْحَجَّامُ: لَيْسَ لِي عِلْمٌ بِالْحُرُوفِ.

ونظر إليه رجل ومحنه بئس مِصْرِيَّ حَسَنِ الْمَنْظَرِ، فَقَالَ: إِنْ كَانَ مَحْبَرُ هَذَا الْبَعْلِ كَمَنْظَرِهِ فَقَدْ كَلَّ، فَقَالَ أَبُو عَلْقَمَةَ: وَاللَّهِ لَقَدْ خَرَجْتُ عَلَيْهِ مِنْ مِصْرَ فَتَنَكَّبْتُ الطَّرِيقَ مَخَافَةَ السَّرَاقِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ، فَبَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي لَيْلَةٍ ظَلَمَاءَ قَتَاءَ، طَحْنَاءَ مُدْمَلَمَةٍ، حَيْنِدِينَ دَاجِيَةً، فِي مَهْمَصٍ أَمَلَسَ، إِذْ أَحَسَّ بِنَبَأَةٍ مِنْ صَوْتِ نَفْسٍ، أَوْ طَيْرَانٍ ضَوْجٍ، أَوْ تَقْصُ سُبْدٍ، فَخَاصَ عَنِ الطَّرِيقِ مُتَنَبِّحًا لِعِزَّةٍ نَفْسِهِ، وَلَفْضِ قُوَّتِهِ، فَبَعَثَهُ بِالْجِلَامِ قَسَلًا، وَحَرَّكَتَهُ بِالرَّكَابِ قَسَلًا، وَأَتَعَلَ الطَّرِيقَ بِغَالِهِ مُعْتَرِمًا، وَالتَّحَفَ اللَّيْلَ لَا يَهَابُهُ مُظْلِمًا، فَوَاقَهُ مَا شَبَّهَتْهُ إِلَّا بِظُلْمَةِ نَافِرَةٍ تَحْفِرُهَا قَتَاءُ شَاغِيَةٍ، فَقَالَ الرَّجُلُ: فَادْعُ اللَّهَ وَسَلِّهُ أَنْ يَحْشَرَ مَعَكَ هَذَا الْبَعْلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِجَبْرَتِكَ الصَّرَاطِ بِطَفَرَةٍ.

وكانت امرأة تاكل الطين<sup>(١)</sup> لحصل لها بسببه إسهال مريضة منه ، وكان لها ولد يتكلم بالغريب ، فكتب رقاعا وطرحها في المسجد الجامع بمدينة السلام ، فيها صيغ أمرؤ ورعى ، دعا لامرأة إنفعلة مفسنة قد منيت بأكل الطرموق فاصابها من أجله الاستمصال أن يئن الله عليها بالأطريشاش . فكل من قرأ رفته ، دعا عليه ولعنه ولعن أمه .

وحكى محمد بن أبى المغازى الضبي عن أبيه قال : كان لنا جار بالكوفة لا يتكلم إلا بالغريب ، فخرج إلى ضبعة له على حجر معنا مهر فالتفت ، فذهبت ومعها مهرها فخرج يسأل عنها ، فزجياط فقال : ياذا النصاح وذات السم ، الطاعن بها في غير وعى لغير عدى ، هل رأيت الخيفانة القباء يتبعها الحاسن المشرهف ؟ كأت غرته القمر الأزهر ، يتد فى حضره كالحلب الأجرد ، فقال الخياط : أطلبها فى ترلج ؛ فقال : وثحك ما تقول ! قبحك الله ، فإنى ما أعرف رطانتك ؛ قال : لعن الله أبغضنا لفظا وأخطانا منطقا .

وضرب عمر بن هيرة عيسى بن عمر النحوى ضربا كثيرا من أجل وديعة فكان يقول وهو يضرب : ماهى إلا أثياب فى أسقاط أخذها عشاروك . وسأله رجل عن مسألة . فقال : لوست مبالنك يئنا ، أى ليست مستوية ؛ وأصل اليتن : خروج رجل الولد قبل رأسه . وسأله آخر عن كتابته ، فقال : كتبت حتى أقطع سوائي أى ظهري ، على أن أبا جعفر النخاس قد عد عيسى بن عمر من المطبوعين فى ذلك . قال الجاحظ : رأيتهم يدرون فى كتبهم هذا الكلام ، فإن كانوا إنما روه ودفعوه لأنه يدل على فصاحة وبلاغة ، فقد باعده الله من صفة الفصاحة والبلاغة ،

(١) كذا فى الصانعين أيضا ، ولعله مصحف عن الطير يراه بدليل بقة الكلام ، فان الطرموق اسم للنفاس وهو من الطير .

وإن كانوا فعلوا ذلك لأنه غريب فأبيات من شعر العجاج وشعر الطرمّاج وأشعار  
هذّيل تأتي لهم مع الرصف الحسن على أكثر من ذلك . فلو خاطب أحد الأصمعيّ  
بمثل هذا الكلام، لظننت أنه يستجهل نفسه، وهذا خارج عن عادة البلغاء .

## الصف الرابع

الغريب المتوحش عند قوم دون قوم

وذلك ككلام أهل البادية من العرب بالنسبة إلى أهل الحضرم منهم، فإن أهل  
الحضريّ القوم السهلّ من الكلام، ويستعملون الألفاظ الرقيقة، ولا يستعملون  
الغريب إلا في النادر، وأهل البادية بالقوم اللفظ الجزلّ ويميلون إلى استعمال الغريب،  
وإذا نظرت إلى أهل مكة وكلام قريش الذين نزل القرآن بلغتهم وبعث رسول الله  
صلّى الله عليه وسلم من أرومتهم، وكلام أهل حضرموت وما جاورها من اليمن  
ومخالفات المجاز، علمت فرق ما بين الكلامين، وتباين ما بين الطرفين، حتى كأن  
البادي يَظُنُّ بالنسبة إلى الحاضر، ويتكلم بلغة غير العربية، وكانت لغة رسول الله  
صلّى الله عليه وسلم التي يتكلم بها على الدوام، ويخاطب بها الخاص والعام، لغة قريش  
وحاضرة المجاز، إلا أنه صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم وجمع إلى سهولة  
الحاضرة جزالة البادية، فكان يخاطب أهل نجد ويهامة وقبائل اليمن بلغتهم، ويخاطبهم  
في الكلام الجزل على قدر طبقتهم .

فمن ذلك كلامه صلى الله عليه وسلم لَطَهْفَةَ التَّهْدِيّ - وكأبه إلى بني نهد، وذلك  
أنه لما قَدِمَ وفود العرب على النبي - صلى الله عليه وسلم قدم عليه طَهْفَةُ بن أبي زُهَيْرِ  
التَّهْدِيّ . فقال : أُنَيْنَاكَ يا رسول الله من غَوْرِيَّامَةَ على أكوار المَيْسِ، تَرْتَجِي بنا  
العَيْسَ . فَنَتَخَلَّبُ الصَّيْبَ، وَنَتَخَلَّبُ الْخَيْبَ، وَنَتَعَصَّدُ الرَّيَّ، وَنَسْتَحِيلُ الرَّهَامَ،

وَتَسْتَخِيلُ الْحَمَامَ، مِنْ أَرْضِ غَائِلَةِ النَّطَاءِ، غَلِيظَةِ الْوِطَاءِ؛ قَدْ جَفَّ الْمُدْهَنُ، وَيَسَّ  
الْجَمْعَيْنِ، وَسَقَطَ الْأَمْلُوحُ، وَمَاتَ الْمُسْلُوحُ؛ وَهَلَكَ الْمَيْدِيُّ، وَفَادَ الْوَدِيُّ؛ بَرَيْشًا إِلَيْكَ  
يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ الْوَتِيِّ وَالْعَتَنِ، وَمَا يُحَدِّثُ الزَّمَنُ؛ لَنَا دَعْوَةَ السَّلَامِ، وَشَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ  
مَا طَلَمَا الْبَحْرُ، وَقَلَمَ تَعَارَ؛ وَلَنَا نَعْمَ هَمَلٌ أَغْفَلٌ، مَا تَبَيَّضَ بِلَالٌ؛ وَوَقِرَ كَثِيرُ الرِّسَالِ،  
قَلِيلُ الرِّسَالِ، أَصَابَتْهَا سُنْبَةٌ حَمْرَاءُ مُؤَزَّلَةٌ، لَيْسَ لَهَا عَالٌّ وَلَا نَهْلٌ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللَّهُمَّ بَارِكْ لِمَنْ فِي مُحَضَّبَتِهَا وَمَذْهَبَتِهَا وَفِرْقَتِهَا؛ وَاجْعَلْ  
رَاعِيَهَا فِي الدُّنْيَا بَيْتَانَ النَّعْمِ، وَالْآخِرَةَ لِمَنْ بَارَكْتَ لِمَنْ فِي الْمَسَالِ وَالْوَلَدِ؛ مَنْ أَقَامَ  
الصَّلَاةَ كَانَ مُسْلِمًا. وَمَنْ آتَى الزَّكَاةَ كَانَ مُجِسًّا. وَمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ  
كَانَ مُخْلِصًا."

لَكُمْ يَا بَنِي نَهْدٍ وَدَائِعَ الشُّرْكِ، وَوَضَائِعَ الْمُلْكِ؛ لَا تُلْطَطُ فِي الزَّكَاةِ، وَلَا تُلْعَدُ  
فِي الْحَيَاةِ، وَلَا تَتَنَاقَلُ عَنِ الصَّلَاةِ."

وَكُتِبَ مَعَهُ كِتَابًا إِلَى بَنِي نَهْدٍ فِيهِ: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ! السَّلَامُ عَلَى مَنْ آمَنَ  
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، لَكُمْ يَا بَنِي نَهْدٍ فِي الْوُظُفَةِ الْقَرِيبَةِ، وَلَكُمْ الْعَارِضُ وَالْفَرِيشُ وَذُو الْعَيْنَانِ  
الرُّكُوبُ، وَالْقُلُوبُ الضَّيِّسُ؛ لَا يُبْنَعُ سَرْحُكُمْ، وَلَا يُعْصَدُ طَلْحُكُمْ وَلَا يُبْنَعُ دَرُكُمْ؛  
مَالِمُ تُضَيِّرُوا الْإِمَانِي، وَتَاكُلُوا الرِّبَا؛ مَنْ أَتَى فَلَهُ الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ وَالذِّمَّةُ، وَمَنْ آبَى  
فَعَلَيْهِ الرُّبُوءُ."

وَمِنْ ذَلِكَ كَتَبَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى قَبِيلَةِ هَمْدَانَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفُودُ الْعَرَبِ قَدِمَ وَفَدَ هَمْدَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،  
مِنْهُمْ مَالِكُ بْنُ تَمِيمٍ أَبُو ثَوْرٍ، وَهُوَ ذُو الْمِشْعَارِ، وَمَالِكُ بْنُ أَبِي قَعٍّ، وَضَمَامُ بْنُ مَالِكِ  
السَّامِيُّ، وَعَمِيرُ بْنُ مَالِكِ الْخَلَارِيفِيِّ، فَلَقُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرَّحَهُمْ

من ثبوك ، وعلهم مقطعات الجبريات والعامم العدنينة ، برجال المئس على المتهوية  
والأرجحية ، ومالك بن نخط ورجل آخر ريجزان بالقوم ، يقول أحدهما ،

هَمدَانُ خَيْرُ مَوْقَةٍ وَأَقْبَالُ • لَيْسَ لَهَا فِي الْعَالَمِينَ أَمْثَالُ  
مَحَلُّهَا الْمُخْضَبُ وَمِنْهَا الْأَبْطَالُ • لَهَا إِطَابَاتُ بَهَا وَأَكَالُ

ويقول الآخر :

إِلَيْكَ جَاوِزَنَ مَسَوَادَ الرِّيفِ • فِي هَبَوَاتِ الصَّيْفِ وَالْخَرِيفِ  
• مَخْطَمَاتٍ بِحَالِ اللَّيْفِ •

فقام مالك بن نخط بين يديه ، ثم قال : يا رسول الله ، نبيية من همدان من كل  
حاضر وبأد ، أتوك على قُلُوصِ نَوَاجٍ ، متصلة بحال الإسلام ، لا نأخُثُكُم في الله لومة  
لائم ، من مَخْلَافِ خَارِيفٍ ، ويايم ، وشاير ، أهل السواد والقرى ، أجاوا دهوة  
الرسول ، وفارقوا أمة الانصباب ، عهدهم لا ينقض ما أقام لعل ، وما جرى العقود يصلح .

فكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم !  
هذا كتاب من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لمخلاف خاريف وأهل جناب  
المخضب وبحفاف الرمل ، مع وافدها ذى المشاعر مالك بن نخط ، ولئن أسلم من قومه  
على أن لهم فِرَاعَهَا وَيَخَاطَمَهَا مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكَاةَ ، يَأْكُلُونَ عِلَاقَهَا وَيَرْعَوْنَ  
حَافِيَهَا ، لهم بذلك عهد الله وذمَامُ رسوله ، وشاهدُهم المهاجرون والأنصار » .

فقال في ذلك مالك بن نخط ،

ذَكُرْتُ رَسُولَ اللَّهِ فِي خِمَةِ الدُّجَى • وَنَحْنُ بِأَعْلَى رَحْرَحَاتٍ وَمَصْلَدٍ  
وَهُنَّ بَنَى خَوْصُ طَلَايَحٍ تَقْتَلِي • بُرْجَانَهَا فِي لَاحِبٍ مُتَمَدِّدٍ  
عَلَى كُلِّ قَتْلَاءٍ الذَّرَاعَتَيْنِ جَسْرَةٌ • ثَمْرُنَا مَرَّ الْهَجَفِ الْخَفِيفِ

حَلَقْتُ رَبَّ الرَّاغِبَاتِ إِلَى مَنَى • صَوَادِرَ الرُّكَّانِ مِنْ هَضْبِ قَرَدٍ  
بِأَن رَسُولَ اللَّهِ فِيْنَا مُصَدِّقٌ • رَسُولُ أَتَى مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ مُهْتَدٍ  
فَمَا حَلَمْتُ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا • أَبْرَؤُا فِي ذِمَّةٍ مِنْ مُحَمَّدٍ  
وَأَعْطَى إِذَا مَا طَالِبُ الْعُرْفِ جَاءَهُ • وَأَمْضَى بِمُحَمَّدٍ الْمَشْرِقِيُّ الْمُهَنْدِ

وَقِي رَوَايَةُ أَنَّ فِي كِتَابِهِ إِلَيْهِمْ : "إِنَّ لَكُمْ فِرَاقَهَا وَيُحَاطَ بِهَا وَعِزَّازَهَا تَاكُلُونَ  
عَلَقَهَا وَتَرْعَوْنَ عَقَامَهَا ؛ لَنَا مِنْ دِفْئِهِمْ وَصِرَامِهِمْ مَا سَلَّمُوا بِالْمِيثَاقِ وَالْأَمَانَةِ ؛ وَلَمْ يَنْ  
الْبَصْدَقَةُ الثَّلَبُ وَالنَّابُ ، وَالْفَصِيلُ وَالْعَارِضُ ، وَالنَّاجِنُ وَالْكَبْشُ الْحَوْرِيُّ ؛ وَعَلَيْهِمْ  
فِيهَا الصَّالِحُ وَالْقَارِخُ " .

وَمِنْ ذَلِكَ كِتَابُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَكْبَدَرِ دُومَةٍ . قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ . أَنَا قَرَأْتُهُ  
فَإِذَا فِيهِ : "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ! مِنْ عِدِّ رَسُولِ اللَّهِ ، لِأَكْبَدَرِ حِينَ أَجَابَ إِلَى الْإِسْلَامِ ،  
وَعَلَّمَ الْأَنْثَادَ وَالْأَصْنَامَ ؛ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، سَيْفِ اللَّهِ فِي دُومَةِ الْجَنْتِلِ وَأَكْثَافِهَا ؛  
إِنَّ لَنَا الضَّاحِيَةَ مِنَ الضُّحُلِ وَالْبُورِ وَالْمَعَامِي وَأَغْفَالَ الْأَرْضِ ، وَالْحَلَقَةَ وَالسَّلَاحَ وَالْحَافِرَ  
وَالْحِصْنَ ؛ وَلَكُمْ الضَّامِنَةَ مِنَ النَّخْلِ ، وَالْمَعِينِ مِنَ الْمَعْمُورِ ، لَا تُعْدِلُ سَارِحَتُكُمْ ؛ وَلَا  
تَعْدُ قَارِدَتُكُمْ ؛ وَلَا يُحْطَرُّ عَلَيْكُمُ النَّبَاتُ ، يُحْيِمُونَ الصَّلَاةَ لَوْ قَتَلُوا ، وَتُؤْتُونَ الزَّكَاةَ بِحَقِّهَا ؛  
عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَالْمِيثَاقُ ، وَلَكُمْ بِذَلِكَ الصَّدَقُ وَالْوَفَاءُ ، شَهِدَ اللَّهُ وَمَنْ حَضَرَ مِنَ  
الْمُسْلِمِينَ " .

وَمِنْ ذَلِكَ كِتَابُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ وَأَهْلِ حَضْرَمَوْتٍ ، وَهُوَ  
"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ! مِنْ عِدِّ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْأَقْيَالِ الْعَبَاحِلَةِ مِنْ أَهْلِ حَضْرَمَوْتٍ  
بِقِيَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِتْيَاءِ الزَّكَاةِ ، عَلَى النَّيْعَةِ النَّاشِئَةِ ، وَالنَّيْمَةِ لِصَاحِبِهَا فِي السُّبُوبِ

(١) الضحل بالسكون : القليل من الماء ، ويرى : "لَكُمْ الضاحية من البهل" وهو النخل .



الْخُمْسُ ؛ لَا خِلَاطَ وَلَا وِرَاطَ ، وَلَا شِتَاقَ وَلَا شِفَارَ ؛ وَمَنْ أَجْبَى فَقَدْ أَرْبَى ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ .

وفى رواية أنه كتب إليهم " إلى الأقبال العبايلة والأرواع المشاييب ، وفى التبعة شاة لا مقورة الألباط ولا ضنك ، وأنطوا التبعة وفى السيوب الخمس ، ومن زنى من أميكر فاصقهوه مائة ، وأستوفضوه طاماً ، ومن زنى من أمثيب فصرجه بالاضاميم ، ولا توصيم فى الدين ، ولا عمة فى فرائض الله تعالى ؛ وكل مسكر حرام ، وروائل بن حنجر يترقى على الأقبال " .

قال الوزير ضياء الدين بن الأثير رحمه الله " فى المتل السائر " : وفصاحة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتضى استعمال هذه الألفاظ ، ولا تكاد توجد فى كلامه إلا جواباً لمن يخاطبه بمنها كحديث طهفة وما جرى مجراه ؛ على أنه قد كان فى زمنه أولاً متداولاً بين العرب ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يستعمله إلا يسيراً لأنه أعلم بالفصح والأصح .

### الصفة الثانية

اللفظ الفصحى ألا يكون مبتدأً عائياً ، ولا ساقطاً سويقاً

واللفظ المبطل على قسمين

### القسم الأول

ما لم تغيره العامة عن موضعه اللغوى إلا أنها اختصت باستعماله دون الخاصة فابتذل لأجل ذلك وتخف لفظه ، وأحطت رتبته لأختصاص العامة بتداوله ، وصار من استعمله من الخاصة ملوماً على الإتيان به لمشاركة العامة فيه ؛ وقد وقع ذلك لجماعة من نقول الشعر له فعيب عليهم .

فمن ذلك قول الفرزدق من فصيحة :

وأصبح مَيْيُضُ الضَّرِيبِ كَأَنَّهُ رَ عَلَى سَرَوَاتِ النَّبْتِ قُطْنٌ مُنْدَفٍ

فقوله مندَف من الألفاظ العامة المبتذلة ، وإن كان له أصل في اللغة يقال :

نَدَفَ الْقُطْنُ إِذَا ضَرَبَهُ بِالْمِنْدَفِ ، ولذلك قيل للقطن المندوف : نَدِيفٌ ،

ومن ذلك قول أبي نُوَاسٍ :

وَمِلْحَةٌ بِالْمَلِيلِ تَحْسَبُ أَنِّي • بِالْجَهْلِ أَتْرَكُ مَحَبَّةَ الشُّطَارِ

فالشطار جمع شاطر ، وهو في أصل اللغة اسم لمن أعيا أهله خُبْنًا ، يقال منه :

شَطَرٌ وَشَطَرٌ بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ شَطَارَةٌ بِالْفَتْحِ فِيهِمَا ، ثم استعمل في الشجاع الذي أعيا

الناس شجاعاً ، وغلب دورأته على لسان العامة فَأَمْتَنَ وَأَبْتَلَدَ ، فاستعمل أبو نُوَاسٍ

له غير لائق ، وكذلك قوله أيضاً ،

يَا مَنْ جَفَانِي وَمَلَأَ • نَسِيتَ أَهْلًا وَسَهْلًا

وما تَمَرَّجَبْتَ لِمَا • رَأَيْتَ مَا لِي قَلَا

إِنِّي أَغْلُثُكَ فِيهَا • فَعَلْتَ تَحْكِي الْقِرْلَى

فلفظ القيرلَى من أشد ألفاظ العامة آيتنالا ، وهو اسم لطائر صغير من طيور

الماء يَحْطِفُ صَيْحَارَ السَّمَكِ مِنَ الْمَاءِ يَرْجُلُهُ وَمِثْقَالُهُ ، فإذا سقط على الماء

ولم يحصل على صيد ارتفع بسرعة ، فتضرب به العامة المثل تقول : فلانُ كَأَنَّهُ قِرْلَى ،

إِنْ وَجَدَ خَيْرًا تَدَلَّى ، وَإِنْ وَجَدَ شَرًّا تَعَلَّى

وقوله أيضاً ،

وَأَتَمَّرَ الْجِلْدَةَ صَيْرَتْهُ • قِي النَّاسِ زَانَاً وَشَقِيرَا

مَا زِلْتُ أُجْرِي كُلَّكَ قُوَّةً • حَتَّى دَعَا مِنْ عَجَبِهِ قَا

فقوله : قافاً حكاية لصوت يضرب به المثل لصياح المغلوب، يقال : فعلت بفلان كذا وكذا حتى قال : قاق؛ وأقبح من ذلك كله في الابتذال بين العامة والسحافة قول المتنبي :

ومن الناس مَنْ يَحُوزُ عليهم • شِعْرَاءُ كَانُوا انْخَازِ يَارِ

قال في "المثل السائر" : وهذا البيت من مضحكات الأشعار وهو من جملة الرِسام الذي ذكره في قوله :

إِنْ بَعْضًا مِنَ الْقَرِيضِ هَذَا • لَيْسَ شَيْئًا وَبَعْضُهُ أَحْكَامُ  
فِيهِ مَا يَجْلِبُ الْبَرَاءَةَ وَالْفَهْمُ فِيهِ مَا يَجْلِبُ الرِّسَامُ  
وعنه منه في "المثل السائر" قول البُحرى :

وَجْهٌ حُسَايِكَ مُسَوَّدٌ • أَمْ صُفِّيتَ بَعْدَى الزَّاجِ؟

قال : فلغظة الزاج من أشد ألقاظ العامة ابتذالا، وكذلك عذ منه قول النابغة الذبياني :

أَوْدُمِيَّةٌ فِي مَرَمِيٍّ مَرْفُوعَةٍ • يَنْتَبِثُ بِأَجْرٍ يُسَادُ قَرْمِيدٍ

قال : فلغظة أجْر مبتذلة جدا ، وإذا شئت أن تعلم شيئا من سر الفصاحة التي تضمنها القرآن الكريم، فأنظر إلى هذا الموضع فإنه لما جرى فيه بذكر الأجر لم يذكر بلفظه، ولا بلفظ القرميد أيضا، ولا بلفظ الطوب الذي هو لغة أهل مصر، فإن هذه الأسماء مبتذلة لكن ذكر في القرآن على وجه آخر، وهو قوله تعالى : ((وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا)) فعبّر عن الأجر بالوقود على الطين، ثم من الألقاظ المبتذلة السخيفة لفظة الكنُس، وما أشق منه، ولذلك طابها القاضي الفاضل رحمه الله تعالى على ابن سناء الملك في بعض أشعاره حيث قال من أبيات

يُزَحَرَفُ مِنْهَا وَجْهَهَا فَهِيَ جَنَّةٌ • وَيَحْضَرُ مِنْهَا نَضْرَةٌ فَهِيَ سُنْدُسٌ  
صَلِيلِي وَهَذَا الْحَسَنُ بَاقِي قُرْبَمَا • يُعَزَّلُ بَيْتُ الْحُسَيْنِ مِنْهُ وَيُكَنَسُ

فلما وقف القاضى الفاضل رحمه الله على هذه القصيدة كتب إلى ابن سناء الملك من جملة فصل : وما قلت هذه الغاية ، إلا وتعلمنى أنها البداية ؛ ولا قلت هذا البيت آية القصيدة إلا تلا ما بعده : وَمَا تُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ • أَفَيْحَرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبَيِّنُونَ ، ولا عيب فى هذه المحاسن إلا قصور الأنعام ، وتقصير الأنام ، والإفقد لَمَحِجَ الناس بما تحتها ، ودقنوا ما دوتها ، وشغلوا التصانيف والخواطر والأقلام بما لا يقار بها ، وسارت الأشعار وطالت بما لا يبلغ مُدَّهَا ولا نَصِيغَهُ ، والقصيدة فائقة فى حسنها ، بديعة فى قُبَّهَا ، وقد ذَلَّتْ السِّينَ فيها وآتَقَدَتْ ، فلو أنها الرأى لما رادت ، وبيت يُعَزَّلُ ويكنس أردت أن أَكُنْسَهُ من القصيدة ، فإن لفظة الكنس غير لافتة فى مكانها .

فأجابه ابن سناء الملك قائلا : وعلم المملوك مانبه عليه مولانا من البيت الذى أراد أن يَكُنْسَهُ من القصيدة ، وقد كان المملوك مشغوبا بهذا البيت ، مستعجلا له متعجبا منه ، معتقدا أنه قد مَلَحَ فيه ، وأنَّ عَافِيَةَ بَيْتِهِ أَمِيرَةُ ذَلِكَ الشَّعْرِ وَسِيدَةُ قَوَائِيهِ ، وما أوقعه فى الكنس إلا ابن المعتز فى قوله :

وَقَوَائِي مِثْلُ الْقَنَاءِ مِنْ الْخَطِّ وَخَدَى مِنْ يَلْتَقِي مَكْنُوسٌ

والمولوى يعلم أن المملوك لم يزل يجرى خلف هذا الرجل ويتعثر ، ويطلب مطالبه فتتسمر عليه وتتعدى ، ولا آنس نَارَهُ إِلَّا لَمَّا وَجَدَ عَلَيْهَا هَدًى ، ولا مال المملوك إِلَّا إِلَى طَرِيقِ مَنْ مَيَّلَهُ إِلَيْهِ طَبْعُهُ ، ولا سار قلبه إِلَّا إِلَى مَنْ دَلَّهُ عَلَيْهِ سَمْعُهُ ، ورأى المملوك أبا عُبَادَةَ قد قال :

وَيَا عَافِيَةَ فِي عَبْرَةٍ قَدْ سَفَحَتْهَا • لَيْسَ بِنَاوِيٍّ وَأَنْعَرَى قَبْلَهَا لِلتَّجَنُّبِ

تَحَاوِلُ مَنَى شَيْبَةً غَيْرِ شَيْئٍ • وَتَطْلُبُ مَنَى مَذْعَبَا غَيْرِ مَذْعَبِي  
وقال :

وما زَارَنِي إِلَّا وَلِطْتُ حَبَابَةً • إِلَيْهِ وَالْأَقْلُتُ أَهْلًا وَمَرْحَبًا  
فَعَلِمَ الْمَمْلُوكُ أَنَّ هَذِهِ طَرِيقَةُ لَا تُسْلَكُ ، وَعَقِيلَةُ لَا تُعْمَلُ ، وَغَايَةُ لَا تُدْرَكُ ؛ وَوَجَدَ  
إِبْرَاهِيمَ قَدْ قَالَ :

سَلَّمَ عَلَى الرَّبِّيعِ مِنْ سَلَامِي بِذِي سَلَمٍ  
وقال :

فَاشْتَارَ مِنْ هَذَا النَّحِيطِ طَبْعُهُ ، وَاقْشَرَزَ مِنْهُ فَهَمُهُ ، وَبَنَى عَنْهُ ذَوْقُهُ ، وَكَادَ سَمِعُهُ  
يَجْزَعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسَيِّغُهُ ؛ وَوَجَدَ هَذَا السَّيِّدَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَرِّ قَدْ قَالَ :

وَقَفَّتْ فِي الرُّوْضِ أَهْكَى فَقَدْ مُشِيهِ • حَتَّى بَكَتْ بِنُصْرِي أَمِينُ الزَّهْرِ  
لَوْلَمْ أُعِيرَهَا دُمُوحَ الْعَيْنِ تَسْفَحُهَا • لَرَحِمِي لَأَسْتَارَتْهَا مِنَ الْمَطَرِ  
وقال :

قَدْ ذُكَّ غُضْنٌ لَا شَكَّ فِيهِ كَمَا • وَجْهُكَ شَمْسٌ نَهَارُهُ جَسَدُكَ

فَوَجَدَ الْمَمْلُوكُ طَبْعَهُ إِلَى هَذَا النَّحِيطِ مَائِلًا ، وَخَاطَرَهُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ عَلَيْهِ سَائِلًا ؛  
فَنَسَجَ عَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ خَاطَرُهُ مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُ الْمَغْلُوبُ ؛ « وَجْهُكَ الشَّيْءُ •  
يُعْنَى وَبُعْثٌ » فَقَدْ أَعْمَاهُ حُبُّهُ وَأَصْبَحَ إِلَى أَنْ نَظَّمَ تِلْكَ اللَّفْظَةَ فِي تِلْكَ الْأَيَّاتِ تَقْلِيدًا  
لِلَّذِينَ الْمُعْتَرِّ حَيْثُ قَالَهَا ، وَحَمَلُ أَتْقَالَهَا ؛ وَهِيَ تُفَقَّرُ لِنَاكَ فِي جَنِّبِ إِحْسَانَةٍ ، فَأَمَّا  
الْمَمْلُوكُ فَنَهَى عَوْرَةَ ظَهَرَتْ مِنْ لِسَانِهِ •

فَأَجَابَهُ الْقَاضِي الْفَاضِلُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ : وَلَا حِجَّةَ فِيمَا أَحْتَجُّ بِهِ عَنِ الْكَلَسِ  
فِي بَيْتِ آبِنِ الْمُعْتَرِّ ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مَعْصُومٍ مِنَ الْغَلْطِ ، وَلَا يُقْلَدُ إِلَّا فِي الصَّوَابِ فَقَطْ ،  
وَقَدْ عَلِمَ مَا ذَكَرَهُ آبِنُ رَشِيْقِي فِي عَمْدَتِهِ مِنْ تَهَاوُتِ طَبْعِهِ ، وَتَبَايُنِ وَضْعِهِ ؛ فَذَكَرَ مِنْ  
مَحَاسِنِهِ مَا لَا يُبَلِّغُ مَعَهُ كِتَابٌ ، وَمِنْ بَارِدِهِ وَغَيْثِهِ مَا لَا تُبَلِّسُ عَلَيْهِ الثِّيَابُ •

وقد تَعَصَّبَ القاضي السعيد على أبي تمام فنقصه من حظه، وللبُحْثَرِيّ فاعطاه أكثر من حقه، وما أنصفهما :

ولو كان هذا موضعَ التَّيْبِ لَأَشْتَى • فَوَادَى وَلَكِنْ لِلْعِيَابِ مَوَاضِعُ

قال المولى صلاح الدين الصفّيدى رحمه الله تعالى في شرح لامية المعجم . وقد استعمل ابن سناء الملك رحمه الله تعالى هذه اللفظة في غير هذا الموضع ولم يتعظ بنهى الفاضل ولا أروعى ولا أزدجر عما قبعه لأنه غلب عليه الهوى، فقال :

تَوَسَّوسَ شِعْرِي بِهِ مُتَّةٌ • وَمَا بَرَّحَ الْحَسْلُ وَالْوَسْوَسَةُ

وَعَلَّقَنِي مِنْ يَدَيَّ عِشْقِهِ • ظِلَامٌ عَلَى خَدِّهِ حَتَّتَسَهُ

كَتَسْتُ فَوَادَى مِنْ عِشْقِهِ • وَلِجَنِّهِ كَانَتْ الْمَكْنَسَةُ

قال : وأما القاضي الفاضل، فما أظنه خلا في هذا الإيراد، من ضعف انتقاد؛ وأحاشى ذلك الذهن الوقاد، من هذا الاعتقال في ورطة هذا الاعتقاد؛ وما أراه إلا أنه تعمد أن يعكس مراده، ويوهى ماشدته ويوهن ماشده؛ ويربسه بهلاء البَلَادَةِ؛ إما على سبيل النكال أو النكادة، لأن الفاضل رحمه الله من يتوشى هذه الألفاظ ويقصدها، ويُنْشِئُهَا وينشدها، ويورى زَادَهَا ويوردها .

فن كلام القاضي الفاضل في بعض رسائله : وما أستطاعت أيديهم أن تَقْصِرَ جمره، ولا ألباهم أن تسبخ بجره ولا سيولهم أن تَكُنْسَ قِيمَهُ .

قال في "المثل السائر" : ومثل هذه الألفاظ إذا وردت في الكلام، وضحت من قدره ولو كان معناه شريفا . قال : وهذا القسم من الألفاظ المبتذلة لا يكاد يخلو منه شعر شاعر، لكن منهم المَقِلُّ ومنهم المَكْثِرُ .

## القسم الثاني

ما كان من الألفاظ دالاً على معنى وضع له في أصل اللغة فغيره  
العامة وجعلته دالاً على معنى آخر. وهو على ضربين

الضرب الأول - ما ليس بمستقيم في الذكر ولا مستكره في السمع . وذلك  
كتسميتهم الإنسان إذا كان ديمت الأخلاق، حسن الصورة أو اللباس أو ما هذا  
سبيله ظريفاً، والظرف في أصل اللغة : غنص بئطق اللسان فقط، كما أن الصبابة  
مختصة بالوجه، والوضاءة غنصة بالبشرة، والجمال غنص بالأنف، والحلاوة  
مختصة بالعينين، والملاحة : مختصة بالفم، والرشاقة : مختصة بالقدر، واللباقة :  
مختصة بالشمال؛ فالظرف إنما يتعلق بالنطق فغيره العامة عن بابه ونقلته إلى أعم  
من موضوعه كما تقدم؛ ومن وقع له النحول عن ذلك فليط فيه أبو نؤاس في قوله :

اخْتَصَمَ الْجُودُ وَالْجَمَالُ \* فَيَكُ فَصَارًا إِلَى جِدَالٍ

فقال هذا يمينه لى \* للعرف والبذل والنوال

وقال هذا وجهه لى \* للظرف والجسن والكمال

فاfterاً فيك عن ترأض \* كلاهما صادق المقال

فوصف الوجه بالظرف، وهو من صفات النطق كما تقدم؛ وكذلك أبو تمام

في قوله :

لَكَ هَضْبَةُ الْحِمِّ الَّتِي لَوْ وازَتْ \* أَجَاً إِنَّا تَمَلَّتْ وَكَانَ خَفِيفَا

وحلاوة الشِّمِّ الَّتِي لَوْ مَا زَجَتْ \* حُنَّاقُ الزَّيْمَانِ التَّمَمَ عَادَ ظَرِيفَا

فوصف الشِّمَّ بالحلاوة وهى مختصة بالعينين، ووصف الحُنَّاقُ بالظرف وهو

غنص بالنطق كما تقدم بيانه .

الضرب الثاني - ما يُستقبح ذكره كما في لفظ الصُّرم بالصاد المضمومة والصُّرم بالسين؛ فإن الصُّرم بالصاد في أصل اللغة عبارة عن القطع، يقال : صرمه يَصْرِمُهُ صَرْمًا وصَرْمًا بالفتح والضم إذا قطعه، وبالسين عبارة عن المحل المخصوص، وقد كانت العرب تستعمله بالصاد المضمومة في أشعارها بهذا المعنى فلا يعاب عليها؛ قال أبو حنيفة الهذلي :

قد كان صُرمٌ في الممات لنا \* فجعلت قبل الموتِ بالصُرم

فاستعمله بمعنى القطع ولم يُعب عليه لأن الألفاظ في زمن العرب لم تتغير بل كانت باقية على أوضاعها الأصلية، فقلبت العامة السين من المحل المخصوص صادا واستعملت لفظ الصُّرم الذي هو القطع في المحل المخصوص، فصار لفظه مستقبحا وسماعه مستكراها، وعيب على أبي الطيب استعماله في قوله :

أذاق القَواري حُسْنَهُ ما أَذْقَنِي \* وَعَفَّ بِغَازَاهُنَّ عَنِّي بالصُّرم

على أنه إنما يكره استعماله بصيغة الأسم لما تقدم، أما إذا استعمل بصيغة الفعل مثل صَرَمَ ويَصْرِمُ وما شاكل ذلك، فإنه لا تجر في استعماله، وقد استعمله ابن الرومي بالسين على بابيه بفاء أفح وأشنع، فقال بهجو الورد :

كَأَنَّهُ سُرْمٌ يَغْسِلُ حِينَ يُخْرِجُهُ \* عِنْدَ الْبَرَازِ وَبَاقِي الرُّوثِ فِي وَسْطِهِ

قال الصلاح الصفدي : وأبن هذا التشبيه القبيح من قول الآخر في الورد أيضا :

كَأَنَّهُ وَجَنَةٌ الْحَبِيبِ وَقَدْ \* تَقَطَّطَ عَائِسُ بَدِينَارِ

قال : فانظر إلى هذا، وجنة، وحيب، ودينار، وإلى ذلك، سُرْمٌ، وبغل، وروث . وشتان ما بينهما .



### الصفة الثالثة

من صفات اللفظ المفرد الفصيح ألا يكون متنايف الحروف ، فإن كانت حروفه متنايفة بحيث يثقل على اللسان ويسر النطق به فليس بفصيح وذلك نحو لفظ **المُعْجَم** في قول بعض العرب عن ناقة : **تَرَكْتَهَا تَرعى المُنْعَم** بانحاء المعجمة والعين المهملة ، وهو نبت أسود ، وكذلك لفظ **مُسْتَشِيرَات** من قول امرئ القيس في قصيدته الالابية التي من جملة القصائد السبع الطوال : **غَدَاثُهُ مُسْتَشِيرَاتٌ إِلَى الْعَلَا • تَفْضُلُ الْمَدَارِي فِي مَتْنٍ وَمُرْسَلٍ** فلفظ **مُسْتَشِيرَات** من المتنايف الذي يثقل على اللسان ، ويسر النطق به .

قال الوزير ضياء الدين بن الأثير رحمه الله في "المثل السائر" : ولقد رآني بمص الناس وأنا أعيب على امرئ القيس هذا اللفظ فأكبر ذلك لوقوفه مع شبهة التقليد في أن امرأ القيس أشعر الشعراء ، فعجبت من ارتباطه بمثل هذه الشبهة الضعيفة ، وقلت له : لا يمنع إحسان امرئ القيس من استقباح ماله من القبيح ، بل مثال ذلك كمثل غزال المسك فإنه يخرج منه المسك والبعر ، ولا يمنع طيب ما يخرج من مسكه من خبث ما يخرج من بعره ، ولا تكون لذائذ ذلك الطيب حامية لخبث من الاستكراه ، فأسيكت الرجل عند ذلك .

إذا علمت ذلك ، فإن معظم اللغة العربية دائرة على ذلك ، لأن الواضع قسمها في وضعه إلى ثلاثة أقسام : ثلاثياً ، ورباعياً ، وخماسياً ، فالثلاثي من الألفاظ هو الأكثر ، ولا يوجد فيه ما يكره استعماله إلا النادر ، والخماسي هو الأقل ، ولا يوجد فيه ما يستعمل إلا الشاذ النادر ، والرباعي وسط بين الثلاثي والخماسي في الكثرة عدداً واستعمالاً ، فيكون أكثر اللغة مستعملاً غير مكروه . قال : ولا تقتضي حكمة هذه

اللغة التي هي سيّدة اللغات إلا ذلك ؛ ولذلك أسقط الواضع منها حروفا كثيرة في تأليف بعضها مع بعض استقلالا واستكراها ، فلم يؤلف بين حروف الحلق كالهاء والعين ، وكذلك لم يؤلف بين الجيم والقاف ، ولا بين اللام والراء ، ولا بين الزاي والسين ، وذلك دليل على عنايته بتأليف المتباعد الخارج دون المتقارب ؛ وكيف كان الواضع يُحِلُّ بمثل هذا الأصل الكليّ في تحسين اللغة وقد اعتنى بأمر جرئية دون ذلك ! كما نلتس بين حركات الفعل في الوجود وبين حركات المصدر في التطبيق كالقَلْبَانِ ، وَالضَّرْبَانِ ، وَالْفَرَّانِ ، وَالتَّوَدَّانِ ؛ وغير ذلك مما يحسب هذا المجرى ، فإن جميع حروفه متحركات ليس فيها حرف ساكن ، وهي مماثلة لحركات الفعل في الوجود .

ومن نظر في حكمة وضع هذه اللغة إلى هذه الدقائق التي هي كالأطراف والحواشي فكيف كان يحلُّ بالأصل المعول عليه في تأليف الحروف بعضها إلى بعض ! . على أنه لو أراد الناظم أو الناثر أن يعتبر بخارج الحروف عند استعمال الألفاظ ، أي متباعدة أو متقاربة ؟ لطلال الخطب في ذلك وصغر ، ولما كان الشاعر ينظم قصيدا ، ولا الكاتب ينشئ كتابا إلا في مدّة طويلة ، والأمر بخلاف ذلك ، فإن حاسة السمع هي الحاكمة في هذا المقام في تحسين لفظ وتقييح آخر ؛ . على أنه قد يحسب من المتقارب الخارج ما هو حسن رائق ؛ ألا ترى أن الحروف الشجرية ، وهي الجيم والشين والياء متقاربة الخارج لأنها تخرج من وسط اللسان بينه وبين الحنك ، وإذا ترتب منها لفظ جاء حسنا راقعا ، فإن لفظة جَيْش قد اجتمع فيها الحروف الشجرية الثلاثة ، وهي مع تقارب مخارجها حسنة راقعة ؛ وكذلك الحروف الشفهية وهي الباء والميم والفاء متقاربة المخارج ، فإن تخرج جميعها من الشفة ؛ وإذا ترتب منها لفظ جاء سيّسا غير متنافر ، كقولك أكلت بضمي ، وهو في غاية الحسن ، والحروف الثلاثة

الشفية مع تقارب مخارجها مجتمعة فيها، وقد يحىء من المتباعد الخارج ما هو قريب متنافر، كقولك : مَلَعَ بمعنى عدا، فإن الميم من الشفة ، والعين من حروف الحلق واللام من وسط اللسان، فهذه الحروف كلها متباعدة من بعضها ومع ذلك فإنها كريمة الاستعمال، ينبؤ عنها الذوق السليم، ولو كان التباعد سببا للمحسن لما كان سببا للقيح؛ على أنه لو عكست حروف هذه اللفظة صارت عِلِم وعاد القبح منها حسنا؛ مع أنه لم يتغير شيء من مخارجها، على أن اللام لم تزل فيها وسطا والميم والعين يكتشفانها من جانبيها، ولو كانت مخارج الحروف معتبرة في الحسن والقبح لما تغيرت هذه اللفظة بتقديم بعض الحروف وتأخير بعض، وليس ذلك لأن إدخال الحروف من الشفة إلى الحلق في مَلَعَ أصغر من إخراجها من الحلق إلى الشفة في عِلِم، فإن لفظه يَلَعَ فيها الباء وهي من حروف الشفة واللام وهي من وسط اللسان والعين وهي من حروف الحلق وهي صير مكروهة .

قال في «المثل السائر» : وربما أعترض بعض الجهال بأن الاستئصال في لفظ مستشزرات إنما هو لطولها وليس كذلك، فإنالو حذفنا منها الألف واثاء وقلنا مستشزرو لكان قبلا أيضا، لأن الشين قبلها ثاء وبعدها زاي، فَحَقْلُ النطق بها؛ نعم لو أبدلنا من الزاي راءً ومن الراء فاءً قلنا مُسْتَشْرِفٌ زال ذلك؛ ومن ثمَّ ظهر لك أن اعتبار ابن سنان تركيب الكلمة من أقل الأوزان تركيبا غير معتبر، وقد ورد في القرآن العظيم الفاظ بطوال لا شك في حسنها وفصاحتها كقوله تعالى : ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ وقوله تعالى : ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ فإن لفظ فسيفكفيهم مركب من تسعة أحرف، ولفظ ليستخلفنهم مركب من عشرة أحرف، ولفظ مستشزرات مركب من ثمانية أحرف . قال : والأصل في هذا الباب أن الأصول لا تحسن إلا في الثلاث وفي بعض الأربع، كقولك عَذْبٌ وَصَبْدٌ، فالأولى ثلثية،

والثانية رُبَاعِيَّةٌ ؛ أما التَّمَاثِيَّةُ من الأصول فإنه قبيح ، كقولك : صَهْصَلَيْقُ وَجَحْمَرَيْشُ ، وما جرى مجراهما ؛ ولهذا لا يوجد في القرآن الكريم من التَّمَاثِيَّةِ الأصول شيء إلا ما كان من اسم نبيٍّ عَرَبٍ اسمه ، ولم يكن في الأصل عَرَبِيًّا كإبراهيم وإسماعيل ونحوهما .

### الصفة الرابعة

من صفات اللفظ المفرد الفصيح ألا يكون على خلاف القانون المستنبط

من تتبع مفردات ألفاظ اللغة العربية وما هو في حكمها

كوجوب الإعلال في نحو قام والإدغام في نحو مدّ ، وغير ذلك مما يشتمل عليه علم التصريف ، فإنه لو فَكَّ الإدغام في مدّ فقال مدّ لم يكن فصيحاً ، وعلى حدّ ذلك جاء قول بعض العرب .

• الحمد لله العليّ الأجلّ •

فإن قياس بابه الإدغام فيقال الأجلّ .

قال الشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح التلخيص : وأما نحو أي يأي وعور وأستحوذ وقطط شعره وما أشبه ذلك من الشواذ الثابتة فليست من المخالفة في شيء لأنها كذلك ثبتت عن الواضع ، فهي في حكم المستثناة .

فهذه الصفات الأربع هي عمود الفصاحة في اللفظ المفرد ، وقطب دائرة حسنه ، فحق أن تصف بها وسلم من أضدادها كان بالفصاحة مَنَسِيًّا ، وبالحسن والرواق مشتملاً ؛ وللطبع ملائمة ، وللسمع موافقاً ، ومتى حَرَى عن ذلك نرجع عن طرائق الفصاحة ، وحاد عن سبيل الحسن ، ومال إلى المُنْجَنَةِ ، فَمَجَّه السمع ، وَقَلَّاه الطبع ، ورفضه النفوس ، وفُتِرَتْ منه القلوب ؛ فلزم العيبُ قائلاًه ، وتوجه العتبُ على مستعمله .

قال ابن الأثير رحمه الله : وقد رأيت جماعة من الجهال إذا قيل لأحدهم : إن هذه اللفظة حسنة وهذه قبيحة أنكروا ذلك وقال : بل كل الألفاظ حسن ، والواضع لم يضع إلا حسنا . قال : ومن يبلغ جهله إلى غاية لا يفرق بين لفظة الغصن ولفظة العُسلوج ، وبين لفظ المدامة ولفظ الإسْفِيط ، وبين لفظ السيف ولفظة الخنْشَلِيل ، وبين لفظ الأسد ولفظة القُدوكيس ، فلا ينبغي أن يُخاطَبَ بِمُطَاب ، ولا يُجابَ بِجواب ، بل يترك شأنه كما قيل : «أتركوا الجاهل بجهله ، ولو ألقى الجحر في رحله» .

وما مثاله في ذلك إلا كن يسوى بين صورة زنجية سوداء مظلمة السواد ، شواه الخلق ، ذات عين حمرة ، وشفة غليظة ، وشعر قَطَط وبين صورة رُومِيَّة بيضاء ، مُشرَبة بجمرة ، ذات خَدَّ آسِيل ، وطَرْف كحيل ، ومِسَم كأنما يُظَم من أَقَاح ، وطَوَّة كأنها ليل على صَبَاح . فإذا كان بإنسان من سُمَّ النظر أن يسوى بين هذه الصورة وهذه ، فلا يبعد أن يكون به من سُمَّ الفكر أن يسوى بين هذه الألفاظ وهذه ، ولا فرق بين السمع والنظر في ذلك ، فإن هذه حاسة وهذه حاسة ، وقياس حاسة على حاسة غير مُمنع ، ولا عبرة بمن يستحسن الألفاظ القبيحة ، ويميل إلى الصورة الشديدة ، فإن الحكم على الكثير الغالب ، دون الشاذ النادر الخارج عن الاعتدال ، فانا لو رأينا من يُحبُّ أكل القَعَم والحَصَّ والتراب ، ويختار ذلك على ملأ الأُطعمة فانا لاستعجد هذه الشهوة بل نحكم عليه بالمرض وفساد المِعدة ، وأنه يحتاج إلى العلاج والمُداواة ، ومن له أدنى بصيرة يعلم أن الالفاظ في الأذن نعمة لذيذة كنعمة الأوتار ، وصوتا مُنكرًا كصوت الحمار ، وأن لها في الفم حلاوة كحلاوة العسل ، وحرارة كحرارة الحنظل . ولا حجة لاستعمال العرب لهذه الألفاظ ، فإن أمتحسان الالفاظ وأستبقاها لا يؤخذ بالتقليد من العرب ، لأنه ليس للتقليد فيه مجال . وإنما له خصائص وهيئات وعلامات إذا وُجدت طم حستة من قبعة وإاقه أعلم .

### الأصل الثالث

من صناعة إنشاء الكلام، تركيب الكلام، وترتيب الالفاظ  
والنظرفيه من وجوه

#### الوجه الأول

في بيان فضل المعرفة بذلك، ومسيس حاجة الكاتب إلى معرفته، والإشارة  
إلى خفي سره وتوَعُر مسلكه

قال أبو هلال العسكري: وأجناس الكلام المنظوم ثلاثة: الرسائل، والخطب،  
والشعر؛ جميعها يحتاج إلى حُسْن التاليف، وجَوْدَةِ التركيب؛ وحسُن التاليف يزيد  
المعنى وضوحاً وشرحاً، ومع سُوء التاليف ورداءة الرصف والتركيب شُعْبَةٌ من  
التعمية؛ فإذا كان المعنى سيئاً، ورصف الكلام رديئاً، لم يوجد له قبول، ولم تظهر  
عليه طَلَاوَةٌ. فإذا كان المعنى وسطاً ورَّصف الكلام جيداً، كان أحسن مَوْقِعاً  
وأطيب مُسْتَمَعّاً، فهو بمنزلة العقد إذا جُمِلَ كل خِرْزَةِ منه إلى ما يليق بها كان  
رائعاً في المراءى، وإن لم يكن مرتفعاً نبيلاً؛ وإن آخَلَ نظمهُ قُصِّمَتِ الحِبة منه  
إلى ما لا يليق بها اقتبحمته العين وإن كان فاتحاً ثميناً؛ وحسُن الرِّصْف أن تَوْضَعَ  
الألفاظ في مواضعها، وتمكَّن من أمانتها، ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير والحذف  
والزيادة إلا حذفاً لا يُفْسِدُ الكلام، ولا يُعَيِّمُ المعنى؛ وتُضَمُّ كل لفظة منها إلى شكلها  
وتُضاف إلى وقفيها؛ وسوء الرِّصْف تقديم ما ينبغي تأخيره منها، وصرفها عن وجوها،  
وتغيير صيغتها، وبخالفه الاستعمال في نظمها.

وقد قال المتأني: الألفاظ أجساد والمعاني أرواح، وإنما تراها بعيون القلوب،  
فاذا قَدِمَتْ منها مؤخرًا وأُخِرَتْ منها مقدِّمًا أفسدت الصورة وغيَّرت المعنى، كما أنه

لو حُوِّلَ رَأْسُ إِلَى مَوْضِعِ يَدِ أُوَيْدَ إِلَى مَوْضِعِ زَأْسِ أَوْ رَجُلٍ لَحَوَّلَتْ الْخَلْقَةُ ،  
وَتَغَيَّرَتْ الْحِلَّةُ .

قال في "الصناعتين" : وقد أحسن في هذا التمثيل .

قال الوزير ضياء الدين بن الأثير رحمه الله في "المثل السائر" : وهذا الموضع يصل  
في سلوك طريقه العلماء بصناعة صوغ الكلام من النظم والثر ، فكيف الجهال الذين  
لم تتفتحهم منه راحة ! ومن الذي يؤتبه الله فطيرة ناصعة يكاد زيتها يضيء ، ولوم  
تمسسه نار ، حتى ينظر إلى أسرار ما يستعمله من الألفاظ فيضعها في مواضعها ؟  
وذلك أن تفاوت التفاضل لم يقع في تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها ،  
إذ التركيب أعسر وأشق ، ألا ترى أن ألفاظ القرآن الكريم من حيث أفرادها قد  
استعملتها العرب ومن بعدهم ، وهي مع ذلك تتفرق جميع كلامهم وتعلو عليه ، وليس  
ذلك إلا لتفضيلة التركيب . وأنظر إلى قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ  
وَيَسَّاءِ أَفْلَحِي وَيَغِيضِ الْمَاءَ وَنَقِصِ الْأَمْزِ وَأَنْتَ كَرِيمٌ ﴾ . وقيل بهذا للقوم  
الظالمين ﴿ وما أشتمت عليه هذه الآية من الحسن والطلاوة والرواق والمسانية التي  
لا يهدر البشر على الإتيان بمثها ، ولا يستطيع أفصح الناس وأبلغ العالم مضاهاتها ، على  
أن ألفاظها المفردة كثيرة الاستعمال دائرة على الأكسنة ، فقوة التركيب وحسن السبك  
هو الذي ظهر فيه الإعجاز وألحمت فيه البلاغة من حيث لاقت اللفظة الأولى بالثانية  
والثالثة والرابعة ، وكذلك سائر الألفاظ إلى آخر الآية . ويشهد لذلك أنك لو أخذت  
لفظة منها من مكانها وأفردتها عن أخواتها لم تكن لا بسة من الحسن والرواق مالم يسته  
في موضعها من الآية ، ولكل كلمة مع صاحبيتها مقام

قال ابن الأثير : ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد ،

ككلاهما في الاستعمال على وزن واحد وعدة واحدة ، إلا أنه لا يحسن استعمال هذه

في كل موضع تستعمل فيه هذه، بل يُفَرَّق بينهما في مواضع السُّبُك، وهذا مما لا يدركه إلا من دَقَّ فهمه، وجَلَّ نظره . وإذا نظرت إلى قوله تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ رأيت ذلك حيَّاناً، فإن الجوف والبطن بمعنى واحد، وقد أَسْتَعْمِلَ الجوف في الآية الأولى والبطن في الآية الثانية ولم يُسْتَعْمِلْ أحدهما مكان الآخر، وكذلك قوله تعالى : ﴿ مَا كَتَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ وقوله : ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ بَيِّنَةٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلَبَنِي السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ فالقلب والفؤاد سواء في الدلالة وإن كانا مختلفين في الوزن، ولم يستعمل أحدهما موضع الآخر .

وعما يجرى هذا المجرى قول الأعرج من أبيات الحماسة :

تَحْنُ بَنُو الْمَوْتِ إِذَا الْمَوْتُ تَزَلَّ • لَا عَارَ بِالْمَوْتِ إِذَا حُمُ الْأَجَلِ

• الموت أحلَّ عندنا من السَّلِّ •

وقول أبي الطيب المُتَنَبِّي :

إِذَا شِئْتُ حَقَّقْتُ بِى عَلَى كُلِّ سَائِجٍ • رِجَالُ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا شَهْدُ

فلفظة الشَّهْد ولفظة المسل كلاهما حَسَنٌ مستعمل، وقد جاءت لفظة الشَّهْد في بيت أبي العليِّ أحسن من لفظة المسل في بيت الأعرج، على أن لفظة المسل قد وردت في القرآن دون لفظة الشَّهْد بجاءات أحلَّ من الشَّهْد في موضعها، وكثيراً ما نجد أمثال ذلك في أقوال الشعراء المُفْلِقِينَ وُبلَّغَاءِ الحُكَّابِ ومصانع الخطباء، وتحتها دقائق ورموز، إذا عُلِمَتْ وقيَّسَ عليها كان صاحب الكلام قد انتهى في النظم والنثر إلى الغاية القصوى في وضع الألفاظ في مواضعها اللائقة بها .

قال : وأعجب من ذلك أنك ترى اللفظة الواحدة تُرَوِّقُ في كلام، ثم تراها في كلام آخر فتكرهها، وقد جاءت لفظة في آي القرآن الكريم بجملة رائعة، ثم جاءت



تملك اللفظة بعينها في كلام آخر بلفظ تركيبة ثانية من الذوق ، بعيدة من الاستحسان ؛  
فمن ذلك لفظة يؤذى فإنها وردت في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ دَلِيكَم كَانِ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَجِيبُ  
مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ مِنَ الْحَقِّ ﴾ بلفظ في غاية الحسن ونهاية الطلاوة ، ووردت  
في قول أبي الطيب :

تَلَدَّ لَهُ الْمَرْوَةُ وَهِيَ تُؤْذِي \* وَمَنْ يَشْقَى يَلَدَّ لَهُ الْغَرَامُ

بلفظ رثمة مستهجنة ، وإن كان البيت من أبيات المحاسن الشريفة ، وذلك  
لقوة تركيبها في الآية وضعف تركيبها في البيت الشعر ؛ والسبب في ذلك أن لفظة  
تؤذى إنما تحسن في الكلام إذا كانت مندرجة مع ما يأتي بعدها متعلقة به كما في الآية  
الكريمة حيث قال : ﴿ إِنَّ دَلِيكَم كَانِ يُؤْذِي النَّبِيَّ ﴾ وفي بيت المتلبي جاءت مقطعة  
ليس بعدها شيء تتعلق به حيث قال :

\* تَلَدَّ لَهُ الْمَرْوَةُ وَهِيَ تُؤْذِي \*

ثم استأنف كلاما آخر فقال :

\* وَمَنْ يَشْقَى يَلَدَّ لَهُ الْغَرَامُ \*

وقد جاءت هذه اللفظة بعينها في الحديث النبوي مضافة إلى كاف خطاب ،  
فأخذت من المحاسن بزمامها ، وأحاطت من الطلاوة بأطرافها ؛ وذلك أنه لما  
أشكى النبي صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل فقرأه فقال : « بِسْمِ اللَّهِ أَرْيَاكَ مِنْ كُلِّ  
دَاهٍ يُؤْذِيكَ » فصارت إلى الحسن بزيادة حرف واحد ، وهذا من السر الخفي الذي  
يبدى فهمه . وعلى نسيج لفظة يؤذى يراد لفظة لى ، فإنها لا تحسن إلا أن تكون متعلقة  
بما بعدها ، ولذلك لحقها هاء السكت في قوله تعالى : ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْيَ مَالِي هَٰذَا عَنْيَ  
سُلَاطَانِيَّةٍ ﴾ لما لم يكن بعدها ما يتعلق به ، بخلاف قوله : ﴿ إِنَّ هَٰذَا أَمْرٌ لَّهُ تِسْعٌ  
وَتِسْعُونَ نَجْةً وَلِي تَنْجُو وَاحِدَةً ﴾ فإنه لم تلحقها هاء السكت اكتفاء بما هي متعلقة به .

ومما يجرى مثل هذا المجرى لفظة الثَّمَلُ، فإنها قد وردت في قوله تعالى :  
 ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَاللَّمَ﴾ بغوات في غاية الحسن،  
 ووردت في قول الفرزدق :

مِنْ عِزِّهِ أَجْتَحَرَتْ كُتَيْبٌ عِنْدَهُ • زَرْبًا كَكَائِنُهُمْ لَدَيْهِ الثَّمَلُ

بغوات منحة فائقة ، وذلك لأنها قد جاءت في الآية مندرجة في ضمن كلام  
 لم ينقطع الكلام عندها، وجاءت في البيت قافيةً أنقطع الكلام عندها .

هذا ملخص ما ذكره ابن الأثير، وقال : إنه لم يُسبق إليه ، وبجمل الحاكم  
 فيه الذوق السليم دون غيره : وعلى الجملة فلا نزاع في أن تركيب الألفاظ يُعطي الكلام  
 من القوة والضعف ما تريد به قيمة الألفاظ الفصيحة، ويرتفع به قدرها، أو يَحُطُّ  
 مقدارها من درجة الفصاحة والحسن إلى رتبة القبح والاستهجان .

## الوجه الثاني

في بيان ما يبنى عليه "تركيب الكلام" وترتيبه . وله ركنان  
 الركن الأول — أن يُسلك في تركيبه مسيل الفصاحة والخروج عن أَلَكْنِيَّةِ  
 والمُجَنَّةِ .

والفصاحة في المركب بأن يتصف بعد فصاحة مفرداته بصفات .

## الصفة الأولى

أن يكون سليما من ضَعِيفِ التَّأْلِيفِ

بأن يكون تأليف أجزائه الكلام على القانون النحويّ المشتهر فيما بين معظم  
 أصحابه حتى لا يمتنع عند الجمهور، وذلك كالإحصاء قبل الذكر لفظاً أو معنى، نحو

ضرب غلامه زيدا، فإنه غير فصيح وإن كان ما اتصل بالفاعل فيه ضمير المفعول به  
مما أجازته الأخفش، وتبعه ابن جني لثلاثة اقتضاء الفعل للمفعول به كالفعل،  
وأستشهد بقوله :

لما عصى أمصاه مُصْعَبًا • أدى إليه الكيل صاعًا وصاع

وقوله :

جزى بنوه أبا النبلان عن كبير • وحسن فعلًا كما يحزى سينار

وقوله :

ألا ليت يشعري، هل يلون قومه • زهبا على ما جر من كل جانب

## الصفة الثانية

أن يكون سليا من التمجيد

وهو ألا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى الذي يراد منه ، وهو على

ضربين :

الضرب الأول - وهو الذي يسميه ابن الأثير : المصاطلة المعنوية - ألا  
يكون ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعاني بسبب هدم أو تأخير، أو حذف،  
أو إضمار، أو غير ذلك مما يوجب صعوبة فهم المراد، وإن كان ثابتا في الكلام،  
جاءوا على القوانين، كقول الفرزدق في مدح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل الخزومي،  
خالد هشام بن عبد الملك :

وما مثله في الناس إلا مُملِكًا • أبو أمه حتى أبوه يُقاربه

أي وما مثل هذا الممدوح في الناس حتى يقاربه ويُسبَّه في الفضائل إلا مُملِكًا،  
أبو أم ذاك المملِك أبو الممدوح، فيكون الممدوح خال المملِك، والمجئى أنه لا يماثل

أحد هذا الممدوح الذي هو إبراهيم بن هشام إلا ابن أخته هشام ، أفسده وعقده معناه ، وأخرجه عن حد الفصاحة إلى حد الألفاظ ، وكذلك قوله في الوليد بن عبد الملك :

إلى ملك ما أمه من محارب \* أبوه، ولا كانت كليب نصايره

يريد إلى ملك ما أم أبيه من محارب، وقوله :

تعال فإنا عاهدتني لأخونني \* نكن مثل من يذنب يصطعجان

يريد نكن يا ذنب مثل من يصطعجان، وقوله :

ولست نراسان إلى كان خالد \* بها أسد، إذ كان سيفاً أميرها

يريد أن خالد بن عبد الله كان قد ولي نراسان ووليا أسد بعده ، فمدح خالدًا بأنه كان سيفاً ، بعد أن كان أسد أميرها ، فكأنه يقول وليست نراسان بالبلدة التي كان خالد بها سيفاً إذ كان أسد أميرها .

قال ابن الأثير : وعلى هذا التقدير في كان الثانية ضمير الشأن والحديث ، والجملة بعدها خبر عنها ، وقد قدم بعض ما إذ مضافة إليه وهو أسد عليها ، وفي تقديم المضاف إليه أو شيء منه على المضاف من القبح ما لا يخفاء به . قال : وأيضا فإن أسدا أحد جزأى الجملة المنقصة للضمير ، والضمير لا يكون تفسيره إلا من بعده ، ولو تقدم تفسيره قبله لما احتاج إلى تفسير ، وكذا سماء الكوفيين الضمير المجهول ، وعلى نحو ذلك ورد قول الآخر :

فأصبحت بعد خط بهجتها \* كأن قفرا رؤسومها قلبا

يريد فأصبحت بعد بهجتها قفرا كأن قلبا خط رؤسومها ، فقدم خبر كان وهو خط عليها فجاء مختلفا مضطربا .

قال في "المثل السائر" : وهذا البيت من أقبح هذا النوع لأن معانيه قد تداخلت ، وركب بعضها بعضا ، على أن ذلك قد وقع لجمع من لحول شعراء العرب ، كقول امرئ القيس :

هُمَا أَخَوَا فِي الْحَرْبِ مِنْ لَا أَخَاهُ • إِذَا خَافَ يَوْمَا نَبْؤَةٍ قَدَعَاهُمَا

يريد أخوا من لا أخوى له في الحرب ، وقول النابغة :

يُرَيْنَ السُّرَى حَتَّى يُبَايِشَنَّ بَرْدَهُ • إِذَا الشَّمْسُ بَجَتْ رِيقَهَا بِالْكَلَالِ كُلِّ

قال أبو هلال العسكري : وهذا البيت مستهجن جدا لأن المعنى تفتى فيه ، يريد يُرَيْنَ الترى حتى يبائشرن برده بالكلال كل إذا الشمس بجت ريقها ، وقول أبي حية الثميري :

تَكَامُ خُطَّ الْكَأَبِ بِكَفِّ ، يَوْمَا • يَهُودِيٌّ يُقَارِبُ أَوْ يُزِيلُ

يريد كما خط الكأب بكف يهودي يوما يقارب أو يزيل ، وقول ذى الرمة :

نَضًا الْبَرْدَ عَنْهُ وَهُومِنْ ، ذُو • جُنُونِهِ • أَجَارِيٍّ ، صَهْلٌ وَصَوْتُ مَبْرَسَمٍ

يريد وهو من جنونه ذو أجاري ، قال في "الصناعتين" : كأنه تخليط كلام مجنون أو مبرسَم ، وقول الشماخ :

تَقْتَامِصُ عَنْ بَرْدِ الْوِشَاحِ إِذَا مَشَتْ • تَقْتَامِصُ حَافِي الْخَيْلِ فِي الْأَمْرِ الْوَجِي

يريد تَقْتَامِصُ حافي الخيل في الوجي ، الأمر .

قال أبو هلال العسكري : وليس للحدث أن يجعل هذه الأبيات حجة وينفى عليها فإنه لا يُعَدُّ في شيء منها ، لإجماع الناس اليوم على محاباة أمثالها وأستجادة ما يوضح من الكلام ويستبين ، وأستزال ما يُسَكِّلُ منه ويستبهم ، وقد كان عمر رضي الله عنه يمدح زهيراً بأنه لم يكن يعاقل بين الكلام .

قال في "المثل السائر" : والفرزدق أكبر الشعراء تماظلا وتعقيدا في شعره، كأنه كان يقصد ذلك ويتممده، لأن مثله لا يحمى إلا متكلفا مقصودا، وإلا فإذا ترك مؤلف الكلام نفسه نفسه تجري على تبييتها وطبعها في الاسترسال لم يعرض له شيء من هذا التعقيد، بدليل أن المقصود من الكلام معدوم في هذا النوع، إذ المقصود من الكلام إنما هو الإيضاح والإبانة وإفهام المعنى، فإذا ذهب هذا الوصف المقصود من الكلام ذهب المراد به، ولا فرق عند ذلك بينه وبين غيره من اللغات كالفارسية والرومية وغيرهما .

الضرب الثاني من التعقيد — ألا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد بخلاف في انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم بحسب اللغة إلى الثاني المقصود، لإيراد اللوازم البعيدة المفتقرة إلى الوسائط الكثيرة، مع خفاء القرائن الدالة على المقصود، كقول العباس بن الأحنف :

سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ تَقْرِبُوا • وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدَّمْعَ تَجْمَعَا

يريد إلى أطلب بعد الدار عنكم تقربوا مني، وتسكب عيناي الدمع لتجمعا وتكف الدمع بمصول التلاق؛ والمعنى أتى طبت قسا بالبعد والفرق، ووطئت نفسي على مقاساة الأرباب والأشواق؛ وأتجرع الغصص، واحتمل لأجلها حزنا يفيض الدموع من هبتي، لا تسبب بذلك إلى وصل يدوم، وسررة لا تزول؛ فتجمد معنى وبقا دمي، فإن الصبر مفتاح الفرج؛ فكنت بسكب الدموع عن الكتابة والحزن، وهو ظاهر المعنى لأنه كثيرا ما يحصل دليلا عليه، يقال : أبكاني الدهر وأضحكني بمعنى ساءني وسرني؛ وكنت بجود العين مما يوجب دوام التلاق من الفرج والسرور؛ فإن المتبادر إلى الذهن من جمود العين بجلها بالدمع عند إرادة البكاء حال الحزن، بخلاف ما قصده الشاعر من التعبير به عن الفرج والسرور، وإن كانت

حالة جمود اللمع مشتركة بين يحمل العين بالدمع عند إرادة البكاء، وبين زمن السرور الذي لم يطلب فيه بكاء، وكذلك يجرى القول في كل لفظ مشترك ينقل الذهن فيه من أحد المعنيين إلى الآخر إذا لم يكن هناك قرينة تصرفه إلى أحدهما، كما صرح به الرماني وغيره، خصوصاً إذا كان أحد المعنيين الذي يدل عليه اللفظ المشترك مستقبلاً كما نبه عليه ابن الأثير في الكلام على فصاحة اللفظ المفرد؛ ألا ترى أن لفظة التمزير مشتركة بين التعظيم والإكرام، وبين الإهانة بسبب الخيانة التي لا توجب الحد من الضرب وغيره، والمعنيان ضدان بحيث وردت معها قرينة صرفتها إلى معنى التعظيم جاءت حسنة راقية، وكانت في أعلى درجات الفصاحة؛ وعلى نحو ذلك ورد قوله تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ وقوله: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾ الآية، فإنه لما ورد معها قرينة التوقير في الآية الأولى وقرينة الإيمان والنصر في الآية الثانية زال اللبس وحسن الموقع، ولو وردت مهملات بغير قرينة بإرادة المعنى الحسن لسبق الفهم إلى المعنى القبيح، كما لو قلت عزز القاضى فلاناً وأنت تريد أنه عظمه، فإنه لا يتبادر من ذلك إلى الفهم إلا أنه أهانته، وعلى هذا النهج يجرى الحكم في الحسن والقبح مع القرينة وعدمها.

قال ابن الأثير رحمه الله: فما ورد مع القرينة بقاء حسناً قول تأبط شراً:

أقول للحيان، وقد صيرت لهم \* وطأى ويوى صبيح الجحر معيود

فإنه أضاف الجحر إلى اليوم فأزال عنه هيئة الاستباه لأن الجحر يطلق على كل ثقب<sup>(١)</sup>

بتحضر الحية واليربوع ونحوهما، وعلى المحل المخصوص من الحيوان، فإذا ورد مهملات

بغير قرينة تخصصه سبق إلى الفهم المعنى القبيح لاشتهاره دون غيره. ومما ورد

مهملات بغير قرينة بقاء قبيحاً قول أبي تمام:

أَعْطَيْتِي دِيَةَ الْقَتِيلِ وَلَيْسَ لِي ۝ عَقْلٌ وَلَا حَقٌّ عَلَيْكَ قَدِيمٌ  
 فإن المتبادر إلى الأذهان من قوله وليس لي عقل أنه من العقل الذي هو صفة  
 الجنون ولو قال وليس لي عليك عقل لزال اللبس ۝ قال : فيجب لنا على صاحب  
 هذه الصناعة أن يراعى في كلامه مثل هذا الموضع ۝

### الصفة الثالثة

أن يكون الكلام سليماً من تنافر الكلمات وإن كانت مفرداته فصيحة  
 وقد اختلف في معنى هذا التنافر على ثلاثة مذاهب :  
 المذهب الأول - أن المراد بتنافر الكلمات أن يكون في الكلام ثقل على اللسان  
 ويُسَرُّ النطق به على المتكلم ، وإليه ذهب السكاكي وغيره من علماء البيان ،  
 وهو على ضربين :

الضرب الأول - أن يكون فيه بعض ثقل ، كقول أبي تمام :  
 كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ وَالْوَرَى ۝ مَعَى ، وَإِذَا مَالَمْتُه ، لَمْتُهُ وَحَدَى  
 فقولهُ أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ فيه بعض الثقل على اللسان في النطق به ، وذلك أن الحاء  
 والماء متقاربان في المخرج ، وقد آتتهما في قوله أَمْدَحُهُ ، ثم تكررت الكلمة في البيت  
 مع تقارب مخرج الحرفين فتقلت بعض الثقل ۝  
 وأقول من نبه على ذلك الأستاذ ابن العميد رحمه الله ،

ومما يمكن في ذلك : أن الصاحب بن عباد أنشد هذا البيت بمحضرة ابن العميد ،  
 فقال له ابن العميد : هل تعرف في هذا البيت شيئاً من المهجنة ؟ فقال : نعم ،  
 مقابلة المدح باللوم وإعجاب يقابل المدح بالذم والهجاء ، فقال له ابن العميد : غير



هذا أريد، قال : لا أرى غير ذلك . فقال ابن العميد : هذا التكرير في أمده .  
أمده مع الجمع بين الحاء والهاء وهما من حروف الحلق خارج عن حد الاعتدال ،  
نافر كل التنافر، فاستحسن الصاحب بن عباد ذلك .

قال الشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح تلخيص المفتاح : ولا يجوز أن يراد أن  
الثقل في لفظة أمده دون تكرار، فإن مثل ذلك واقع في التثنية نحو قوله تعالى :  
(فَسَبِّحْهُ) والقول باشمال القوآن على كلام غير فصيح مما لا يخرى عليه المؤمن .  
الضرب الثاني — ما كان شديد الثقل بحيث يضطرب لسان المتكلم عند إرادة

النطق به، كقوله :

وَقَبْرٌ حَرْبٌ يَمْكِّنُ قَفْرٌ \* وَلَيْسَ قُرْبٌ قَبْرٌ حَرْبٌ قَبْرٌ

قال في عجائب المخلوقات : إن من الجن نوعا يقال له الهاف ، فصاح واحد  
منهم على حَرْبِ بن أُمَيَّةَ هات، فقال ذلك الجنّ هذا البيت . قال المسمودي  
في "مروج الذهب" : والدليل على أنه من شعر الجن أمران : أحدهما الرواية،  
والثاني أنه لا يقوله أحد ثلاث مرات متواليات إلا تَعَتَّ فيه .

قال ضياء الدين بن الأثير : والسبب في ثقل البيت تكرير حرفي الباء والراء فيه،  
فهذه الباءات والراءات فيه كأنها سلسلة، ولا خفاء بما في ذلك من الثقل . قال :  
وكذلك يجرى الحكم في كل ما تكرر فيه حرف أو حرفان إلا أنه لم يُطْلَقْ على ذلك اسم  
التنافر، وجعل التنافر قسما مستقلا برأسه كما سيأتي ، وعدّه هنا من أنواع المعاطلة  
اللفظية، ثم ذكر من أمثله قول الحريري في مقاماته :

وَأَزَوْرٌ مَنْ كَانَتْ لَهُ زَائِرًا \* وَعَافٌ عَافِيَ الْعُرْفُ عِرْفَانَهُ

وقول كشاجم نمر

وَالزُّهْرُ وَالْقَطَرُ فِي رُبَاها \* مَا يَنْ تَقِيهِ وَيَنْ تَرِي

حدائق، كَفَّ كُلَّ رِيحٍ • حَلَّ بِهَا خَيْطُ كُلِّ قَطْرِ

وقول الآخر:

مَلَّتْ بِطَالَ مَوْلود مُقَدَّى • مَلِيسَاحٍ مَانِعٌ مَنِّي مُرَادِي

وقول المتنبي:

كَيْفَ تَرَى الَّتِي تَرَى كُلَّ جَفْنٍ • زَاغًا غَيْرَ جَفْنَهَا غَيْرَ رَاقٍ

وعاب بيت الحريري لتكرار العين فيه في قوله:

• وَعَافَ عَافِي الْعُوفِ عِرْفَانُهُ •

وعاب البيت الثاني من بيتي كشاجم لتكرار الكاف فيه في "كَفَّ وَكُلَّ" الأولى و"كُلَّ" الثانية، وقال هذا البيت يحتاج الناطق به إلى رُكَّارٍ يضعه في شِدْقِهِ حتى يديره له؛ وعاب البيت الذي يليه لتكرار الميم فيه في أوائل الكلمات، وقال: هذه الميمات كأنها عُقْدٌ، متصلة بعضها ببعض؛ وعاب بيت المتنبي لتكرار الجيم والراء في أكثر كلماته، وقال: هذا وأمثاله إنما يعرض لقائله في نوبة الصَّرع التي تنويه في بعض الأيام. قال: وكان بعض أهل الأدب من أهل عصرنا يستعمل هذا القسم من المعاطلة كثيرا في كلامه تبرا ونظما، وذلك لعدم معرفته لسلك الطريق، كقوله في وصف رجل سخي: "أنت المَرِيحُ كِيدَ الرِّيحِ، والمَلِيحُ إن تَجَمَّهَ المَلِيحُ بالتكليم، هند سائل يَلُوح، بل تفوق إذ تَرُوقُ مَرَأَى يُوح، يا مغبوق كَأْسِ الحمد يا مَصْبُوح ضاق عن تَذَاكُ اللُّوح، وبيابك المفتوح يستريح ويُريح ذو التَّبريح، ويُرقِّع الطليح." فانظر إلى حرفي الراء والحاء كيف لزمهما في كل لفظة من هذه الألفاظ بغناء على ما تراه من الثقل والفتانة.

ثم قال: وأعلم أن العرب الذين هم الأصل في هذه اللغة قد عدَّوا عن تكرير الحروف في كثير من كلامهم، وذلك أنه إذا تكرر الحرف عندهم أدغموه استحسانا؛

فقالوا في جعل لك : جَعَلَك ، وفي تَضْرِبُونِ تَضْرِبُونِ ، وكذلك قالوا : أَسْتَعِذُّ  
فَلَان لَأَمْرٍ إِذَا تَأَهَّبَ لَهُ ، وَالْأَصْلُ فِيهِ أَسْتَعِدُّ ، وَأَسْتَبَّ الْأَمْرُ إِذَا تَهَبَّ وَالْأَصْلُ  
فِيهِ أَسْتَبَّ ، وَأَشْبَاهُ هَذَا كَثِيرٌ فِي كَلَامِهِمْ حَتَّى أَنَّهُمْ لَشَيْئَةُ كَرَاهَتِهِمْ لَتَكْرِيرِ الْحُرُوفِ  
أَبْدَلُوا الْحُرُوفِينَ الْمَكْرُورِينَ حُرُفًا أُخْرَى ، قَالُوا : أَمِلْتُ الْكَتَابَ ، وَالْأَصْلُ فِيهِ  
أَمَلْتُ ، فَأَبْدَلُوا اللَّامَ يَاءً طَلِبًا لِلخَفَةِ وَفِرَارًا مِنَ التَّغْلُطِ ، وَإِذَا كَانُوا قَدْ فَعَلُوا ذَلِكَ  
فِي الْفِظَةِ الْوَاحِدَةِ فَمَا ظَنُّكَ بِالْأَلْفَاظِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا .

قلت : ليس بتكرار الحروف مما يوجب التنافر مطلقا كما يقتضيه كلامه بل بحسب  
التركيب ، فقد تكرر الحروف وتترادف في الكلمات المتتابعة مع القطع بفصاحتها  
ويخفئها على اللسان وسهولة النطق بها أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ  
بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمُّهُمْ سَتُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ  
أَلِيمٌ ﴾ كيف اجتمع فيه ست عشرة ميمًا في آية واحدة ، قد تلاصق منها أربع ميمات  
في موضع وميمان في موضع ، مع ما أشتملت عليه من الطلاوة والروقي الذي ليس  
في قدرة البشر الإتيان بمثله ، والله أعلم .

المنهـب الثاني — أن المراد بتنافر الكلمات أن تكون أجزاء الكلام غير  
متلائمة ، ومعانيه غير متوافقة بأن يكون عجز البيت أو القرينة غير ملائم لصدره ،  
أو البيت الثاني غير مشا كل للبيت الأول ، وعليه جرى العسكري في "الصناعين"  
لما اختلفت فيه أجزاء البيت الواحد قول السموهـل :

فَفَحْنُ كِجَاهِ الْمُزْنِ مَا فِي نَصَابِنَا \* كَهَامٌ وَلَا فِينَا يُمَدُّ يَجِيسُلُ

فليس بين قوله ما في نصابنا كهام وقوله فحنن كجاء المزن مناسبة لأن المراد بالكهام  
الذي لا غناء به ولا فائدة فيه ، يقال قوم كهام أى لا غناء عندهم ، ورجل كهام

أى مُيسِّنٌ ؛ كذلك سَيَفْ كَهَامٌ أى كَلِيلٌ ، ولسان كَهَامٌ أى عَيٌّ ، وفرس كَهَامٌ أى  
 بعلٌ ، فهو يصف قومه بالثَّجْدَةِ والبأس ، وأنه ليس فيهم من لا يُفْنِي ، وماء المزن  
 إنما يَحْسُنُ فى وصف الجود والكرم . قال فى "الصناعتين" : ولو قال : ونحن  
 لَيُوثُ الحرب وأولو الصَّرامة والنجدة ، ما فى نصَابِنَا كَهَامٌ ، لكان الكلام مستوياً ،  
 أو فصيحاً كما المزن صَفَاءً أخلاق وبذل أَكُفٍّ ، لكان جيداً .

ومن ذلك قول طَرْفَة :

ولستُ بِحَلَالِ التَّلَاجِ مخافةً \* ولكن متى يَسْتَرِفِدِ القومُ أَرْفِدَ

فالمصراع الثانى من البيت غير مشاكِل لصورة المصراع الأول وإن كان المعنى  
 صحيحاً لأنه أراد : ولست بِحَلَالِ التَّلَاجِ مخافةً السؤال ولكنى أنزل الأمانة المرتفعة  
 ليتأبؤنى وأَرْفِدَهُم ، وهذا وجه الكلام فلم يعبر عنه تعبيراً صحيحاً ولكنه خلطه  
 وحذف منه حذفاً كثيراً فصار كالمتنافر ، وأدواء الكلام كثيرة ؛

ومنه قول الأعشى :

وإن أمرأُ أمرى اليك ودُونَهُ \* مُهَوَّبٌ ومَوْمَةٌ وبيداء سَمَلَقُ

لَمَحْقُوقَةٌ أن تَسْتَجِيبَ لِصَوْتِهِ \* وإن تعلّى أن المَعَانِ مَوْفَقُ

فقوله : وإن تعلّى أن المَعَانِ مَوْفَقٍ غير مشاكِل لما قبله ، وعلى نحو ذلك

ورد قول عَتَرَة :

حَرِقُ الجَنَاحِ كَانَ لَحْيَ رَأْسِهِ \* جَلَدَانِ بِالْأَخْبَارِ هَشٌّ مُوَلِّعُ

إن الذين نَعَبْتُ لِي بِغُرَاقِهِمْ \* هُمُ أَسْلَمُوا لَيْلَ الْتَمَامِ وَأَوْجَعُوا .

فليس قوله : بِالْأَخْبَارِ هَشٌّ مُوَلِّعٌ من صفة جناحيه ولحيته ، وقريب منه قول

أبى تَمَّام :

مُحَمَّدُ ابْنُ الْحَاسِدِينَ شُهُودٌ \* وإن مُصَابَ المَزْنِ حيث تَرِيدُ

فليس النصف الثاني من النصف الأول في شيء، وكذلك قول الطائي :

قومٌ هدى الله العبادَ يجمعهم • والمؤثرون الضيف بالازواد  
قلا مناسبة بين صدر البيت وعجزه بوجه .

وعند بعض الأدباء من هذا النوع قول امرئ القيس :

كأنى لم أركب جواداً للذة، • ولم أنبطن كاعبا ذات خلخال  
ولم أسبأ الزق الروى ولم أفل • ليخيل كرى كرى بعد إجفال

وقال : لو وضع مصراع كل بيت من هذين البيتين في موضع الآخر لكان أحسن وأدخل في استواء النسيج، فكان يقال :

كأنى لم أركب بجوادا ولم أفل • نلخيل كرى كرى بعد إجفال  
ولم أسبأ الزق الروى للذة • ولم أنبطن كاعبا ذات خلخال

لأن ركوب الجواد مع ذكر كرور الخيل أجود، وذكر التمر مع ذكر الكواعب أحسن .

قال في "الصناعتين" : قال أبو أحمد : والذي جاء به امرؤ القيس هو الصحيح لأن العرب تضع الشيء مع خلافه، فيقولون : الشدة والرخاء، والبؤس والتعيم، ونحو ذلك . وكذلك كل ما يمرى هذا المجرى .

قال أبو هلال العسكري : أخبرني أبو أحمد قال : كنت أنا وجماعة من أحداث بغداد ممن يتعاطى الأدب نختلف إلى مُدريك نتعلم منه الشعر، فقال لنا يوما : إذا وضعتم الكلمة مع لِقْفِهَا كتم شعراء، ثم قال : أجزوا هذا البيت :

• أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا مَتَاعٌ عَرُودٌ •

فأجازه كل واحد منا بشيء فلم يَرْضَهُ قَلْتُ أَنَا :

• وَإِنْ عَظُمَتْ فِي أَنْفُسٍ وَصُدُورٍ •

فقال : هذا هو الجيد المختار .

قال : وأخبرني أبو أحمد الشطرنجى قال : حدثنا أبو العباس بن عيسى ، قال :  
حدثنا حماد بن يزيد بن جبلة ، قال : دفن مسامة رجلا من أهله ثم قال :  
• تَرُوحُ وَتَقْدُو كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ •

ثم قال بعضهم : أجز فقال :

• لَحِقْنِي هَذَا الرُّوحُ مَعَ الْقُدُورِ •

فقال مسامة : لم تصنع شيئا ، ثم قال لآخر : أجز فقال :

• فَيَاكَ مَقْدَى مَرَّةٍ وَمَرَّاحَا •

فقال : لم تصنع شيئا ، ثم قال لآخر : أجز فقال :

• وَهَمًّا قَلِيلٌ لَأَتُرُوحُ وَلَا تَقْدُو •

فقال : الآن تم البيت : وأشبه ذلك ونظائره كثيرة .

ومما أختلف فيه البيت الأول والثاني قول ابن هرمة :

وَإِنِّي وَتَرَكِي نَدَى الْأَكْرَمِينَ • وَقَدَحِي بِكَفِّي زَنْدًا شَحَاحَا

كَتَارِكَةٍ بِيَضِّهَا بِالْعَسْرَاءِ • وَيُؤْيِسِي بِيَضِّ أُنْحَى جَنَاحَا

وقول الفرزدق :

فَإِنَّكَ إِذْ تَهْجُسُو تَمِيمًا وَتَرْتَبِي • سَرَابِيلَ قَيْسٍ أَوْ يُجُوفَ الْعَامِمِ

كَمَهْرِيْقٍ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ ، وَغَرَّةُ • سَرَابٌ أَدَاعَتْهُ رِيَا حُ السَّمَامِ

كان ينبغي أن يكون بيت ابن هرمة الأول مع بيت الفرزدق الثاني ، وبيت

الفرزدق الأول مع بيت ابن هرمة الثاني ، فيقال في الأول :

وَإِنِّي وَتَرَكِي نَدَى الْأَكْرَمِينَ • وَقَدَحِي بِكَفِّي زَنْدًا شَحَاحَا

كَمَهْرِيْقٍ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ وَغَرَّةُ • سَرَابٌ أَدَاعَتْهُ رِيَا حُ السَّمَامِ

مع تغيير إحدى القافيتين ، ويقال في الثاني :

وانك إذ تهجوتيمًا وترثني \* سراييل قيس أو يهوف العائم

تكاركة بيضها بالسراء \* وملبسة بيض أخرى جناحا

مع تغيير إحدى القافيتين حتى يصح التشبيه للشاعرين جميعا .

المذهب الثالث - أن المراد بتنافر الكلمات أن تذكر لفظة أو ألفاظ يكون

غيرها مما في معناها أولى بالذكر ، فتجىء الكلمة غير لائقة بمكانها ، وهو ما اصطلاح

عليه ابن الأثير في "المثل السائر" . وهو على ضربين .

الضرب الأول ما يوجد منه في اللفظة الواحدة فيمكن تبديله بغيره مما هو

في معناه سواء كان ذلك الكلام نظما أو نثرا ، وهو على أنواع شتى .

سها فك الإدغام في غير موضع فكك ، كقول ابن أم صاحب :

مَهْلًا عَاذَلْتُ قَدْ جَرَّبْتُ مِنْ خَلْقِي \* أَنَّى أَجُودُ لَأَقْوَامٍ وَإِنْ ضَلُّوا

فَكَتَّ الإدغام في ضلُّوا ، وكان الأحسن أن يقال : وإن ضلُّوا أى ضلُّوا .

وعلى حد ذلك ورد قول المتنبي :

فَلَا يُرْمُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ حَالِلٌ \* وَلَا يُحْلَلُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ يُرْمُ

فلو أدرغم لجات اللفظة فآزة في مكانها غير قلقة ولا نافرة ، وكذلك كل ما جاء

على هذا التبع فلا يحسن أن يقال : بَلَّ التوب فهو بال ؛ ولا سَلَّ السيف فهو سائل ؛

ولا هَمَّ بالامر فهو هائم ، ولا خط الكتاب فهو خاطط ، ولا حَنَّ إلى كذا فهو حانن ؛

وهذا لو عُرِض على من لا ذوق له أدركه ، فكيف من له ذوق صحيح كأبي الطيب ؟

لكن لا بد لكل جواد من كبوة .

ومنها زيادة حرف في غير موضعه كقول دحبل :

شَفِيعَكَ فَاشْكُرْ فِي الْخَوَائِجِ إِنَّهُ \* يَصُونُكَ عَنْ مَكْرٍ وَهَهَا هُوَ يَخْلُقُ

فالفاء في قوله فاشكر زائدة في غير محلها ، نافرة عن مكانها .

قال الوزير ضياء الدين ابن الأثير: أنشدني بعض الأدباء هذا البيت فقلت له: عجز هذا أنبيت حسره، وأما صدره فقصيح لأن سبكه قلبي نافر، والفاء في قوله فاشكر كأنها ركة البعير، وهي في زيادتها كزيادة الكرش، فقال: لهذه الفاء في كتاب الله تعالى أشباه كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَتُبَّابَكَ فَطَهِّرْ﴾ فقلت له: بين هذه الفاء وتلك فرق ظاهر يدرك بالعلم أولاً وبالذوق ثانياً، أما العلم فإن الفاء في قوله تعالى ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَتُبَّابَكَ فَطَهِّرْ﴾ فهي الفاء العاطفة إذ وردت بعد قوله: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ وهي مثل قولك: أمشي فأسرع، وقم فأبلغ، وليست الفاء التي في قول دجيل: شفيحك فاشكر من هذا القبيل، بل هي زائدة ولا موضع لها، وإنما نسبها أن يقال: ربك أو ثيابك فطهر من غير تقدم معطوف عليه، وحاشا فصاحة القرآن من ذلك. فاذعن بالتسليم ورجع إلى الحق. قال: ومثل هذه الدقائق التي ترد في الكلام نظماً كان أو نثراً لا يتفطن لها إلا الراص في علم الفصاحة.

ومنها وصل همزة القطع في الشعر وإن كان ذلك جائزاً فيه بخلاف النثر كقول أبي تمام:

قَرَأَنِي اللَّهُ وَالْوَدَّ حَتَّى كَأَنَّمَا • أَفَادَ الْغَنَى مِنْ نَائِلِي وَفَوَائِدِي

فَأَصْبَحَ بِلِقَائِي الزَّمَانُ مِنْ أَجَلِهِ • بِإِعْطَافِ مَسْكُودِي وَرَأْفَةِ الْوَلَدِ

فقوله من أجله يوصل همزة القطع من الكلام النافر؛ وعلى حده ورد قول

أبي الطيب:

يُوسِّطُهُ الْمَفَاوِزَ كُلَّ يَوْمٍ • طَلَابُ الطَّالِبِينَ لَا الْإِنْتِظَارُ

فقوله لا الانتظار يوصل همزة الانتظار كلام نافر.

(١) لم يذكر الثاني وقد ذكره في "المثل السائر" قال: وأما الفرق فانه يظهر من الفاء الواردة في قول

دجيل ويستغل... إلى أن قال فاسمع ما ذكره أذن الخ.



ومنها قطع همزة الوصل في الشعر أيضا وإن كان جائزا فيه كقول جميل :  
أَلَا أَرَى اثْنَيْنِ أَجْمَلَ شَيْمَةً • عَلَى حَدَّائِنِ النَّهْرِ يَتْنِي وَمِنْ جُمْلٍ  
وقوله أيضا :

إِذَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ سِرَّانُهُ • يَنْشُرُ وَتَكْثِيرُ الْوُشَاةِ فَمَيْنُ

فقطع ألف الوصل في لفظ الاثنين في البيت الأول والثاني .

ومنها أن يفرق بين الموصوف والصفة بضمير من تقدم ذكره كقول البحتري :

حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ يَوْمَ التَّفَرُّقِ • وَبِالْوَجْدِ مِنْ قَلْبِي بِهَا الْمُتَعَلِّقِ

تقديره من قلبي المتعلق بها ، فلما فصل بين الموصوف الذي هو قلبي والصفة التي  
هي المتعلق بالضمير الذي هو بها فبح ذلك ، ولو قلنا ، من قلب بها متعلق لزال  
ذلك القبح وذهبت تلك الملعنة . ونحو ذلك .

### الأصل الرابع

المعرفة بالسجع الذي هو قوام الكلام المنشور ومعلوم رتبته

ويتعلق به ستة أعراض

الغرض الأول — في معرفة معناه في اللغة والأصطلاح ، وبين حكمه

في حالتي الدرج والوقف .<sup>١</sup>

أما في اللغة فقال في "مواد اليان" : إنه مشتق من الساجع : وهو المستقيم  
لاستقامته في الكلام ، وأستواء أوزانه . وقيل من سجع الحمامة وهو ترجيعها الصوت  
على حد واحد ، يقال منه سَجَّتِ الحمامةُ تَسْجَعُ سَجْعًا فهي ساجعة ؛ سَمَّى السجع  
في الكلام بذلك لأن مقاطع الفصول تأتي على ألقاظ متوازنة متعادلة ؛ وكلمات  
متوازية متماثلة • عاشبه ذلك الترجيع .

وأما في الاصطلاح، فقال في "موادّ البيان" : هو تحفّية مقاطع الكلام من غير وزن، وذكر نحوه في "المثل السائر" فقال : هو تواطؤ الفواصل من الكلام المنشور على حرف واحد ، ويقال للجزء الواحد منه سبعة ، وتجمع على سبعمات ، وفقرة بكسر الفاء أخذنا من فقرته الظهر وهي إحدى عظام الصليب ، وتجمع على فقير وفقرات بكسر الفاء وسكون القاف وفتحها . وربما فتحت الفاء والقاف جميعا ، ويقال لها أيضا : قرينة لمقارنة أختها وتجمع على قرائن ، ويقال للحرف الأخير منها : حرف الروى والفاصلة .

وأما بيان حكمه في الوقف والدرج فاعلم أن موضوع حكم السجع أن تكون كلمات الأتباع ساكنة الأعجاز، موقوفا عليها بالسكون في حالتي الوقف والدرج، لأن الغرض منها المناسبة بين القرائن ، أو المزاوجة بين الفقر، وذلك لا يتم إلا بالوقف (لا ترى أن قولهم : ما أبعد ما فات ، وما أقرب ما هو آت ، لو ذهبت تصل فيه لم يكن بد من إعطاء أواخر القرائن ما يعطيه حكم الإعراب فتختلف أواخر القرائن ويفوت الساجع هرضه .

## الغرض الثاني

في بيان حسن موقعه من الكلام

قال في "الصناعتين" : لا يحسن منشور الكلام ، ولا يخلو حتى يكون مُزْدَوِجاً ، ولا يمدح ليلبغ كلاماً محلولا من الأزدواج ، ونأهيك أن القرآن الكريم الذي هو عنصر البلاغة ومناط الإعجاز مشحون به ، لا تخلو منه سورة من سورِهِ وإن قصرت . بل ربما وقع السجع في فواصل جميع السورة ، كما في سورة النجم ، وأقتربت ، والرحمن وضميرها من السور . بل ربما وقع في أوساط الآيات ، كقوله تعالى : ﴿ أَلَيْدَى خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ) وقوله : ((لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ)) وقوله : ((وَلَسْتُ بِأَخْذِيهِ إِلَّا أَنْ تُفِضُوا فِيهِ)) وما أشبه ذلك .  
وكذلك وقع في الكثير من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله عليه السلام عند قدومه المدينة الشريفة : «أَفْشُوا السَّلَامَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، تَتَخَلَّوْا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ» . بل ربما صرف صلى الله عليه وسلم الكلمة عن موضوعها في تصريح اللغة طلباً للزَّوْجَةِ كقوله في توبيخه لابن ابنته : «أَعْيَيْدُهُ مِنَ الْهَامَةِ وَالسَّامَةِ ، وَالْعَيْنِ الْأَلَامَةِ» وأصلها في اللغة الْمَلِيَّةُ لأنها من أَلَمَ ، فعبر عنها بالالامة لموافقة الهامة والسامة ؛ وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم للنساء : «أَنْصَرِفْنَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ» والأصل في اللغة أن يقال مَوْزُورَاتٍ أَخَذْنَا مِنَ الْوُزْرِ ، فعبر بمأزورات لموافقة مأجورات ؛ وعلى ذلك كان يجري كلام العرب في مِثْمِهم كلامهم من الدماء وغيره كقول بعض الأعراب وقد ذهب السيل بابه : اللهم إِنْ كُنْتُ قَدْ أَبَيْتَ ، فَطَالَمَا طَاقَيْتَ . وقول الآخر : اللهم هَبْ لَنَا حَبَكَ ؛ وَأَرْضَ عَنَا خَلْقَكَ ، ونحو ذلك . أما ما ورد من أنه صلى الله عليه وسلم حين قضى على رجل في الجنين بفرة صيد أو أمة ، فقال الرجل : أَدَى مِنْ لَا شَرِبَ وَلَا أَكَلَ ؛ وَلَا تَطَّقَ وَلَا اسْتَهْلَ ، ومثل ذلك يُقَالُ . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «أَتَجْعَلُكَ كَسَجِّعِ الْكُفَّانِ» فليس فيه دلالة على كراهة السجع في الكلام وإن تمسك به بعض من نبأ عن السجع طبعه ، وقررت منه قريحته . إذ يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم إنما كره السجع من ذلك الرجل لمشابهة جميعه حينئذ سجع الكُفَّانِ ، لما في سجعهم من التكلف والتعسف كما وجهه أبو هلال العسكري ، ولما تجرأ به على عادتهم في الجواب في الأحكام وغيرها بالكلام المسجوع كما وجهه غيره ؛ أو أنه إنما كره حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع بانكار إيجاب الدية لأنفس السجع الملقى

به كما اختاره صاحب "المثل السائر" ولو ذكره صلى الله عليه وسلم السجع نفسه ،  
لاقتصر على قوله : أجمعا ولم يقيده بسجع الكُهان .

### الغرض الثالث

في بيان أقسام السجع ، وهي راجعة الى صنفين

### الصنف الأول

أن تكون القرينتان متفتحتين في حرف الروي ، ويسميه الرمانى السجع الحالى  
وعليه عمل أكثر الكتاب من زمن القاضى الفاضل ، وهلم جرا  
إلى زماننا ، وفيه ثلاث مراتب

المرتبة الأولى — أن تكون ألفاظ القرينتين مستوية الأوزان متعادلة الأجزاء  
ويسمى التصريح ، وهو أحسن أنواع السجع وأعلاها . ومنه في التثنية قوله تعالى :  
(إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ طَيْنًا يَحْسَبُهُمْ) وقوله : (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ  
لَفِي جَحِيمٍ) . وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه : "اللَّهُمَّ أَقْبَلْ تَوْبَتِي ،  
وَأَغْسِلْ حَوْبَتِي" . وقوله للأنصار : "إِنَّكُمْ تَكْثُرُونَ عِنْدَ الْقَزْعِ ، وَتَهْلُونَ عِنْدَ الطَّمْعِ"  
وقول بعض الأعراب في وصف سيرة جذبة : سنة جردت ، وحال جهدت ، وأيد  
جمدت ، ونحو ذلك . ومثاله في النظم قول الخنساء :

سأبى الحقيقة محمود الخليفة ، مهشدي الطريقة تفاع وضار  
جواب قاصية جراز ناصية \* عتاد ألوية لقيل جراز !

المرتبة الثانية — أن يختص التوازن بالكلمتين الأخيرتين من الفقرتين فقط دون  
ما عداهما من سائر الألفاظ ، كقوله تعالى : (فِيهَا سُرُورٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ)  
ثم قال : (وَتَمَارِقٌ مَعْفُوفَةٌ وَزَرَائِبُ مَبْنُوتَةٌ) . وكقول الحريري في مقاماته : أَلْجَانِي

حُكِّمَ دَهْرٌ قَاسِطٌ، إِلَى أَنْ أُنْتَجَعَ أَرْضٌ وَأَمِيطَ . وقوله : وَأَوْدَى النَاطِقُ وَالصَّامِتُ ،  
وَرَفَى لَنَا الْخَاسِدُ وَالشَّامِتُ ، وما أشبه ذلك .

المرتبة الثالثة — أن يقع الاتفاق في حرف الروي مع قطع النظر من التوازن  
في شيء من أجزاء الفقرة في آخر ولا غيره، ويسمى المطزف . كقوله تعالى : (مَا لَكُمْ  
لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) وقولهم : جَنَابُهُ سَحَطُ الرَّحَالِ ، وَنَحْمُ الْأَمَالَ .  
وما يجري هذا المجرى .

### الصنف الثاني .

أن يختلف حرف الروي في آخر الفقرتين ، وهو الذي يسمون عنه  
بالأزدواج . والرمانى يسميه السجع العاطل ، وعليه كان عمل السلف  
من الصحابة ومن قارب زمانهم ، وهو على ضربين

#### الضرب الأول

أن يقع ذلك في الشر، وفيه مرتبتان

المرتبة الأولى — أن يراعى الوزن في جميع كلمات القريبتين أو في أكثرها مع  
مقابلة الكلمة بما يماثلها وزناً، ويسمى التوازن وهو أحسنها وأعلاها ، كقوله  
تعالى : (وَأَنبَأْنَاهُمَا الْكُتَابَ الْمُسْتَتِينَ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) وكقول الحريري :  
اسودَّ يومى الأبيض ، وأبيضَّ قودى الأسود .

المرتبة الثانية — ألا يراعى التوازن إلا في الكلمتين الأخيرتين من القريبتين  
فقط ، ويسمى التوازن أيضا ، ومنه قوله تعالى : (وَمَنَارُكُم مَّصْفُوفَةٌ وَذُرَارِيُّ  
مَيْثُونَةٍ) وقولهم : اصْبِرْ عَلَى حَرِّ الْقِتَالِ ، وَمَضِضِ النَّزَالِ ، وَشِدَّةِ النَّصَاحِ ، ومداومة  
البراز ، وما أشبه ذلك .

## الضرب الثاني

## السجع الواقع في الشعر

ويسمى التصريح في البيت الأول، وعمل الكلام عليه علم البديع، وقد ذكره في "المثل السائر" في أعقاب الكلام على السجع في الكلام المنشور، وجعله على سبع مراتب: المرتبة الأولى - وهي أعلاها درجة - أن يكون كل مصراع من البيت مستقلاً بنفسه، غير محتاج إلى ما يليه؛ ويسمى التصريح الكامل: كقول امرئ القيس:

أَفَاطِمُ مَهَلًا بَعْضُ هَذَا التَّدْلِيلِ \* وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ هَجْرِي فَأَجْبِلِي

فإن كل مصراع من البيت مفهوم المعنى بنفسه، غير محتاج إلى ما يليه في الفهم، وليس له به ارتباط يتوقف عليه.

المرتبة الثانية - أن يكون المِصْرَاعُ الأول مستقلاً بنفسه، غير محتاج إلى الذي يليه إلا أنه مرتبط به، كقول امرئ القيس أيضاً:

فَقَفَا بَنُوكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ \* يَسْقِطُ اللَّوْىَ بَيْنَ الدُّخُولِ فَخَوْمِلِ

فإن المِصْرَاعَ الأول منه غير محتاج إلى الثاني في فهم معناه، ولكنه لما جاء الثاني صار مرتبطاً به.

المرتبة الثالثة - أن يكون الشاعر مخيراً في وضع كل مصراع موضع الآخر، ويسمى التصريح المَوْجَه، كقول ابن سبج:

مِنْ شُرُوطِ الصُّبُوحِ فِي الْمَهْرَجَانِ \* خِفَّةُ الشَّرْبِ مَعَ خُلُوءِ الْمَكَانِ

فإنه لو جعل المِصْرَاعَ الثاني أولاً والآخر ثانياً، لساغ له ذلك.

المرتبة الرابعة - أن يكون المِصْرَاعُ الأول غير مستقل بنفسه؛ ولا يفهم معناه إلا بالثاني؛ ويسمى التصريح الناقص، وليس بمستحسن، كقول المتنبي:

مَقَانِي الشَّعْبِ طَبِيبًا فِي الْمَقَانِي • بِمَثَلَةِ الرِّبْعِ مِنْ الزَّمَانِ

فَإِنَّ الْمِصْرَاعَ الْأَوَّلَ لَا يَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ فِي فَهْمٍ مَعْنَاهُ دُونَ الْمِصْرَاعِ الثَّانِي .

المرتبة الخامسة — أن يكون التصريحُ في البيت بلفظة واحدة في الوسط والقافية، ويسمى التصريحُ المكرراً؛ ثم اللفظة التي يقع بها التصريح قد تكون حقيقة لا مجاز فيها كقول عبيد بن الأبرص :

وَكُلُّ ذِي غَيَّةٍ يُوُوبُ • وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يُوُوبُ

وقد تكون اللفظة التي يقع بها التصريح مجازية كقول أبي تمام الطائي :

فَقَى كَانَ يَشْرَبُ الْعُقَاةَ وَمَرْتَمًا • فَاصْبَحَ لِلْهِنْدِيَّةِ الْبَيْضَ مَرْتَمًا

المرتبة السادسة — أن يكون المصراع الأول معلقاً على صفة يأتي ذكرها في أول المصراع الثاني؛ ويسمى التصريح المعلق . كقول امرئ القيس :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجُمِي • يَصْبُحُ وَمَا الْإِصْبَاحُ فَيْكِ بِأَمْثَلِ

فإن المصراع الأول معلق على قوله بصُبحُ، وهو مستقيم في الصنعة .

المرتبة السابعة — أن يكون التصريح في البيت محالفاً لقافيته؛ ويسمى التصريح

المشطور، وهو أنزل درجات التصريح وأقبلها . كقول أبي نؤاس :

أَقْلَى قَدْ نَدِمْتُ عَلَى الذَّنُوبِ • وَإِلْقَارِ عُذَّتْ مِنَ الْجُحُودِ

فإنه قد صرَّح في وسط البيت بالباء ثم في آخره بالdal .

قلت وإنما أوردت هذا المصنف مع السجع وإن كان من خصوصيات الشعر

لأنه قد يقع مثله في النثر إذ الفقرة من النثر كالييت من الشعر، فالفقرتان كالييتين،

وأيضاً فإن الشعر من وظيفة الكاتب :

## الغرض الرابع

في معرفة مقادير السجعات في الطول والقصير، وهي على ضربين

### الضرب الأول

#### السجعات القصار

وهي ما صيغ من عشرة ألفاظ فما دونها، قال في "حسن التوسل": وهي تدل على قوة التمكن وإحكام الصنعة، لا سيما القصير منها للغاية، وأقل ما يكون من لفظتين كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثَيْبَكَ فَطَهِّرْ﴾. وقوله: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَالْعَايَصَاتِ عَصَفًا﴾ وما أشبه ذلك وأمثاله في القرآن الكريم كثير إلا أن الزائد على ذلك أكثر. كقوله تعالى: ﴿وَالْجَمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا هَوَىٰ وَمَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾. وقوله: ﴿اقتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا يَهْرُمُسْتُمْرٌ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ مُّسْتَقِرَّةٌ﴾. وقوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا﴾ ونحو ذلك.

## الضرب الثاني

#### السجعات الطوال

قال في "حسن التوسل": وهي أُلْدُ في السمع، يتشوق السامع إلى ما يرد مترايدا على سمعه، وأقل ما يتركب من إحدى عشرة كلمة فما فوقها، وغالب ما تكون من خمس عشرة لفظة فما حولها، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَدْعَاكَ الْإِنْسَانُ مِنْ رَحْمَةٍ فَمِمَّ تَتَذَاهَبُ مِنْهُ إِنَّهُ لَيْسَ بِكَفُورٍ وَلَئِنْ أَدْعَاكَ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءَ مَسْتَه لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ﴾ فالأولى من إحدى عشرة لفظة، والثانية من ثلاث



عشرة لفظة، وقوله : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ فالأولى من أربع عشرة لفظة ، والثانية من خمس عشرة ، وقوله : ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَتَابِكِ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَوْهُمْ كَثِيرًا لَفَتَسَّخْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ وَإِذْ يُرِيكُهُمْ إِذْ يَتَّقِيهِمْ فِي آعِينِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّكُمُ فِي آعِينِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَع الْأُمُورُ﴾ فالأولى عشرون لفظة ، والثانية تسع عشرة ، وهذا غاية ما انتهى إليه الطول في القرآن الكريم . وينبغي أن يكون ذلك نهاية الطول في السجع وقوفاً مع ما ورد به انترآن الكريم الذي هو أفصح كلام ، وأقوم نظام ، وإن كان الوزير ضياء الدين بن الأثير، والشيخ شهاب الدين محمود الحلبي وغيرهما ، قد صرحوا بأنه لا ضابط لأكثره .  
واعلم أنه قد جرت عادة تُلُكَّاب الزمان ومصطلحهم أن تكون السجعة الأولى من افتتاح الولاية من تقليد أو توقع أو غير ذلك قصيدة بحيث لا يتعدى آخرها السطر الثاني في الكتابة ليقع العلم بها بمجرد وقوع النظر على أول المكتوب . وعلى هذا فيختلف القصر فيها باختلاف ضيق الورق وسعته في العرض .

### الغرض الخامس

(في ترتيب السجعات بعضها على بعض في التقديم والتأخير باعتبار الطول والقصر وله حالتان

### الحالة الأولى

ألا يزيد السجع على سجتين ؛ وله ثلاث مراتب  
المرتبة الأولى - أن تكون القريتان متساويتين لا تزيد إحداها على الأخرى  
كقوله تعالى : ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾، وقوله : ﴿وَالْعَادِيَاتِ

صَبَّحًا فَالْمُورِيَّاتِ قَدْخًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿١﴾ وأمثال ذلك .

المرتبة الثانية — أن تكون القرينة الثانية أطول من الأولى بقدر يسير كقوله تعالى : ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَّانٍ يَبْسِیدُ سَمِعُوا لَهَا تَفِيضًا وَزَفِيرًا﴾ فالأولى ثمان كلمات، والثانية تسع ونحو ذلك؛ أما إذا طالت الثانية عن الأولى طولاً يخرج عن الاعتدال، فإنه يستقيم حينئذ، ووجهه في "حسن التوسل" بأنه يُبعد دخول القافية على السامع فيقل الالتذاذ بسماعها . والمرجع في قدر الزيادة والقصر إلى الذوق .

المرتبة الثالثة — أن تكون القرينة الثانية أقصر من الأولى . قال في "المثل السائر" : وهو عندي عيب فاحش ، لأن السمع يكون قد استوفى أمده من الفصل الأول بحكم طوله ، ثم يعمى الفصل الثاني قصيراً فيكون كالشيء المبتور، فيبقى الانسان عند سماعه كن يريد الالتواء إلى غاية فيعسر تدونها ، وفيما قاله نظر ، فقد تقدم في قوله تعالى : ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ الآيتين أن الأولى عشرون كلمة والثانية تسع عشرة ، بل قد اختار تحسين ذلك أبو هلال العسكري في "الصناعين" محتجاً به بكثرة وروده في كلام النبوة كقوله صلى الله عليه وسلم للأَنْصار : "إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْقَرَعِ ، وَيَقُولُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ" وقوله : "الْمُؤْمِنُونَ لَنَنكَأُوا دِمَاقَهُمْ ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ" وقوله : "رَحِمَ اللَّهُ مَنْ قَالَ خيراً فَقَتِمَ أَوْ سَكَتَ فَلَمْ

### الحالة الثانية

. أن يزيد السجع على مجموعتين ، ولها أربع مراتب

المرتبة الأولى — أن يقع على حد واحد في التساوى وهو مستحسن ، وقد ورد في القرآن الكريم بعض ذلك كقوله تعالى : ﴿وَأَحْبَابُ الْيَقِينِ مَا أَحْبَبَابُ الْيَقِينِ

في سبذ مخضوب وطلع متضوب وظل متلود) فهذه السجعات الثلاث مركبة من لفظتين لفظتين .

المرتبة الثانية — أن تكون الأولى أقصر والثانية والثالثة متساويتين كقوله تعالى :  
 ﴿إِلَّا كَذِبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيغًا وَزَفِيرًا وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا صَبَقًا فَمِرَّتْ دَحْوًا هَٰلِكَ ثُبُورًا﴾ فالأولى من ثمان كلمات ، والثانية والثالثة من تسع تسع .

المرتبة الثالثة — أن تكون الأولى والثانية متساويتين ، والثالثة زائدة عليهما ، وقد أشار الى هذه المرتبة في "حسن التوسل" حيث قال : فإن زادت القرائن على اثنين فلا يضر تساوي القريتين الأوليين وزيادة الثالثة ، ولم يمثل لها .

المرتبة الرابعة — أن تكون الثانية زائدة على الأولى ، والثالثة زائدة على الثانية . قال في "المثل السائر" : وينبغي أن تكون في هذه الحالة زيادة الثالثة متميزة في الطول على الأولى والثانية أكثر من تميز الثانية على الأولى . ثم قال : فإذا كانت الأولى والثانية أربع لفظات أربع لفظات تكون الثالثة عشر لفظات أو إحدى عشرة لفظة ، ومثل له في "حسن التوسل" بقوله تعالى : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطْنَ مِنْهُ وَتَلْشَقُ الْأَرْضُ وَتَجْرُ الْجِبَالُ هَذَا أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يُبْنِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ فالأولى من ثمان كلمات ، والثانية من تسع ، والثالثة من عشر ، ومثل له في "المثل السائر" بقوله في وصف صديق : فقلت : الصديق من لم يمتص عنك بحالف ، ولم يمالك معاملة الحالف ، وإذا بلغت أذنه وشاية أقام عليها حد السارق أو القاذف ، فالأولى : وهي لم يمتص عنك بخالف والثانية بعدها أربع كلمات ، والثالثة عشر كلمات . ثم قال : وينبغي أن يكون ما يستعمل من هذا القليل ، فإن زادت الأولى والثانية على هذه المقدرة زادت

الثالثة بالحساب، وإن بقصت الأولى والثانية، فكذلك. لكن قد ضبط في "حسن التوسل" الزيادة في الثالثة بالآ تجاوز المثل، والأمر فيما بين الضابطين قريب، ولا يخفى حكم الرابعة في الزيادة مع الثالثة. قال في "حسن التوسل": ولا بد من الزيادة في آخر القرائن.

### الفرض السادس

ليما يكون فيه حسن السجع وقبحه

أما حسنه، فيعتبر فيه بعد ما يقع فيكون به تحسين الكلام من أصناف البديع ونحوها بأمور أخرى.

منها أن يكون السجع بريئا من التكلف، خاليا من التعسف، محمولا على ما يأتي به الطبع وتبديه الغريزة، ويكون اللفظ فيه تابعا للمعنى، بأن يقتصر من اللفظ على ما يحتاج اليه في المعنى دون الإتيان بزيادة أو قصص تدعو اليه ضرورة السجع، حتى لو حصلت زيادة أو قصص بمنهيب السجع دون المعنى، خرج السجع عن حيز المدح الى حيز الذم.

ومنها أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة حادة، لا غنة ولا باردة، موفقة المعنى حسنة التركيب، غير قاصرة على صورة السجع الذي هو نواطؤ الفقير، فيكون كمن نقش أثوابا من الحرير، أو نظم عقدا من الخرز الملتون. قال في "المثل السائر": وهذا مقام تزل عنه الأقدام، ولا يستطيعه إلا الواحد من أرباب هذا الفن بعد الواحد. قال: ومن أجل ذلك كان أربابه قليلا، ولولا ذلك كان كل أديب سجعاً إذ ما منهم من أحد إلا وقد يتيسر عليه تأليف ألفاظ مسجوعة في الجملة.

ومنها أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها، لأن أشمال السجعتين على معنى واحد يمكن أن يكون

في إحداهما بمفردها هو عين التطويل المذموم في الكلام؛ وهو الدلالة على المعنى بالفاظ يمكن الدلالة عليه بدونها على ما هو مقدر في علم البيان . قال في "المثل السائر" : فلا يكون مثل قول الصابي في وصف مُدَبِّرٍ : "يسافر رأيه وهو دان لم يترج، ويسير تديره وهو ناو لم يترج" ولو قال : يسافر رأيه وهو دان لم يترج، ويُسَخِّرُ الحِوَارَ في عدوه وسيفه في الغمد لم يهرج، لَسَلِمَ من مُجَنَّةِ التكرار؛ فإنه تصوير كل جملة محتوية على معنى بجياله .

ومنها أن يقع التمجين في نفس الفواصل، كقولهم : إذا قَلَّتِ الأنصار، كَلَّتِ الأبصار؛ وقولهم : ما ورأه الخَلْقُ الدِّيم، إِلَّا الخَلْقُ الدِّيم، ونحو ذلك .

ومنها أن يقع في خلال السجعة الطويلة قرائن قصار تكون سجما في صبح، كقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَطْلِسْ عَلٰى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلٰى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ . وقوله : ﴿ وَكَسَمْنَا بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُفِضُوا فِيهِ وَاعْتَصِمُوا أَنْ آتِيَهُ غَيٌّ حَمِيدٌ ﴾ فإن قوله : ﴿ على أموالهم ﴾، وقوله : ﴿ على قلوبهم ﴾ سجعتان داخلتان في السجعة التي آخرها ﴿ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ . وقوله : ﴿ بِآخِذِيهِ ﴾ وقوله : ﴿ تُفِضُوا فِيهِ ﴾ سجعتان داخلتان في السجعة التي آخرها ﴿ غَيٌّ حَمِيدٌ ﴾ وعدة العسكرى منه قولهم : هَادِ تَغْرِيطُكَ تَصْرِيحًا، وَتَغْرِيطُكَ تَصْحِيحًا .

وأما قبحه فيعتبر بأمور :

منها التجميع، وهو أن تكون فاصلة الجزء الأول بعيدة المشاكلة لفاصلة الجزء الثاني كما حكى قُدامَةُ : أن كاتبًا كتب في جواب كتاب : وصل كتابك فوصل به ما يَسْتَعِيدُ الجزء، وإن كان قديم العبودية، وَيَسْتَفِرُّ الشكر؛ وإن كان سالف فضلك لم يُبَيِّنْ شئنا منه؛ فإن العبودية بعيدة عن مشاكلة منه .

ومنها التطويل ، فيما ذكر قُدَّامَةُ وفيه : وهو أن يبيء الجزء الأول طويلا فيحتاج الى إطالة الثاني بالضرورة . كما حكى قُدَّامَةُ أن كتابا كتب في تعزية : اذا كان للحزون في لقاء مثله كبير الراحة في العاجل ، وكان طويل الحزن راتبا اذا رجع الى الحقائق وغير زائل . قال في "الصناعتين" : وذلك أنه لما أطال الجزء الأول ، وعلم أن الجزء الثاني ينبغي أن يكون مثله أو أطول ، أحتاج الى تطويل الثاني فأتى باستكراه وتكلف . قال في "مواد البيان" والإطالة بقوله وغير زائل .

### الأصل الخامس

حسن الاتباع ، والقدرة على الاختراع

وأعلم أن لكاتب الإنشاء مسلكين :

#### المسلك الأول

##### طريقة الاتباع

وهي نظر الكاتب في كلام من تقدمه من الكُتَّاب ، وسلك منهجهم ، واقتفاء سننهم ، وسماها ابن الأثير التقليد ، وهي على صنفين :

#### الصنف الأول

##### الآتياع في الألفاظ

وهو اعتماد الكاتب على ما رتبته غيره من الكُتَّاب ، وأنشأ سواه من أهل صناعة النثر ، بأن يعمد الى ما أنشأه أفاضل الكُتَّاب ورتبه علماء الصناعة : من ثر أو نظم فإخذه برتبه ، ويأتى عليه بصيغته ، وغايته أن يكون ناسخا ناقلا لكلام غيره ، حاكيا له . ولمثل ذلك توضع الدعائم ، وتكون الدواوين ، على أنه ربما غير وبدل ، وحذف وصحف ، وأزال اللفظ عن وضعه ، وأحال المعنى عن حكمه ، وبعضهم

وبما حملته الألفه والخوف من أن يقال أخذ كلام فلان برته، فسدل إلى كلام غيره، فالتقط من كل مكان محبتين أو محبات، ورتب بعضها على بعض حتى تقوم بمقصوده، وينتهي إلى مراده .

فإن كان لطيف الذوق، حسن الاختيار، رائق الترتيب، فاختر من خلال السجع لطيفه، وأحسن رصفه وتأليفه، جاء بهما راقما، لأنه أتى من كل كلام بأحسنه، إلا أن فيه إنحراج الكلام عن وضعه الذي قصده الناثر، وتفريق ما دون من كلام الأفاضل وتبديد شمله، ونروج الكلام عن أن يُعرف قائله، ويعلم منشئه، فيقع من القلوب بمكان صاحبه وينتدى بهديه، ويسج على منواله .

وإن لم يكن لطيف الذوق، ولا حسن الاختيار، جاء مالفقه من كلام غيره رثا، ركيكا، نائبا عن الذوق، يسيدا عن الصبغة، يُعاد من النسخ إلى المسخ، وأخرج الكلام عن موضوعه، وأفسده في وضعه وتركيبه، فإن محبة التصحيف والتحريف تلك الطامة الكبرى، والمصيبة العظمى، ثم لا يكتفى بذلك حتى يتجمع به ويستقد أن ذلك عين الإنشاء وحقيقته، محتجا في ذلك بقول الحريري: "إن صناعة الحسّاب موضوعة على التحقيق، وصناعة الإنشاء مبدية على التلقيق"، طائفا أن التلقيق هو ضم محبات متظمة، وقررات مؤلفة بعضها إلى بعض، ولم يعلم أن المراد بالتلقيق هو ضم لفظة إلى آخرها، وإضافة كلمة إلى مشاكلتها . وشيآن ما بين التلقيقين، وبمناهما بين الطريقين :

والزُّنُورُ وَالْيَازِي جَمِعا • لَدَى الطَّيْرَانِ أَجْنَمَةٌ وَخَفَقُ  
وَلَكِنْ بَيْنَ مَا يَصْطَادُ بَازٍ • وَمَا يَصْطَادُهُ الزُّنُورُ فَرَقُ

وقد عابوا أخذ المعنى إذا كان ظاهرا مكشوفاً فما ظنك بمن يأخذ الكلام برته، واللفظ بصورته، فيصير نائحا لكلام غيره، ونافلا له؟ فأى فضيلة في ذلك؟

وقد قيل : من أخذ معنى بلفظه كان سارقا ، ومن أخذ بعض اللفظه كان سائحا ، ومن أخذه فكساه لفظا من عنده كان أولي به من تقدمه ، وأين من هو أولى بالشيء ممن سبقه إليه عن يمينه سارقا وسائحا ؟ ويقال إن أبا عذرة الكلام من سبك لفظه على معناه ومن أخذ معنى بلفظه فليس له فيه نصيب . هذا فيمن أخذ صيغة أو جمعيتين في خطبة أو رسالة ، أو بيتا أو بيتين في قصيدة وما قارب ذلك ، أما من أخذ القصيدة بكاملها ، أو الخطبة أو الرسالة برمتها ، أو لفظها من خطب أو رسائل فذاك إنما يعد ناسخا إن أحسن النقل ، أو ماسخا إن أسدده .

وأعلم أن الناثر الماهر ، والشاعر المقلق قد يأتي بكلام سبقه إليه غيره ، فيأتي بالبيت من الشعر ، أو القرينة من النثر ، أو أكثر من ذلك بلفظ الأول من غير زيادة ولا نقصان ، أو بتغيير لفظ يسير ، وهذا هو الذي يسميه أهل هذه الصناعة وقوع الخاف على الخاف ، وقد سئل أبو عمرو بن العلاء عن الشاعرين يتفقان على لفظ واحد ومعنى فقال : عقول رجال توافقت على ألسنتها .

والواقع من ذلك في كلامهم على قسمين :

### القسم الأول

ما وقع الاتفاق فيه في المعنى واللفظ جميعا

كقول الفرزدق :

وَعَرَّ قَدْ وَصَفَتْ مُشْرَاتٍ \* طَوَالِغَ لَا يُطِيقُهَا جَوَابَا  
بِكُلِّ نَيْبَةٍ وَبِكُلِّ نَقِيرٍ \* غَرَائِبُهُنَّ تَنْتَسِبُ أَنْتَسَابَا  
بَلْنَ النَّمَسِ حِينَ تَكُونُ شَرْقَا \* وَنَسْقُطُ رَأْسِهَا مِنْ حَيْثُ ظَا

ووافقه جرير فقال مثل ذلك من غير زيادة ولا نقص .



ويروى أن عمر بن أبي ربيعة أنشد ابن عباس رضى الله عنه :

• تَشْطُّ عَدَا دَارَ جِرَانِنَا •

فقال ابن عباس رضى الله عنه :

• وَلِلدَّارِ بَعْدَ غَدٍ أَعَدُّ •

فقال عمر : والله ما قلتُ إلا كذلك .

قال أبو هلال المسكوى في كتابه "الصناعتين" :

وأنشدت الصحاح إسماعيل بن عباد رحمه الله :

• كَانَتْ سَرَاةُ النَّاسِ تَحْتَ أَظْلِهِ •

نسبى وقال :

• فَفَدَّتْ سَرَاةُ النَّاسِ فَوْقَ سَرَاتِهِ •

وكذلك كنتُ قلتُ : قال الوزير ضياء الدين بن الأثير رحمه الله في كتابه "المنزل

الساير" : ويحكى أن امرأة من عقيل يقال لها ليل كان يتحدث إليها الشاب ،

فدخل الفرزدق إليها وجعل يماذنها ، وأقبل فتى من قومها كانت تألفه فدخل إليها

فاقبلت عليه وترك الفرزدق ، فغاضه ذلك فقال للفتى : انصاري؟ فقال : ذاك

اليك ، فقام اليه فلم يلبث أن أخذ الفرزدق فصرعه وجلس على صدره فظيرط ،

فوثب الفتى عنه وقال : يا أبا فراس هذا مقام العائذ بك ، والله ما أردت ما جرى ،

قال : ويحك ! والله ما بى أنك صرعتى ولكن كأتى بآبن الأمان ، (يعنى جريرا)

وقد بلغه خبرى فقال يهجوى :

جَلَسْتُ إِلَى لَيْلٍ لِيَتَحْطَى بِقُرْبِهَا • نَفْسَانِ دُبُرٌ لَا يَزَالُ يَحُونُ

فَلَوْ كُنْتُ ذَا حَرَمٍ شَدَدْتُ وَكَأَمَّ • كَمَا شَبَدَّ جُرْبَانَ الدَّلَاصِ قُبُورُ

فما مضى إلا أيام حتى بلغ جريراً الخبر ، فقال فيه هذين البيتين . قال :  
وهذا من أغرب ما يكون في هذا الموضع وأعجبه ! قال في "الصناعتين" : وإذا كان  
القوم في قبيلة واحدة ، في أرض واحدة ، فإن خواطرهم تقع متقاربة ، كما أن أخلاقهم  
وشمالهم تكون متضاربة . قال في "المثل السائر" : ويقال إن الفرزدق وجريراً كانا  
بنطينان في بعض الأحوال عن ضمير واحد . قال : وهذا عندي مستبعد ، فإن  
ظواهر الأمر يدل على خلافه ، والباطن لا يعلمه إلا الله تعالى ، وإلا فإذا رأينا شاعراً  
متقدماً الزمان قد قال قولاً ثم سمعناه من شاعر آتى من بعده ، علمنا بشهادة الحال  
أنه أخذ منه ، وهب أن الخواطر تتفق في استخراج المعاني الظاهرة المتداولة ،  
فكيف تتفق الألسنة أيضاً في صوغ اللفاظ ؟ وكلام العسكري في "الصناعتين"  
بواقفه بالتعب على المتأخر ، وإن ادعى أنه لم يسمع كلام الأول في مثل ذلك .

### القسم الثاني

ما وقع الاتفاق فيه في المعنى وبعض اللفظ ، وهو على ضربين

#### الضرب الأول

ما اتفق فيه المعنى وأكثر اللفظ

كقول امرئ القيس :

وَقَوْلاً بِهَا صَحِيٍّ عَلَى مِطْبِهِمْ \* يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أُمِّي وَتَجَلَّ

وقول طرفة :

وَقَوْلاً بِهَا صَحِيٍّ عَلَى مِطْبِهِمْ \* يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أُمِّي وَتَجَلَّ

فالمتخالف بينهما في كلمة القافية فقط .

وقول البيت :

أَتَرْجُو كَلْبٌ أَنْ يَحْيَى حَبِيدُهَا \* وَيَحْيَى قَدِ اعْيَا كَلْبًا قَدِيمُهَا؟

وقول الفرزدق :

أَتَرْجُو بَيْعٌ أَنْ يَحْيَى صِفَارُهَا \* وَيَحْيَى قَدِ اعْيَا رَبِيعًا بَكَارُهَا؟

فالتخالف بينهما في موضعين، من البيت، كلمة الباقية وأسم القبيلة .

وقول بعض المتقدمين يندح معبدًا صاحب الغناء :

أَجَادَ طَوْنٌ وَالسَّرِيحُ بَعْدَهُ \* وَمَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لِيَعْبُدَ

وقول الفرزدق بعده :

مَحَاسِنُ أَصْنَافِ الْمُفَتِينَ جَمْلَةٌ \* وَمَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لِيَعْبُدَ

فاتفقا في النصف الثاني وأختلفا في النصف الأول، الى غير ذلك من الأشعار

التي وقعت خواطر الشعراء عليها، وتوافقت عقولهم عندها .

## الضرب الثاني

ما أتفق فيه المعنى مع يسير اللفظ

فمن ذلك قول البُحْتَرِيِّ في وصف غلام :

فَوْقَ ضَعِيفِ الصَّغِيرَانِ وَكُلِّ الْأَمْرِ إِلَيْهِ، وَدُورَتِ كَيْدَ الْيَكَّارِ

أخذه من قول أبي نُؤَاسٍ :

لَمْ يَخَفْ مِنْ يَكْبَرِ عَمَّا يَرَادُ بِهِ \* مِنَ الْأُمُورِ وَلَا أَرَى بِهِ الصَّغَرَ

وقول أبي نَمَّامٍ :

لَمْ أَمْدَحْكَ تَفْخِيًا يَشْعُرِي \* وَلَكِنِّي مَدَحْتُ بِكَ الْمَدِيحَا

أخذه من قول حسان بن ثابت يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :  
 ما إنا مَدَحْتُ عَمَّا بَقَايَ \* لَكِنْ مَدَحْتُ مَقَاتِي بِمَحَمَدٍ  
 وقول أبي الطَّيِّب :

أين أزمعت أيهاذا الحمام \* نحن نبت الرِّيا وأنت الفمام  
 أخذه من قول بُشَيْر :

كأنَّ النَّاسَ حينَ تَغِيبُ عَنْهُمْ \* نَبَاتُ الْأَرْضِ أَخْطَاهُ الْبَقَارُ

## الصف الثاني

### التقليد في المعاني

وهذا مما لا يستغنى عنه ناظم ولا ناثر. قال أبو هلال العسكري - رحمه الله في كتابه  
 "الصناعاتين" : ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم  
 والصبُّ على قوالب من سبقهم، ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظا من  
 عندهم، ويرزوها في معارض من تأليفهم، ويوردوها في غير حليتها الأولى، ويزيدوا  
 عليها في حسن تأليفها وجودة تركيبها، وكال حليتها ومعرضها، فإذا فعلوا ذلك فهم  
 أولى بها من سبق إليها . قال : ولولا أن القائل يؤدي ما سمع لما كان في طاقته  
 أن يقول، وإنما ينطق الطفل بعد استقامته من البالغين، وقد قال أمير المؤمنين  
 على كرم الله وجهه : لولا أن الكلام يصاد لنفد . ومن كلام بعضهم : كل شيء  
 إذا شئتَه قَصُرَ إلا الكلام، فإنك إذا شئتَه طال، والمعاني مشتركة بين العقلاء . فربما  
 وقع المعنى الجسد للسوق والنبط والزنجي . وإنما يتفاضل الثامن في الألفاظ  
 ورفصنها، وتأليفها ونظمها، وقد أطبق المتقدمون والمتأخرون على تداول المعاني  
 بينهم، فليس على أحد فيه عيب إلا إذا أخذه بكل لفظه، أو أفسده في الأخذ

ونَقَصَر فيه عن تقدّمه . قال في "الصناعتين" : وما يُعرف للتقدّم معنى شريف إلا نازعه فيه المتأخر وطلب الشركة فيه معه ، إلا بيت عشرة :

وَحَلَا الدُّبَابُ بِهَا فَلَيْسَ بِيَارِجٍ • غَيْرِدًا كِفْعَلُ الشَّارِبِ الْمُتَرَجِّمِ  
هَزِزَ جَا يَحْنُكُ ذِرَاعَهُ يَنْدِرَاعِهِ • قَدَحَ الْمِكْبَ عَلَى الزَّيَادِ الْأَجْدَمِ

فإنه مأكوزع فيه على جودته . قال : وقد رآه بعض المحدّثين فافتضح مع العلم بأن ابتكار المعنى والسبق إليه ليس فيه فضيلة ترجع الى المعنى ، وإنما ترجع الفضيلة فيه الى الذى ابتكره وسبق إليه ، فالمعنى الجيد جيد وإن كان مسبوقا إليه ، والوسط وسط والردى ردى وإن لم يكن مسبوقا اليهما . على أن بعض علماء الأدب قد ذهب الى أنه ليس لأحد من المتأخرين معنى مُبتدع ، محتجا لذلك بأن قول الشعر قديم مذ يُطلق باللغة العربية ، وأنه لم يبق معنى من المعانى الا وقد طُريق مرارا . قال في "المثل السائر" : والصحيح أن باب الابتداع مفتوح الى يوم القيامة ، ومن الذى يحجر على الخواطر وهى قاذفة بما لا نهاية له ؟ الا أن من المعانى ما يتساوى فيه الشعراء ولا يُطلق عليه اسم الابتداع لأوّل قبل آخر لأن الخواطر تأتى به من غير حاجة الى اتباع الآخر الأوّل ، كقولهم فى الغزل :

حَقَّتِ الدِّبَارُ وَمَا حَقَّتْ • آتَاهُنَّ مِنَ الْقُلُوبِ

وقولهم فى المديح : إن عطاه كالبحر أو كالسحاب ؛ وإنه لا يمنع عطاه اليوم عطاه غد ؛ وإنه يجوز بماله من غير مسألة ؛ وأشبه ذلك ما

وقولهم فى المراثى : إن هذا الرزء أوّل حادث ؛ وإنه استوى فيه الأبعد والأقارب ؛ وإن الذاهب لم يكن واحدا وإنما كان قبيلة ، وإن بعد هذا الذاهب لا يعدّ للنية ذنب ، وما أشبه ذلك . وكذلك سائر المعانى الظاهرة التى تنوارد عليها الخواطر من غير كلفة ؛ ويستوى فى إيرادها كلّ بارع . قال : ومثل ذلك لا يُطلق

على الآخر فيه اسم السرقة من الأول ، وإنما يطلق اسم السرقة في معنى مخصوص  
كقول أبي تمام :

لَا تُشْكِرُوا صَنَرِي لَهُ مَنْ دُونَهُ • مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ

فَاللَّهُ قَدْ صَرَبَ الْأَقْلَ لِنُورِهِ • مَثَلًا مِنَ الْمَشْكَاةِ وَالنَّبْرَاسِ

فإن هذا معنى ابتدأه مخصوص بأبي تمام ، وذلك أنه لما أشهد أحمد بن  
المعتصم قصيدته السبيلة التي مطلعها :

• مَا فِي وَفُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسِ •

انتهى الى قوله منها .

إقدام عمرو في سَمَاحَةِ حَاتِمِ • فِي حِلْمٍ أَحْتَفَ فِي ذِكَاةِ إِيَّاسِ

فقال الحكميم الكندي : وأتى نغز في تشبيه ابن أمير المؤمنين بأجلاف العرب ؟  
فاطرق أبو تمام ثم أشهد هذين البيتين معتذرا عن تشبيه إياه بعمرو وحاتم وإيَّاس .  
فإن الحال يشهد بابتدائه هذا المعنى ، فمن أتى بعده بهذا المعنى أو يحجزه منه كان سارقا  
له ، وكذلك كل ما جرى هذا المجرى . ولم يزل الشعراء والخطباء يقتبسون من معاني  
من قبلهم ، ويبنّون على بناء من تقدمهم .

فما وقع للشعراء من ذلك قول أبي تمام :

خَلَقْنَا رَجَالًا لِلتَّجَلُّدِ وَالْأَمَى • وَتِلْكَ الْقَوَائِي لِلْبُكََا وَالْمَاتَمِ

أخذه من قول عبد الله بن الزبير لما قُتل مُصَعبُ بن الزبير : وَأَنَا التَّسْلِيمُ  
وَالسُّلُوحُ لِحُزْمَاءِ الرِّجَالِ ، وَإِنَّ الْحَزْنَ وَالْهَلَعَ لِرَبَائِثِ الْجِبَالِ ، وقوله أيضا :  
تَعَجَّبُ أَنْ رَأَتْ جِسْمِي نَحِيفًا • كَأَنَّ الْجَدَّ يُدْرِكُ بِالصَّرَاحِ

أخذه من قول زياد ابن أبيه لأبي الأسود الدؤلى : لولا أنك صبمته  
لا ستملكك ، وقول أبي الأسود له فى جواب ذلك : إن كنت تُريدنى للصراع فإنى  
لا أصْلَحُ له ، وإلا فغير شديد أن أَمُرُ وأُنهى ، وقوله من قصيدة البيت المتقدم :

أطال يَدى على الأيام حتى • جَزَيْتُ صِرْفًا صَانًا بِصَانٍ

أخذه من قول أمير المؤمنين على كرم الله وجهه :

إِن تُقْتَلَا أَوْ يُمَكِّنِ اللَّهُ مِنْكَ • نَكَلٌ لِّكَ صَاعًا بِصَاعٍ الْمَكَالِ

وقول أبى الطيب المتنبي :

وإِذَا كَانَتِ الْقُوسُ حَيَارًا • قَبِيتَ فِي شَرَادِمِ الْأَجْسَامِ

أخذه من قول أرسطوطاليس : إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاك

الجسم دون بلوغ الشهوة .

وقول الخاسر .

مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ مَا تَحْتُمَا • وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورُ

أخذه من قول بشار :

مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ لَمْ يَنْظُرْ بِحَاجَتِهِ • وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاسِكُ الْهَيْجُ

فلما سمع بشار بيت الخاسر قال : ذهب أين الفاعلة يبقى . ومثل هذا وأشباهه

مما لا ينحصر كثرة ، ولا يكاد أن يخلو عنه بيت إلا نادرا .

ومما وقع للكاتب من ذلك ما كتب به إبراهيم بن العباس من قوله فى فضل

من كُتِبَ • إِذَا كَانَ لِلْحَسَنِ مِنَ الثَّوَابِ مَا يُقْتَنَعُ ، وَلِلْعَاسِ مِنَ الْعِقَابِ مَا يَقْتَنَعُ ،

أزداد المحسن فى الإحسان رغبة ، وأقناده المكيه للقى رهبة . أخذه من قول على

كرم الله وجهه : يجب على الوالى أن يتعمده أموره ، ويتفقد أحواله ، حتى

لا يَتَّقِي عليه إحسان مُحْسِنٍ، ولا إساءة مُسِيءٍ، ثم لا يترك واحدا منهما بغير جزاء، فإن ترك ذلك شاون المحسن وأجرأ المسيء، وقسد الأمر، وضاع العمل .

وما كتب به بعض الكتاب في فصل وهو: لو سكت لسانى عن شكرك، لنطق أنرك على . وفي فصل آخر: ولو حمدتك إحسانك، لا كذبتي آثارك، وتمت على شواهدهما، أخذه من قول نصيب :

• ولو سَكَنُوا أَثْنْتُ طِيكَ الْحَقَائِبُ •

وما كتب به أحمد بن يوسف من فصل وهو: أحق من أثبت لك العذر في حال شكك، من لم يخل ساعة من ريك في وقت فراغك . أخذه من قول علي رضي الله عنه : لا تكونن كمن يسيج عن شكر ما أوتي، ويلتمس الزيادة فيما بقي .

والاقتباس من الأحاديث والآثار كثيرة، وقد تقدم الكلام عليه قبل ذلك . قال في "الصناعتين" : ومن أخفى أسباب السرقة أن يأخذ معنى من نظم فيورده في ثراء أو من ثر فيورده في نظم، أو ينقل المعنى المستعمل في صفة نمر فيجعلها في مديح، أو في مديح فينقله إلى وصف، إلا أنه لا يصل لهذا إلا المبرز الكامل المقدم .

وقال في "المثل السائر" : أشكل سرقات المعاني، وأدقها وأغريها، وأبعدها مذهبا أن يؤخذ المعنى مجزوا من اللفظ . قال : وذلك مما يصعب جدا ولا يكاد يأتي إلا قليلا، ولا يتفطن له ويستخرجه من الأشعار إلا بعض الخواطر دون بعض .

فإن ذلك قول أبي تمام في المدح :

فَقَامَتْ بَيْنَ الضَّرْبِ وَالطَّنْ مَيْتَةٌ • تَقُومُ مَقَامَ النَّصِيرِ إِذْ قَاتَهُ النَّصِيرُ



أخذه من قول عروة بن الورد من شعراء الحماسة

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتَرًا • من المال يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلُّ مَطْرَحٍ  
لِيُبْلِغَ عُدْرًا أَوْ يَنْتَالَ رَغِيصَةً • وَيُبْلِغُ نَفْسَ عُدْرَهَا مِثْلُ مَنْجِجٍ

فعروة جعل اجتاده في طلب الرزق عذرا يقوم مقام النجاح، وأبو تمام جعل  
الموت في الحرب الذي هو غاية اجتهد المجتهد في لقاء العدو قائما مقام الانتصار .  
قال في "المثل السائر" : وكلا المعنيين واحد ، غير أن اللفظ مختلف . وأظهر من ذلك  
أخذنا قول القائل :

وقد عَزَى ربيعة أن يَوْمًا • عَلَيْهَا مِثْلُ يَوْمِكَ لَا يَعُودُ

أخذه من قول ابن المقفع في باب المروءة من الحماسة :

وقد بَرَّ نَفْعًا فَقَدْ نَأَى لَكَ أَنْتَا • أَمَّا عَلَى كُلِّ الرِّزَايَا مِنَ الْجُرْعِ

على أنه ربما وقع للتأخر معنى سبقه إليه من تقدمه من غير أن يلزم به التأخر ولم  
يسمعه ؛ ولا استبعاد في ذلك كما يستبعد اتفاق اللفظ والمعنى جميعا . قال أبو هلال  
العسكري : وهذا أمر قد عرفته من نفسي فلا أُنْتَرَى فيه ، وذلك أني كنت  
عملت شيئا في صفة النساء فقلت :

• سَفَرْنَ يَدُورًا وَاتَّقَبْنَ أَهْلَةً •

وطئت أني لم أسبق إلى جمع هذين التشبيهين حتى وجدت ذلك بينه لبعض  
البغداديين فكثرت معي ، وعزمت على ألا أحكم على التأخر بالسرقة من المتقدم  
حكما حتما .

إذا تقرر ذلك فسرقة المعنى الجوز لا تخرج عن أثنى عشر ضربا .

## الضرب الأول

أن يؤخذ المعنى ويستخرج منه ما يشبه ولا يكون هو إياه . قال في "المثل السائر" : وهذا من أدق السرقات مذهباً وأحسنها صورة، ولا يأتي إلا قليلاً .  
فن ذلك قول المتلبي :

وإذا أَتَيْتَكَ مَتَعْتِي مِنْ نَاقِصٍ • فهى الشهادة لى بأتى كأميل

وهذا المعنى استخرجه المتلبي من قول بعض شعراء الحماسة، وإن لم يكن صريحاً فيه حيث يقول :

لَقَبْدُ زَادِي حُبًّا لِنَفْسِي أَتَى • يَنْبِضُ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلِ

قال في "المثل السائر" : والمعرفة بأتى هذا المعنى من ذلك المعنى عِبراً مضى غير متبين إلا لمن أعرق في ممارسة الشعر، وخاص على استخراج المعاني . قال :  
ويبان ذلك أن الأول يقول : إن نبض الذى هو غير طائل إرأى قد زاد نفسى نحباً إلى أى قد جعلها فى عبنى وحسنها عندى كَوْنُ الذى هو غير طائل منقضى، والمتلبي يقول : إن ذم الناقص إياه بفضله كتجسين بُنْضُ الذى هو غير طائل نفس ذلك عنده .

وأظهر من ذلك أخذنا من هذا الضرب قول البحتري فى قصيدة يفخر فيها

بقومته :

شَيْخَانٍ قَدْ ثَقُلَ السَّلَاحُ عَلَيْهِمَا • وَعِدَاهُمَا رَأَى السَّمِيعُ الْمُبْصِرُ  
رَبِّمَا الْقَتْلَ مِنْ بَعْدِ مَا حَمَلَا الْقَتْلَا • فِي عُسْكَرٍ مُتَحَالِلٍ فِي عُسْكَرٍ

أخذه من قول أبي تمام فى وصف جميل :

رَعَتْهُ الْفَيَافِي بَعْدَ مَا كَانَ حَقْبَةً • رَعَاهَا وَمَاءُ الرُّوضِ يَنْهَلُ مَسَاكِبَهُ

فأبو تمام ذكر أن الجمل رعى الأرض، ثم صار فيها فرسته أى أهرنته، فكانها  
قعلت به مثل ما فعل بها، وألبحترى قعله إلى وصف الرجل بعلو السن والمكرم،  
فقال: إنه كان يحمل الرمح فى القتال، ثم صار يركب الرمح أى يتوكأ منه على عصا  
كما يفعل الشيخ الكبير.

وأوضح من ذلك وأكثر بيانا فى الأخذ قول البحتري أيضا:  
أما نيك ما كان الشباب مقرى • إليك فالى الشيب إذ هو مبعدى  
أخذه من قول أبى تمام:  
لا أظلم النأى قد كانت خلائها • من قبل وشيك النوى حذى نوى قدفا

### الضرب الثانى

أن يؤخذ المعنى فيعكس، قال فى "المثل السائر": وذلك حسن يكاد يخرج منه حسنه  
من حد السرقة،

فإن ذلك قول أبى نواس

قالوا عشت صيرة فاجبتهم • أشهى الملقى إلى ما لم يرتب.  
كم ينف حبة لؤلؤ مثقوبة • تظلمت وحبة لؤلؤ لم تنقب؟  
وقول ابن الوليد فى عكسه:

إن المظلمة لا يلد ركوها • حتى تدلل بالزمام وترجا.  
والذي ليس بنايع أربابه • حتى يزىء بالنظام ويتقبا.

ومنه قول ابن جعفر:

ولما بدأ لي أنها لا تريدني • وأن هواها ليس عني بمنجلي  
ثميت أن هوى سواي لعلها • تدوق صبايات الهوى فترجلي

وقول غيره في عكسه :

وَلَقَدْ سَرَىٰ صُدُوكَ عَنِّي • فِي طَلَابِكَ، وَامْتَنَاعُكَ مِنِّي  
حَذَرًا أَنْ أَكُونَ مَفْتَاَحَ ظَهْرِي • وَإِذَا مَا خَلَوْتُ، كُنْتُ التَّمَنَّى

أما ابن جعفر فإنه ألقي عن منكبيه رداء الغيرة؛ وأما الآخر فإنه جاء بالضد من  
ذلك وبالغ غاية المبالغة .

ومنه قول أبي الشَّيْص :

أَجْدُ الْمَلَامَةِ فِي هَوَاكَ لَنَدِيدَةٍ • شَفَقًا بِذِكْرِكَ، فَلَيْلَتُنِي اللَّوْمُ

وقول أبي الطيب في عكسه :

أُحِبُّهُ وَأُحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً • إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ

ومنه قول أبي تمام :

وَلَوْلَا خِلَالُ سَهْنِهَا الشَّعْرُ مَا دَرَى • بُعَاةُ الْعُلَا مِنْ أَيْنُ تُؤْفَى الْمَكَارِمُ

وقول الوزير ضياء الدين بن الأثير في عكسه :

لَوْلَا الْكَرَامُ وَمَا سَنُوهُ مِنْ كَرَمٍ • لَمْ يَدْرِ قَائِلُ شَعْرٍ كَيْفَ يَتَمَدِّحُ

### الضرب الثالث

أن يؤخذ بعض المعنى دون بعض

فمن ذلك قول أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جُدعان :

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لَا مَرِيءَ لِنَ حَبَوْتُهُ • بَيْتِلٌ، وَمَا كُلُّ الْعَطَاءِ يُزِينُ

وقول أبي تمام بعده :

تَدْعَى عَطَايَاهُ وَقَرَأَ وَهِيَ إِنْ شُهِرَتْ • كَانَتْ فَخَارًا لِمَنْ يَغْفُوهُ مُؤْتِنًا

مَا زِلْتُ مَتَظَرًّا أَنْجَسَ بِهِ زَمَنًا • حَتَّى رَأَيْتُ سُؤَالَ لَا يُجَنِّتُنِي شَرَفًا

فامية بن أبي الصلت أتى بمعنيين أحدهما أن عطائك زين ، والآخر أن عطاء  
غيرك ليس زين ، وأبو تمام أتى بالمعنى الأول فقط .

ومنه قول علي بن جبلة

وَأَنْتَ مَا لَمْ يَحْوَِ مُتَقَدِّمٌ • وَإِنْ نَالَ مِنْهُ أَنْزَلُ فَهُوَ تَائِعٌ

وقول أبي الطيب بعده ،

تَرْفَعُ عَنْ عَوْنِ الْمَكَارِمِ قَدْرُهُ • فَمَا يَفْعَلُ الْفَعْلَاتِ إِلَّا عَذَارِيَا

فإن جبلة أتى بمعنيين ، أحدهما أنه فعل ما لم يفعله أحد من تقدمه ، وإن نال  
الآخر شيئاً فهو مقتد به وتابع له ، وأبو الطيب أتى بالمعنى الأول فقط ، وهو أنه فعل  
ما لم يفعله غيره مشيراً إلى ذلك بقوله :

• فَمَا يَفْعَلُ الْفَعْلَاتِ إِلَّا عَذَارِيَا •

أى يستبكرها ويُرِزِلُ عُدَّتَهَا •

ومنه قول الآخر :

أَتَيْتُجُ الْفَضْلَ أَوْ تَحْتَلُّ عَنِ الدَّنَى • يَا فَهَاتَانِ غَايَةُ الْهِمَمِ

وقول البحتري بعده :

إِدْفَعْ بِأَمْثَالِ أَبِي غَالِبٍ • عَادِيَةُ الْعُدَمِ أَوْ اسْتَعْفِيفِ

فالبحتري أقصر على بعض المعنى ولم يستوفه .

### الضرب الرابع

أن يؤخذ المعنى فيزداد عليه معنى آخر . قال في "المثل السائر" : وهذا النوع من  
السِّرَقَاتِ قليل الوقوع بالنسبة إلى غيره .

فمن ذاك قول الأحنس بن شهاب :

• إِذَا قَصُرْتُ أَسْيَافَنَا كَانَ وَصْلُهَا • خُطَانًا إِلَى أَعْدَائِنَا فَتَضَارِبُ

وقول مسلم بن الوليد بعده :

إِنْ قَصُرَ الرِّيحُ لَمْ تَمِشْ الْخُطَا عَدَا • أَوْ عَزَدَ السَّيْفُ لَمْ نَنْهَمْ بِتَعْرِيدِ

أَخَذَ مُسْلِمُ الْمُعْتَى الَّذِي أَوْرَدَهُ الْأَحْنَسُ وَهُوَ وَصَلَ السَّلَاحَ إِذَا قَصُرَ بِالْخُطَا  
إِلَى الْعَدُوِّ وَزَادَ عَلَيْهِ عَدَمَ تَعْرِيدِهِمْ أَيْ فِرَارِهِمْ إِذَا عَزَدَ السَّيْفُ • وَمِنْهُ قَوْلُ جَرِيرِ

فِي وَصْفِ أَيْبَاتٍ مِنْ شِعْرِهِ :

غَرَائِبُ آلَايَ إِذَا حَانَ وَرْدُهَا • أَخَذَنَ طَرِيقًا لِلْقَصَائِدِ مُعَلِّمًا

وقول أبي تمام بعده :

غَرَائِبُ لَاقَتْ فِي فِنَائِكَ أَتْسَافًا • مِنَ الْمُجِيدِ فَهِيَ الْآنَ غَيْرُ غَرَائِبِ

فَزَادَ أَبُو تَمَامٍ عَلَى جَرِيرِ قِرَآنَ ذَلِكَ بِالْمَدْلُوحِ وَمَدَحِهِ مَعَ الْأَيْبَاتِ • وَمِنْهُ قَوْلُ  
الْمُعَدَّلِ بْنِ خَيْلَانَ :

وَلَسْتُ بِنَفَّارٍ إِلَى جَانِبِ الْغَيْثِ • إِذَا كَانَتْ الْعَلْيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ

وقول أبي تمام بعده :

يَصُدُّ عَنِ الدُّنْيَا إِذَا عَنَّ سُدُودٌ • وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زِيٍّ عَدْرَاءُ نَاهِيْدِ

فَزَادَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ :

• وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زِيٍّ عَدْرَاءُ نَاهِيْدِ •

ومما أنفق لي نظمته في هذا الباب أنه لما عُمِّرت مدرسة الظاهر برقوق بين  
القصرين بالقاهرة المحروسة ، وكان القائم بهارتها الأمير جركس الخليلي أميرأخو  
الظاهرى ، وكان قد أعتد بناءها بالصخور العظيمة التي لا يُقَالُهَا الْجِبَالُ حَمَلًا ، وَلَا

تَحْلِلُ إِلَّا عَنِ الْعَجَلِ الْخَشَبَ ، فَأُولِيعُ الشَّرَاءِ بِالنَّظْمِ فِي هَذَا الْمَعْنَى ؛ فَنَظَمَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ  
أَيَّانَا عَزُوضَ فِيهَا بِذِكْرِ التَّحْلِيلِ وَقِيَامِهِ فِي عِمَارَتِهَا ، ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِهَا :  
وَبَعْضُ خُدَّامِهِ طَوَّعًا لِنَاسِهِ • يَدْعُو الصُّخُورَ تَتَأْتِيهِ عَلَى تَحْلِيلِ .

وَالزَّمَنِي بَعْضُ الْإِخْوَانِ بِنَظْمِ شَيْءٍ فِي الْمَعْنَى ، فَوَقَعَ لِي آيَاتٌ مِنْ جَمَلَتِهَا :  
وَبِالتَّحْلِيلِ قَدْ رَاجَتْ عِمَارَتُهَا • فِي سُرْعَةٍ يُنَبِّئُ مِنْ غَيْرِ مَا مَوْجَلِ  
كَمْ أَظْهَرَتْ نَجْمًا أَسْوَاطَ حِكْمَتِهِ • وَقَدْ غَدَّتْ مِثْلًا نَاهِيكَ مِنْ مِثْلِ  
وَكَمْ مَحْضُورٌ تَحَالَ الْجَنِّ تَتَقَلَّهَا • فَأُنْهَا بِالْوَحَا تَأْتِي وَبِالتَّحْلِيلِ

فَزِدْتُ عَلَيْهِ ذِكْرَ الْوَحَا الَّذِي مَعْنَاهُ السَّرْعَةُ أَيْضًا وَصَارَ مُطَابِقًا لِمَا يَأْتِي بِهِ الْمِيزْمُونُ  
فِي عِزَائِهِمْ مِنْ قَوْلِهِمْ : الْوَحَا الْوَحَا الْعَجَلُ الْعَجَلُ مَعَ مَا تَقَدَّمَ لَهُ مِنَ التَّوْطِئَةِ يَقُولُ :  
تَحَالَ الْجَنِّ تَتَقَلَّهَا • عَلَى أَنِّي لَسْتُ مِنْ فُرْسَانِ هَذَا الْمَيْدَانِ ، وَلَا مِنْ رِجَالِ هَذَا الْوَعْيِ

### الضرب الخامس

أَنْ يُؤْخَذَ الْمَعْنَى فِيكْمِي عِبَارَةً أَحْسَنَ مِنَ الْعِبَارَةِ الْأُولَى قَالَ فِي "الْمَثَلِ السَّائِرِ" :  
وَهَذَا هُوَ الْمُحْمُودُ الَّذِي يَتَخَرَّجُ بِهِ حُسْنُهُ عَنْ بَابِ السَّرْفَةِ ؛ لَمَنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :  
إِنَّ الْكَرَامَ كَثِيرٌ فِي الْبِلَادِ وَإِنْ • قُلُوبًا كَمَا غَيْرُهُمْ قُلٌّ وَإِنْ كَثُرُوا  
أَخَذَهُ الْبَحْثِيُّ فَقَالَ :

قُلُّ الْكَرَامِ فَصَارَ يَكْثُرُ قُدْرَتُهُمْ • وَلَقَدْ يَقُلُّ الشَّيْءُ حَتَّى يَكْثُرَا  
وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي نُورٍ :

يَدُلُّ عَلَى مَا فِي الضَّمِيرِ مِنَ الْفَقْرِ • تَهَلَّبُ عَيْنُهُ إِلَى تَخْصِصِ مَنْ يَتَوَدَّى  
وَقَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ بَعْدَهُ :

وَإِذَا خَاصَمَ الْهَوَى قَلْبَ صَبٍّ • لَعَلَّهِ لِكُلِّ عَيْنٍ ذَلِيلٌ

ومنه قول أبي العلاء بن سليمان في مَرثِيَّة :

وما كَلَفَةُ البَدْرِ المَيِّرِ قَدِيمَةً \* وَلِكِنِّهَا فِي وَجْهِهِ أَثَرُ اللَّعْمِ

وقول القيسراني بعده :

وأهْوَى الَّذِي يَهْوَى لَهُ البَدْرُ سَاجِدًا \* أَلَسْتُ تَرَى فِي وَجْهِهِ أَثَرَ التَّرْبِ

ومنه قول ابن الرومي :

إِذَا شَتَاتَ عَيْنٌ أُخْرَى شَبَّ نَفْسِهِ \* فَمِنْ سِوَاهُ الشَّاءُ أَجْدَرُ

وقول من بعده :

إِذَا كَانَ شَيْئِي يَفِضُ إِلَى \* فَكَيْفَ يَكُونُ إِلَيْهَا حَبِيبًا

### الضرب السادس

أن يؤخذ المعنى ويسبك سبكاً موحداً، قال في "المثل السائر" وهو من أحسن السرقات : لما فيه من الدلالة على بسطة الناظم في القول وسعة بابه في البلاغة ، فمن ذلك قول أبي تمام :

بَرَزْتَ فِي طَلَبِ المَعَالِي وَاحِدًا \* فَيَا نَسِيرَ مُفَوَّرًا أَوْ مُنْجِدًا

عَجَبَ بِأَنَّكَ سَأَلْتَ مِنْ وَحْشَةٍ \* فِي غَايَةِ مَا زِلْتَ فِيهَا مُفْرَدًا

وقول ابن الرومي بعده :

غَرِبَتْهُ اِخْلَاقُ الزُّهْرِ فِي النَّاسِ \* وَمَا أَوْحَشَتْهُ بِالتَّغْرِيبِ

فأخذ معنى البيتين في بيت واحد، ومنه قول أبي العتاهية :

وَأَيُّ تَلَمُّذٍ عَلَى قَرِيطٍ حُبِّهَا \* لِأَنَّ لَهَا وَجْهًا يَدُلُّ عَلَى عُذْرِي

أخذه أبو تمام فقال :

لَهُ وَجْهٌ إِذَا أَبْصَرَ \* تَهْ نَاجَاكَ عَنْ عُذْرِي



فأوجز في هذا المعنى غاية الإيجاز ؛ ومنه قول أبي تمام يمدح أحمد بن سعيد :

كَانَتْ مُسَامَلَةُ الرَّجُلَيْنِ مُخْمَرِي • عَنْ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ أَطِيبَ الْخَبَرِ

حَتَّى التَّقِينَا فَلَا وَاقِهِ مَا يَمِيتُ • أَذْنِي بِأَحْسَنِّ مَا قَدْ رَأَى بَصِيرِي

أخذه أبو الطيب فأوجز في أخذه فقال :

وَاسْتَكْبَرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ • فَلَمَّا التَّقِينَا صَبَغُ الْخَبَرِ الْخَبَرُ

ومن قول بعض الشعراء :

أَمِنْ خَوْفِ فَقِيرٍ تَعَبْتَهُ • وَأَخْرَجْتَ إِنْشَاقَ مَا تَجَمُّعُ ؟

فَصِرْتَ الْفَقِيرَ وَأَنْتَ الْغَنَى • وَمَا كُنْتَ تَصُدُّو الذَّى تَصْنَعُ

أخذه أبو الطيب فقال :

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّادَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ • تَحَافَةُ فَقِيرٍ فَالَّذِي فَعَلَ الْفَقْرُ

### الضرب السابع

زيادة البيان مع المساواة في المعنى ، بأن يؤخذ المعنى فيضرب له مثال يوضحه ،

فإن ذلك قول أبي تمام :

هُوَ الصَّنْعُ إِنْ يُجْعَلُ نَفْعٌ وَإِنْ يَرُثُ • فَلَا رَيْثُ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ أَنْفَعُ

أخذه أبو الطيب فقال :

وَمِنْ الْخَيْرِ بَطْنُ سَيْبِكَ عَنَى • أَسْرَعُ السَّحَابِ فِي الْمَسِيرِ بِالْجَهَامِ

فزاده وضوحا يضرب المثال له بالجهام وهو السحاب الذي لا مطر فيه .

ومنه قول أبي تمام أيضا :

قَدْ قَلَصَتْ شَفَتَاهُ مِنْ حَفِيفَتِهِ • يُخِيلُ مِنْ شِدَّةِ التَّعْيِيسِ مُبْتَسِمًا

أخذه أبو الطيب فقال :

وبجاهل مدّه في جهله يضحكى • حتى أتته يدُ قرّاسةٍ وفم  
إذا رأيت نُبُوبَ الليث بارزة • فلا تظنّ أنّ الليث مُتّيسم  
فضرب له مثلا بظهور أنياب الليث فزاده وضوحا .

ومنه قول أبي تمام أيضا :

وكذلك لم تُفْرِطْ كاتبةً عايطيل • حتى يُجاوزها الزمانُ بحال  
أخذه البحرى فقال :

وقد زادها إقراطُ حُسنِ جوارها • لأخلاقِ أصفارٍ من التَّجْدِ حُيْب  
وحُسنُ درارى الكواكب أن تُرى • طَوَالِيعَ في داجٍ من الليل غُيْب  
فضرب له مثلا بالكواكب في ظلام الليل فأوضحه وزاده حُسنًا .

### الضرب الثامن

اتّحاد الطريق واختلاف المقصود، مثل أن يسلك الشاعران طريقا واحدة  
فصخرَجَ بهما إلى مَوردين، وهناك يتبين فضل أحدهما على الآخر .

فمن ذلك قول النابغة :

إذا ما غَزَا بِالْبَيْشِ حَلَقَ قَوْقه • عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْدِي بِعَصَائِبِ  
جَوَانِحٍ قَدْ أَبَقْنَ أَنَّ قَبِيلَه • إذا ما اتَّقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلَ ظَلِبِ

وهذا المعنى قد توارده الشعراء قديما وحديثا وأوردوه بضروب من العبارات،

فقال أبو نُوَاس :

يَتَوَخَّى الطَّيْرُ غَزْوَتَه • بِقَبْلةٍ بِالْقَمِ مِنْ جَزْده

وقال مسلم بن الوليد :

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَيَقْنُ بِهَا • فَنَنْ يَتَّبِعُهُ فِي كُلِّ مُرْتَحِلٍ

وقال أبو تمام :

وَتَدَّ سُلَيْكُ عَقْبَانٍ أَمْلَامَهُ مَعِي • يَعْقَبَانِ طَيْرٌ فِي الدِّمَاءِ نَوَاهِلُ

أَقَامَتْ مَعَ الرِّايَاتِ سَحَى كَانَهَا • مِنَ الْجَيْشِ إِلَّا أَنْهَا لَا تُقَاتِلُ

وكل هؤلاء قد أتوا بمعنى واحد لا تفاضل بينهم فيه إلا من جهة حسن السبك

أو من جهة الإيجاز . قال ولم أر أحدا أغرب في هذا المعنى فسلك هذا الطريق

مع اختلاف مقصده إلا مسلم بن الوليد فقال :

أَشْرَيْتَ أَرْوَاحَ الْيَدَا وَقُلُوبَهَا • خَوْفًا فَأَنْفُسُهَا إِلَيْكَ تَطِيرُ

لَوْ حَاكَمْتَكْ فَطَالَ بَتُّكَ بِذَحْلِهَا • شَهِدْتُ عَلَيْكَ تَعَالِبٌ وَتُسُورُ

فهذا قد فضل به مسلم غيره في هذا المعنى، ولما انتهى الأمر إلى أبي الطيب

سلك هذه الطريق التي سلكها من تقدمه إلا أنه خرج فيها إلى غير المقصد الذي

قصدوه فأغرب وأبدع، وحاز الإحسان بجملة، وصار كأنه مبتدع لهذا المعنى دون

غيره فقال :

تَحَابُّ مِنَ الْيَقْبَانِ يَزْحَفُ تَحْتَهَا • تَحَابُّ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقَّتَهَا صَوَارِمُهُ

لَحْوَى طَرَفَ الْإِغْرَابِ وَالْإِعْجَابِ •

### الضرب التاسع

بياض بالأصل<sup>(١)</sup> .

(١) اقتصر في الضوء على أحد مشرفيها وبجل العاشر تاسعا الخ وكذلك عددا صاحب الخ السان

## الضرب العاشر

أن يكون المعنى عاماً فيجعل خاصاً أو خاصاً فيجعل عاماً ، وهو من السرقات التي يُسأخ صاحبها ، فأما جعل العام خاصاً فن ذلك قول الأخطل<sup>(١)</sup> :  
لَا تَنَّهُ عَن خُلُقِي وَتَأْتِي يَثْلُهُ \* عَارٌ طَيْبِكَ إِذَا فَطَلَتْ حَظِيمُ  
أخذه أبو تمام فقال :

أَلْوَمٌ مِّنْ يَخْلُتْ يَدَاهُ وَأَغْتَدِي \* لِلْبُهْلِ تَرِيَاءُ سَاءَ ذَاكَ صَنِيعَا  
فالأخطل نهى عن الإتيان بما ينهى عنه مطلقاً بغناء بالخلق منكراً بفعله شامعاً في بابه ، وأبو تمام خصص ذلك بالبُهْل وهو خُلُق واحد من جملة الأخلاق .  
وأما جعل الخاص عاماً ، فن ذلك قول أبي تمام :  
وَلَوْ حَارَدَتْ شَوْكٌ عَذَرْتُ لِقَاحِهَا \* وَلَكِنْ مَنَّ الدَّرُّ وَالضَّرْعُ حَايِلُ  
أخذه أبو الطيب بفعله عاماً فقال :  
وَمَا يُؤْلِمُ الْحِرْمَانُ مَن كَفَّ حَارِيم \* كَمَا يُؤْلِمُ الْحِرْمَانُ مَن كَفَّ رَازِقِي

## الضرب الحادي عشر

قلب الصورة القبيحة الى صورة حسنة . قال في "المثل السائر" : وهذا لا يسنى سرقة بل يبنى إصلاحاً وتهذيباً ، فن ذلك قول أبي نواس في أرجوزة يصف فيها اللبب والكثرة والصُولِيَّان فقال من جعلتها :  
جِئْتُ عَلَى جِرٍّ وَإِنْ كَانُوا بَشَرٌ \* كَأَنَّمَا يَخِيطُوا طَلِبًا بِالْإِبْرِ  
أخذه المتنبى فقال .

فكَأَنَّمَا يُنَجِّبُ قِيَامًا تَحْتَهُمْ \* وَكَأَنَّمَا خَلُقُوا عَلَى صِهْوَاتِهَا

(١) كذا في "المثل السائر" أيضاً — روى ديوان الأخطل صحيفة ٣٣٨ أن هذا البيت لشوكل المتنبى

فهذا في غاية العلو والأرتقاء بالنسبة الى قول أبي نؤاس ، ومنه قول أبي الطيب  
لو كان ما تعطيه من قبل أن • تعطيه لم يعرفوا التأييلا  
وقول ابن نباتة السعدي :

لم يبي جودك لي شيئا أوئله • تركتني أفتب الدنيا بلا أمل  
فكلام ابن نباتة أحسن في الصورة من كلام المتنبي هنا وإن كان مأخوذا منه .

### الضرب الثاني عشر

قلب الصورة الحسنة الى صورة قبيحة ، وهو الذي يعبر عنه أهل هذه الصناعة  
بالمنسخ ، وهو من أرذل السرقات وأقبحها ، فمن ذلك قول أبي تمام :  
فَقَيَّ لَا يَرَى أَنَّ الْقَرِيصَةَ مَقْتُلٌ • وَلَكِنْ يَرَى أَنَّ الْعُيُوبَ مَقَاتِلُ  
أخذه أبو الطيب فسخره فقال :  
يَرَى أَنَّ مَا بَابَانَ مِنْكَ لِضَارِبٍ • بِأَقْتَلِ مِمَّا نَانَ مِنْكَ لَعَائِبِ  
ومنه قول عبد السلام بن رشان :  
تَحْسُنُ نَعْرَتِكَ وَمِنْكَ الْهَدَى • مُسْتَحَرَجٌ وَالصَّبْرُ مُسْتَقْبَلُ  
أخذه أبو الطيب فسخره فقال من أبيات :

وَبِأَلْفَاظِكَ اهْتَدَى فَإِذَا عَزَّكَ قَالَ الَّذِي لَهُ قُلْتُ قَبْلًا

### المسلك الثاني

#### طريقة الاختراع

قال التوزير ضياء الدين بن الأثير في "الملل السائر" ، فهي ألا يتعصف كتابة  
المقامين ولا يطلع على شيء منها ، بل يصرف همه الى حفظ القرآن الكريم وكثير

من الأخبار النبوية وعدة من دواوين الحول الشعراء ممن غلب على شعره الإجابة في المعاني والألفاظ ، ثم يأخذ في الاقتباس من القرآن والأخبار النبوية والأشعار فيقوم ويقع ، ويحطئ ويصيب ، ويضل ويهتدي ، حتى يستقيم الى طريق يستحقها لنفسه ، وأخلق بتلك الطريق أن تكون مبتدعة غريبة لاشركة لأحد من المتقدمين فيها ! . قال : وهذه الطريق هي طريق الاجتهاد وصاحبها يعد إماما في الكتابة كما يعد الشافعي وأبو حنيفة ومالك وغيرهم من المجتهدين في علم الفقه ، إلا أنها مستوعرة جدا ، لا يستطيعها إلا من رزقه الله تعالى لسانا هجأما ، وخاطرا رقا ، قال : ولا أريد بهذا الطريق أن يكون الكاتب مرتبطا في كتابته بما يستخرجه من القرآن الكريم والأخبار النبوية والأشعار ، بحيث إنه لا ينشئ كتابا إلا من ذلك ، بل أريد أنه اذا حفظ القرآن الكريم ، وأكثر من حفظ الأخبار النبوية والأشعار ، ثم نقب عن ذلك تنقيب مطلع على معانيه ، مفتش على دقایقه ، وقلبه ظهرا لبعطن ، عرف حينئذ من أين تؤكل الكتف فيما ينشئه من ذات نفسه ، وأستعان بالمحفوظ على الفريضة الطبيعية . على أنه لابد للكاتب المرتقى الى درجة الاجتهاد في الكتابة مع حفظ القرآن الكريم ، والاستئثار من حفظ الأخبار النبوية ، والأشعار المختارة ، من العلم بأدوات الكتابة وآلات البيان : من علم اللغة ، والتصريف ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبدع ، فيتمكن من التصرف في اقتباس المعاني واستخراجها فيرق الى درجة الاجتهاد في الكتابة ، كما أن المجتهد من الفقهاء اذا عرف أدوات الاجتهاد : من آيات الأحكام ، وأحاديثها ، وتنتها ، وعرف النحو والناسخ والمنسوخ من الكتاب والسنة ، والحساب والفرائض وإجماع الصحابة ، وغير ذلك من آلات الاجتهاد وأدواته ، أستخرج بفكره حينئذ ما يؤذيه اليه آجهاده . فالمجتهد في الكتابة يستخرج المعاني من مقلاتها من القرآن الكريم ، والأخبار النبوية ، والأشعار ،

والأمثال، وغير ذلك بواسطة آلة الاجتهاد، كما أن المجتهد في التفهيمات يستخرج الأحكام من نصوص الكتاب والسنة بواسطة آلة الاجتهاد . فإذا أراد الكاتب المتصف بصفة الاجتهاد في الكتابة إنشاء خطبة أو رسالة أو غيرها مما يتعلق بفن الإنشاء .

يباض بالأصل

## الأصل السادس

وجود الطبع السليم، وخلو الفكر عن المشوش

أما وجود الطبع فقال في "مواد اليان" : أول معارن هذه الصناعة الجليلة القرينة الفاضلة، والقرينة الكاملة، التي هي مبدأ الكمال، ومنشأ التمام، والأساس الذي ينشأ عليه، والركن الذي يستند إليه، فإن المرء قد يجتهد في تحصيل الآداب، ويتوفر على آتناء العلوم واكتسابها، وهو مع ذلك غير مطبوع على تأليف الكلام فلا يفيد ما آكتسبه، بخلاف المطبوع على ذلك، فإنه وإن قصر في اقتباس العلوم واكتساب المواد فقد يلتحق بأوساط أهل الصناعة؛ وذلك أن الطبع يخص الله تعالى به المطبوع دون المتطبع، والمناسب بقرينته للصناعة دون المتصع، ولا سبيل إلى آكتساب سهولة الطبع ولا كرازته، بل هو موهبة تخص ولا تتم، وتوجد في الواحد وتنفد في الآخر .

قال ابن أبي الأصم في "نحرير التحرير" : ومن الناس من يكون في البداية أيدع منه في الروية، ومن هو مجيد في الروية وليست له بنية دقها يتساويان .

ومنه مَثَبٌ إذا خاطب أبداع ، وإذا كاتب قَصْرٌ ، ومن هو بَصْعَدٌ ذلك ، ومن قَوِيٌّ شره ضَعْفٌ لظلمه ، ومن قَوِيٌّ لظلمه ضَعْفٌ شره ، ولعلما يتساويان . وقد يبرز الشاعر في معنى من مقاصد الشعر دون غيره من المقاصد ، ولهذا قيل : أشعر الناس أمرؤ القيس إذا ركب ، وزُهير إذا رغب ، والنابعة إذا رهب ، وعنترة إذا كَلِبَ ، والأعشى إذا طَرِبَ . قال في "المثل السائر" : بل ربما تَقَدَّرَ في بعض أنواع الشعر دون بعض فيرى عجيبا في المدح دون المَجَّو أو بالعكس ، أو ماهرا في المقامات ونحوها دون الرسائل ، أو في بعض الرسائل دون بعض . قال أُمِّي أبي الأصبغ : ولربما واتاه العملُ في وقت دون وقت ؛ ولذلك قال الفرزدق : إني ليمتدُّ لي الوقت ولتَقْطَعْ ضُرُوسٌ من أضراسي أيسرُ عليَّ من قول الشعر ؛ ولذلك عزى تأليف الكلام ونظمه على كثير من العلماء باللغة ، والمهرة في معرفة حقائق الألفاظ من حيث تُؤَبِّرُ طباعهم عن تركيب أساطير الكلام الذي قامَتِ صور معانيه في نفوسهم ، وصعِبَ الأمر طليهم في تأليفه ونظمه ؛ فيقدح أن الخليل بن أحمد مع تقدسه في اللغة ، ومهارته في العربية ، واختراعه علم العروض ، الذي هو ميزان شعر العرب ، لم يكن يتهيأ له تأليف الألفاظ السهلة لديه الحاصلة المعاني في نفسه على صورة العظم إلا بصُمو به ومشقة ؛ وكان إذا منهل عن سبب إعراضه عن نظم الشعر يقول يا باني جِده وآبى رديشه ، مشيرا بذلك إلى أن طبعه غير مساعد له على التأليف المَرْضَى الذي تحسن نميته إلى مثله . وقيل للفَضِّل الضبيّ ألا تقول الشعر وأنت لأعلم الناس به فقال علمي به بمعنى من قوله وأفسد :

أبي الشعرُ إلا أن يُفِيَّ رَدِيَّتَهُ \* عليَّ وآبى عنه ما كان محكما  
فيا ليتني إن لم أجد حَوَكي وشي \* ولم ألك من قُرسانه كنت مُفْعَمًا



وأنشد أبو عبيدة خُلقاً الأحمر شعراً له فقال انخبأ هذا كما تحبُّ السُنُورَةَ حاجتها، مع ما كان عليه أبو عبيدة من العلم باللغة وشعر العرب وأمثالها وأيام حروبها، وما يجري مجرى ذلك من مواد تأليف الكلام ونظمه ويحكى عن أبي العباس المبرد أنه قال : لا أحتاج الى وصف نفسي : لأن الناس يعلمون أنه ليس أحد من الخلفين مختلج في نفسه مسألةً مُشكلةً إلا يقينى بها وأعدنى لها، فانا عالم ومُعلم، وحافظ ودارس، لا يخفى على مشبه من الشعر، والنحو، والكلام المنشور، والخطب، والرسائل؛ ولربما احتجت الى اعتذار من قلة، أو التماس حاجة، فأجبل المعنى الذى أقصد نُصِبَ معنى ثم لا أجد سبيلا الى التعبير عنه بيد ولا لسان؛ ولقد بلغنى أن عبيد الله بن سليمان ذكرنى بجمل غاوَلت أن أكتب اليه رُقعة أشكره فيها وأعترض ببعض أمورى، فأثبتت نفسى يوماً في ذلك فلم أقدر على ما أرتضيه منها، وكنت أحاول الإفصاح عما في ضميرى فيعترف لسانى الى غيره، ولذلك قيل : زيادة المنطق على الأدب خُدعة، وزيادة الأدب على المنطق بُجعة .

فقد تبين لك أن العبارة بالطبع وأنه الأصل المرجوع اليه في ذلك؛ على أن الطبع بمفرده لا ينهض بالمقصود من ذلك نُبوذَه مع اشتماله على المواد المساعدة له على ذلك من الأنواع السابقة فيما تقدم في أول هذه المقالة، من العلم باللغة والنحو والتصرف والمعاني والبيان والبدع، وحفظ كتاب الله تعالى، والإكثار من حفظ الأحاديث النبوية، والأمثال والشعر والخطب، ورسائل المتقدمين وأيام العرب وما يجري مجرى ذلك مما يكون ساعداً للطبع، ومُسَهِّلاً طريق التأليف والنظم، بل يتفاوت في العلو والمهبوط بحسب التفاوت في ضعف المساعد من ذلك وقوته؛ إذ معرفته هذه الامور قائمة من الإنشاء مقام المادَّة، والطبع قائم منه مقام الآلة، فلا يتم الفعل وإن قامت الصورة في نفس الصانع مالم تُوجد المادَّة والآلة جميعاً، ولو كان حصول

المادة كافيًا في التوصل إلى حسن التأليف الذي هو نظم الألفاظ المناسبة وتطبيقها على المعاني المساوية لكأنت صناعة الكلام المؤلف من الرسائل والخطب والأشعار مبهلة، والمُشاهد بخلاف ذلك، لقصور الأفاضل عن بلوغ هذه الدرجة .  
وأما خلق الفكر من المشوش فإنه يرجع إلى أمرين .

## الأمر الأول

### صفاء الزمان

فقد قال أبو تمام الطائي في وصيته لأبي حبة البعري من شداله الوقت المناسب لذلك : تخيير الأوقات وأنت قليل المموم ، صفر من القوم ، وأعلم أن العادة في الأوقات إذا قصد الإنسان تأليف شيء أو حفظه أن يختار وقت السحر ، فإن النفس تكون قد أخذت حفظها من الراحة ، وقسطها من النوم ، وخفت عنها ثقل الغذاء ، وصفا الدماغ من أكثر الأبخرة والأذخنة ، وسكنت القعائم ، وزوتت النسايم ، وتفتت الحمايم .

وخالف ابن أبي الأصم في اختيار وقت السحر ، وجنح إلى اختيار وسط الليل أخذًا من قول أبي تمام في قصيدته البائية :

خُذْهَا أَبْنَةَ الْفِكْرِ الْمُهَذَّبِ فِي اللَّيْلِ • وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ رُقْعَةٍ الْخَلَابِ

مفسرًا للذي بوسط الليل ، محتجا لذلك بأنه حينئذ تكون النفس قد أخذت حفظها من الراحة ، ونالت قسطها من النوم ، وخفت عنها ثقل الغذاء ، فيكون الذهن حينئذ صحيحا ، والصدر منشرحا ، والبدن نشيطا ، والقلب ساكنا . بخلاف وقت السحر فإنه وإن كان فيه يرق النسيم وينهمم الغذاء ، إلا أنه يكون قد آتبه فيه أكثر الحيوانات ، الناطق وغيره ، ويرتفع معظم الأصوات ، ويمرر الكثير من الحركات ، وينتشع بعض الظلمات بطلوع أوائل الضوء ، وربما أنهمض عن بعض

الناس الغذاء فتحرّكت الشهوة لإخلاف ما أنهمض منه ونرج من فضلاته ، فكان ذلك داعياً الى شغل الخاطر ، وباعثاً على انصراف الهمّ الى تدبير الحوادث الحاضرة ، فيتقسم الفكر ، ويتذبذب القلب ، ويتفرق جميع الهم ، بخلاف وسط الليل فإنه خال من جميع ذلك .

## الأمسر الثاني

### صفاء المكان

وذلك بأن يكون المكان الذي هو فيه خالياً من الأصوات ، عارياً عن الخوفات والمهولات والطوارق ، وأن يكون مع ذلك مكاناً رائقاً مُعجِباً ، رقيق الحوائش ، فينبج الأرجاء ، بسيط الرّحاب ، غير غمٍّ ولا كدر ، فإن انضم الى ذلك ما فيه بسط للناظر : من ماء وخضرة وأشجار وأزهار وطيب رائحة ، كان أبسط للفكر وأنجح للناظر . وقد ذهب بعضهم الى أنه ينبغي خلّو المكان من النقوش الغريبة ، والمرآئي المحجة ، فإنها وإن كانت مما ينشط الناظر فإن فيها شغلاً للناظر فينبه القلب فيشتت .

## المقصود الثاني

من الطرف الثالث في بيان طرق البلاغة ووجوه تحسين الكلام ، وكيفية إنشائه وتأليفه ، وتهذيبه وتأديته ، وبيان ما يُستحسن من الكلام المصنوع ، وما يُباعد به

أما إنشاؤه وتأليفه فقد قال ابن أبي الأصم في "تحرير التحبير" : يجب على كل من كان له ميل الى عمل الشعر وإنشاء الثرأن يتعهد أولاً نفسه ويمسحها بالنظر في المعاني ، وعقبة الفكر في استنباط المختبرات ، فإذا وجد لها فطرة سليمة ، وجيزة

موزونة، وذُكاه وقادا، وخاطرا سَمَحا، وفكرا ثاقبا، وفهما مربعا، وبصيرة مُبصرة،  
واللمعة مهذبة، وقوة حافظه، وقدرة حاكية، وهمة عالية، ولهجة فصيحة، وعلمة  
صحيحة، أخذ حينئذ في العمل؛ وإن كان بعض ذلك غير لازم لرب الإنشاء،  
ولا يضطر إليه أكثر الشعراء، ولكن إذا كملت هذه الصفات في الكاتب والشاعر،  
كان موصوفا في هذه الصناعة بكمال الأوصاف النفيسة .

قال أبو هلال العسكري في "الصناعتين" : إذا أردت أن تصنع كلاما فاحظر  
معانيه ببالك، وتق له كرائم اللفظ فاجعلها على ذُكر منك ليقرُب عليك تناوُلها،  
ولا يتعمك تطلُّبها، واعمله مادمت في شباب نشاطك، فإذا غشيك القُتُور، وغشوك  
المَلال، فأمسك فإن الكثير مع المَلال قليل، والنهس مع الضَجَر خسيس، وانلِخواطر  
كالتابيع يُسقى منها شيء بعد شيء فتجد حاجتك من الرُّى، وتسال أربك من  
المغنة، فإذا كثرت عليها نَضَب ماؤها، فقلْ عنك غناؤها . وينبغي أن تخرج مع  
الكلام مُعارضه، فإذا مررت بلفظ حَسَن أخذت برقبته، أو معنى بدیع تعلقت  
بذيله . ومحرز أن يسبقك فإنه إن سبقك تعبت في تطلُّبه، ولعلك لا تلحقه على  
طول الطلب، ومواصلة الدَّاب، وهذا الشاعر يقول :

إذا ضَيِّعَ أَوَّلَ كُلِّ شَيْءٍ . أَبَتْ أَعْيَازُهُ إِلَّا التَّوَهُ

وقد قالوا : ينبغي لصانع الكلام ألا يتقدم الكلام تهكما، ولا يتبع ذُنَابَه  
تُكْبا، ولا يمله على لسانه حَمَلا، فإنه إن تقدم الكلام لم يتبعه خفيقه وهزيله وأعجمه  
والشارد منه وإن تبعه فأنته سوايقه ولواحقه، وتباعدت عنه جواده وغمره وإن  
حمله على لسانه ثقلت عليه أوساقه وأعباؤه، ودخلت مساويه في محاسنه، ولكنه  
يمرّ معه فلا تَبَدُّ عنه ناته تُعْجِبُه سَمًا إِلَّا كَبَحُهَا، ولا تخلف عنه مُثْقَلَةٌ هزيلة  
إلا أَرَقَّهَا، وطورا يفوز به ليختار أحسنه، وطورا يجمعه ليقرّب عليه خطوة الفكر،

ويتناول من تحت لسانه ، ولا يسلط اللل على قلبه ، ولا الإثثار على فكره ، فياخذ  
 حقوه ، ويستغفر ذره ، ولا يكره آتيا ، ولا يدفع آتيا . وإياك والتعقيد والتوعر ، فإن  
 التوعر هو الذى يستهلك معانيك ، ويشين ألفاظك ، ومن أراغ معنى كريما ، فليتمس  
 له لفظا كريما ، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن حقهما أن يصورهما  
 عما يندسهما ، ويفسدهما ويهجنهما ، فتصير بهما الى حد تكون فيه أسوأ حالا منك  
 قبل أن تلتبس البلاغة ، وترتب نفسك فى ملاستها ؛ وليكن لفظك شريفا عذبا ،  
 نغما سهلا ، ومعناه ظاهرا مكشوفًا ، وقريبا معروفا ؛ فإن وجدت اللفظة لم تقع  
 موقعها ، ولم تصل الى مركزها ، ولم تنصل بشكلها ، وكانت قلقة فى موضعها ، نافرة  
 عن مكانها ، فلا تكبرها على اهتمامها ، والتزول فى غير أوطانها ؛ وإن بقيت  
 يتكلف القول ، وتماطى الصناعة ، ولم تسمع لك الطبيعة فى أول وهلة ، وعصت  
 عليك بعد إجابة الفكر ، فلا تسجل ودعه بحابة يومك ، ولا تضجر ، وأمله سواد  
 ليلتك ، وطاؤه عند نشاطك ، فانك لا تعدم الإجابة والموافاة إن كانت هناك  
 طبيعة ، أو جريت من الصناعة على حرف ، وينبغى أن تعرف أقدار المعاني فتوازن  
 بينها وبين أوزان المستمعين ، وأقدار الحالات فتجعل لكل طبقة كلاما ، ولكل  
 حال مقاما ، حتى تقيم أقدار المستمعين على أقدار الحالات ، فإن المنفعة مع موافقة  
 الحال ، وما يجب لكل مقام من المقال .

قال فى "مواد البيان" : ويكون استعمال كل من جنس الألفاظ وسهلا ، وفيصيحها  
 وسلسها ويهجا فى موضعه ، وأن يسلك فى تأليف الكلام الطريق الذى يفرجه  
 عن حكم الكلام المشور العاقل الذى تستعمله العاتية فى الخباطات والمكاتبات  
 الى حكم المؤلف الحالى بحل البلاغة والبديع ، كالاستعارات ، والتشبيهات ،  
 والإيجاع ، والمقالات ، وغيرها من أنواع البديع .

قال في "الصناعتين" : وإن عملت رسالة أو خطبة فتخطأ ألفاظ المتكلمين كالجنس ، والجواهر ، والعرض ، واللون ، والتأليف ، واللاهوت ، والناسوت ، فإن ذلك مُجَنَّة .

قال في "مواد البيان" : وذلك بأن يقصد الكاتب إلى ألفاظ الصناعة فيخرج منها إلى ألفاظ غريبة عن الصناعة غير مجاسة لها . قال وإنما يُوقى الكاتب في هذا الباب من جهة أن يكون له شركة في صناعة غير الكتابة ، كصناعة الفقه والكلام وغيرهما ، مثل صناعة أصحاب الإعراب ونحوها ، فكل طبقة من هذه الطبقات ألفاظ خاصة بها ، يستعملونها فيما بينهم عند المحاوره والمخوض في الصناعة ، ومن عادة الإنسان إذا تعاطى باباً من هذه الأبواب أن يسبق خاطره إلى الألفاظ المتعلقة به ، فيوقعها في الكتب التي ينشئها لعلبة عادة أستعمله إياها فيهجتها بإدخاله فيها ما ليس من أنواعها .

قال في "الصناعتين" : وتخير الألفاظ وإبدال بعضها من بعض يوجب الثام الكلام ، وهو من أحسن نمونه وأزین صفاته ، فإن أمكن مع ذلك انتظامه من حروف سهلة الخارج كان أحسن له ، وأدعى للقلوب إليه ، وإن اتفق له أن يكون موقعه في الإطناب أو الإيجاز أليق بموقعه ، وأحق بالمقام والحال ، كان جامعاً للحسن ، بارعاً في الفضل ، فإن بلغ مع ذلك أن تكون موارده تنبئك عن مصادره ، وأوله يكشف قناع آخره ، كان قد جمع نهاية الحسن ، وبلغ أعلى مراتب التمام .

قال في "مواد البيان" : وإذا سلكت طريقاً فز فيها ، ولا تتنازل عنها إن كانت رفيعة ، ولا ترتفع عنها إن كانت وضیعة . وخالف ابن أبي الأصبع ، فقال : ولا تجعل كل الكلام شريفاً عالياً . ولا وضیفاً نازلاً ، بل فصله تفصيل العقود ، فإن العقد ، إذا كان كله نفيساً لا يظهر حسن فرائده ، ولا يبين جمال واسطته ، فإن الكلام إذا كان

متنوما في البلاغة، أُفْتُخَتِ الأسماعُ فيه، ولا يلحق النفوسَ مللٌ من ألفاظه ومعانيه، ولا يخرج عن عرض إلى غيره حتى يكمل كل ما ينظم فيه، كما إذا كان ينشئ كتابا في العَدَلِ والتوبيخ، فيشوبُ ألفاظه بألفاظ أخرى تخرج عن الحشونة إلى اللين.

فإن اختلاف رُقعة الكلام من أشد حيو به .

قال في "الصناعتين": ولا تجعل لفظك حوشيا بدويا، ولا مبتذلا سوقيا، ورثب الألفاظ ترتيبا صحيحا، فتقدم منها ما يحسن تقديمه، وتؤخر منها ما يحسن تأخيرها، ولا تقسم منها ما يكون التأخير به أحسن، ولا تؤخر ما كان التقديم به أبقى، ولا تكرر الكلمة الواحدة في كلام قصير، كما كتبت سعيد بن حميد: "ومثل خادمك بين يديه ما يملك فلم يجد شيئا يفي بحقك، ورأى أن تعريضك بما يلفه اللسان وإن كان مقصرا عن حقا أبلغ في أداء ما يجب لك". فكرر ذكر الحق مرتين في مقدار يسير. على أن أبا جعفر النحاس قد ذكر في "صناعة الكتاب" أن ذلك ليس بيبع عند كثير من أهل العربية، وهو الحق فقد وقع مثل ذلك من التكرير في القرآن الذي هو أنصح كلام، وأتقن نظام، في قوله تعالى: ﴿وَالسَّاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَنْ لَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ فكرر ذكر الميزان ثلاث مرات في مقدار يسير من الكلام، وأمثاله في القرآن الكريم كثير.

قال في "الصناعتين": فإن احتاج إلى إعادة للمعاني أعادها بشير اللفظ الذي ابتدأ به كما قال معاوية: "من لم يكن من بني عبد المطلب جوادا فهو ذليل، ومن لم يكن من بني الزبير مجاحا فهو تريق، ومن لم يكن من بني المغيرة نباه فهو سيئ". فقال: ذليل، ثم قال: تريق، ثم قال: سيئ والمعنى واحد، والكلام على ما ترى حسن، ولو قال تريق ثم أعاد لسمج. على أن الوزير هسياء الدين بن الأمير

في "المثل السائر" قد ذكر ما ينافي ذلك، وتعقب أبا إسحاق الصابي في قوله في تحميدة كتاب : الحمد لله الذي لا يُبْرِكُهُ الأَعْيُنُ بالحِساظها، ولا تُحَدُّه الأَلْسُنُ بالفاظها، ولا تُحْلِقُهُ العُصُورُ بِمُرورها، ولا تُهْرِمُهُ النُّهُورُ بِكُرورها، وقوله بعد ذلك في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : لم يَلْكَفُرْ أَثَرًا إِلَّا طَمَسَهُ وَغَمَاهُ ، ولا رَيْبًا إِلَّا أزاله وَغَمَاهُ ؛ فقال لا فرق بين مُرور العصور، وكُرور النهور ؛ وكذلك لا فرق بين مَحْو الأثر وإغفاء الرسم ؛ ويحتمل أن يقال إنما كره صاحب "المثل السائر" ذلك لتوافق القريتين في جميع المعنى بخلاف كلام معاوية فإنه متوافق في اللفظة الأخيرة فقط .

قال في "الصناعتين" : ويَجْتَنِبُ كُلُّ مَا يُكْسِبُ الكلامَ نَعْمَةً كما كتب سعيد ابن حميد يذكر مَظْلَمَةَ إنسان في كتابه : لفلان - وله بى حرمة - مَظْلَمَةٌ ، يريد لفلان مَظْلَمَةٌ وله بى حرمة ، بمعنى أنه راعى حرمة . قال : وأعلم أن الذى يلزمك في تأليف الرسائل والخطب هو أن تجعلها مُرَدِّجَةً فقط ولا يلزمك فيها السجع ، فإن جعلتها مسجومةً كان أحسنَ ما لم يمكن في تجنبك استكراه وتناثر وتمقيد ، وكثيرا ما يقع ذلك في السجع ، وقامنا ينسلم إذا طال من استكراه وتناثر .

قال ابن أبي الأصبح : ولا تجعل كلامك كله مبدئاً على السجع فظهر عليه الكلفة ، ويتبين فيه أثر المشقة ، وتكلف لأجل السجع ارتكاب المعنى الساقط ، واللفظ النازل ، وربما استدعيت كلمة للقطع رغبة في السجع بغامت نافرة من أخواتها ، فليقة في مكانها . بل أصرف كل النظر إلى تجويد الإلفاظ وصحة المعاني ، وأجهد في تقويم المبادئ ، فإن جاء الكلام مسجوماً عفواً من غير قصد ، وتباهت مقاطعُه من غير كسب كان ، وإن عثرَ ذلك فأتى وإن اختلفت أبعاجه ، وتباينت في التفتية مقاطعه ، فقد كان المتقدمون لا يمتثلون بالسجع جملة ، ولا يقصدونه



إلا ما أنت به الفصاحة في أثناء الكلام، وأتفق من غير قصد ولا اكتساب؛ وإنما كانت كلماتهم متوازية، وألفاظهم متساوية، ومعانيهم ناصعة، وعباراتهم رائعة، وفصولهم متقابلة، وجمال كلامهم متماثلة؛ وتلك طريقة الإمام علي رضي الله عنه ومن أتى أثره من قرسان الكلام، كآبرن المقتع، ويزيد بن هارون، وإبراهيم بن العباس، والحسن بن سهل، وعمر بن مسمدة، وأبي عثمان الجاحظ، وغيرهم من الفصحاء البلغاء .

قال في "مواد البيان" : وأقل ما يكون من الأزدواج قرينتان .

قال في "الصناعتين" ، ويلبى أن يختبإ إعادة حروف الصلّات والرباطات في موضع واحد إذا كتب، في مثل قول القائل له منه عليه، أو عليه منه، أو به له منه، وحقه له عليه . قال : وسيله أن يداويه حتى يزله، بأن يفصل ما بين الحرفين مثل أن يقول : أفتى به شهيداً عليه كقول المتنبي :

وَأُسْعِدُنِي فِي خَيْرَةٍ بِمَدَنَمْرَةٍ سَبَّوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلِيٌّ شَوَاهِدُ

قال آبرن إلى الأصح : وليراع الإيجاز في موضعه، والإطناب في موضعه، بحسب ما يقتضيه المقام، ويتجنب الإسهاب والتطويل غير المفيد .

قال العسكري : وينبغي أن يأتي في تأليفه الكلام بآيات من الكتاب العزيز في الأمور الجليلة للترصيع والتعليق، والاستشهاد للعاني على ما يقع في موقعه، ويلبى بالمكان الذي يوقع فيه، ولكنه لا يستكثر منه حتى يكون هو الغالب على كلامه، بتزيين الكلام الله تعالى عن الابتذال، فإنه إنما يستعمله على جهة التبرك والزينة، لا ليجعل حشواً في الكلام؛ وإذا استعير منه شيء أتى به على صورته، ولا ينقله عن صيغته، ليسلم من تحريفه، ومخالفة اختيار الله تعالى فيه . قال : وكما لا يجوز الإكثار منه لا يجوز

أَن يُحْلَى كَلَامُهُ مِنْ شَيْءٍ مِنْهُ تَحْلِيلُهُ ، فَإِنْ خَلَقَ الْكَلَامَ مِنَ الْقُرْآنِ يُطَيِّسُ مَحَاسِنَهُ ، وَيُنْقِصُ بَهْجَتَهُ ، وَلِذَلِكَ كَانُوا يَسْمُونِ الْخُطْبَةَ الْخَالِيَةَ مِنَ الْقُرْآنِ بَرَاءً .

وَيَنْبَغِي أَلَّا يَسْتَعْمَلَ فِي تَحَابُّثِهِ مَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ مِنَ الْحَذَفِ وَمُخَاطَبَةِ الْخَاصِّ بِالْعَامِّ ، وَالْعَامِّ بِالْخَاصِّ ، وَالْجَمَاعَةِ بِفِطْرَةِ الْوَاحِدِ ، وَالْوَاحِدِ بِفِطْرَةِ الْجَمَاعَةِ ، وَمَا يَمُرُّ هَذَا الْمُتَجَرِّبُ ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ قَدْ نَزَلَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ ، وَخُوطِبَ بِهِ فُصَحَاءُوهم بِخِلَافِ الرِّسَالِ .

قَالَ فِي "الصَّنَاعَيْنِ" : لَا يَجُوزُ أَنْ يَسْتَعْمَلَ فِيهَا مَا يَنْتَصُ بِالشَّعْرِ مِنْ صَرَفٍ مَا لَا يَنْصَرَفُ ، وَحَذَفٍ مَا لَا يُحْذَفُ ، وَقَصْرٍ الْمُدُودِ ، وَمَدٍّ الْمَقْصُورِ ، وَالْإِخْفَاءُ فِي مَوْضِعِ الْإِظْهَارِ ، وَتَصْغِيرِ الْأَسْمِ فِي مَوْضِعِ تَكْبِيرِهِ ، إِلَّا أَنْ يُرِيدَ تَصْغِيرَ التَّعْظِيمِ كَقَوْلِ الْقَائِلِ : «أَنَا جَدِّي لَهَا الْحَكَمُ ، وَحُذِّقْتُهَا الْمَرْجَبَ» . وَبِمَا يَسْتَحْصِنُ مِنْ وَصِيَةِ أَبِي تَمَامٍ لِأَبِي حُبَادَةَ الْبُحْتَرِيِّ فِي الشَّعْرِ مِمَّا لَا يَسْتَفْنِي النَّاسُ عَنْ الْمَعْرِفَةِ بِهِ ، وَالنَّسْجِ عَلَى مِثَالِهِ : لِأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَنْتَاسِبَ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي فِي تَأْلِيفِ الْكَلَامِ ، وَيَكُونُ كَخِيَّاطٍ يَفْتَلِرُ الثِّيَابَ عَلَى قُلُوبِ الْأَجْسَامِ ، وَأَنْ يَجْعَلَ شَهَوَتَهُ لِتَأْلِيفِ الْكَلَامِ هِيَ الذَّرِيعَةُ إِلَى حُسْنِ نَظْمِهِ ، فَإِنَّ الشَّهْوَةَ تَهْتِمُ بِالْمَعْنَى ، وَيَتَجَرَّ كَلَامُهُ بِمَا سَلَفَ مِنْ كَلَامِ الْمَاضِينَ ، فَمَا اسْتَحْسَنَهُ الْمَاضِئُ فَلْيَقْبِضْهُ ، وَمَا اسْتَبْجَاهُ فَلْيَجْتَنِبْهُ ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَمْلِكَ السَّجْعَاتِ مَفْرُوقَةً بِحَسَبِ الْمَقْصُودِ بِهَا الْخَاطِرُ ، فَمِنْ رَتَبَتِهَا فِي الْأَجْزَاءِ مَحْتَرَفٌ عِنْدَ جَمْعِهَا مِنْ سُوءِ التَّرْتِيبِ ، وَيَتَوَخَّي حُسْنَ النِّسْقِ عَنْهُ التَّهْذِيبُ ، لِيَكُونَ كَلَامُهُ بِمَعْنَاهِ آخِذًا بِعَتَاقِ بَعْضٍ ، فَإِنَّهُ أَكَلَ لِحْسَنَهُ ، وَأَمَثَلَ لِرُصْفِهِ ، وَأَنْ يَجِدَ الْمُبْدَأَ وَالْمُتْلَصَّ وَالْمُقَطَّعَ ، وَيَمِيزُ فِي فِكْرِهِ عَطْفَ الرِّسَالَةِ قَبْلَ الْعَمَلِ ، فَإِنَّهُ أَسْهَلَ لِلْقَصْدِ ، وَيَجْتَنِبُ فِي تَجْوِيدِ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ وَتَحْسِينِهَا ، وَيُوضِّعُ مَعَانِيَهُ مَا اسْتَطَاعَ .

قلت وقد سبق في أول هذه المقالة في بيان ما يحتاج اليه الكاتب من الأدوات  
وذكر أنواعها بيان كيفية الاقتباس من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية  
والاستنباط بها، وكيفية حل الشعر الى النثر، وتضمينه في خلال الكلام المتشور وما  
يمرر هذا المجرى فأغنى عن إعادته هنا .

وأما بيان ما يستحسن من الكلام المصنوع فقد قال في "الصناعتين" : إن  
الكلام يحسن بسلامته وسهولته ونصاعته، وتحير لفظه، وإصابة معناه، وجودة  
مطالعه، ولين معاطفه، واستواء تقاسيمه وتماثل أطرافه وتشبه أعجازه بهواديته،  
وموافقة أوانس لمباديه، مع قلة ضروراته بل عدها أصلا، حتى لا يكون لها  
في الألفاظ أثر، فتجد المنظوم مثل المتشور في سهولة مطالعه، وجودة مقطعه،  
وحسن رصفه وتأليفه، وكال صوغه وتركيبه، فإذا كان الكلام قد جمع العذوبة  
والجزالة والسهولة والرصانة مع السلاسة والنصاعة، واشتمل على الزونق والطلاوة،  
وسلم من ضعف التأليف، وبعد من تماجة التركيب، صار بالقبول حقيقا،  
وبالحفظ خليقا، فإذا ورد على السمع المصيب استوعبه ولم يجه، والنفس تقبل  
اللطيف، وتتو عن الغليظ، وتقا عن الجايى البشع، وجميع جوارح البدن وحواسه  
تسكن الى ما يرايفه وتفر عما يضاده ويخالفه، والعين تألف الحسن، وتقذ  
بالقيبح، والأنف يرتاح للطيب ويعاف المتن، والقلم يلتذ بالخلو، ويجه المز  
والسمع يشوق للصوت الرائع، ويترى عن الجهر المائل، واليد تتم باللين،  
وتنادى بالحنين، والفهم يأنس من الكلام المعروف، ويسكن الى المألوف، ويصنى  
الى الصواب، ويهرب من الخال، ويتقبض عن الوسخ، ويتأثر عن الخلف الغليظ،  
ولا يقبل الكلام المضطرب إلا الفهم المضطرب والروية الفاسدة .

قال وليس الشأن في إيراد المعاني لأن المعاني يعرفها العربي والأعجمي، والقروى  
والبدوي، إنما هو في جودة اللفظ وصفاته، وحسنه وبهائه، وزاخرته ونقائه، وكثرة  
ملاوته ومائه، وصحة السبك والتركيب، والخلو من أود النظم والتأليف، وليس  
يُطلب من المعنى إلا أن يكون صوابا، ولا يُقتنع من اللفظ بذلك حتى يكون على  
ما وُصف من نموته التي تقدمت. ألا ترى أن الخلط الرائعة، والأشعار الرائقة،  
لم تُعمل لإفهام المعاني فقط، لأن الرديء من الألفاظ يقوم مقام الجيد منها  
في الإفهام، وإنما يدل حسن الكلام، وإحكام صناعته، ورواق ألفاظه، وجودة  
مقاطعه، وبديع مبادئه، وغريب مآثيه، على فضل قائله ومُنشئه. وأيضا فإن  
الكلام إذا كان لفظا حلوا عذبا وسطحا دخل في جملة الجيد، وجرى مع الرائع النادر.  
وأحسن الكلام ما تلائم تشبهه ولم يستخف، وحسن نظمه ولم يهجن، ولم يستعمل  
فيه الغليظ من الكلام فيكون خلقا بغضا، ولا السوقي من الألفاظ فيكون مهلهلا  
دونا، ولا خيرا في المعاني إذا استكثرت قهرا، والألفاظ إذا أُجبرت قسرا، ولا خير  
فيما أُجيد لفظه إلا مع وضوح المعنى وظهور المقصد. قال وقد غلب على قوم  
الجهل فصاروا يستجيدون الكلام إذا لم يفقوا على معناه إلا بك، ويستقصحونه  
إذا وجدوا ألفاظه كثة غليظة، وجاسية غريبة، ويستخفرون الكلام إذا رأوه سلبا  
عذبا، وسهلا حلوا، ولم يعلموا أن السهل أمتع جانبا، وأمر مقلبا، وهو أحسن  
موقفا، وأعذب مستمعا، ولهذا قيل أجود الكلام السهل الممتنع. وقد وصف الفضل  
أبن سهل عمرو بن مسمدة فقال: هو أبلغ الناس، ومن بلاغته أن كل أحد يظن  
أنه يكتب مثل كتبه، فإذا رامها تعدت عليه، وأنشد إبراهيم بن العباس لحاله  
العباس بن الأحنف:

إن قال لم يفعل وإن سئل لم \* يسئل وإن حوت لم يُعيب

صَبَّ بِمِصْبَاتِي وَلَوْ قَالَ لِي • لَا تَشْرِبِ الْبَارِدَ لَمْ أَشْرِبِ

ثم قال : هذا والله الشعر الحسن المعنى، السهل اللفظ، العذب المستمع، القليل النظير، العزيز الشبيه، المَطْمَع الممتنع، البعيد مع قربه، الصَّعْبُ مع سهولته، قال بقلنا نقول : هذا الكلام والله أحسن من شعره . وقيل لبعضهم : ألا تَسْمَعُ الْغَرِيبَ فِي شِعْرِكَ ؟ فقال : ذلك عيٌّ في زِمَانِي، وتكلف منِّي لوقفته، وقد رُزِقْتُ طَبْعًا وَاتِّسَاعًا فِي الْكَلَامِ، فَاَنَا أَقُولُ مَا يَعْرِفُهُ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى تَفْسِيرٍ .

وقال أبو داود : رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدربة، وجناحاها رواية الكلام، وحليها الإعراب، وبهاؤها تخيير الألفاظ، والمحبة مقرونة بقلّة الاستكراه، وما كان من الكلام لفظه سهلا ومعناه مكشوفًا بيّنًا فهو من جملة الرديء المردود، لا سيما إذا أُرْكِبَتْ فِيهِ الضَّرُورَاتُ؛ فَمَا الْجَزَلُ الْمُخْتَارُ مِنَ الْكَلَامِ، فَهُوَ الَّذِي تَعْرِفُهُ الْعَامَّةُ إِذَا سَمِعَتْهُ، وَلَا تَسْتَمْلِكُهُ فِي مُحَاوَرَاتِهَا، وَأَجُودُ الْكَلَامِ مَا كَانَ سَهْلًا جَزَلًا، لَا يَتَنَلَّقُ مَعْنَاهُ، وَلَا يَسْتَبْهِمُ مَفْزَاهُ، وَلَا يَكُونُ مَكْشُودًا مُسْتَكْرَهًا، وَمَتَوَعَّرًا مُتَعَرِّجًا، وَيَكُونُ بَرِيثًا مِنَ الْفَتَايَا، عَارِيًا مِنَ الزَّانَةِ . فَمَنْ الْجَزَلُ الْجَلِيدُ مِنَ الشُّرُوفِ سَعِيدُ بْنُ حَيْدٍ : وَأَنَا مَنْ لَا يَحَاجُّكَ عَنْ نَفْسِهِ، وَلَا يُفَالِطُكَ عَنْ جُرْمِهِ، وَلَا يَلْتَمِسُ رِضَاكَ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِ، وَلَا يَسْتَدْعِي بِرُكِّ إِلَّا مِنْ طَرِيقَتِهِ، وَلَا يَسْتَطْفِقُ إِلَّا بِالْإِقْرَارِ بِالذَّنْبِ، وَلَا يَسْتَمِيلُكَ إِلَّا بِالْاعْتِرَافِ بِالْجُرْمِ؛ نَبَتْ بِي عَنْكَ غُرَّةُ الْحَدَاثَةِ وَرَدَتْ بِي إِلَيْكَ الْحُنُكَةُ، وَبَاعَدَتْ بِي مِنْكَ التَّقَةُ بِالْأَيَّامِ، وَقَادَتْ بِي إِلَيْكَ الضَّرُورَةُ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْتَقْبَلَ الصَّلِيلَةَ بِقَبُولِ الْعُدْرِ، وَيَجْتَدِدُ النِّعْمَةَ بِاطِّرَاحِ الْحَقْدِ، فَإِنَّ قَدِيمَ الْحُرْمَةِ وَحَدِيثَ التَّوْبَةِ يَحْتَقَانِ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْإِسَاءَةِ؛ وَإِنْ أَيَّامُ الْقُدْرَةِ وَإِنْ طَالَتْ قَصِيرَةُ، وَالنِّعْمَةُ بِهَا وَإِنْ كَثُرَتْ قَلِيلَةُ، فَمَلَّتْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وأجرك منه قول الشعبي للحجاج وقد أراد قتله لخروجه عليه مع ابن الأشعث :  
أجذب بنا الجناب ، وأخرب بنا المثل فاستحللنا ، الحذر ، واكتحلنا السهر ،  
وأصابنا فتنة لم تكن فيها بركة أضياء ، ولا بخرة أهوياء . نفعا عنه .

ومن النظم قول المترار :

لا تَسْأَلِي الْقَوْمَ عَنْ مَالِي وَكَثْرَتِهِ \* قَدْ يُقَسِّرُ الْمَرْءُ يَوْمًا وَهُوَ تَحْسُدُ  
أَمْضَى عَلَى سُنَّةٍ مِنَ وَالِدِي سَلَفَتْ \* وَفِي أَرْوَمَيْتِهِ مَا يَنْهَتْ السُّودُ

فهذا وإن لم يكن من كلام العامة فإنهم يعرفون الغرض منه ويقفون على أكثر معانيه لحسن ترتيبه وجودة نسجه ،

قال في «الصناعين» : أما إذا كان لفظ الكلام خثا ، ومعرضه رثا ، فإنه يكون مرَدودا ، ولو احتوى على أجل معنى وأنباه ، وأرقبه وأفضله ، كقول الغائل :  
أرى رجلا بأذى الدين قد قَتِنُوا \* ولا أراهم رَضُوا في العيش بالدُّونِ  
فاستغنى بالدين عن دُنْيَا المُلُوكِ كما آس \* تنفى المُلُوكِ دُنْيَاهُمْ عن الدينِ  
قال : فهو لا يدخل في جملة المختار ، ومعناه كما ترى جميل ، فاضلٌ جليل ، وأما  
الجزل الرديء الفج الذي ينبغي ترك استعماله فقد مر في الكلام على الغريب الخوشى .

### المقصد الثالث

في بيان مقادير الكلام ومقتضيات إطاقته وقصره

إعلم أن الكلام المصنوع من الخطب والمكاتبات ، والولايات وغيرها على ثلاثة ضروب :

#### الضرب الأول

##### الإيجاز

وهو جمع المعاني الكثيرة في الالفاظ القليلة ، وعليه ورد أكثر آي القرآن الكريم ،  
فمن ذلك قوله تعالى في مُفَتِّح سورة الفاتحة : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . أنتظم ،

فيه خلق السموات والأرض وسائر المخلوقات لم يشد عنه شيء في أوجز لفظ وأقربه وأسهله ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ استوعب جميع الأشياء على الاستقصاء في كلمتين لم يخرج عنهما شيء ؛ وقوله ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَأْمَنُ﴾ فدخل تحت الأيمن جميع المحبوبات لأنه تعالى به أن يخافوا شيئا من الفقر والموت وزوال النعمة والجنور وغير ذلك ؛ وقوله : ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ جمع منافع الدنيا والآخرة ؛ وقوله في صنفه نمر أهل الجنة : ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ انتظم بقوله : ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ عظم ذهاب العقل وذهاب المال ونفاد الشراب ، فلم يكن فيها شيء من ذلك ؛ وقوله : ﴿خُذِ الْعَقْرَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ بجمع فيها مكارم الأخلاق بأسرها ، لأن في العفوصلة الفاطلين ، وإعطاء المائنين ؛ وفي الأمر بالمعروف تقوى الله تعالى ، وصلة الرحم ، وصون اللسان عن الكذب ، وغيض العرف عن المحرمات ، والتبرئ من كل قبيح ؛ إذ لا يأمر بالمعروف من هو ملابس شيئا من المنكر؛ الى غير ذلك من الآيات التي لا تحصى كثرة .

ومن كلام النبوة قوله صلى الله عليه وسلم : "بَيَّةُ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ" وقوله عليه السلام : "حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ" الى غير ذلك من جوامع الكلم .

## الضرب الثاني

### الإطناب

وهو الإشباع في القول ، وتزيد الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد . وقد وقع منه الكثير في الكتاب العزيز ، مثل قوله تعالى : ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وقوله جل وعز : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ كرر اللفظ في الموضعين تأكيداً للأمر وإعلاماً أنه كذلك لا محالة . وقوله ﴿تَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ

إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿فَكَرَّرَ﴾<sup>(١)</sup> (إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ) من حيث إن الكفر وإن تعددت أقسامه لا يخرج عن تعطيل أو شرك، ففى قوله ﴿قِفْرُوا إِلَى اللَّهِ﴾ تفى التعطيل بإثبات الإله وفى قوله : ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ تفى الشرك . وقد كرر سبحانه فى سورة الرحمن قوله : ﴿قَبَائِرُ آلَاءِ رَبِّكَ تَكْذِبُونَ﴾ حيث عدّد فيها نعمه ، وأذكر عباده آلآءه ، ونبيهم على قدرها ، وقدرته عليها ، ولطفه فيها ، وجعلها فاصلة بين كُلِّ نعمة ونعمة ، تنبيهاً على موضع ما أسداه إليهم فيها ، وكذلك كرّر فى سورة المرسلات : ﴿وَلَيْلَ يَوْمِئِذٍ لِلْكَافِرِينَ﴾ تأكيداً لأمر القيامة المذكورة فيها . وقد وقع التكرار للتأكيد فى كلام العرب كثيراً كما فى قول الشاعر :

\* أَنَاكَ أَتَاكَ الْإِلْحُوتُ أَنَاكَ <sup>(٢)</sup>

وقول الآخر :

\* كَمْ نِعْمَةً كَانَتْ لَكُمْ كَمْ كَمْ وَكَمْ

الى غير ذلك مما وقع فى كلامهم مما لا تأخذه الإحاطة .

## الضرب الثالث

### المساواة

بأن تكون الألفاظ بإزاء المعانى فى القسمة والكثرة لا يزيد بعضها على بعض . وقد مثل له السكرى فى "الصناعتين" بقوله تعالى : ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْبِلَامِ﴾<sup>(١)</sup> وقوله : ﴿وَدُّوا لَوْ تُبْدَىٰ لَهُمْ يُنَاجُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وقول النبي صلى الله عليه وسلم "لَا تَزَالُ آمَنِي بِخَيْرٍ مَا لَمْ تَرَ الْإِيمَانَةَ مَعْتَمًا ، وَالزَّكَاةَ مَقْرَمًا" وقوله "إِيَّاكَ وَالْمُشَارَةَ" فإنها بُمِيت القوّة<sup>(٣)</sup>

(١) فى الضوء بده (أحبس أحبس) وهو المشهور فى البيت .

(٢) أى العمل الصالح الحسن تشبهاً به بكرة القوس . والمرءى العمل السيئ تشبهاً به بالذرة . انظر السانح .



وَنُحِّي الْعُزَّةَ . وقول بعض الكُتَّاب : سَأَلَتْ عَنْ خَيْرِي وَأَنَا فِي عَافِيَةٍ لَا عَيْبَ فِيهَا إِلَّا قَدْ دُكَّ ، وَنِعْمَةٌ لَا مَزِيدَ فِيهَا إِلَّا بِكَ . وقول آخر : وَقَدْ عَلَّمْتَنِي تَبَوُّكَ سَلَوَاتِكَ ، وَأَسْلَمَنِي يَا بَنِي يَمَنِكَ إِلَى الصَّبْرِ عَنكَ . وقول آخر : قَتَلَنِي اللَّهُ النِّعْمَةَ طَبِيعًا وَفِيكَ ، وَتَوَلَّى إِصْلَاحَكَ وَالْإِصْلَاحَ بَكَ ، وَأَجَزَلَ مِنَ الْخَيْرِ حَقَّكَ وَالْحَقَّ مَعَكَ ، وَمَنْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ بِكَ . وقول الشاعر :

أَهَابُكَ إِجْلَالًا وَمَا بِكَ قُدْرَةٌ • عَلَى وَلَيْكَ مِلٌّ مِنْ حَبِيئِهَا  
وَمَا تَجَرَّتْكَ النَّفْسُ أَلَيْكَ عِنْدَهَا • قَلِيلٌ وَلَا أَنْ قَلَّ مِنْكَ نَصِيئِهَا

إذا علمت ذلك فقد اختلف البلغاء في إتي التلامة أبلغ وأولى بالكلام ، فذهب قوم إلى ترجيح الإيجاز ، محتجين له بأنه صورة البلاغة وأن ما تجاوز مقدار الحاجة من الكلام فضلة داخلية في حيز اللغو والمُذَرِّ ، وهما من أعظم أدواء الكلام ، وفيهما دلالة على بَلَاءة صاحب الصنعة وغباوته ، وقد قال الأمين محمد بن الرشيد : عليكم بالإيجاز فإن له إثمهما ، والإطالة آسئتهما . وقال جعفر بن يحيى لكتبه : إن قدرتم على أن تجعلوا كُتُبَكُمْ توقيعاتٍ فافصلوا . وقال بعضهم : البلاغة بالإيجاز أجمع من البيان بالإطناب ، وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ قال : الإيجاز . وقيل لأبن حازم لم لا يطيل القصائد فأنشد :

أَبِي لِي أَنْ أُطِيلَ الشَّعْرَ قَصِيدِي • إِلَى الْمَعْنَى وَمِثْلِي بِالصُّوْبِ  
وَالْإِيجَازِي بِمُخْتَصِرٍ قَسِيرٍ • حَذَقْتُ بِهِ الْقُصُولَ مِنَ الْجَوَابِ

وذهبت طائفة إلى أن الإطناب أرجح ، وأحسبوا لذلك بأن المنطق إنما هو بَيَان والبيان لا يحصل إلا بإيضاح العبارة ، وإيضاح العبارة لا يتبها إلا بمرادفة الألفاظ على المعنى حتى يُحِيطَ به إحاطةً يُؤْمَنُ معها من اللبس والإيهام ، وإن الكلام الوجيه لا يُؤْمَنُ وقوعُ الإشكال فيه . ومن ثم لم يحصل على معانيه إلا خواص أهل

اللغة المارفين بدلالات الألفاظ، بخلاف الكلام المُشجّع الشاق فإنه سالم من الالتباس لتساوي الخالص والعام في جهته، ويؤيد ذلك ما حكى أنه قيل لقيس بن خزيمة: ما عندك في جمالات ذات حسن؟ قال: عندي قرى كل نازل، ورضا كل ساخط، وخُطبة من لئن تطلع الشمس إلى أن تغرب، أمر فيها بالتواصل، وأنهى عن التقاطع. فقيل لأبي يعقوب الجرمي: هلّا آكتفى بقوله أمر فيها بالتواصل عن قوله وأنهى عن التقاطع؟ فقال: أو ما علمت أن الكتابة والتعريض لا تعمل عمل الإطتاب والتكشف؟ ألا ترى أن الله تعالى إذا خاطب العرب والأحزاب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي وإذا خاطب بنى إسرائيل أو حكى عنهم جعل الكلام مبسوطا، وقبلما يُحمد قصة بنى إسرائيل في القرآن إلا مطولة مشروحة، ومكررة في مواضع مُعادة لئلا يفهمهم، وتأخر معرفتهم، بخلاف الكلام المُشجّع الشاق فإنه سالم من الالتباس لتساوي الخالص والعام في فهمه.

وذبت فرقة إلى ترجيح مساواة اللفظ المعنى، واحتجوا لذلك بأن متزج القضية من الوسط دون الأطراف، وأن الحسن إنما يوجد في الشيء المعتدل.

قال في "مواقف البيان": والذي يوجب النظر الصحيح أن الإيجاز والإطباب والمساواة صفات موجودة في الكلام ولكل منها موضع لا يخلقه فيه رديقه، إذا وضع فيه آتظم في سلك البلاغة ودلّ على فضل الواضع، وإذا وضع غيره دلّ على نقص الواضع وجهله برؤس الصناعة.

فاما الكلام الموزن فإنه يصلح لمخاطبة الملوك، وذوى الأخطار العالية، والهمم المستقيمة، والشؤون السليمة، ومن لا يجوز أن يستقل زمانه بما همته مصروفة إلى مطامعة غيره.

وأما الإطناب فإنه يصلح للكتابات الصادرة في الفتوحات ونحوها مما يُقرأ في المحافل، والمهود السلطانية، ومخاطبة من لا يصل المعنى إلى فهمه بأدنى إشارة. وعلى ذلك يحمل ما كتبه المهلب بن أبي صفرة إلى الحجاج في فتح الأزارقة من الخوارج والظهور عليهم على ارتفاع خطر هذا الفتح وطول زمانه وبعد صيته، فإنه كتب فيه: «الحمد لله الذي كفى بالإسلام قصداً ما سواه، وجعل الحمد متصلاً بثناءه، وقضى ألا ينقطع المزيد وحيله، حتى ينقطع الشكر من خلقه. ثم إنا كنا وعدونا على حالتين مختلفتين نرى منهم ما يسرنا أكثر مما يسرهم، ويرون منا ما يسوؤهم أكثر مما يسرهم، فلم يزل ذلك دأبنا ودأبهم، ينصرون الله ويخذلهم، ويخصنا ويخفونهم، حتى بلغ الكلب بناديبهم أجله» (تقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين).

فإن الذي حمله على الاختصار في هذا الكتاب إنما هو كونه إلى السلطان الذي من شأنه اختصار المكتابات التي تكتب إليه، بخلاف ما لو كتب به عن السلطان إلى غيره، فإنه يتعين فيه بسط القول وإطالته على ما سيأتي ذكره في أول المكتابات في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى.

وأما مساواة اللفظ للمعنى فإنه يصلح لمخاطبة الأكفاء والنظرَاء والطبقة الوسطى من الرؤساء. فكا أن هذه المرتبة متوسطة بين طرفي الإيجاز والإطناب، كذلك يجب أن تختص بها الطبقة الوسطى من الناس. قال أما لو استعمل كاتب ترديد الألفاظ وصرادقتها على المعنى في المكتابة إلى ملك مصروف المهمة إلى أمور كثيرة متى انصرف منها إلى غيرها دخلها الخلل، لرتب كلامه في غير رتبته، ودل على جهله بالصناعة. وكذا لو بلى على الإيجاز كتاباً يكتبه في فتح جليل الخطر، حسن الأثر، يُقرأ في المحافل والمساجد الجامعة على رؤوس الأئمة من العامة ومن يراد منه تفهيم شأن السلطان في نفسه، لأوقع كلامه في غير موقعه، وتزك في غير منزله، فلا أفتح ولا أسمع.

من أن يُستفَرَّ النَّاسُ لِسَمَاعِ كِتَابٍ قَدْ وَرَدَ مِنَ السُّلْطَانِ فِي بَعْضِ عِظَامِ أُمُورِ الْمُلْكَةِ  
أَوِ الدِّينِ ، فَإِذَا حَضَرَ النَّاسُ كَانَ الَّذِي يَمُزُّ عَلَى أَسْمَاعِهِمْ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَارِدًا مَوْجِدَ الْإِيحَازِ  
وَالِاخْتِصَارِ لَمْ يَحْسُنْ مَوْقِعُهُ وَخَرَجَ مِنْ وَضْعِ الْبَلَاغَةِ لَوْضَعِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ .

قلت وما ذكرته من الأصول والقواعد التي تبنى عليها صنعة الكلام هو القدر  
اللازم الذي لا يسعُ الكاتبُ الجهلُ بشيء منه ، ولا يُسمَعُ بإخلاء كُتُبِ مَصْنُوفٍ  
في هذا الفنِّ منه .

أما للمصنفات التي يكمل بها الكاتب ، من المعرفة بعلوم البلاغة ووجوه تحسين الكلام  
من المعاني والبيان والبيدع فإن فيها كتباً مفردة تكاد تخرجُ عن الحصر والإحصاء ،  
فأقتضى الحال من المتقدمين للتصنيف في هذا الفن أن قد قَصَرُوا تَصَانِيفَهُمْ عَلَى  
علوم البلاغة وتوابعها كالوزير ضياء الدين بن الأثير في "المثل السائر" وأبي هلال  
العسكري في "الصناعتين" والشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ عَمُودُ الْحَلَبِيِّ فِي "حَسَنِ التَّوَسُّلِ"  
كما تقدَّمت الإشارة إليه في مقدمة الكتاب ، فَلْيَطْلُبْ ذَلِكَ مِنْ مِثْلَانِهِ مِنْ هَذِهِ  
الْكُتُبِ وَغَيْرِهَا . إِذَا هَذَا الْكِتَابُ إِنَّمَا يَدْرُسُهُ مَا يَسْقِطُ عَلَيْهِ مِنْ كُتُبٍ مُتَفَرِّقَةٍ ،  
وَتَصَانِيفٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، أَوْ يَكُونُ فِي الْمَصْنُوفِ الْوَاحِدِ مِنْهُ النَّبْذَةُ غَيْرُ الْكَافِيَةِ ، وَلَا يَجْتَمِعُ  
مِنْهُ الْمَطْلُوبُ إِلَّا مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمَصْنُوفَاتِ الْمُتَفَرِّقَةِ فِي الْفُنُونِ الْمُخْتَلِفَةِ .

## الفصل الثالث

### من الباب الأول من المقالة الأولى

في معرفة الأزمنة والأوقات من الأيام والشهور والسنين على اختلاف

الأمم فيها ، وتفصيل أجزائها ، والطرق الموصلة إليها ، ومعرفة

أعياد الأمم ، وفيه أربعة أطراف

### الطرف الأول

في الأيام وفيه ست حمل

### الجملة الأولى

في مدلول اليوم ومعناه ، وبيان ابتداء الليل والنهار

وقد اختلف الناس في مدلول اليوم على مذهبين :

المذهب الأول (وهو مذهب أهل الهيئة) — أن اليوم عبارة عن زمانٍ جامع لليل والنهار ، مدته ما بين مفارقة الشمس نصف دائرة عظيمة ثابتة الموضع بالحركة الأولى الى عودها الى ذلك النصف بعينه ، وأظهر هذه الدوائر الأفق وفلك نصف النهار . والحدائق من المتجمين يؤثرون فلك نصف النهار على الأفق بميلولة تحصل بذلك في بعض أعمالهم ؛ لأن اختلاف دوائره في سائر الأوقات اختلاف واحد ، وبعضهم يؤثر استعمال الأفق لأن الطلوع منه والغروب فيه أظهر للعيان ، وهو الموافق لما نحن فيه .

ثم منهم من يقدّم الليل فيفتح اليوم بغروب الشمس ويختم بغروبها من اليوم القابل ، وعلى ذلك عمل المسلمين وأهل الكتاب ، وهو مذهب العرب ، لأن شهورهم مبنية على مسير القمر ، وأواظها مقدرة برؤية الهلال .

ومنهم من يقدّم النهار على الليل فيفتتح اليوم بطلوع الشمس ويتحمّ بطلوعها من اليوم القابل، وهو مذهب الروم والقُرّس .

ويحكى أن الاسكندر سأل بعض الحكماء عن الليل والنهار أيهما قبل صاحبه فقال : هما في دائرة واحدة، والدائرة لا يُعلم لها أول ولا آخر، ولا أعلى ولا أسفل .

المذهب الثاني (وهو مذهب الفقهاء) — أن اليوم عبارة عن النهار دون الليل حتى لو قال لزوجته : أنت طالق يوم يقدّم فلان فقدم ليلا لم يقع الطلاق على الصحيح . ثم القائلون بذلك نظروا الى الليل والنهار باعتبارين : طبعي، وشرعي .

أما الطبيعي فالليل من لدن غروب الشمس واستئثارها بمحبة الأرض الى طلوعها وظهورها من الأفق، والنهار من طلوع نصف قرص الشمس من المشرق الى غيبوبة نصفها في الأفق في المغرب، وسائر الأمم يستعملونه كذلك .

وأما الشرعي — فالليل من غروب الشمس الى طلوع الفجر الثاني، وهو المراد بالخطيب الأبيض من قوله تعالى : ﴿ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ والنهار من الفجر الثاني الى غروب الشمس، وبذلك تنهاى الأحكام الشرعية من الصوم والصلاة وغيرها .

واعلم أن الشمس في الليل تكون غائبة تحت الأرض، فإذا قربت منا في حال غيبتها أحسنا بضياءها المحيط بظل الأرض الذي هو الليل، وهذا الضياء طليعة أمامها يطلع في السحر بياض مستظليل مستبدق الأعلى، وهو الفجر الكاذب إذ لا حكم له في الشريعة، ويُسبّه بلبّ المرحان لانتصايه واستطائه ودقته، ويبقى مدة ثم يزداد هذا الضوء الى أن يأخذ طولاً وعرضاً وينبسط في عرض الأفق، وهو الفجر الثاني ويسمى الصادق، وعليه ترتب جميع الأحكام الشرعية المتعلقة

(١) لعله المحجوب بظل الأرض كما يفيد المقام

بالفجر، وبعده يميز الأفق لاقتراب الشمس وسُطُوع ضيائها على المدورات الغربية من الأرض ، ويتبعه الطلوع ، وعند غروبها يتعكس الحكم في الترتيب المتقدم فيبق الأفق محمزا من جهة المغرب بعد الغروب ، ثم تزول الحمرة ويبقى البياض الذي هو نظير الفجر الصادق ، وبالحمرة حكم صلاة العشاء عند الشافعية ، وبالبياض حكمها عند الحنفية ، ثم يزداد البياض ضعفا شيئا فشيئا إلى أن يغيب ، ثم يتبعه البياض الميسيطيل المنتصب نظير الفجر الكاذب مدة من الليل ثم يذهب ، وهذا لا حكم له في الشريعات . والجند لا يعدون الفجر ولا الشفق من الليل ولا من النهار ، ويعملونهما قسما مستقلا وهذا في غاية البعد لأن الله تعالى قسم الزمان الى ليل ونهار ولم يذكر معهما سواهما .

### المسألة الثانية.

في اختلاف الليل والنهار بالزيادة والنقصان والاستواء باختلاف الأمكنة  
واعلم أن البلاد والنواحي على قسمين :

#### القسم الأول

ما يستوى فيه الليل والنهار أبداً ، لا يختلفان بزيادة ولا نقصان  
وذلك في البلاد التي لا عَرْض لها وهي ، مرة عليه خط الاستواء ، والعلّة في التساوي هي أن أصحاب الهيئة لما توهموا أن بين قُطْبَيْ فلك البروج دائرة عظمى تقسم سطح السماء نصفين على السواء وتسموها دائرة معدل النهار ، وتوهموا أيضا في موازاتها دائرة أخرى تقسم سطح الأرض نصفين وتسموها دائرة الاستواء وخط الاستواء ، وكل بلد يمر عليه هذا الخط لا عَرْض له ، وذلك لانتعاش الكرة فيه وطلوع الشمس أبدا على رؤوس ساكنيه ، وميلها في ناحيتي الشمال والجنوب بقدر واحد ،

ودوائر الأوقات تقطع جميع الدوائر الموازية لدائرة معادل النهار بنصفين نصفين ،  
فيكون قوس النهار وهو الزمان الذي من طلوع الشمس الى غروبها مساويا لقوس  
الليل وهو الزمان الذي من غروب الشمس الى طلوعها فيكون الليل والنهار متساويين  
أبدا في هذه المواضع في جميع السنة .

### القسم الثاني

ما يختلف فيه الليل والنهار في السنة بالاستواء والزيادة والنقصان ،  
وهي البلاد ذوات العروض .

والعلة في الزيادة والنقصان أن المواضع التي تميل عن خط الاستواء الى الشمال  
تميل في كل موضع منها دائرة معادل النهار الى الجنوب وتخطئ الشمس ويرتفع  
القطب الشمالي من الأفق ويصير للبلد عرض بحسب ذلك الارتفاع ، وبقدر  
بعده عن الخط . وإذا مالت الدائرة قطعت الأفاق كل دائرة من الدوائر الموازية  
لها بقطعتين مختلفتين ، فيكون ما فوق الأرض من قسميها أعظم من الذي تحته ،  
لأن القطب لما ارتفع ارضعت الدوائر الشمالية فظهر من كل واحدة أكثر من  
نصفها وانحط مدار الشمس عن تمتد الرأس الى جهة الجنوب فبعد مفرق  
الصيف عن مشرق الشتاء فطال النهار وقصر الليل ، وكلما زاد ارتفاع القطب  
في الأقاليم زاد الاختلاف الذي هو بين هذه القطع الى أن تكون نهاية الأطوال  
حيث يكون ارتفاع القطب اثنتي عشرة درجة ونصفا وربما وهو أول المعمور ،  
اثنتي عشرة ساعة ونصفا وربما ، وحيث يكون ارتفاعه تسعا وعشرين درجة وهو  
آخر الإقليم الثاني ، ثلاث عشرة ساعة ونصفا وربما ، وحيث يكون ارتفاعه ثلاثا  
وثلاثين درجة ونصفا وهو آخر الإقليم الثالث أربع عشرة ساعة وربما ، وحيث



يكون ارتفاعه تسعا وثلاثين درجة وهو آخر الإقليم الرابع أربع عشرة ساعة ونصفا وربعا ، وحيث يكون ارتفاعه ثلاثا وأربعين درجة ونصفا وهو آخر الإقليم الخامس خمس عشرة ساعة وربعا ، وحيث يكون ارتفاعه سبعا وأربعين درجة وهو آخر الإقليم السادس خمس عشرة ساعة ونصفا وربعا ، وحيث يكون ارتفاعه خمسين درجة وهو آخر الإقليم السابع ست عشرة ساعة وربعا .

ولا يزال اختلاف مطالع البروج يزداد بالإيمان في الشمال ويتسع شرقا المنقبتين ويتقاربان مع مغربيهما الى أن يلتقيا في العرض المساوي لتمام الميل الأعظم ، وهو بحيث يكون ارتفاع القطب ستا وستين درجة ، وفي هذا الموضع يكون قطب فلك البروج في دوره يمر على سمت الرأس ، ويكون أول السرطان فقط ظاهرا فوق الأرض أبدا ، ومدار أول الجدي فقط غائبا أبدا . فيكون مقدار النهار الأطول أربعين وعشرين ساعة لا يسيل فيه . ويعرض في هذه المواضع عند موازاة قطب فلك البروج تمتد الرأس أن دائرة فلك البروج تنطبق حينئذ على دائرة الأفق ، فيكون أول الحمل في المشرق ، وأول الميزان في المغرب ، وأول السرطان في الأفق الشمالي ، وأول الجدي في الأفق الجنوبي . فإذا صار قطب فلك البروج والأفق نصفين وارفع النصف الشرقي من فلك البروج وانخفض النصف الغربي فيطلع حينئذ ستة وروج دفعة واحدة ، وهي من أول الجدي الى آخر الجوزاء ، وكذلك تقرب الستة الياقبة دفعة واحدة . وحيث يكون ارتفاع القطب سبعا وستين درجة وربعا فهناك يكون مقدار ما بين النصف من الجوزاء الى النصف من السرطان ظاهرا فوق الأرض أبدا ، وما بين النصف من القوس الى النصف من الجدي غائبا أبدا ، فيكون مقدار شهر من شهور الصيف تها را كله لا ليل فيه ، وشهر من الشتاء ليلا كله لا نهار فيه والعشرة الأشهر الباقية من السنة كل يوم ليلة أربعاً وعشرين ساعة . وحيث يكون

ارتفاع القطب تسعا وستين درجة ونصفا وربما فهناك يكون مدار بُرجي الجوزاء  
والسرطان ظاهرا فوق الأرض ، ومدار برج القوس والجدي غائبا تحت الأرض  
أبدا . ولذلك يكون مقدار شهرين من الصيف نهارا كله ، وشهرين من الشتاء ليلا  
كله . وحيث يكون ارتفاع القطب ثلاثا وسبعين درجة يكون ما بين النصف من  
الثور الى النصف من الأسد ظاهرا أبدا والأجزاء النظرية لها غائبة أبدا ، فيكون  
مقدار ثلاثة أشهر من الصيف نهارا كله ، وثلاثة أشهر من الشتاء ليلا كله . وحيث  
يكون ارتفاع القطب مائتا وسبعين درجة ونصفا فهناك يكون مدار الثور والجوزاء  
والسرطان ظاهرا أبدا والبروج النظرية لها غائبة أبدا ، فيكون أربعة أشهر من الصيف  
نهارا كله وأربعة أشهر من الشتاء ليلا كله . وحيث يكون ارتفاع القطب أربعا  
وثمانين درجة فهناك يكون مدار ما بين النصف من الحمل إلى النصف من السنبلة  
ظاهرا أبدا والبروج النظرية لها غائبة أبدا فيكون خمسة أشهر من الصيف نهارا كله  
وخمسة أشهر من الشتاء ليلا كله .

وبما يعرض في هذه المواضع التي تقدم ذكرها أنه إذا كان قطب فلك البروج  
في دائرة نصف النهار مما يلي الجنوب كان أول الحمل في المشرق وأول الميزان  
في المغرب ، ويكون البروج الشمالية ظاهرة أبدا فوق الأرض والجنوبية غائبة  
تحتها ، وهناك يطلع ماله طلوع من آخر الفلك فيما بين الجدي والسرطان منكوسا ،  
فيطلع الثور قبل الحمل ، والحمل قبل الحوت ، والحوت قبل الدلو . وكذلك تقرب  
نظائرها منكوسة ، وحيث يكون ارتفاع القطب تسعين درجة فيصير على تمتد الرأس  
فهناك تكون دائرة معادل النهار منطبقة على الأفق أبدا ، ويكون دور الفلك  
رحويا موازيا للأفق ويكون نصف السماء الشمالي عن معادل النهار ظاهرا أبدا فوق

الأرض والنصف الجنوبي غائبا تحتها، فلذلك اذا كانت الشمس في البروج الشماليه كانت طالعها تدور حول الأفق ويكون أكثر ارتفاعها عنه بمقدار ميلها عن معادل النهار، واذا كانت في البروج الجنوبيه كانت غائبة أبدا فتكون السنة هناك يوما واحدا سنة أشهر ليلا وستة أشهر نهارا، ولا يكون لها طلوع ولا غروب . فظهر من هذا أن حركة الفلك بالنسبة للاتفاق إنا دُولَابِيَّةٌ، وهى فى خط الاستواء، وإما مَحَاثِلِيَّةٌ، وهى فى الاتفاق المسائله عنه، وإما رَحْوِيَّةٌ ! وهى فى المواضع التى ينطبق فيها قطب العالم على تمت الرأس فسبحان من أنعم ما صنع !

### الجملة الثالثة

فى معرفة زيادة الليل والنهار وتقصانها بتقل الشمس فى البروج

اعلم أن للشمس حركتين : سريعة وبطيئة .

أما السريعة فحركة فلك الكل بها فى اليوم واليلة من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق، وتسمى الحركة اليومية .

وأما الحركة البطيئة فقطعها فلك البروج فى سنة شمسية من الجنوب الى الشمال ومن الشمال الى الجنوب، وتعلم أن جهة المشرق وجهة المغرب لا تتغيران فى أنفسهما بل جهة المشرق واحدة وكذلك جهة المغرب ، وإن اختلفت مطالعتهما . قال تعالى ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ أى جهة المشرق وجهة الغروب فى الجملة ، إلا أن الشمس لها غاية ترتفع اليها فى الشمال وتلك الناية مشرق ومغرب وهو مشرق الصيف ومغربيه ، ومطلعها حينئذ بالقرب من مطلع السماء الراح، ولها غاية تحط اليها فى الجنوب ، وتلك الناية أيضا مشرق ومغرب : وهو مشرق الشتاء ومغربيه ، ومطلعها حينئذ الأقرب من مطلع بطن العقرب، وهذان المشرقان والمغربان هما المراد بقوله تعالى :

﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ وبين هاتين الفاتحتين مائة وثمانون مشرقاً ويقابلها مائة وثمانون مغرباً ، ففى كل يوم تَطْلُعُ فى مَطْلَعٍ من المشرق غير الذى تَطْلُعُ فيه بالأمس ، وتَغْرُبُ فى مغرب غير الذى تغرب فيه بالأمس . وذلك قوله تعالى : ﴿ رَبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ ونقطة الوسط بين هاتين الفاتحتين وهى التى يعنبد فيها الليل والنهار يُسَمَّى مَطْلَعُ الشَّمْسِ فيها مَشْرِقُ الاستواء ، ومَغْرِبُ الاستواء ، ومطلعهما حيثلذ بالقرب من مَطْلَعِ السَّمَاءِ الْإِغْزَلِ :

وقد قسَّم علماء الهيئة ما بين غاية الارتفاع وغاية الهبوط اثنتى عشر قسمًا ، قالوا : والمعنى فى ذلك أن الشمس فى المبدأ الأول لما سارت مَسِيرَهَا الذى جعله الله خاصاً بها قطعتْ دَوْرَ الفلك التاسع فى ثلثمائة وستين يوماً ، وسميت جملةُ هذه الأيام سنة شمسية وسميت بمركبتها هذه فى هذا الفلك دائرة عظمى على ما توهمه أصحاب الهيئة ، وقسمت هذه الدائرة الى ثلثمائة وستين جزءاً وسموا كل جزء درجةً ، ثم قسمت هذه الدَّرج الى اثنتى عشر قسمًا على عدد شهور السنة ، وسموا كل قسم منها رجباً ، وجعلوا ابتداء الأقسام من نقطة الاعتدال الربيعى : لاعتدال الليل والنهار عند مرور الشمس بهذه النقطة ، ووجدوا فى كل من قسم هذه الأقسام نجومًا تتشكَّل منها صورةٌ من الصُّور فسموا كل قسم باسم الصورة التى وجدوها عليه ، وكان القسم الأول الذى ابتدئوا به لنجومًا اذا جمع متفرقها تشكَّلت صورة حمل ، فسموها بالحمل ، وكذلك البواقي .

قال صاحب "منهاج الفكر" : وذلك فى أوَّل ما رَصدُوا ، وقد انتقلت الصُّور عن أمكنتها حل ما زعموا فصار مكان الحمل الثور ، وهى تنقل على رأى بطليموس فى ثلاثة آلاف سنة ، وحل رأى المتأخرين فى أثنى سنة .

اذا علمت ذلك فاعلم أن الدَّوْرَةَ الفلكية فى العُرُوضِ الشَّمالية تنقسم الى ثلثمائة وستين درجة ، كما تقدَّمت الإشارة اليه ، والسنة ثلثمائة وستون يوماً متقسمة حل

الاثنى عشر برجاً المتقدم ذكرها ، لكل برج منها ثلاثون يوماً ، وتوزع عليها الخمسة أيام والربع يوم ، والليل والنهار يتعاقبان بالزيادة والنقصان بحسب سير الشمس في تلك البروج ، فما نقص من أحدهما زيد في الآخر . وذلك أنها اذا حلت في رأس الحمل وهي آخذة في الارتفاع الى جهة الشمال ، وذلك في السابغ عشر من برمات من شهر القبط ، ويوافقه الحادى والعشرون من آذار من شهر السريان ، وهو مارس من شهر الروم ، والربع والعشرون من حرداماء من شهر الفرس ، اعتدل الليل والنهار ، فكان كل واحد منهما مائة وثمانين درجة ، وهو أحد الاعتدالين في السنة ، ويستى الاعتدال الربيعى لوقوعه أول زمن الربيع فيزيد النهار فيه في كل يوم نصف درجة ، وينقص الليل كذلك ، فتكون زيادة النهار فيه لمئة ثلاثين يوماً نحس عشرة درجة ، ونقص الليل كذلك ، ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وتسعين درجة ، والليل على مائة وخمس وستين درجة .

ثم تنقل الى الثور فيزيد النهار فيه كل يوم ثلث درجة ، وينقص الليل كذلك ، فتكون زيادة النهار فيه لمئة ثلاثين يوماً عشر درجات ونقص الليل كذلك ، ويصير النهار بآخره على مائتين وخمس درجات ، والليل على مائة وخمسين درجة . ثم تنقل الى الجوزاء فيزيد النهار فيها كل يوم سدس درجة وينقص الليل كذلك ، فتكون زيادة النهار فيها لمئة ثلاثين يوماً خمس درجات ، ونقص الليل كذلك ، ويصير النهار آخرها على مائتين وعشر درجات والليل على مائة وخمسين درجة . وذلك غاية ارتفاعها في جهة الشمال . وهذا أطول يوم في السنة وأقصر ليلة في السنة ، ويستى سير الشمس في هذه البروج الثلاثة شمالاً صاعداً لصعودها في جهة الشمال . ثم تنقل الشمس الى السرطان وتكثر رابعة الى جهة الجنوب ، ويستى ذلك المقلب الصيفى ، وذلك في العشرين من بؤنة من شهر القبط ، ويبقى من حزيران

من شهور السرّيان ويونيه من شهور الروم خمسة أيام، وحينئذ يأخذ الليل في الزيادة والنهار في النقصان، فينقص النهار فيه في كل يوم سُدُسَ درجة، ويزيد الليل كذلك، فيكون نقصُ النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس درجات، وزيادة الليل كذلك، ويصير النهار بآخره على مائتين وخمس درجات، والليل على مائة وخمس وخمسين درجة.

ثم تنقل الى الأسد فينقص النهار فيه كل يوم ثلث درجة، فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما عشر درجات، وزيادة الليل كذلك، ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وتسعين درجة، والليل على مائة وخمس وستين درجة.

ثم تنقل الى السُّبُلَة فينقص النهار فيها كل يوم نصف درجة، ويزيد الليل كذلك، فيكون نقصُ النهار فيها لمدة ثلاثين يوما خمس عشرة درجة، وزيادة الليل كذلك، ويصير النهار بآخرها على مائة وثمانين درجة والليل كذلك، فيستوى الليل والنهار. ويسمى الاعتدال الخريفي: لوقوعه في أقل الخريف. ويسمى سير الشمس في هذه البروج الثلاثة شمالا هابطا مُبْطِئًا في الجهة الشمالية.

ثم تنقل الى الميزان في الثامن عشر من توت من شهور القبط، وهي آخذة في المُبْطِئ، والنهار في النقص والليل في الزيادة، فينقص النهار فيه كل يوم نصف درجة، ويزيد الليل كذلك، فيكون نقصُ النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس عشرة درجة، وزيادة الليل كذلك، ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وستين درجة والليل على مائة وخمس وتسعين درجة.

ثم تنقل الى العقرب، فينقص النهار في كل يوم ثلث درجة، ويزيد الليل كذلك، فيكون نقصُ النهار فيه لمدة ثلاثين يوما عشر درجات، وزيادة الليل

كذلك؛ ويصير النهار بآخره على مائة ونمسين ودرجة، والليل على مائتين ونمسين درجات .

ثم تنقل الى القوس، فينقص النهار فيه كل يوم سدس درجة، ويزيد الليل كذلك؛ فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس درجات؛ وزيادة الليل كذلك، ويصير النهار بآخره على مائة ونمسين درجة، والليل على مائتين وعشر درجات، وهو أقصر يوم في السنة وأطول ليلة في السنة؛ وذلك غاية هبوطها في الجهة الجنوبية . ويسمى سير الشمس في هذه البروج جنوبياً هابطاً، فُتُوطُها في الجهة الجنوبية .

ثم تنقل الى الجحش في السابع عشر من كيهك وتكرار جعة، فتأخذ في الارتفاع وتأخذ النهار في الزيادة والليل في النقصان؛ فيزيد النهار فيه كل يوم سدس درجة؛ وينقص الليل كذلك؛ فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس درجات ونقص الليل كذلك، ويصير النهار بآخره على مائة ونمسين ودرجة، والليل على مائتين ونمسين درجات .

ثم تنقل الى الدلو؛ فيزيد النهار فيه كل يوم ثلث درجة؛ وينقص الليل كذلك؛ فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما عشر درجات ونقص الليل كذلك، ويصير النهار بآخره على مائة ونمسين ودرجة والليل على مائة ونمسين ودرجة .

ثم تنقل الى الحوت فيزيد النهار فيه كل يوم نصف درجة وينقص الليل كذلك؛ فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس عشرة درجة ونقص الليل كذلك، ويصير النهار بآخره على مائة وعشرين درجة والليل كذلك؛ فيستوى الليل والنهار وهو رأس الحمل وقد تقسم . ويسمى سير الشمس في هذه البروج الثلاثة جنوبياً

صاعدا لصعودها في الجهة الجنوبية ؛ وهذا شأنها الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وهذا العمل إنما هو في مصر وأعمالها ؛ فإذا اختلفت العروض كان الأمر في الزيادة والنقصان بخلاف ذلك والله أعلم .

تنبيه — إذا أردت أن تعرف الشمس في أى برج من البروج وكم قطعت منه في أى وقت شئت فأقرب الطرق في ذلك أن تعرف الشهر الذى أنت فيه من ظهور القبط وتعرف أمسه <sup>(١)</sup> .

### الجملة الرابعة

في بيان ما يعرف به ابتداء الليل والنهار

وقد تقدم أن النهار الطيبى أوله طلوع الشمس وآخره غروبها، والنهار الشرعى أوله طلوع الفجر الثانى وآخره غروب الشمس ؛ فيخالقه في الابتداء ويوافقه في الانتهاء، وطلوع الشمس وغروبها ظاهري يعرفه انحصار العام أما الفجر فإن أمره خفى لا يعرفه كل أحد؛ وقد تقدم آتسامه الى كاذب : وهو الأول، وصادق وهو الثانى، وعليه التعويل في الشرعيات، فيحتاج الى موضع يوضحه ويظهره للبيان، وقد جعل المنجمون وعلماء الميقات له نجوما تدل عليه بالطلوع والغروب والتوسط، وهى منازل القمر، وعدتها ثمان وعشرون منزلة وهى الشترطان، والبطين، والثريا، والدبران، والحقعة، والهنعة، والذراع، والثرة، والطرف، والجنبه، والخرتان، والصرفة، والعواء، والسماء، والغفر، والزبانان، والإكليل، والقلب، والشولة، والنائم، والبلدة، وسعد النابج، وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، والقربع المقدم، والفرغ المؤخر، وبطن الحوت ،



والمعنى في ذلك أن الشمس إذا قُرِبت من كوكب من الكواكب الثابتة أو المتحركة سترته وأخفته عن العيون، فصار يظهر نهاراً ويختفي ليلاً ويكون خفاؤه غيباً له، ولا يزال كذلك خافياً إلى أن تبعد عنه الشمس بعداً يمكن أن يظهر معه للابصار وهو عند أول طلوع، الفجر فإن ضوء الشمس يكون ضعيفاً حينئذ فلا يقلب نور الكوكب فيرى الكوكب في الأفق الشرقي ظاهراً، وحصّة كل متزلة من هذه المنازل من السنة ثلاثة عشر يوماً وربع سبع يوم ونصف ثم سبع يوم على التعريب كما سيأتي على المنازل الثمانية والعشرين خص كل متزلة ما ذكر من المبدد والكسور، ولما كان الأمر كذلك جعل لكل متزلة ثلاثة عشر يوماً، وهي ثلاث عشرة درجة من درج الفلك وجمع ما فضل من الكسور على كل ثلاثة عشر يوماً بعد اقتضاء أيام المنازل الثمانية والعشرين، فكان يوماً وربعا يفعل يوماً في المتزلة التي توافق آخر السنة وهي الحية فكان حصتها أربعة عشر يوماً، وبقي ربع يوم ونسب أربع مئة حتى صار يوماً فزيد على الحية أيضاً، فكانت كواكب المنازل المذكورة تطلع مع الفجر منها أربعة عشر يوماً ثلاث مئة وستين وفي السنة الرابعة تطلع بالفجر خمسة عشر يوماً.

فأما الشرطان وهما المتزلة الأولى، فأول طلوعهما بالفجر في الثالث والعشرين من برودة من شهور القبط، وهو الثامن عشر من نيسان من شهور السريان.

وأما البطين وهو المتزلة الثانية فأول طلوعها بالفجر في السادس من بشنس من شهور القبط، وهو أول يوم من أيار من شهور السريان.

وأما الثريا وهي المتزلة الثالثة فأول طلوعها بالفجر في التاسع عشر من بشنس من شهور القبط، وهو الرابع عشر من أيار من شهور السريان.

(١) لعله يختفي نهاراً ويظهر ليلاً. ومع ذلك بقية العبارة غير واضحة

(٢) كذا في الأصل ولعله كان أيام السنة إذا قسمت على الخ.

وأما الدبران وهو المذلة الرابعة فطلوعها بالفجر في الثاني من يؤنه من شهر القبط ، وهو السادس والعشرون من أيار من شهر السريان .

وأما المقعة وهي المذلة الخامسة ، فأول طلوعها بالفجر في الخامس عشر من يؤنه من شهر القبط ، وهو التاسع من حزيران من شهر السريان .

وأما المنعة وهي المذلة السادسة ، فأول طلوعها بالفجر في الثامن والعشرين من يؤنه من شهر القبط ، وهو الثاني والعشرون من حزيران من شهر السريان .

وأما الدراع وهو المذلة السابعة ، فأول طلوعه بالفجر في الحادي عشر من أيب من شهر القبط ، وهو الخامس من تموز من شهر السريان .

وأما النثرة وهي المذلة الثامنة ، فأول طلوعها بالفجر في الرابع والعشرين من أيب من شهر القبط ، وهو الثامن عشر من تموز من شهر السريان .

وأما الطرف وهو المذلة التاسعة ، فأول طلوعه بالفجر في السابع من مسرى من شهر القبط : وهو اليوم الآخر من تموز من شهر السريان .

وأما الجبهة وهي المذلة العاشرة ، فأول طلوعها بالفجر في العشرين من مسرى من شهر القبط ، وهو الثالث عشر من آب من شهر السريان .

وأما الخرتان وهو المذلة الحادية عشرة ، فأول طلوعه بالفجر في الرابع من أيام النسيء القبطي ، وفي السنة الكبيسة في الخامس منه ، وهو السابع والعشرون من آب من شهر السريان .

وأما الصرفة وهي المذلة الثانية عشرة ، فأول طلوعها بالفجر في الثاني عشر من توت من شهر القبط ، وهو التاسع من أيلول من شهر السريان .

وأما العواء وهي المتزلة الثالثة عشرة، فأول طلوعها بالفجر في الخامس والعشرين من توت من شهور القبط، وفي الثاني والعشرين من أيلول من شهور السريان .

وأما السمك وهي المتزلة الرابعة عشرة فأول طلوعها بالفجر في الثامن من بابه من شهور القبط، وهو الخامس من تشرين الأول من شهور السريان .

وأما الغفر وهي المتزلة الخامسة عشرة فأول طلوعها بالفجر في الحادي والعشرين من بابه من شهور القبط، وهو الثامن عشر من تشرين الأول من شهور السريان .

وأما الزباني وهو المتزلة السادسة عشرة فأول طلوعهما بالفجر في الرابع من هاتور من شهور القبط، وهو آخريوم من تشرين الأول من شهور السريان .

وأما الإكليل وهو المتزلة السابعة عشرة، فأول طلوعه بالفجر في السابع عشر من هاتور من شهور القبط، وهو الثالث عشر من تشرين الثاني من شهور السريان .

وأما القلب وهو المتزلة الثامنة عشرة فأول طلوعه بالفجر في آخريوم من هاتور من شهور القبط وهو السادس والعشرون من تشرين الثاني من شهور السريان .

وأما الشولة وهي المتزلة التاسعة عشرة، فأول طلوعها بالفجر في الثالث عشر من كيهك من شهور القبط، وهو التاسع من كانون الأول من شهور السريان .

وأما النعائم وهي المتزلة العشرون، فأول طلوعها بالفجر في السادس والعشرين من كيهك من شهور القبط، وهو الثاني والعشرون من كانون الأول من شهور السريان .

وأما اليلدة وهي المتزلة الحادية والعشرون، فأول طلوعها بالفجر في التاسع من طوبه من شهور القبط، وهو الرابع من كانون الثاني من شهور السريان .

وأما سَعْدُ النَّجْمِ وهو المِثْلَةُ الثَّانِيَّةُ والعِشْرُونَ ، فأَوَّلُ طُلُوعِهَا بِالنَّجْمِ فِي الثَّانِي  
وَالْعِشْرِينَ مِنْ طُلُوبِهِ مِنْ شَهْرِ الْقَبْطِ ، وَهُوَ السَّابِعُ عَشَرَ مِنْ كَانُونِ الثَّانِي مِنْ شَهْرِ  
السَّرِيَانِ .

وأما سَعْدُ بَلْعٌ وَهُوَ المِثْلَةُ الثَّالِثَةُ والعِشْرُونَ ، فأَوَّلُ طُلُوعِهَا بِالنَّجْمِ فِي الْخَامِسِ  
مِنْ أَسْتِمْ مِنْ شَهْرِ الْقَبْطِ ، وَهُوَ الثَّلَاثُونَ مِنْ كَانُونِ الْآخِرِ مِنْ شَهْرِ السَّرِيَانِ .

وأما سَعْدُ السَّعُودِ وَهُوَ المِثْلَةُ الرَّابِعَةُ والعِشْرُونَ ، فأَوَّلُ طُلُوعِهَا بِالنَّجْمِ فِي الثَّامِنِ  
عَشَرَ مِنْ أَسْتِمْ مِنْ شَهْرِ الْقَبْطِ ، وَهُوَ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شِبَاطِ مِنْ شَهْرِ السَّرِيَانِ .

وأما سَعْدُ الْأَخْيِيَّةِ وَهُوَ المِثْلَةُ الْخَامِسَةُ والعِشْرُونَ ، فأَوَّلُ طُلُوعِهَا بِالنَّجْمِ أَوَّلُ  
يَوْمٍ مِنْ بَرْمَهَاتٍ مِنْ شَهْرِ الْقَبْطِ ، وَهُوَ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ مِنْ شِبَاطِ مِنْ شَهْرِ  
السَّرِيَانِ .

وأما الْقَرْنُ الْمُسْتَمُّ وَهُوَ المِثْلَةُ السَّادِسَةُ والعِشْرُونَ فأَوَّلُ طُلُوعِهَا بِالنَّجْمِ  
فِي الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ بَرْمَهَاتٍ مِنْ شَهْرِ الْقَبْطِ ، وَهُوَ السَّابِعُ مِنْ آذَارٍ مِنْ شَهْرِ السَّرِيَانِ .  
وأما الْقَرْنُ الْمَوْخَرُ وَهُوَ المِثْلَةُ السَّابِعَةُ والعِشْرُونَ ، فأَوَّلُ طُلُوعِهَا بِالنَّجْمِ فِي السَّابِعِ  
وَالْعِشْرِينَ مِنْ بَرْمَهَاتٍ مِنْ شَهْرِ الْقَبْطِ ، وَهُوَ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ مِنْ آذَارٍ مِنْ شَهْرِ  
السَّرِيَانِ .

وأما يَطْنُ الْحَوْتِ وَهُوَ المِثْلَةُ الثَّامِنَةُ والعِشْرُونَ ، فأَوَّلُ طُلُوعِهَا بِالنَّجْمِ فِي الْعَاشِرِ  
مِنْ بَرْمَهَاتٍ مِنْ شَهْرِ الْقَبْطِ ، وَهُوَ الْخَامِسُ مِنْ نَيْسَانَ مِنْ شَهْرِ السَّرِيَانِ .

وقد نظم الشيخ كمال الدين حفيدُ الشيخ أبي عبد الله محمد القرطبي أبياتا ، يعلم  
منها مَطَالَعُ هَذِهِ الْمَنَازِلِ بِالنَّجْمِ بِمَعْرِفَةِ رَمَازِهَا لِلشُّهُورِ وَالْأَعْدَادِ وَالْكَوَاكِبِ ، وَرَبَّمَا  
تَحْلُظُ بَعْضُ النَّاسِ قَسَمَهَا إِلَى الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الدِّيرِينِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَهِيَ هَذِهِ :

نَبِصَ تَحَكُّمِ بِحَسِّ بَكَاعٍ هُنَا • هِزَاهُ طَلَقَ كَيْجَشْ كَكُونِ بَرَزْ

ططلب طكيد. أهب أيمس باخ • يسدم بكرم بيت بكجش رمن<sup>(١)</sup>  
 وليس فيها من الحشوات قط سوى • أوأخر النظم. فافهم شرحها لتعز  
 وبيان ذلك أن الحرف الأول من كل كلمة أسم للشهر الذى تطلع فيه تلك المترلة  
 والحرف الآخر منها أسم المترلة، وما بين الآخر والأول عدد ما مضى من الشهر بحساب  
 الجمل، مثال ذلك التاء من تبيض كناية عن توت، والصاد منها كناية عن الصرفة،  
 والياء والباء اللذان بينهما عددهما بالجمل اثنا عشر، إذ الياء بعشرة والباء باثنين فكانه  
 قال في الثاني عشر من توت تطلع مترلة الصرفة بالفجر، وكذلك البواق، إلا أنه  
 لا عبرة بأواخر البيتين وهى برز في البيت الأول ورمز في البيت الثانى •

ونظم الإمام محب الدين جارا الله الطبرى أبيتا كذلك على شهور السريان  
 وهى هذه :

تمس تميش تلز مجي • توكى كطش كبكى نزول  
 كدب كويد. كلب شيس • شهكح أزم أبكم الول  
 نهب نهيش آآب • أوكه حطت حبكه مجبول

والغالب في هذه الكلمات من أوائل الأبيات وأواخرها وأواسطها كالأخبار في الأبيات  
 المتقدمة، فالتاء من تمس إشارة لتشرين الأول، والسين إشارة للمايك، والماء بينهما  
 خمسة نقى الخامس من تشرين الأول يطلع السماء، وعلى هذا الترتيب في البواق •  
 وأعلم أن هذه المنازل لا تزال أربع عشرة مترلة منها ظاهرة فوق الأرض في نصف  
 الفلك، وأربع عشر مترلة منها خافية تحت الأرض في نصف الفلك، وهى مرافقة  
 بعضها لبعض لأستواء مقادير أمسادهما، فإذا طلعت واحدة في الأفق الشرق غربت  
 واحدة في الأفق الغربى، وكانت أخرى متوسطة في وسط الفلك فهى كذلك أبدا •

(١) بعده بيت فافهم شرحها بالأصل. وهو تكلم الشهور والمنازل •

والقاعدة في معرفة ذلك أنك تبدئ بأية منزلة شئت، وتعد منها ثمانية من الطالع  
فالثامنة هي المتوسطة والخامسة عشرة هي الغاربة؛ فإذا كان الطالع الشرطين فالمتوسط  
النثرة والغارب الغفر؛ وكذلك في جميع المنازل؛ وفي مراقبة الطالع منها للغارب يقول  
بمص الشعراء مقيدا لها على الترتيب بدنا بطلوع النطح وهو الشرطان وغرب  
الغفر حينئذ :

كَمْ أَمَالُوا مِنْ نَاطِعٍ بَاغْتَفَارٍ \* وَأَحَالُوا عَلَى الْبُطَيْنِ الزُّبَانِ  
وَالسُّرْيَا تَكَلَّتْ فَرَايِنَا أَلْ \* قَلْبَ مِنْهَا يُشْعِرُ الدَّرْبَانَ  
هَقَعُوا سُؤْلَةً وَهَنَعُوا نَعَامًا \* يَسْدِمَا ذَرَعُوا الْبِلَادَ زَمَانًا  
فَنَرُوا ذَبْحَهُمْ بِطَرْفِ بُلَيْعٍ \* يَجِيبُهُ السَّعْدُ فِي نَحْوَاتِ خَبَانَا  
فَانصَرَفْنَا فِي الْمَقْدَمِ عَوَا \* آنَرَا وَالسَّمَاءَ مَسَدَ رِشَانَا  
وقال آخر :

النَّطْحُ يَغْفِرُ الْبُطَيْنِ مُزَايِنَ \* ثُمَّ السُّرْيَا تَبْنِي إِكْلِيلًا  
وَالْقَلْبَ لِلدَّرْبَانِ يَخْلُ عَاذِرَ \* مِنْ أَجْلِ هَقْعَةِ سُؤْلَةٍ مَاقِيلًا  
تَهْوِي الْهَنِيئَةُ لِلنَّعَائِمِ مِثْلَ نَمَا \* يَتَوَى الذَّرَاعُ لِبَلَدَةِ تَرْجِيلَا  
وَالنَّزْرُ يَدْبِجُ عِنْدَ طَرْفِ بُلُوعِهِ \* وَجِلْبُهُ سَعْدٌ فِذَا مَقُولَا  
وَلَزُورَةُ وَسَطِ الْخَبَاءِ إِقَامَةٌ \* فَاصْرِفْ مَقْدَمَ ذِكْرَهَا تَعَجِيلَا  
يَهْوِي الْمُؤْتَرَانِ سَمَّاكَ مَرَّةً \* مَدَّ الرَّشَاءَ لِحَيْدِهِ تَنَجِيلَا

وقد نظم صاحبنا الشيخ إبراهيم الدهشوري الشهير بالسهر وردى أرجوزة، ذكر  
فيها الطالع، ثم التنازب في بيت وبعدة المتوسط، ثم الودد وهو الذي يقابله تحت  
الأرض في بيت ثان - قال :

### إن طلع الشرطان

بُطَيْنُهَا نُورَ الزَّيَّانِينَ خَلَعَ • فَنَاصَسَ الطَّرْفَ رَمَى سَعْدَ بَلَعٍ  
 تُرِيًّا مَعَ الْإِكْلِيلِ بِالْوَقُودِ • تُبَوِّرُ الْجَبْهَةَ فِي السُّعُودِ  
 وَالذَّبْرَانِ الْقَلْبَ مِنْهُ يَخْفَى • فَالْحَرَتَانِ لِلْخَبَاءِ يَطْرُقُ  
 وَهَقْمَةُ شَوَّلَتِهَا مُتَمِيزَةً • وَصَرْفَةُ بَقَرِغْهَا مَقْدَمُهُ  
 وَهَمَّةُ مِنْهَا النَّائِمُ نَفَرَتْ • بِعَوَةِ الْقَرْيَغِ قَدْ تَانَتْ  
 رَمَى الذَّرَاعُ بِلَدَّةٍ أَصَابَهَا • سَمَّاكَ بَطْنِ الْحَوِثِ مَا أَصَابَهَا  
 فَهَذِهِ جَمَلَتَا مَكْمَلُهُ • لِلشَّمْسِ فِي ثَلَاثِ عَشْرٍ مَنَزِلُهُ

### الجملة الخامسة

#### في ساعات الليل والنهار

قال أصحاب الهيئة : لما كان تلك متحركاً حركات متعديّة يتلو بعضها بعضاً  
 يجعل مقدار كل حركة منها يوماً ، ولما كانت الشمس في حركة من هذه الحركات تارة  
 تكون ظاهرة لأهل الرُّبُع المعمور ، وتارة مستترة عنهم بحجاب الأرض ، انقسم لذلك  
 مقدار تلك الحركة الى الليل والنهار ، فالنهار عبارة عن الوقت الذي تظهر فيه الشمس  
 على ساكن ذلك الموضع من المعمور ، والليل عبارة عن الوقت الذي تخفى عنهم فيه ،  
 فإذ يوجد وقت الصبح في موضع وقت طلوع الشمس في موضع آخر ، وفي موضع  
 آخر وقت الظهر ، وفي موضع آخر وقت المغرب ، وفي موضع آخر وقت نصف الليل .  
 ولما كانت منطقة البروج مقسومة الى اثني عشر برجاً ، وكل برج الى ثلاثين  
 درجة ، وكانت الشمس تقطع هذه المنطقة بحركة فلك الكل لها في زمان اليوم

الجامع ليل والنهار، قُسم كل واحد منهما الى اثني عشر جزءاً، وجعل قسط كل جزء منها خمس عشرة درجة وسمي ساعة . ثم لما كان الليل والنهار يزيد أحدهما على الآخر ويتساويان في الاعتدالين على ما مر ، اضطُرَّ الى أن تكون الساعات نوعين مستوية وتسمى المعتلة، وزمائية وتسمى الموجبة . فالمستوية تختلف أعدادها في الليل والنهار، وتتفق مقاديرها بحسب طول النهار وقصره . فإنه إن طال كانت ساعاته أكثر، وإن قصر كانت ساعاته أقل، مقدار كل ساعة منه خمس عشرة درجة لا تزيد ولا تنقص ، والموجبة تتفق أعدادها وتختلف مقاديرها ، فإن زمان النهار طال أو قصر ينقسم أبداً الى اثني عشرة ساعة مقدار كل واحدة منها نصف سُدس الليل والنهار، وهي في النهار الطويل أطول منها في القصير . والذي كانت العرب تعرفه من ذلك الزمائية دون المستوية ، فكانوا يقيسون كلا من الليل والنهار الى اثني عشرة ساعة ، ووضعوا لكل ساعة من ساعات الليل والنهار اسماً تختص بها .

فاما ساعات الليل فسموا الأولى منها الشاهد، والثانية الفسق، والثالثة العتمة، والرابعة الفحمة، والخامسة الموهن، والسادسة القطع، والسابعة الجوشن، والثامنة المُنكحة، والتاسعة التباشير<sup>(١)</sup>، والحادية عشرة الفجر الأول، والثانية عشرة الفجر المعترض .

وأما النهار فسموا الساعة الأولى منه الذرور، والثانية البروغ، والثالثة الضحى، والرابعة الغزاة، والخامسة المهاجرة، والسادسة الزوال، والسابعة الدلولك، والثامنة العصر، والتاسعة الأصيل، والعاشر الصبوب، والحادية عشرة الحدود، والثانية عشرة الغروب .

(١) العاشرة غير موجودة في الأصل . وقد في نهاية الأرب بعد التباشير الفجر الأول ثم الفجر الثاني ثم

المعترض وبه تمل ما هنا (٢) ليل صوابه الحدود .



وتروى عنهم على وجه آخر، فيقال فيها : البُكُور، ثم الشُّرُوق، ثم الإِشْرَاق،  
ثم الرُّاد، ثم الضُّحى، ثم المُتَوَج، ثم الهاجِرَة، ثم الأَصِيل، ثم العَصْر، ثم الطُّغْل  
(بجحر الفاء)، ثم الشَّيْء، ثم الغُروب، ذكرهما ابن النحاس في "صناعة الكتاب".  
قال في "منهاج الفكر": ويقال إن أقل من قسم النهار إلى اثني عشرة ساعة آدم عليه  
السلام، ومُن من ذلك وصية لابنه شيث عليه السلام، وعرفه ما وُظِف عليه كل ساعة  
من عمل وعبادة ولفه أعلم.

### الجملة السادسة

في أيام الأسبوع، وفيها أربعة مَنَازِر

### المَنَذَرُ الأوَّل

في آبداء خلقها وأصل وجودها

وقد نطق القرآن الكريم بذكر ستة أيام منها على الإجمال والتفصيل .  
أما الإجمال فقال تعالى : (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) .  
وأما التفصيل فقوله تعالى : (قُلْ أَنتُمْ تَكْفُرُونَ) الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ  
وَيَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ  
فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ أَنَسَوْا إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا  
وَلِلْأَرْضِ أَنْتِبَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ )  
والمراد بالأربعة الأولى بما فيها من اليومين المتقدمين ، ومثله في كلام العرب كثير،  
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم "إذا نام أحدكم جاء الشيطان فمقد تحت رأسه ثلاث  
حُقَد، فإذا استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عُقْدَةٌ، فإذا توضأ انحلت عُقْدَتَانِ، فإذا  
صلى انحلت الثالثة" فالمراد بقوله عقدتان عُقْدَةُ الْعُقْدَةِ الأولى، وقد ظهر بذلك أن

المراد من الآية ستة أيام فقط، وهو ما ورد به صريحُ الآيات في غير هذه الآية أن خلقَ السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وقد ورد ذلك مبينا فيما رواه ابن جرير من رواية ابن عباس رضى الله عنهما: أن اليهود أمت النبي صلى الله عليه وسلم، تسألُه عن خلقِ السموات والأرض، فقال: «خلق الله الأرض يومَ الأحد ويومَ الاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيها من منافع، وخلق يوم الأربعاء المداين والشجر والعُمران والخراب، فهذه أربعة أيام، وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه، وفي الثانية إلى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس، وفي الثالثة خلق آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له، وأخرجته منها في آخر ساعة» قالت اليهود: ثم ماذا؟ قال: «ثم استوى على العرش» قالوا: أصبحت لو أتممت، قالوا: ثم استراح فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فنزل ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا نَسْنَا مِنْ لُؤُوبٍ﴾ قال الشيخ عماد الدين بن كثير في تفسيره: وفي غرابة، ولا ذكر في هذا الحديث ليوم السبت في أول الخلق ولا في آخره، نعم ثبت في صحيح مسلم من رواية أبي هريرة رضى الله عنه، أنه قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال: «خلق الله التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل» قال ابن كثير: وهو من غرائب الصحيح، وعمله البخاري في تاريخه فقال: رواه بعضهم عن أبي هريرة عن كعب الأحبار وهو أصح، فقد ورد التصريح في هذا الحديث بذكر الأيام السبعة وموقع الخلق فيها، قال أبو جعفر النحاس: زعم محمد بن إسحاق أن هذا

الحديث أولى من الحديث الذي قبله ، واستدل بأن القَرَّاح كان يوم الجمعة ، وخالفه غيره من العلماء الخُلُقَّاء النُّظَّار . وقالوا : دليُّه دليلٌ على خطئه ، لأن الخلق في ستة أيام يوم الجمعة منها كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم برواية الجماعة ، فلم يدخل في الأيام لكان الخلق في سبعة وهو خلاف ما جاء به التنزيل ؛ على أن أكثر أهل العلم على حديث ابن عباس ، فتبين أن الابتداء يوم الأحد إذا كان الآخر يوم الجمعة ، وذلك ستة أيام كما في التنزيل . قال أبو جعفر : على أن الحديثين ليسا بمتناقضين ، لأننا إن حملنا على الابتداء بالأحد فالخلق في ستة أيام وليس في التنزيل أنه لا يخلق بعدها شيئا ، وإن حملنا على الابتداء بالسبت فليس في التنزيل أنه لم يخلق قبلها شيئا .

إذا علمت ذلك فقد حكى أبو جعفر النحاس أن مقدار كل يوم من أيام خالق السموات والأرض ألف سنة من أيام الدنيا ، وأنه كان بين ابتدائه عز وجل في خلق ذلك وخلق القلم الذي أمره بكتابة كل ما هو كائن إلى قيام الساعة يوم وهو ألف عام ، فصار من ابتداء الخلق إلى انتهائه سبعة آلاف عام ، وطيه يدل قول ابن عباس : إن مدة إقامة الخلق إلى قيام الساعة سبعة أيام كما كان الخلق في سبعة أيام .

قال أبو جعفر : وهذا بابٌ مدَّارُه على النقل دون الآراء .

## المذكر الثاني

في أسمائها ، وقد اختلف في ذلك على ثلاث روايات

الرواية الأولى — ما نقلت به العرب المستعربة من ولد إسماعيل عليه السلام وجرى عليه الاستعمال إلى الآن ؛ وهو الأحد والاثنان والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت .

والأصل في ذلك ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: "إن الله هنر وجعل خلق يوماً واحداً فسماه الأحد، ثم خلق ثانياً فسماه الاثنين، ثم خلق ثالثاً فسماه الثلاثاء، ثم خلق رابعاً فسماه الأربعاء، ثم خلق خامساً فسماه الخميس" ولا ذكر في هذه الرواية للجمعة والسبت. وقد ذكرهما الله تعالى في كتابه العزيز. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ وقال جل وعز: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ يَحْيَتَانِهِمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعاً﴾. وسيأتيان في غير هذه الرواية عند ذكر الاختلاف فيما أبندى فيه التعلق منها.

فالأحد بمعنى واحد ويقال بمعنى أول وورجحه النحاس، وهو المطابق لتسمية الثاني الاثنين. والثالث بالثلاثاء. وقيل أصله وحّد بفتح الواو والخاء كما أن آتاة أصلها وآتاة. ويصح في الصلة على آحاد وأحداث، وفي الكثرة على أحواد وأوحاد ويحكي في جمعه أحد أيضاً قال النحاس: كأنه جمع الجمع.

والاثنان بمعنى الثاني. قال النحاس: وسيله ألا يثنى، وأن يقال فيه: مضت أيام الاثنين إلا أن تقول ذوات، قال: وقد حكى البصريون الاثنان والجميع الثني. وقال ابن قتيبة في أدب الكاتب: إن شئت أن تجمعه فكانه مبنى للواحد قلت أثنين. وحكى النحاس مثله عن كتاب الفراء في الأيام وقال: إنما يجوز على جملة بعيدة، وهي أن يقال: اليوم الاثنان فتضم النون فتصير مائل عمران فتنبه وتجمعه على هذا. وحكى عن الفراء أيضاً في جمع الكثرة أثنان فتقول مضت أثنان مثل أسماء وآسام، قال: وقرأت على أبي إسحاق في كتاب سيبويه فيما حكاها اليوم الثني فتقول على هذا في الجمع الاثناء.

والثلاثاء بمعنى الثالث ، ويجمع على ثلاثاوات ، وحكى الفراء أثايت . قال النحاس ؛  
ويحوز أثايت ، وكذا ثلاثت مثل جمع ثلاثة لأن أثى أثايت كالحاء . وتقول فيه ؛  
مضت الثلاثاء على تأنيث اللفظ ومعنى على تذكير اليوم ، وكذا في البلغ تقول  
مضت ثلاث ثلاثاوات ، وثلاثه ثلاثاوات .

والأربعاء بمعنى الرابع ، ويجمع على أربعاءات وكذا أربعاء والياء فيه عوض  
ماخيف ، فإن لم تنوض قلت أربع . وأجاز الفراء أربعاءات مثل ثلاثاءات ومنعه  
البيروني للفرق بين ألف التأنيث وغيرها .

والخمس بمعنى الخامس ، ويجمع في القلة على أخمسة . وفي الكثرة على خمس  
ومئسان كزحف ورغفان ، ويقال أخمساء كأصباء ، وحكى عن الفراء في الكثرة أخامس .

والجمعة (بضم الميم وإسكانها) ومعناها الجمع . واختلف في سبب تسميته بذلك  
فقال النحاس : لاجتماع الخلق فيه ، وهذا ظاهر في أن الاسم كان بها قديما ؛ وقيل  
للاجتماع الناس للصلاة فيه . ثم اختلف فقيل سميت بذلك في الجاهلية وأحجج له  
بما حكاه أبو هلال العسكري في كتابه الأوائل : أن أول من سمي الجمعة جمعة كعب  
أبن لؤى جد النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه جمع قريشا وخطبهم فسميت جمعة  
وكانوا لا يعرفون قبل ذلك إلا العروبة . وقيل إنما سميت بذلك في الإسلام وذلك  
أن الأنصار قالوا : إن لليهود يوما يجمعون فيه بعد كل ستة أيام ، وللنصارى  
كذلك فهاكوا نجعل لنا يوما نجتمع فيه نذكر الله تعالى ونصلي ، فقالوا يوم السبت  
لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجلوا يوم العروبة لنا ، فاجتمعوا إلى سديد بن زرارمة  
الأنصاري فصل بهم يومئذ ركعتين وذكروهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فأنزل  
الله تعالى سورة الجمعة . على أن السهيلي قد قال في الروض الأثف : إن يوم الجمعة  
كان يسمى بهذا الاسم قبل أن يصل الأنصار الجمعة .

أما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبا حكاها صاحب الأوائل  
فانه لما قديم المدينة مهاجرا نزل على بنى قمر بن عوف وأقام عندهم أياما ثم خرج  
يوم الجمعة فأتوا الى المدينة فأدركته الصلاة في بنى سالم بن عوف في بطن وإد لهم  
تطلب وصل بهم الجمعة . وجمع على جمع وجمعات بالفتح والتسكين .

والسبت ومعناه القطع بمعنى أنه قُطِع فيه الخلق على رأى من يرى أن السبت  
أحرأيام الجمعة ، وأنه لا خلق فيه على ما سياتى ذكره . وقول النحاس إنه مشتق من  
الراحة أيضا لا عبرة به لمضاهاة قول اليهود فيه على ما سياتى إن شاء الله تعالى .  
ويجمع في القلة على أسبوت وسبّات بالتحريك ، وفي الكثرة على سبوت بضم السين  
مثل قريح وقروح .

الرواية الثانية — ما يروى عن العرب العاربة من بنى قحطان ويُرجم الأولى :  
وهو أنهم كانوا يُسمّون الأخد أول لأنه أول أعداد الأيام ويسمّون الاثنين أهون  
أخذنا من أهون وأهونى ، وأوحد أيضا أخذنا من الوحدة وهى المكان المنخفض من  
الأرض لانخفاضه عن اليوم الأول فى العدد . ويسمّون الثلاثاء جبارا (بضم الجيم)  
لأنه جبر به العدد . ويسمّون الأربعاء دبارا (بضم الدال المهملة) لأنه دبر ما جبر به  
العدد بمعنى أنه جاء دبره . ويسمون الخميس مؤنسا لأنه يؤنّس به ليركته . قال  
النحاس : ولم يزل ذلك أيضا فى الإسلام ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتبرك به  
ولا يسافر إلا فيه وقال : ” اللَّهُمَّ بَارِكْ لَأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا يَوْمَ جُمُعِهَا ” . ويسمّون  
الجمعة المروبة (بفتح العين مع الألف واللام) وفى لغة شاذة عروبة بغير ألف ولام  
مع عدم الصرف ، ومعناه اليوم البين أخذنا من قولهم : أعرب اذا أبان ، والمراد أنه  
يُنْتَبِزُ العظيمة والتشرف ، إذ لم يزل معظما عند أهل كل ملة وجاء الإسلام فزاده

نظماً ، وقد ثبت في صحيح مسلم من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةُ ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا " . ويسمونه أيضاً حُرَّةً بمعنى أنه مرتفع حال كالحرَّة التي هي كالشَّخ ، كما يقال غروب لأرقاعه وعلو مكانته ؛ ويسمونه السبت سَبْتاً (بفتح السين المعجمة وكسر الهاء مع الياء المثناة تحت) أخذنا من شُرْتُ الشيء إذا استخرجته وأظهرته من مكانه إلا بمعنى أنه استخرج من الأيام التي وقع فيها الخلق على مذهب من يرى أنه آخر أيام الأسبوع وأن ابتداء الخلق الأحد واتباء الجمعة ، وإما بمعنى أنه ظهر أول أيام الجمعة على مذهب من يرى أنه أول الجمعة وكان ابتداء الخلق فيه ، وإلى هذه الأسماء نشر الثابتة بقوله :

أَوَّلُ أَنْ أَمِيتَ وَأَنْ يَوْمِي • لِأَوَّلِ أَوْ لِأَهْوَنَ أَوْ جُبَارِ  
أَوْ التَّالِي دُبَارِ فَالِقَ آفَتِهِ • لِمُنْزِلِ أَوْ صُرُوفَةٍ أَوْ شِعَارِ

الرواية الثالثة - ما حكاها النجاشي عن الفضل : **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ، لَيْسَ مِنْهَا يَوْمٌ إِلَّا لَهُ اسْمٌ أَجْمَدُ هُوَ حُطِّي كُلُّ سَمَفَصٍ قَرَشَتْ .** وقد حكى السجستاني رحمه الله أَنَّ الْأَسْمَاءَ الْمُتَدَاوِلَةَ بَيْنَ النَّاسِ الْآنَ مَرُورِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَأَنَّ الْعَرَبَ الْمُسْتَعْرِبَةَ لَمَّا جَاوَزَتْهُمْ أَخَذَتْهَا مِنْهُمْ ، وَأَنَّ النَّاسَ قَبْلَ ذَلِكَ لَمْ يَكُونُوا يَسْمُونَ إِلَّا الْأَسْمَاءَ الَّتِي وَضَعَهَا الْعَرَبُ الْعَارِيَّةُ وَهِيَ أَجْمَدُ هُوَ حُطِّي كُلُّ سَمَفَصٍ قَرَشَتْ الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا سَائِرَ الْخُلُوقَاتِ : طُيُونًا وَسُقْلِيًا . وهذا يخالف ما تقدم في الرواية الثانية عن العرب العاربية . وكلُّ أُنْهَاءِ اسْمَةٍ لِلْأَيَّامِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا الْخَلْقُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَجْمَدُ اسْمًا لِلْأَحَدِ عَلَى مَذْهَبٍ مِنْ بَرِي أَنْ إِبْتِدَاءَ الْخَلْقِ يَوْمَ الْأَحَدِ وَيَكُونُ السَّبْتُ لَا ذِكْرَ لَهُ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ .

(١) أسقط الناصح الاحتمال الثاني وقد ذكره في الضوء بقوله: (ويعطى أنه أيه اسم القيد على رأى من جرى أنه ايدي فيه الخلق ويكون الجملة لا ذكرها).

### المذكر الثالث

في بيان أول أيام الأسبوع، وما كان فيه ابتداء الخلق منها .  
وقد اختلف الناس في ذلك على ثلاثة مذاهب

المذهب الأول — أن أول أيام الأسبوع وابتداء الخلق الأحد . واحتج لذلك بما تقدم من حديث ابن عباس أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والأرض فقال : «خلق الله عز وجل الأرض يوم الأحد» الحديث ومجديته الآخر : «خلق الله يوماً واحداً فسماه الأحد» وإذا كان ابتداء الخلق الأحد لزم أن يكون أول الأسبوع الأحد .

المذهب الثاني — أن أول أيام الأسبوع وابتداء الخلق السبت . واحتج له بحديث أبي هريرة المتقدم «أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال : خلق الله التربة يوم السبت» الحديث ، وإذا كان ابتداء الخلق السبت لزم أن يكون أول الأسبوع السبت .

المذهب الثالث — أن أول أيام الأسبوع الأحد ، لحديث «خلق الله يوماً واحداً فسماه الأحد ثم خلق ثانياً فسماه الاثنين» الحديث . وابتداء الخلق يوم السبت لحديث أبي هريرة المتقدم . قال النحاس : وهذا أحسنها .

### المذكر الرابع

في التفاؤل بأيام الأسبوع والتطير بها وما يعزى لكل منها  
من خير أو شر ، على ما هو متداول بين الناس

وأعلم أنه لأصل لذلك من الشريعة ، ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة . وقد وردت القرعة عن جعفر الصادق رضي الله عنه في توزيع الأعمال على الأيام : أنه



قال : السبت يوم مَكِّي وخَدِيعِي ؛ ويوم الأحد يوم غَرْسٍ وعِمَارَةٍ ؛ ويوم الاثنين يوم سفرٍ وتِجَارَةٍ ؛ ويوم الثلاثاء يوم إِرَاقَةِ دِمٍ وحَرْبٍ ومُكَالَفَةٍ ؛ ويوم الأربعاء يوم أَخْذٍ وعِطَاءٍ ؛ ويقال : يوم نحسٍ مستمرٍّ ؛ ويوم الخميس يوم دُخُولٍ على الأُمَرَاءِ وطلبِ الحاجاتِ ؛ ويوم الجمعة يوم خَلْوَةٍ ونُكْلٍ . ووجهوا هذه الدعوى بأن قريشاً مَكَرَتْ في دار الندوة يوم السبت ، وأن الله أبتدأ الخلق يومَ الأحد ، وأن شعيباً سافر للتجارة يومَ الاثنين ، وأن حواءَ حاضَتْ يومَ الثلاثاء ، وفيه قَتَلَ قابيلُ هابِيلَ أخاهُ ، وأن فرعونَ غَرِقَ هو وقومُه يومَ الأربعاء ، وفيه أهلك الله عادًا وثمودًا ، وأن إبراهيمَ دخل على التَّوْرِدِ يومَ الخميس ، وأن الأنبياءَ عليهم السلام كانت تَنُحَّحُ وتُخَطَّبُ يومَ الجمعة . وقد نظم بعض الشعراء هذه الاختيارات في أبيات وإن كان قد خالف الواضح في مواضع فقال :

لَيْتَمَ الْيَوْمُ يَوْمُ السَّبْتِ حَقًّا • لَصِيدَ إِنْ أَرَدْتَ وَلَا امْتَرَا  
وَفِي الْأَحَدِ الْبِنَاءُ فَإِنَّ فِيهِ • تَبَدَّى اللَّهُ فِي خَلْقِ السَّمَاءِ  
وَفِي الْإِثْنَيْنِ إِنْ سَافَرْتَ فِيهِ • مَسْتَرِجِعُ بِالنَّجَاحِ وَالْفَنَاءِ  
وَأَنْ تُرِيدَ الْجَمَامَةَ فِي الثَّلَاثَا • قَفَى سَاعَاتِهِ هَرَقَ النَّمَاءِ  
وَأَنْ شَرِبَ أَمْرُؤُكُمْ دَوَاءَ • قَنِيمَ الْيَوْمِ يَوْمُ الْأَرْبَاءِ  
وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ قَضَاءُ حَاجٍ • فَإِنَّ اللَّهَ يَأْذُنُ بِالْقَضَاءِ  
وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ التَّرْوِيجُ حَقًّا • وَلَذَاتُ الرِّجَالِ مَعَ النِّسَاءِ

وسياتي الكلام على ما يتعلق من ذلك بأيام الشهر في الكلام على الشُّبُورِ في الفصل السابع من الكتاب إن شاء الله تعالى .

## الطرف الثاني

في الشهور، وهي على قسمين : طبيعي واصطلاحي.

### القسم الأول

الطبيعي والمراد به القمري

وهو مدة يسير القمر من حين يفارق الشمس الى حين يفارقها مرة أخرى ،  
وهي على ضربين :

### الضرب الأول

شهور العرب

والشهر العربي عبارة عما بين رؤية الهلال الى رؤيته ثانيا ، وعدد أيامه تسعة  
وعشرون يوما ونصف يوم على التقريب ، ولما كان هذا الكسر في العدد عسرا  
عدوا بجملة الشهرين تسعة وخمسين يوما ، أحدهما ثلاثون وهو التام ، والآخر تسعة  
وعشرون وهو الناقص . وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أم سلمة رضي الله عنها :  
” أن النبي صلى الله عليه وسلم حلف لا يدخل على بعض نسائه شهرا فلما مضى تسعة  
وعشرون غدا عليهم أو راح فليل : يا رسول الله ، حلفت لا تدخل عليهن شهرا فقال :  
الشهر يكون تسعة وعشرين “ . وذلك بحسب يسير النيران : الشمس والقمر بالمسير  
الأوسط ، أما بالمسير المقوم فإنه يتفق اذا استكمل الشهر برؤية الهلال عيانا أن  
بتوالي شهران وثلاثة نائمة ، وتوالي كذلك ناقصة ، وعلى ذلك عمل العرب واليهود .  
ولهم في استعماله طريقتان :

## الطَّرِيقَةُ الْأُولَى

## طَرِيقَةُ الْعَرَبِ

وَمُدَّةُ الشَّهْرِ حُضْمٌ مِنْ رُؤْيَةِ الْهَلَالِ إِلَى رُؤْيَةِ الْهَلَالِ، وَهِيَ أَسْهَلُ الطَّرِيقِ وَأَقْرَبُهَا، وَعَلَيْهَا جَاءَ الشَّرْعُ، وَبِهَا نَظِقُ التَّنْزِيلَ قَالِ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَيَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجِّ﴾. وَفِيهَا جَمْعَانِ:

## الْجُمْلَةُ الْأُولَى

فِي أَحْوَالِ الْأَيَّةِ الَّتِي عَلَيْهَا مِدَارُ الشُّهُورِ فِي ابْتِدَائِهَا وَانْتِهَائِهَا.

وَاعْلَمْ أَنَّ مَسِيرَ الْقَمَرِ مَقْدَرٌ بِمَعْرِفَةِ الشُّهُورِ وَالسِّنِّينَ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَمَحْجُوزَاتُ آيَةِ الْاَنْبِيلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِيَتَنَبَّهُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ وَلِيَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْأَحْصَابِ﴾ وَالشَّمْسُ تُعْطِيهِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مَا يَسْتَقْضِي بِهِ نِصْفُ سُبُحِ قُرْصِهِ حَتَّى يَكُنَّ ثَمَّ تَسْلِيهِ مِنَ اللَّيْلَةِ الْخَامِسَةِ عَشْرَةَ كُلِّ لَيْلَةٍ نِصْفُ سُبُحِ قُرْصِهِ حَتَّى لَا يَبْقَى فِيهِ نَوْرٌ فَيَسْتَبْثَرُ. وَيُرْوَى عَنْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْقَمَرِ فَقَالَ: يُحَقِّقُ كُلَّ لَيْلَةٍ وَيُولَدُ جَدِيداً، وَيَعْدُ مِثْلَ هَذَا عَنْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ.

إِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ فَلِلْقَمَرِ حَرَكَانِ: مَرِيعةٌ وَبَطِيئَةٌ كَمَا تَقْدَمُ فِي الشَّمْسِ.

أَمَّا الْحَرَكَةُ السَّرِيعَةُ فَحَرَكَةُ فَكِّ الْكَلِّ بِهِ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَمِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْهَلَالَ إِذَا طَلَعَ مَعَ غُرُوبِ الشَّمْسِ كَانَ مَقْبِيهٌ عَلَى مَضَى سِتَّةِ أَسْبَاعٍ سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ، وَلَا يَزَالُ مَقْبِيهٌ يَتَأَخَّرُ عَنْ مَقْبِيهِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مَاضِيَةً هَذَا الْمَقْدَارَ حَتَّى يَكُونَ مَقْبِيهٌ فِي اللَّيْلَةِ السَّابِعَةِ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَفِي اللَّيْلَةِ الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ طُلُوعَ الشَّمْسِ،

ثم يكون طلوعه في الليلة الخامسة عشرة على مضي ستة أسابيع منها، ولا يزال طلوعه يتأخر من طلوعه في كل ليلة ماضية بعد الإبدار هذا المقدار حتى يكون طلوعه ليلة إحدى وعشرين نصف الليل، وطلوعه ليلة ثمان وعشرين مع القداة .

وإذا أردت أن تعلم على مضي كم من الساعات يغيب أو يطلع من الليل، فإن أردت المغيب وكان قد مضي من الشهر خمس ليل تقديراً فاضربها في ستة تكون ثلاثين فأسقطها سبعة سبعة يبقى اثنان فيكون مغيبه على مضي أربع ساعات وثلاثة أسابيع ساعة، وكذلك العمل في أية ليلة شئت ؛ وإن أردت الطلوع وكان قد مضي من الإبدار ست ليل مثلاً فاضرب ستة في ستة يكون ستة وثلاثين فأسقطها سبعة سبعة يبقى واحد، فيكون طلوعه على خمس ساعات وسبع، وكذلك العمل في أية ليلة شئت .

وقد قسمت العرب ليلي الشهر بعد استهلاك كل ثلاثة أيام قسمًا وسمنها اسم فالثلاث الأول منها ليل ، والثلاث الثانية قمر ، والثلاث الثالثة هجر ، والثلاث الرابعة زهر (والزهر البياض)، والثلاث الخامسة بيض، لأن الليالي تبيض بطلوع القمر فيها من أولها إلى آخرها، والثلاث السادسة درع، لأن أولها تكون سودا وسائرها بيض، والثلاث السابعة ظلم، والثلاث الثامنة حنادس، والثلاث التاسعة دأدي (الواحدة منها دأداة على وزن قملة)، والثلاث العاشرة ليلتان منها عحاق وليلة يمرار لإحراق الشمس القمر فيها .

ومنها من يقول: ثلاث غمر (وغمر كل شيء أوله)، وثلاث شهب، وثلاث زهر، وثلاث تسع<sup>(٢)</sup>، لأن آخر يوم منها اليوم التاسع، وثلاث هجر، هجر فيها ظلام الليل، وثلاث بيض، وثلاث درع، وثلاث دهم وطم وحنادس، وثلاث دأدي.

(١) ليل العراب وسبعان كما هو واضح . (٢) ليل هذه الثلاثة قبل التي قبلها بديل الليل .

ويروى عنهم أنهم يسْمُون ليلة ثمانٍ وعشرين النَّعْجَاءَ، وليلة تِسْعٍ وعشرين الدَّهْمَاءَ، وليلة ثلاثين اللَّيْلَاءَ، وهم يقولون في أجمعهم : القمر ابن ليلة، رَضَاعُ شَيْبَةٍ، حَلَّ أَهْلُهَا بِرُبَيْلَةٍ، وابن ليلتين حديثُ أُمْتَيْنِ، كَذِبٌ وَمِينٌ، وابن ثلاث، قليل اللَّبَاءِ، وابن أربع، عَمَّةٌ أُمُّ رُيْعٍ، لا جائع ولا مُرَضَّعٍ، وابن خمس، حديثُ وَأُسٍّ، وعَشَاءٌ خَلْفَاتُ قُمُسٍ، وابن ست، مِرْوَيْتٌ، وابن سبع، دُبْلَةٌ ضَسِجٌ، وحديثٌ وِجْمَعٌ، وابن ثمان، قُرٌّ إِحْيِيَانٌ، وابن تسع، عَحْدُو النَّسْعِ، ويقال النَّسْعُ، وابن عشرة، مَحْنَقُ الْفَجْرِ، وثَلْثُ الشَّهْرِ .

هذا هو المحفوظ عن العرب في كثير من الكتب .

قال صاحب مناهج الفكر : وعثرت في بعض المجاميع على زيادة الى آخر الشهر، وكأنها والله أعلم مصنوعة ، وهي على السنة العرب موضوعة ، وهي : وابن إحدى عشرة، يُرى عِشَاءً ويرى بُكْرَةً، وابن اثنتي عشرة، صُرْهَقُ الْبَشْرِ، بِالْبَدْوِ وَالْحَضَرِ، وابن ثلاث عشرة، قَرَّ بِأَهْرٍ، يَعْنِي النَّاطِرَ، وابن أربع عشرة مَقِيلُ الشَّابِّ، مَضَى دُجَنَاتِ السَّحَابِ ، وابن خمس عشرة تَمَّ التَّمَامُ، وَفُتِنَتِ الْيَافِئُ، وابن ست عشرة نَقَصَ الْخَلْقُ، في القَرَبِ وَالشَّرْقِ، وابن سبع عشرة، أُمَكْنِتِ الْمُتَفَتَّرَ الْفَقْرَةَ، وابن ثمان عشرة قَلِيلُ الْبَقَاءِ، سريع الفناء ، وابن تسع عشرة يَطْلُو الطَّلُوعُ، سَرِيعُ الْخُشُوعِ، وابن عشرين يَطْلُعُ مُنْعَرَةً، وَيَنْبُبُ بُكْرَةً، وابن إحدى وعشرين كَالْقَبَسِ، يَطْلُعُ فِي الظُّلْسِ ، وابن اثنتين وعشرين يُطِيلُ السُّرَى، رَیْتِمَا يَرَى ، وابن ثلاث وعشرين يَرَى فِي ظُلُمَةِ اللَّيَالِ، لَا قَرَّ وَلَا هِلَالَ ، وابن خمس وعشرين دَنَا الْأَجَلَ، وَانْقَطَعَ الْأَمَلُ، وابن ست وعشرين دَنَا مَا دَنَا، فَأُرى إِلَّا سَنَاءً، وابن

(١) في بعض الروايات . الشمس . . . والحضرة .

سبع وعشرين يُشْقُ الشمس، ولا يُرى له حق، وابن ثمان وعشرين ضئيل صغير لا يراه إلا البصير .

وأما حركته البطيئة، فحركته من جهة الشمال الى جهة الجنوب، ومن جهة الجنوب الى جهة الشمال، وتسقله في المنازل الثمانية وعشرين في ثمانية وعشرين يوما بليلاتها كالشمس في البروج قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرًا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ فما تقطعه الشمس من الشمال الى الجنوب وبالعكس في جميع السنة يقطعه القمر في ثمانية وعشرين يوما . والمنازل للقمر كالبروج للشمس، وذلك أنه لما اتصل الى العرب ما حققه القدماء برصيدهم من الكواكب الثابتة، وكان لا غنى لهم عن معرفة كواكب تُرشدهم الى العلم بفصول السنة وأزمنتها، رصدوا كواكب وامتحنوها، ولم يستعملوا صور البروج على حقيقتها، لأنهم قسموا فلك الكواكب على مقدار الأيام التي يقطعه القمر فيها، وهي ثمانية وعشرون يوما، وطلبوا في كل قسم منها علامة تكون أبدا ما بينها وبين العلامة الأخرى مقدار مسير القمر في يوم وليلة، وتتموها منزلة الى أن تحقق لهم ثمانية وعشرون على ما تقدم ذكره في الكلام على طلوعها بالفجر، لأن القمر اذا سار سيره الوسط انتهى في اليوم التاسع والعشرين الى المحاق الذي بدأ منه، فحذفت المتكرر بقي ثمانية وعشرون ويزاد بالشرطين، لأن كواكبه من جملة كواكب الحمل الذي هو أول البروج .

ثم هذه المنازل على قسمين : شمالي وجنوبي كما في البروج، وكل قسم منها أربع عشرة منزلة . فالشمالي منها ما كان طلوعه من ناحية الشام، وتسمى الشاميّة وهو ما كان منها من نقطة الاعتدال، التي هي رأس الحمل والميزان صاعدا الى جهة الشمال، وهي الشرطان، والبطين، والتريّا، والدبران، والمقعدة، والمهنة، والذراع، والنسأة، والطرف، والجنبة، واخترتان، والصرفة، والعواء، والسالك . وبطلوها

يطول الليل ويقصر النهار . والجنوبي منها ما كان طُلُوعه من ناحية اليمن وتسمى  
اليمانية وهو ما كان منها من نقطة الاعتدال المذكور هابطا الى جهة الجنوب .  
وهى القفر، والزبانين، والإكليل، والقلب، والشولة، والنعام، والبلدة، وسعدُ  
الذناجُ؛ وسعدُ بَلَع، وسعدُ السعود، وسعدُ الأخبية، والفرغُ المقدم، والفرغُ المؤخر،  
وبطن الحوت؛ ويطلوعها يقصر الليل ويطول النهار .

ثم المتزلة عند المحققين قطعة من الفلك مقدارها رُبْعُ سُبُحِ الدُور، وهو جزء من  
ثمانية وعشرين جزءا من الفلك عبارة عن ... (١) ... لا عن الكواكب وإنما  
الكواكب حدود تفرق بين كل منزلة وتُخرى فعدُل بالتسمية إليها وظلّت عليها .

وتزول القمر في هذه المنازل على ثلاثة أحوال إما في المتزلة نفسها وإما فيما  
بينها وبين التي تليها، وإما محاذيا لها خارجا عن السمى شمالا أو جنوبا . وقد تقدم  
الكلام على عدُول القمر عن بعض المنازل وتزوله في غيرها .

ولتعلم أن المنازل مقسومة على البروج الاثني عشر موزعة عليها ، فالشترطان  
والبطين وثلاث الثريا للحمل، وثلاث الثريا والدبران وثلاث الحقعة للثور، وثلاث الحقعة  
والهنعة والذراع الجوزاء، والثرة والطرف وثلاث الجبهة للشترطان، وثلاث الجبهة  
والخرتان وثلاث الصرفة للأسد، وثلاث الصرفة والقواء والسباك للشبلية؛ والقفر  
والزبانين وثلاث الإكليل لليزان، وثلاث الإكليل والقلب وثلاث الشولة للقرب، وثلاث  
الشولة والنعام والبلدة للقوس، وسعدُ الذناج وسعدُ بَلَع وثلاث سعد السعود للمجدي،  
وثلاث القفر المقدم والفرغ المؤخر وبطن الحوت للحوت .

(١) يباصر بالأمل .

(٢) يظهر أن فيه سقطا هو [وثلاث سعد السعود وسعد الأخبية وثلاث القفر المقدم للمجدي] .

إذا علمت ذلك فإذا أردت أن تعرف القمر في أي متزلة هو أو كم مضى له فيها من الأيام، فخذ ما مضى من سنة القبط شهرا كانت أو أياما أو شهرا وأياما وأبسطها أياما، وأضف إلى ما حصل من ذلك يومين، ثم اطرح المجموع ثلاثة عشر ثلاثة عشر، وهو عدد بُت القمر في كل متزلة من الأيام، واجعل أول كل متزلة من العدد الخرتان، فما بقي من الأيام دون الثلاثة عشر فهو عدد ما مضى من المتزلة التي انتهى العدد إليها .

مثال ذلك أن يمضي من سنة القبط شهر توت وأربعة أيام من بابه فتبسطها أياما تكون أربعة وثلاثين يوما فتضيف إليها يومين تصير ستة وثلاثين يوما فاطرح منها ثلاثة عشر مرتين ستة وعشرين لثرتان منها ثلاثة عشر وللصرفة ثلاثة عشر تبقى عشرة، وهي ما مضى من المتزلة الثالثة وهي العواء .

وإن أردت أن تعرف في أي برج هو فاحسب كم مضى من الشهر العربي يوما وزد عليه مثله ثم زد على الجملة خمسة وأعط لكل برج خمسة وأبدأ من البرج الذي فيه الشمس فأعط لكل برج خمسة فأينما فقد حسابك فالقمر في ذلك البرج والاعتماد في ذلك على كم مضى من الشهر العربي بالحساب دون الرؤية والله أعلم .

## الجملة الثانية

في أسمائها ، وفيها روايات

الرواية الأولى - ما نطقت به العرب المستعربة وجرى عليه الاستعمال إلى الآن وقد نطق القرآن الكريم بصنعتها قال تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ والمراد بشهور العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، ومدارها الأهلّة سواء جاء الشهر ثلاثين أو تسعة وعشرين . الشهر الأول



منها المحرم، سُمِّيَ بذلك لأنهم كانوا يحزمون فيه القتال، ويجمع على عُمرات وتَحَارِم ومَحَارِم . الشهر الثاني صَفَر، سُمِّيَ بذلك لأنهم كانوا يُغيرون فيه على بلاد يقال لها الصَّغَرِيَّة، ويجمع على صَفَرَات وأَصْفَار وصُفُور وصَفَار . الشهر الثالث ربيع الأول سُمِّيَ بذلك لأنهم كانوا يُحْتَصِلُونَ فيه ما أصابوه في صَفَر . والرَّبيع في اللغة الحِصْب، وقيل لأرتباعهم فيه . قال النحاس : والأول أولى بالصواب، ويقال في التثنية ربيعان الأولان وفي الجمع ربيعات الأولات . ومن شرط فيه إضافة شهر قال في التثنية شهران وبيع الأولان وفي الجمع شَهْرَات ربيع الأولات والأوائل، وإن شئت قلت في القليل أشهر وفي الكثير شهور، وحكى عن قطرب الأربعة الأوائل، وعن غيره رُبْع الأوائل . الشهر الرابع ربيع الآخر، والكلام في تسميته وتثنيته وجمعه كالقلام في ربيع الأول . الشهر الخامس جمادى الأولى، سُمِّيَ بذلك لجمود الماء فيه، لأن الوقت الذي سُمِّيَ فيه بذلك كان الماء فيه جامداً لشدَّة البرد، ويقال في التثنية جُمَادِيَانِ الأوليان وفي الجمع جُمَادِيَاتِ الأوليات . الشهر السادس جمادى الآخرة، والكلام فيه تسميةً وتثنيةً وجمعاً كالقلام في جمادى الأولى . الشهر السابع رجب، سُمِّيَ بذلك لتعظيمهم له أخذاً من التَّرجيب وهو التعظيم، ويجمع على رَجَبَات وأَرْجَاب، وفي الكثرة على رَجَابٍ ورَجُوب . الشهر الثامن شعبان، سُمِّيَ بذلك لتشعبهم فيه لكثرة الغارات عَقِبَ رَجَب، وقيل لتشعب المود في الوقت الذي سُمِّيَ فيه . وقيل لأنه شَعَب بين شهرَيْ رَجَبٍ ورمضان ويجمع على شَعْبَانِيَّ وشُعَابَةٍ على حذف الزوائد، وحكى الكوفيون شَعَابِينَ، قال النحاس : وذلك خطأ على قول سيويه كما لا يجوز عنده في جمع عَثَانٍ عَثَامِينَ . الشهر التاسع رمضان، سُمِّيَ بذلك أخذاً من الرَّمْضاء لأنه وافق وقتُ تسميته زَمَنَ الحَرِّ، ويجمع على رَمَضَانَات، وحكى الكوفيون رَمَاضِينَ،

والقول فيه كالتقول في شعبان، ومن شرط فيه لفظ شهر قال في الثنية : شهر رمضان وقى الجمع شهرات رمضان وأشهر رمضان وشهور رمضان . الشهر العاشر شوال، سمي بذلك أخذاً من شألت الإبل بأذنانها إذا حملت لكونه أول شهور الحج ، وقيل من شال يشول إذا ارتفع ، ولذلك كانت الجاهلية تنكح الترويح فيه لما فيه من معنى الإشالة والرفع الى أن جاء الإسلام بهدم ذلك . قالت عائشة رضي الله عنها فيما ثبت في صحيح مسلم : " تَرَوْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَوَّالٍ وَبَنِي فِي شَوَّالٍ فَأَيُّ نِسَائِهِ كَانَ أَحَقَّيَّ عِنْدَهُ مِنِّي " ويجمع على شَوَّالات وشَوَّالٍ وشَوَّالٍ . الشهر الحادي عشر ذو القعدة ، ويقال بالفتح والكسر، سمي بذلك لأنهم كانوا يقعدون فيه عن القتال لكونه من الأشهر الحرم، ويجمع على ذَوَّات القعدة، وحكى الكوفيون أولات القعدة ، وربما قالوا في الجمع : ذات القعدة أيضاً . الشهر الثاني عشر ذو الحجة، سمي بذلك لأن الج في فيه ، والكلام في جمعه كالكلام في ذى القعدة . ثم من الأشهر المذكورة أربعة أشهر حُرِّمَ كما قال تعالى : ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرِّمٌ ﴾ وقد أجمعت العلماء على أن الأربعة المذكورة هي رَجَبٌ وذو القعدة وذو الحجة والمحرم . وقد اختلف في الابتداء بعددها فذهب أهل المدينة الى أنه يُبتدأ بذي القعدة فيقال : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ، ويعصمون على ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم عدها في خطبة حجة الوداع كذلك فقال : " السَّنةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ، ثَلَاثَةٌ مَثَوِّلَاتٌ وَوَاحِدٌ مُفْرَدٌ : ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمَحْرَمُ وَرَجَبٌ " واختاره أبو جعفر النحاس . وذهب أهل الكوفة الى أنه يُبتدأ بالمحرم فيقال : المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة لياتوا بها من سنة واحدة واليه ميل الكتاب . قال النحاس : ولا حجة لهم فيه لأنه إذا علم أن المقصود ذكرها في كل سنة فكيف يتوهم أنها من ستين . وكانت العرب في الجاهلية مع ما هم عليه من الضلال والكفر يعظمون هذه الأشهر ويمتزمون القتال فيها حتى

لَوْنِي الرَّجُلُ فِيهَا قَاتِلُ أَبِيهِ لَمْ يَجِبْهُ، إِلَى أَنْ حَلَّتْ فِيهِمُ النَّسَى، فَكَانُوا يُنْسُونُ  
الْحَرَمَ فَيُؤْخِرُونَهُ إِلَى صَفَرٍ فَيَحْزِمُونَهُ مَكَانَهُ وَيُنْسُونُ رَجَبًا فَيُؤْخِرُونَهُ إِلَى شَعْبَانَ  
فَيَحْزِمُونَهُ مَكَانَهُ لِيَسْتَبِيحُوا الْقِتَالَ فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ يَحْزَمُ أَنْ يُضَافَ لِقَطْعِ شَهْرِ إِلَى جَمِيعِ الْأَشْهُرِ يُقَالُ: شَهْرُ الْحَرَمِ، وَشَهْرُ  
صَفَرٍ، وَشَهْرُ رَبِيعِ الْأَوَّلِ وَكُنَا فِي الْبَوَاقِ، عَلَى أَنَّ مِنْهَا ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ لَمْ تَكُنْ الْعَرَبُ تَبْطِئُ  
بِهَا إِلَّا مُضَافَةً إِلَيْهَا، وَهِيَ شَهْرُ رَبِيعٍ وَشَهْرُ رَمَضَانَ؛ وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ فِي رَمَضَانَ  
مَا وَرَدَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنْ إِضَافَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾  
وَقَدْ رَوَى عِثَانُ بْنُ الْأَسْوَدِ عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ: «لَا تُقَالُ رَمَضَانُ وَلَكِنْ قُلْ كَمَا قَالَ اللَّهُ  
هَذَا وَجَلَّ: شَهْرُ رَمَضَانَ، لِإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا رَمَضَانُ» وَعَنْ عَطَاءٍ نَحْوَهُ وَأَنَّهُ قَالَ لِبَلٍّ  
رَمَضَانَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، لَكِنْ قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ أَغْلَقَتِ النَّيْرَانُ وَصُقِّدَتِ  
الشَّيَاطِينُ» الْحَدِيثُ . وَهَذَا صَرِيحٌ فِي جَوَازِ تَعْرِيتِهِ عَنِ الْإِضَافَةِ .

وَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ عَلَى ثَلَاثَةِ مَذَاهِبٍ أَحْمَقُهَا أَنَّهُ يَحْزَمُ تَعْرِيتَهُ عَنْ لَفْظِ  
شَهْرٍ مُطْلَقًا، سِوَاهُ قَامَتْ قَرِينَةٌ أَمْ لَا، يُقَالُ جَاءَ رَمَضَانُ وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَمَا أَشْبَهَ  
ذَلِكَ وَهُوَ مَا دَرَجَهُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ . وَالثَّانِي الْمُنْعُ مُطْلَقًا، وَالثَّالِثُ إِنْ حَفَّتْ  
قَرِينَةٌ تَدُلُّ عَلَى الشَّهْرِ كَمَا فِي قَوْلِهِ: صُمْتُ رَمَضَانَ فَقَدْ جَازَتْ التَّعْرِيتُ، وَإِنْ لَمْ تُحَفَّفْ  
قَرِينَةٌ لَمْ يُجَزَّ؛ وَزَادَ بَعْضُهُمْ فِيهَا يُضَافُ إِلَيْهِ لَفْظُ شَهْرٍ رَجَبٌ أَيْضًا . وَقَالَ كُلُّ شَهْرٍ  
فِي أَزْوَاجِهِ حَرْفٌ فَلَا يُقَالُ إِلَّا بِالْإِضَافَةِ . وَيُقَالُ فِي الْحَرَمِ أَيْضًا شَهْرُ اللَّهِ الْحَرَمِ  
وَيُقَالُ فِي الرَّبِيعَيْنِ: رَبِيعُ الْأَوَّلِ وَرَبِيعُ الْآخِرِ؛ وَفِي الْجُمَادَيْنِ: جُمَادَى الْأُولَى وَجُمَادَى  
الْآخِرَةِ . قَالَ ابْنُ مَكِّيٍّ: وَلَا يُقَالُ جُمَادَى الْأَوَّلُ بِالتَّضْكِيرِ وَجَوَازُهُ فِي كَلَامِهِ عَلَى  
«تَبْيِيقِ اللِّسَانِ» .

قال النحاس : وإنما قالوا ربيع الآحر وجمادى الآخرة ولم يقولوا ربيع الثانى وجمادى الثانية كما قالوا : السنة الأولى والسنة الثانية لأنه إنما يقال الثانى والثانية لما له ثالث وثالثة ، ولما لم يكن لهذين ثالث ولا ثالثة قيل فيهما الآحر والآخرة كما قيل : الدنيا والآخرة ؛ على أن أكثر استعمال أهل القرب على ربيع الثانى وجمادى الثانية . ويقال فى رجب الفرد : لافراده عن بقية الأشهر الحرم ، ويقال فيه أيضا : وجب مضّر الذى بين جمادى وشعبان ، ويقال فى شعبان المكرم لتكرمه وعلو قدره ، وفى رمضان : المعظم والمُعظم قدره لمعظمته وشرفه ، وفى شوال المبارك للفرق بينه وبين شعبان خشية الالتباس فى الكتابة ، ويقال فى كل من ذى القعدة وذى الحجة الحرام . قال النحاس : وقد جاء فى ذى الحجة أيضا الإسم ، وروى فيه حديثا بسنده من رواية مرة الحمداى عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً على ناقية حمراء مخضرة" ، فقال : أتدرون أى يوم يومكم هذا ؟ قلنا : يوم النحر قال : صدقتم يوم الحج الأكبر ، أتدرون أى شهر شهركم هذا ؟ قلنا : ذو الحجة قال : صدقتم شهر الله الأصم .

الرواية الثانية - ما روى عن العرب العاربة ، وهوانهم كانوا يقولون فى المحزم : المؤمير أخذنا من أمر القوم إذا كثروا بمعنى أنهم يحزمون فيه القتال فيكثرون . وقيل أخذنا من الائتثار بمعنى أنه يؤتمر فيه بترك الحرب ، ويجمع على مؤتمرات ومآير ومآير . ويقولون فى صفر : نأجر إماما من النجر والتجار (يفتح النون وكسرها) الأصل ، بمعنى أنه أصل الحرب لأنه يتدأ فيه بعد المحرم ، وإما من النجر وهو السوق الشديد . لشدة سوقهم الخيل إلى الحرب فيه ، وإما من النجر ، وهو شدة الحز لشدة حرارة الحرب فيه ، ويجمع على نواجر . ويقولون فى شهر ربيع الأول : خَوَان (بالحاء المعجمة)

(١) أى طلع طرف أذنها - فاموس .

لأن الحرب تشتد فيه فتضوئهم فتقصمهم، ويجمع على خَوَانَتِ وَخَوَاوِينَ وَخَوَاوَنَ .  
ويقولون في ربيع الآخر: وَبَصَاتٌ ، أخذنا من الوَبْص وهو البَرِيق : ليريق  
الحديد فيه : ويجمع على وَبَصَاتات ، وحكى قطرب فيه بُصَان فيجمع على أَبْصِنَةٍ  
وفي الكثرة بُصَان . ويقولون لجمادى الأولى: حَتِين لأنهم يَحْتُون فيه إلى أوطانهم  
لكونه كان يقع في زمن الربيع ، ويجمع على أَحِنَّة وَحُنَّ كَرِيف وَرُغْف . ويقولون  
لجمادى الآخرة: رُبَى وَرُبَّة لأنه يجتمع به لجماعة من المشهور التي ليست بِمُسْرَم  
وهي ما بعد صفر. قال أبو عبيد: رُبَان كل شيء جماعته، ويجمع على رُبَيَات وَرَبَايَا مثل  
حَبَال . ومن قال رُبَّة جمعه على مَارِيب . ويقولون في رجب: الْأَصْم لَمَّا تَقَسَّم  
من أنه لا يسمع صوت السلاح ولا الاستغاثات فيه، ويجمع على أَصَام. قال النحاس:  
ولا تقل صَم لأنه ليس بنعت كما أنك لو سميت رجلا أحمر جمعته على أَحَامِر ولم  
تجمعه على حُمَر . ويقولون في شعبان: طَائِلٌ ، بمعنى أنهم يعدلون فيه عن الإقامة لتسعينهم  
في القبائل ويجمع على عَوَائِل . ويقولون في رمضان: نَاتِق لَكثرة المسال عندهم فيه  
لإغارتهم على الأموال في الذي قبله ، ويجمع على تَوَاتِق . ويقولون في شَوَالٍ : وَصَلُ  
أخذنا من قولهم : وَصَلَ إِلَى كَذَا إذا بلغا إليه لأنهم يهْرُبُونَ فيه من الغارات لأن بعدهم  
الاشْهُرُ الْحُرْم فَيَلْجَأُونَ فِيهِ إِلَى أَمَكِنَةٍ يَحْتَصِنُونَ فِيهَا ، ويجمع على أَوطَال كَتَكَيْف  
وَأَكْثَاف ، وفي الكثرة وَعُول . ويقولون في ذى القعدة: وَرَنَةٌ وَالْوَاوِيهِ مِنْغَلِبَةٌ عَنْ  
هَمَزَةٍ أَخَذْنَا مِنْ أَرِنَ إِذَا تَحَوَّكَ لِأَنَّهُ الْوَقْتُ الَّذِي يَتَحَوَّكُونَ فِيهِ إِلَى الْجِج ، أَوْ مِنَ الْأُرُونِ  
وهو الدُّوُّ لِقُرْبِهِ مِنَ الْجِج وَيَجْمَعُ عَلَى وَرَنَاتٍ وَوَرَانٍ يَكْفَان . ويقولون في ذى الحجة:  
بُرْكٌ ، غير مصروف لأنه معدول عن بَارِك ، أَوْ عَلَى التَّكْثِيرِ كَمَا يُقَالُ : رَجُلٌ حُكِمَ وَهُوَ

(١) هذا في الضوء أيضا ولعله مصحف من دباب أو ربيب تأمل .

ماخوذ من البركة لأن الج في فيه، أو من برك الجبل لأنه الوقت الذي تبرك فيه الإبل  
للوسم، ويجمع على بركان مثل تفرق قفران .

وفي هذه الأسماء خلاف عند أهل اللغة والمشهور ما تقدم ذكره .

وقد نظم بعضهم ذلك في أبيات على الترتيب فقال :

بمؤتمر وناجر ابتدأنا \* وبالمؤان يتبعه البصان  
وربي ثم أيدة تليبه \* تعود أصم صم به السنان  
[وعادلة وناحلة جميعا \* وواغلة فهم حرر حسان]<sup>(١)</sup>  
ووزنه بعدها برك فتمت \* شهر الحول يعربها الليان

ثم للناس في إخراج أول الشهر العربي طرق، أسهلها أن تعرف أول يوم من  
المحرم، ثم تعد كم مضى من السنة من الشهور بالشهر الذي تريد أن تعرف أوله  
فتقسمها نصفين، فإن كان النصف صحيحا أضفت على الجملة مثل نصفه، وإن  
كان مكسورا كجلته وأضفته على الجملة، ثم تبدئ من أول يوم من السنة وتعد منه  
أياما على توالي أسماء الأيام بعدد ما حصل معك من الأصل والمضاف، فحيث انتهى  
عددك فذلك اليوم هو أول الشهر .

مثال ذلك في الصحيح النصف : إن أردت أن تعرف أول يوم من شعبان  
وكان أول المحرم يوم الأحد مثلاً فتعد من أول المحرم إلى شعبان وتدخل شعبان  
في العدد فيكون ثمانية أشهر فتقسمها نصفين يكون نصفها أربعة فتضيف الأربعة  
إلى الثمانية تكون اثني عشر، ثم تبدئ من يوم الأحد الذي هو أول المحرم فتعد الأحد  
والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت، ثم الأحد والاثنين والثلاثاء

(١) سقط هذا البيت من نسخة الأصل وقد وجدناه في "نهاية الأرب" ليزيد فائتناه كما ترى وبه  
تمت بقية الشهور .

والأربعاء والخميس فيكون انتهاء الاثنى عشر في يوم الخميس فيكون أول شعبان يوم الخميس .

ومثاله في المكسور النصف اذا أردت أن تعرف أول رمضان أيضا وكان أول المحرم الأحد كما تقدم فتمد ما مضى من شهور السنة وتمد منها رمضان يكون تسعة أشهر فتقسمها نصفين يكون نصفها أربعة ونصفا فكلها بنصف تصير خمسة فتضيفها الى الأصل المحفوظ وهو تسعة يكون المجموع أربعة عشر، ثم تبدئ عدد الأيام من أول المحرم، وهو الأحد كما تقدم فيكون انتهاء الرابع عشر في يوم السبت فيكون أول رمضان يوم السبت .

ومن الطرق المعتبرة في ذلك أن تنظر في الثالث من أيام النسيء من شهور القبط كم يوما مضى من الشهر العربي فسا كان جعلته أصلا لتلك السنة، فإذا أردت أن تعرف أول شهر من الشهور العربية أو كم مضى من الشهر الذى أنت فيه فخذ الأصل المحفوظ معك تلك السنة، وانظر كم مضى من السنة القبطية شهرا فخذ لكل شهرين يوما، فإن انكسرت الأشهر وجاءت فردا فاجبرها بيوم زيادة حتى تصير زوجا، وزد على ذلك يومين أصلا أبدا، ثم انظر كم يوما مضى من الشهر القبطى الذى أنت فيه فاضفه على ما اجتمع معك، وأسقط ذلك ثلاثين ثلاثين فما بقى فهو عدد ما مضى من الشهر العربى، ومنه يعرف أوله .

ومثال ذلك نظرت في الثالث من أيام النسيء فوجدت الماضى من الشهر العربى ثلاثة أيام فكانت أصلا لتلك السنة، ثم نظرت في الشهور القبطية فوجدت الشهر الذى أنت فيه أشهر مثلا فتمد من أول شهور السنة القبطية (وهو توت) الى أشهر يكون ستة أشهر فتأخذ لكل شهرين يوما تكون ثلاثة أيام فتضيفها على الأصل الذى معك من أيام النسيء وهو ثلاثة تصير ستة فزد عليها اثنين يضير المجموع

ثمانية، ثم تنظر في الشهر القبطي الذي أنت فيه (وهو أمشير) تجده قد مضى منه يومان فتضيفهما على المجموع يكون عشرة، وهو الماضي من الشهر العربي الذي أنت فيه ومنه يعرف أوله .

## الضرب الثاني

### شهور اليهود

والشهر عندهم من الاجتماع الى الاجتماع، وهو اقتران الشمس والقمر في آخر الشهر ولذلك توافق شهورهم في التقدير شهور العرب، ولا تخالف أوائلها إلا بيوم واحد . في بعض الأحيان لأسباب في ملتهم ولكنها لا تطابق شهرا لشهر، فإن شهور العرب غير مكبوسة، وشهور اليهود مكبوسة؛ وهذه الطريقة لا تعرف إلا بتقويم الكواكب ومعرفة سير الشمس والقمر؛ ولذلك لا يعرف شهور اليهود منهم إلا الأحاد، وشهورهم وهي اثنا عشر شهرا بعضها ثلاثون، وبعضها تسعة وعشرون على ما يقتضيه مسير الشمس والقمر؛ وفي السنة الكبيسة تكون شهورهم ثلاثة عشر شهرا كما سيأتي؛ وشهورهم توافق الشهور السريانية في بعض أسمائها دون بعض، الأول تشرى، الشهر الثاني مרחشوان، الشهر الثالث كسلا، الشهر الرابع طابات، الشهر الخامس شباط، الشهر السادس آذار، الشهر السابع نيسان، الشهر الثامن أيار، الشهر التاسع سيوان، الشهر العاشر تموز، الشهر الحادي عشر آب، الشهر الثاني عشر أيلول، وفي السنة التي يكبسون فيها بعد كل سنة أو بعد كل سنتين على ما سيأتي بيانه يكبسون شهرا كاملا بعد آذار وهو الشهر السادس من شهورهم ويسمونه آذار الثاني، وسيأتي ذلك مفصلا في الكلام على السنين إن شاء الله تعالى. وقد تقدم أنها توافق شهور العرب إلا في القليل إلا أنها يدخلها الكبس لأمور في ملتهم، وسيأتي الكلام على كبسهم عند ذكر السنين إن شاء الله تعالى .



## القسم الثاني

من الشهور الاصطلاحي والمراد به الشمسي

وهي مدة قطع الشمس مدار برج من بُروج الفلك الاثني عشر، وذلك ثلاثون يوماً وثلاثة عشر يوماً تقريباً، وعليه عمل القبط، والفرس، والسريان، والروم .  
وهي على صنفين :

## الصنف الأول

ما يكون كل شهر من شهور السنة ثلاثين يوماً، وما فضل من ذلك

جمل نسبتا بين الشهور وهو الشهور القبط، والفرس

فاما شهور القبط (وتنسب لدقليانوس الملك) فكل شهر منها ثلاثون يوماً وأيام  
النسب في آخر الثاني عشر منها وهي خمسة أيام .

الشهر الأول منها توت، ودخله في العشرين من آب من شهور السريان، وآخره  
السادس والعشرون من أيلول منها؛ فيه يدرك الرطب، ويكثر السَّفرجل والعتب  
الشَّتوي، وتبدئ المحمضات . وأول يوم منه يوم النيروز وهو رأس سنة القبط؛  
وفي سابعه يتدئ لقط الزيتون؛ وفي سابع عشره عيد الصليب، فيه تفتح أكثر  
الترع بمصر؛ وفي ثامن عشره أول فصل الخريف؛ وفي تاسع عشره يتدئ هيجان  
السوداء في البدن؛ وفي العشرين منه يقصد اللسان؛ وفي الحادي والعشرين منه  
يتدئ يَبْضُ النعام؛ وفي الرابع والعشرين منه أول دى ماه من شهور الفرس؛  
وفي الثامن والعشرين منه ينعى الحر؛ وفي التاسع والعشرين منه أول رعى  
الكَرَاكِي؛ وفي الثلاثين منه وهو آخره يُزْرَع الحليون .

الشهر الثاني باه ، ودخوله في السابع والعشرين من أيلول من شهور السريان ،  
 وآخره السادس والعشرون من تشرين الأول منها ، فيه يُنذر كل مالا تُنقى له الأرض  
 كالبرسيم وغيره ؛ وفي آخره تُنقى الأرض بالصعيد ، وفيه يُحصد الأرز ، ويطيب  
 الرمان ، وتضع الضأن والمعز والبقر الحليسية ؛ ويُستخرج دهن الآس واللينوفر ،  
 ويُذرك الثمر والزبيب وبعض المحمضات ؛ وفي ثلثه رأس سنة السريان ؛ وفي رابعه  
 أول تشرين الأول من شهرهم ؛ وفي خامسه عرس النيل ؛ وفي سادسه يطيب  
 شرب الدواء ؛ وفي سابعه نهاية زيادة النيل ؛ وفي ثامنه يكره خروج الدم ؛ وفي حادى  
 عشره يتبدى النيل في النقص ؛ وفي ثالث عشره بداية الوحم ؛ وفي رابع عشره  
 يكثر الناموس ؛ وفي خامس عشره يتبدى زرع القرط ؛ وفي سادس عشره يتبدى  
 كثرة الشمال ؛ وفي تاسع عشره يتبدى زرع السلجم ، وفي الثانى والعشرين منه  
 يتبدى صلاح المواتى ، وفي الثالث والعشرين منه يتبدى كثرة الغيوم ، وفي الرابع  
 والعشرين منه يتبدى أهل مصر الزرع ، وفي السابع والعشرين منه يتبدى يمن  
 الحيتان ، وفي الثامن والعشرين منه أول المذ ، وفي التاسع والعشرين منه أول  
 الليالى البلى .

الشهر الثالث هتور ، ودخوله في السابع والعشرين من تشرين الأول ؛ وآخره  
 الخامس والعشرون من تشرين الثانى . فيه يزرع القمح ويطلع البنفسج والمتشور ،  
 وأكثر البقول ، ويمسح ما بقى من الباذنجان وما يجرى مجراه ، ويُجمل العنب من  
 قوص ، وفي ثانيه يتبدى حصاد الأرز ، وفي خامسه أول تشرين الثانى من شهر  
 السريان ، وفيه يتبدى برد المياه ، وفي سادسه أول المطر الوسمى ، وفي سابعه يتبدى  
 أهل الشام الزرع ، وفي ثامنه يتبدى هبوب الرياح الجنوبية ، وفي تاسعه يتبدى  
 زرع الخشاش ، وفي حادى عشره يتبدى اختفاء الهوام ، وفي ثالث عشره يتبدى

غَلِيَّانَ الْبَحْرِ ، وَفِي رَابِعِ عَشْرَةِ تَعْنَى الْحَيَاتِ ، وَفِي سَادِسِ عَشْرَةِ يَجْمَعُ الزَّعْفَرَانُ ،  
وَفِي ثَامِنِ عَشْرَةِ تَكَثُرُ الْوَحُوشُ ، وَفِي ثَامِنِ وَالْعِشْرِينَ حَسْبُ يَفْأَقُ الْبَحْرُ الْمَلْحَ وَتَمْتَنِعُ  
السُّقُنُ مِنَ السَّفَرِ فِيهِ لَشَدَّةُ الرِّيحِ ، وَفِي الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ تَبْدِئُ تَخْوَفُهُ بِلُحْنِ  
الْأَرْضِ ، وَفِي الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ أَوَّلُ اسْفِيدَانِ مَاءٍ مِنْ شَهْرِ الْقُرْسِ ،

الشَّهْرُ الرَّابِعُ كَيْفَ ، وَدَخُولُهُ فِي السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ تِسْرِينَ الثَّانِي مِنْ شَهْرِ  
السَّرِيَانِ ، وَآخِرُهُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ مِنْ كَانُونِ الْأَوَّلِ مِنْهَا ، فِيهِ تَدْرِكُ الْبَاقِلَاءُ ، وَتُزْدَرِجُ  
الْحَلْبَةُ وَأَكْثَرُ الْحُبُوبِ ، وَيُدْرِكُ التَّرِيحُ وَالْبِتْسُجُ ، وَتَنَلِاقُ الْمُجْمَضَاتُ ، وَفِي أَوَّلِهِ  
إِبْتِدَاءُ أَرَيْمِيَّاتِ مِصْرَ ، وَفِي ثَلَاثِهِ يَتَدَيُّ مَوْتُ الْأَبَابِ ، وَفِي خَامِسِهِ أَوَّلُ كَانُونِ  
الْأَوَّلِ مِنْ شَهْرِ السَّرِيَانِ ، وَفِي سَابِعِهِ آخِرُ اللَّيْلِ الْبَلَقِ وَأَوَّلُ اللَّيْلِ الْبُيُودِ ،  
وَفِي حَادِي عَشْرِهِ يَتَدَيُّ الشَّجَرُ فِي رَمَى أَوْرَاقِهِ ، وَفِي ثَانِي عَشْرِهِ تَظْهَرُ الْبَرَاغِثُ ،  
وَفِي سَابِعِ عَشْرِهِ أَوَّلُ فَصْلِ الشِّتَاءِ وَهُوَ أَوَّلُ أَرَيْمِيَّاتِ الشَّامِ ، وَفِي ثَامِنِ عَشْرِهِ يَنْقَسُ  
الْهَبَارُ ، وَفِي الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ يَكْثُرُ الطَّيْرُ الْغَرِيبُ بِمِصْرَ ، وَفِي الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ  
حَسْبُ أَوَّلِ مَرْدُومِهَا مِنْ شَهْرِ الْقُرْسِ ، وَهُوَ تَوَرُّوهُمْ وَأَوَّلِي مَسْتَهْمِ ، وَفِي الْخَامِسِ  
وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ يَبْنِجُ الْبَلْغَمُ ، وَفِي السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ حَسْبُ تَلَقُّعِ الْإِبِلِ ، وَفِي السَّابِعِ  
وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ يَكْثُرُ شُرْبُ الْمَاءِ فِي اللَّيْلِ ، وَفِي الثَّلَاثِينَ مِنْهُ يَتَدَيُّ عَقْلُ الْكُرُومِ .

الشَّهْرُ الْخَامِسُ طَوْبُهُ ، وَدَخُولُهُ فِي السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ كَانُونِ الْأَوَّلِ مِنْ شَهْرِ  
السَّرِيَانِ ، وَآخِرُهُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ مِنْ كَانُونِ الثَّانِي مِنْهَا ، فِي زُرْعِ الْقَمْحِ فِيهِ تَغْرِيرُهُ  
وَفِيهِ تُشَقُّ الْأَرْضُ لِلْقَصَبِ وَالْقَلْقَاسِ ، وَيَتَكَامِلُ التَّرِيحُ ، وَفِي أَوَّلِهِ تَبْدِئُ الرِّيحُ  
الشَّدِيدَةُ ، وَفِي ثَانِيهِ يُدْرِكُ الْقُرْطُ ، وَفِي سَادِسِهِ أَوَّلُ كَانُونِ الثَّانِي مِنْ شَهْرِ السَّرِيَانِ ،

(١) سَيَاقُ قَرِيبًا أَنْ يَرَوْزَ الْقُرْسُ وَأَوَّلُ سَتْمِ أَفْرُودِينَ مَاءٍ وَبَقِيَ الْعَبْرَابُ لِأَمَةِ الْكَلْبِ وَفِي رُبْعِ  
الْقَدَمِ وَغَيْرِهِ وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَذْكُرْ هَذَا الشَّهْرَ فِي أَسْمَاءِ الشُّهُورِ الْآتِيَةِ :

وفي عاشره آذار أربعينيات مصر ، وفي حادى عشره أول نصب الكروم ، وفي ثانى عشره يشنة البرد ، وفي ثالث عشره يتبدى زرع البقّات ، وفي سابع عشره يتبدى قُرس الأشجار ، وفي ثامن عشره تتبدى كثرة الندى ، وهو آخر الليالى للسود ، وفي تاسع عشره يتبدى وقوعُ الثلج بالشام وغيره ، وفي الرابع والعشرين منه يتبدى صَفْوُ نِام النيل ، وفي التاسع والعشرين منه يتبدى اختلاف الرياح

الشهر السادس أسشير؛ ودخوله فى الخامس والعشرين من كانون الثانى من شهور السريان وآخره الثالث والعشرون من شباط منها . فيه قُرس الأشجار ، وتَقَلُّمُ الكروم ، ويَذْرِكُ النبق واللوز الأخضر ، ويكثر البتّسجَ والمتور ، وفي رابعه يتبدى إفراخ النخل ، وفي سادسه أول شباط من شهور السريان ، وفي حادى عشره يتبدى إنتاج الطيور وزرع بقول الصّيف ، وفي ثانى عشره يتبدى تحرك دواب البحر ، وفي الثانى والعشرين منه ثانى جمرة فارة . ويتبدى مرض الأطفال ، ويتبدى خروج ورق الشجر ، وفي الثالث والعشرين منه يتبدى خروج الدوابّ للزّعى ، وفي الرابع والعشرين منه أول حردادماه من شهور القُرس ، وفي الخامس والعشرين منه يتبدى هيجان الرياح ، وفي السابع والعشرين منه تبدى ثالث جمرة حامية ، وفي الثامن والعشرين منه أول المفردات ، وفي التاسع والعشرين منه آخر نهى أبقراط .

الشهر السابع برمهاث ؛ ودخوله فى الرابع والعشرين من شباط من شهور السريان ، وآخره الخامس والعشرون من آذار . فيه تُزهرُ الأشجار ، ويسقّد أكثر الثمار . ويُزرع أوائل السّميم ، ويُقلع الحُكّان ، ويَذْرِكُ القُول والقبّس ، وفي ثانيه يحمد خروج الدم ، وهو أول الأعجاز ، وفي ثالث عشره تُفَتِّحُ الحياتُ أعينها ، وفي خامس عشره تطيبُ الألبانُ ، وفي سادس عشره يتبدى خروج دود القز ، وفي ثامن عشره يسج الدم ، وفي تاسع عشره طُهورُ الهوام ، وفي العشرين منه يُزرع السّسم .

الرابع والعشرين منه أول يرماء من شهور القُرس، وفي السادس والعشرين منه  
يبتدى شرب المسهل؛ وفي السابع والعشرين منه خروج الذباب الأزرق .

الشهر الثامن برمودة؛ ودخوله في السادس والعشرين من آذار من شهور السريان،  
وآخره الرابع والعشرون من نيسان منها، فيه تُقطف أوائل عسل النحل، وفيه تكثر  
الباقلاء، ويُنفذ جوز الكنان، ويكثر الورد الأحمر، والبطيخ الأول من الجُمُيز؛ ويقطع  
بعض الشعير، ويترك الخيار شبر . وفي أوله يؤكل الفريك، وفي رابعه يُصردُهْن  
البُلسان، وفي خامسه تبتدى كثرة الزهور، وفي سادسه أول نيسان من شهور  
السريان، وفي ثاني عشرة يُخاف على بعض الزرع، وفي ثامن عشره آخر قطع  
الكنان، وفي العشرين منه ينهى عن أكل البقول، وفي الثاني والعشرين منه ظهور  
الكثاء، وفي الثالث والعشرين منه إلتام الكبر للزرع، وفي الرابع والعشرين منه أول  
تردماه من شهور القُرس، وفي الخامس والعشرين منه نهاية مد القُرات، وفي الثامن  
والعشرين منه يبيض الثعام .

الشهر التاسع بشنس، ودخوله في الخامس والعشرين من نيسان من شهور  
السريان، وآخره التاسع والعشرون من أيار منها . فيه يكثر التفاح القاسي، ويبتدى  
التفاح المسكى، والبطيخ القليل والحقوق، والمشمش، والقوق الزهري، والورد  
الأبيض . وفي نصفه يكثر الأرز، ويُخضد القمح، وفي سادسه أول أيار من شهور  
السريان، وفي رابع عشره يجمع الخس خاش، وفي ثامن عشره يجمع المُصفر، وفي  
الحادي والعشرين منه تبتدى يرودة الأرض، وفي الرابع والعشرين منه أول شهر  
رماء من شهور القُرس

الشهر العاشر رُته، ودخوله في الخامس والعشرين من أيار من شهور السريان؛  
وآخره الثالث والعشرون من حزيران منها، فيه يكثر الحصرم ويطيب بعض العنب

والتين للبوني وهو الدففور، والخوخ الزهري والمشمع، والكثرى البوهي، والقراصيا،  
 والثوت، ويطلع البلح، ويقطف جمهور العسل، وفي ثلثه يتدئ توحم النيل،  
 وفي سادسه يكمل الذرياق، وفي سابعه أول حزيران من شهر السريان، وفي تاسعه  
 يتدئ مهب الريح الشمالية، وفي عاشره يتدئ تنفس النيل، وفي خامس عشره  
 تحرك شهوة الجماع، وفي ثاني عشره عيد ميكايل، في ليلته يؤذن من الطين زنة ستة  
 عشر درهما عند غروب الشمس ويرفع في مكان ويؤذن عند طلوع الشمس لما  
 زاد كان بكل خروبة زادت على الستة عشر ذراع، وفي ثالث عشره يتدئ نقص  
 القرات، وفي رابع عشره تهب الرياح السائم، وفي تاسع عشره تذهب البراغيث،  
 وفي العشرين منه تهب الصفراء، وفي الثاني والعشرين منه يعقد الجوز، ويقوى  
 اندفاع النيل، وفي الرابع والعشرين منه يثور وجع العين وهو أول مهرماه من شهر  
 الفرس، وفي السابع والعشرين منه يؤخذ قاع النيل، وفي الثامن والعشرين منه  
 يتادئ عليه، وفي التاسع والعشرين منه يدرك البطيخ .

الشهر الحادى عشر أبيب، ودخوله في الرابع والعشرين من حزيران من شهر  
 السريان، وآخره الثالث والعشرون من تموز منها، فيه يكثر العنب والتين ويقل  
 البطيخ البديلى ويطلب البلح ويقطف بقايا العسل وتقوى زيادة النيل، وفي رابعه  
 أول نسي أبراط، وفيه يموت الجراد، وفي سابعه أول تموز من شهر السريان،  
 وفي عاشره يتدئ وقع الطاعون، وفي ثاني عشره تبدي قوة السائم، وفي ثالث  
 عشره تدرك الفاكهة، وفي سابع عشره تفور العيون، وفي ثامن عشره يجمع المياق،  
 وفي الثاني والعشرين منه يدرك الفستق، وفي الرابع والعشرين منه أول أبان ماه من  
 شهر الفرس، وفي السادس والعشرين منه طلوع الشعرى الجمائية، وفي التاسع  
 والعشرين منه يدرك نخل الجماز .

الشهر الثاني عشر مسمى؛ ودخوله في الرابع والعشرين من تموز من شهر  
السرمان، وآخره السابع والعشرون من آب منها . فيه يُعمل الخُلّ ، ويُدرِك البُسْر  
والموز، ويُستَير طُغوم الفاكهة لغلبة الماء على الأرض، ويُدرِك اللّيمونُ التفاحُ،  
ويُتدّى إدراك الرّمان، وفي رابعه تُقَصَّن الدّجلة، وفي خامسه أوّل العَصير، وفي ثامنه  
أوّل آب من شهر المُريّان، وفي ثاني عشره فصّال المَواشي، وفي رابع عشره يُقَلُّ  
الآلبانُ، وفي خامس عشره تَسَخُّنُ المياه، وفي سابع عشره تَخْتَلِفُ الرّيح، وفي ثامن  
عشره يُعَذَّرُ تَسْعُ الهوامُ، وفي الثاني والعشرين منه آخرُ العَصير، وفي الرابع والعشرين  
منه يُبَجِّجُ اللّعام، وفي الخامس والعشرين منه تَكْثُرُ القُيُومُ، وفي الثامن والعشرين منه  
آخرُ السّماج، وفي التاسع والعشرين منه أوّل آذرماء من شهر الفرس .

أيام النسيء — ودخولها في الثامن والعشرين من آب من شهر السرمان ويختلف  
آخرها باختلاف السنة الكبيسة وغيرها .

وقد وضع النَّاسُ طُرُقًا لإخراج أوّل الشهر القبطي بالحساب أقربها أن تعرف  
يوم النيروز ثم تُعدّ ماضى من الشهور القبطية بالشهر الذى تريد أن تعرف أوّله .  
كان فاضيفه لها تحصيل فاسقط منه واحداً أبداً، ثم أسقط الباقي سبعة سبعة لها  
تفضل فعدّ من يوم النيروز الى آخر الباقي بعد الإسقاط على توالى الأيام فأنما آتتهى  
العدّد فلذلك اليوم هو أوّل الشهر المطلوب .

مثال ذلك، كان يوم النيروز الأحد، وأردنا أن نعرف أوّل أمشير، عدّنا كم  
مضى من أوّل الشهور القبطية وعدّنا منها أمشير، وجدنا ذلك ستة، أضفناها  
صارَتْ اثني عشر، أسقطنا منها واحداً بقى أحد عشر، أسقطنا منها سبعة بقى أربعة،  
عدّنا من يوم النيروز وهو الأحد أربعة فكان آخرها يوم الأربعاء فلعاننا أن أوّل  
أمشير الأربعاء .

وأما شهور القُرس، فهي اثنا عشر شهراً كل شهر منها ثلاثون يوماً، وأيام الشمس خمسة أيام في آخر الشهر الثامن منها وهو أبان ماه . الشهر الأقل منها افرودين ماه، ودخوله في الرابع والعشرين من كيهك من شهور القبط، وآخره الثالث والعشرون من طوبه منها، وأقل يوم منه يَبرورُ القُرس ورأس سنتهم . الشهر الثاني اديشتاه ودخوله في الرابع والعشرين من طوبه من شهور القبط، وآخره الثالث والعشرون من أمشير منها . الشهر الثالث حرداماه، ودخوله في الرابع والعشرين من أمشير من شهور القبط، وآخره الثالث والعشرون من برمهات منها . الشهر الرابع ييرماه، ودخوله في الرابع والعشرين من برمهات من شهور القبط، وآخره الثالث والعشرون من برمودة منها . الشهر الخامس تردماه، ودخوله في الرابع والعشرين من برمودة من شهور القبط، وآخره الثالث والعشرون من بشنس منها . الشهر السادس شهر برماه، ودخوله في الرابع والعشرين من بشنس من شهور القبط، وآخره الثالث والعشرون من بؤته منها . الشهر السابع مهرماه، ودخوله في الرابع والعشرين من بؤته من شهور القبط، وآخره الثالث والعشرون من أبيب منها . الثامن أبان ماه، ودخوله في الرابع والعشرين من أبيب من شهور القبط، وآخره الثالث والعشرون من مسرى منها أيام الشمس، وتسمى بالفارسية الاندركاه، ودخوله في الرابع والعشرين من مسرى وآخرها الثامن والعشرون منها . الشهر التاسع ادرماه، ودخوله في التاسع والعشرين من مسرى من شهور القبط، وآخره الثالث والعشرون من توت . الشهر العاشر دى ماه . ودخوله في الرابع والعشرين من توت من شهور القبط، وآخره الثالث والعشرون من بابيه منها . الشهر الحادى عشر يمين ماه، ودخوله في الرابع والعشرين من بابيه من شهور القبط، وآخره الثالث والعشرون من هاتور منها . الشهر

(١) وقع في الأصل شيء من السقط والتعريف وقد صححناها من نهاية الأرب ومن الضرر وبمسرة ترتيب الشهور القبطية فكتبه .



الثاني عشر [ اسفندارماه ، ودخوله في الرابع والعشرين من هاتور من شهور القبط ،  
وآخره الثالث والعشرون من كيهك منها ] .

ولكل يوم من أيام الشهر عندهم اسم خاص يزعمون أنه اسم ملك من الملائكة  
موكل به .

وقد علم مما تقدم من شهور القبط ما يقع في هذه الشهور من ... والفواكه  
وغيرها .

### الصف الثاني

من الشهور الاصطلاحية ما يختلف عدده بالزيادة والنقصان ،  
فيكون بعض الشهور فيه ثلاثين ، وبعضها أقل ، وبعضها أكثر ،  
وهو شهور السريان والروم :

فأما شهور السريان وتنسب للإسكندر فاثنا عشر شهرا ، منها أربعة كل شهر  
منها ثلاثون يوما ، وشهر واحد ناقص عن الثلاثين ، وسبعة زائدة عليها . الشهر الأول  
منها تسعين الأول ، وهو أحد وثلاثون يوما ، ودخوله في الرابع من بابه من شهور  
القبط ، وآخره الرابع من هاتور منها ، ويوافق أكتوبر من شهور الروم ، وهو الشهر  
العاشر منها . الشهر الثاني تسعين الثاني ، وهو ثلاثون يوما ، ودخوله في الخامس من  
هاتور من شهور القبط ، وآخره الرابع من كيهك منها ، ويوافق نوفمبر من شهور الروم ،  
وهو الشهر الحادي عشر منها . الشهر الثالث كانون الأول وهو أحد وثلاثون يوما ،  
ودخوله في الخامس من كيهك من شهور القبط ، وآخره الخامس من طوبه منها ،  
ويوافق ديسمبر من شهور الروم ، وهو الشهر الثاني عشر منها . الشهر الرابع كانون  
الثاني ، وهو أحد وثلاثون يوما ، ودخوله في السادس من طوبه من شهور القبط ،

وآخره السادس من أشهر منها ، ويوافقه يناير من شهر الروم ، وهو الشهر الأول  
 منها . الشهر الخامس أسياط ، ويقال شياط ، وهو ثمانية وعشرون يوما ، ودخوله  
 في السابع من أشهر ، وآخره الرابع من برمهات ؛ ويوافقته فبراير من شهر الروم ،  
 وهو الثاني من شهرهم . الشهر السادس آثار ، وهو أحد وثلاثون يوما ، ودخوله  
 في الخامس من برمهات من شهر القبط ، وآخره الخامس من برمودة منها ، ويوافق  
 مارس من شهر الروم ، وهو الثالث من شهرهم . الشهر السابع تيسات ، وهو  
 ثلاثون يوما ، ودخوله في السادس من برمودة من شهر القبط ، وآخره الخامس من  
 بشنس منها ، ويوافقته إبريل من شهر الروم ، وهو الرابع من شهرهم . الشهر الثامن  
 نيار ، وهو أحد وثلاثون يوما ، ودخوله في السادس من بشنس من شهر القبط ،  
 وآخره السادس من بؤنة منها ، ويوافقته مايو من شهر الروم ، وهو الخامس من  
 شهرهم . الشهر التاسع حزيران ، وهو ثلاثون يوما ، ودخوله في السابع من بؤنة من  
 شهر القبط ، وآخره السادس من أياب منها ، ويوافقته يونيو من شهر الروم ، وهو  
 السادس من شهرهم . الشهر العاشر تموز ، وهو أحد وثلاثون يوما ، ودخوله  
 في السابع من أياب من شهر القبط ، وآخره السابع من مسرى منها ، ويوافقته يولي  
 من شهر الروم ، وهو السابع من شهرهم . الشهر الحادي عشر آب ، وهو أحد  
 وثلاثون يوما ، ودخوله في الثامن من مسرى من شهر القبط ، وآخره الثالث من  
 توت منها ، ويوافقته أغسطس من شهر الروم ، وهو الثامن من شهرهم . الشهر  
 الثاني عشر أيلول ، وهو ثلاثون يوما ، ودخوله في الرابع من توت من شهر القبط ،  
 وآخره الثالث من باب من شهر الروم ، ويوافقته سبتمبر من شهر الروم ، وهو التاسع من  
 شهرهم ، وبهذا يذهب الحرجة ، وفي ذلك يقول أبو نواس :

مَقَى أَيْلُولُ وَارْتَقَعَ الْحَرُّورُ \* وَأَخْبَتْ نَارَهَا الشَّعْرَى الْعَبُورُ

وقد نظمها صاحبنا الشيخ إبراهيم المشهورى في أبيات ابتدأ فيها بأَيُّوْلُ فقال:

وَابْدَأُ بِأَيُّوْلٍ مِنْ الشَّرِيَانِي • فَتَشِيرُنُ الْأَوَّلُ يَقَعْنَهُ السَّانِي  
كَانُونُ كَانُونُ شَبَاطُ يَطْلُعُ • أَذَارُ تَسَانُ أَيَّارُ يَتَّبَعُ  
فَمُ حَزِيرَانُ وَمُحُوزُ وَأَبُ • تَبَارَكَ الرَّحْمَنُ يَهْدِي مَنْ أَحَبُ .

وقد نظم الشيخ أبو عبد الله الكيزاني رحمه الله أبياتا ذكر فيها الأشهر التي منها

ثلاثون يوما والناقصة عن الثلاثين ولم يمتزج للزائفة على الثلاثين وليست بالطائل، وهي هذه :

شُهُورُ الرُّومِ أَلْوَانُ • زِيَادَاتُ وَقُصَصَاتُ  
فَتَشِيرُنُهُمُ السَّانِي • وَأَيُّوْلُ وَتَسَانُ  
تَلَاثُونُ تَلَاثُونُ • سَوَاءُ وَحَزِيرَانُ  
شَبَاطُ خُصَّ بِالنَّقْصِ • وَقَدَرُ النَّقْصِ يَوْمَانُ

ونظم صاحب "مناجى الفكر" تداخلها مع شهور القبط في أرجوزة جلمات في غاية

الحسن والوضوح إلا أن فيها طولا، وهي هذه :

مَنْ تَشَأْ مَعْرِفَةَ التَّدَاخُلِ • مِنْ أَوَّلِ الشُّهُورِ فِي الْمَنَازِلِ  
فَعَدُّ مِنْ نُوتٍ بِلا تَطْوِيلِ • أَرْبَعَةٌ فَهِيَ إِجْدَا أَيْوُلِ  
وَبَابُهُ كَذَلِكَ مَعَ تَشِيرِينَ • الْأَوَّلِ السَّابِقِ فِي السَّيْنِ  
وَالْخَامِسُ الْمَعْدُودُ مِنْ هَتُورِ • أَوَّلُ تَشِيرِينَهِمُ الْأَخِيرِ  
أَوَّلُ كَانُونٍ بَعِيرُ دَلَسِهِ • إِذَا قَصَصْتَ مِنْ كَيْهَكَ نَحْمَهُ  
وَطُوبُهُ إِنْ مَرَّ مِنْهُ يَسْتَهُ • أَتَاكَ كَانُونُ الْأَخِيرِ بَنْتَهُ  
وَمِنْ شَبَاطِ أَوَّلِ يَوَافِي • سَابِعُ أَمِيرِ حَسَابُ صَادِقِ  
أَوَّلُ أَذَارُ إِذَا جَعَلْتَهُ • لِبَرَمَهَاتِ خَامَسَا وَجَدْتَهُ

أول نيسان لدى التجريد • السادس المعدود من برمود  
ومثله أيار مع بتيس • واحدة مقرونة بنحس  
أما حزيران فيحسبونه • أوله السابع من يؤنه  
كذلك السابع من أبيب • أول تموز بلا تكذيب  
أول آب عند من يحصل • ثامن مسرى ذلك مالا يحفل

وبالغ بعض المتأخرين فنظم معنى هذه الأرجوزة في بيت واحد، الحرف الأول  
من الكلمة منه للشهر السرياني والحرف الأخير للشهر القبطي وما بينهما لعدد الأيام  
التي إذا مضت من ذلك الشهر القبطي دخل ذلك الشهر السرياني وهو :

أدت تدب تبه كهك كوط أزا • أهب نوب أوب حزب ترا أحم  
فالآلف من أدت إشارة لأيلول من شهور السريان، وهو آخر شهورهم، والتاء  
إشارة لتوت من شهور القبط، وهو أول شهورهم، والدال من أدت بأربعة، ففي  
الرابع من توت يدخل أيلول، والتاء من تدب إشارة لتشرين الأول، والباء إشارة  
لبابه، والدال بينهما بأربعة، ففي الرابع من بابه يدخل تشرين الأول، والتاء من تبه  
إشارة لتشرين الثاني، والهاء الأخيرة إشارة لحتور، والهاء المتوسطة بينهما بخمسة ففي  
الخامس من هاتور يدخل تشرين الثاني، والكاف الأولى من كهك إشارة لكانون  
الأول والكاف الأخيرة إشارة لكبهك والهاء بينهما بخمسة، ففي الخامس من كبهك  
يدخل كانون الأول، والكاف من كوط إشارة لكانون الثاني، والطاء إشارة لطوبه،  
والواو بينهما بستة، ففي السادس من طوبه يدخل كانون الثاني، والآلف الأولى  
من أزا إشارة لأشباط، والآلف الأخيرة إشارة لأمشير، والزاي بينهما بسبعة،  
ففي السابع من أشير يدخل أشباط، والآلف من أهب إشارة لآذار، والباء إشارة  
لبرمهات، والهاء بينهما بخمسة، ففي الخامس من برمهات يدخل آذار، والتون من

نوب إشارة نيسان ، والباء إشارة لبرموده ، والواو بينهما بستة ، ففى السادس من برموده يدخل نيسان ؛ والألف من أوب إشارة لأيار ، والباء إشارة لبشنس ، والواو بينهما بستة ، ففى السادس من بشنس يدخل أيار ؛ والحاء من حزب إشارة لحزيران ، والباء إشارة لبؤنه ، والزاي بينهما بسبعة ، ففى السابع من بؤنه يدخل حزيران ، والثاء من ترا إشارة لتموز ، والألف إشارة لأبيب ، والزاي بينهما بسبعة ، ففى السابع من أبيب يدخل تموز ، والألف من احم إشارة لأب ، والميم إشارة لمسرى ، والحاء بينهما بثمانية ، ففى الثامن من مسرى يدخل آب .

وأما شهور الروم : ( وتَنَسَّبُ لأغشطش ملك الروم ) وهو قيصر الأول ، فثنا عشر شهرا ؛ بعضها ثلاثون يوما ، وبعضها زائد على الثلاثين ، وبعضها ناقص عنها كما فى شهور السريان ؛ وهى مطابقة لشهور السريان فى القَدَد ، عَاقِلَةٌ لها فى الأسماء والترتيب . الشهر الأول ينير ، ويُوَافِقُه كانون الثانى من شهور السريان ، وهو الرابع من شهرهم ، وفى أول يوم منه يكون القلداس ، ويُوَافِقُه أهل الشام فى ليلة نيرانا عظيمة ، لاسيما مدينة أنطاكية ، وكذلك سائر بلاد الشام وأرض الرُّوم ، وسائر بلاد النصرى . الشهر الثانى فبراير ، ويُوَافِقُه شباط من شهور السريان ؛ وهو الخامس من شهرهم . الشهر الثالث مارس ، ويُوَافِقُه آذار من شهور السريان ، وهو السادس من شهرهم . الشهر الرابع إبريل ؛ ويُوَافِقُه نيسان من شهور السريان ، وهو السابع من شهرهم . الشهر الخامس مايو ، ويُوَافِقُه أيار من شهور السريان ، وهو الثامن من شهرهم . الشهر السادس يونيه ؛ ويُوَافِقُه حزيران من شهور السريان ، وهو التاسع من شهرهم . الشهر السابع يوليه ، ويُوَافِقُه تموز من شهور السريان ، وهو العاشر من شهرهم . الشهر الثامن أغسطس ، ويُوَافِقُه آب من شهور السريان ، وهو الحادى عشر من شهرهم . الشهر التاسع سبتمبر ، ويُوَافِقُه أيلول من شهرهم .

السريان، وهو الثاني عشر من شهورهم . الشهر العاشر أكتوبر، ويوافقته تشرين الأول من شهور السريان، وهو الأول من شهورهم . الشهر الحادي عشر نونبر، ويوافقته تشرين الثاني من شهور السريان، وهو الثاني من شهورهم . الشهر الثاني عشر دجنبر، ويوافقته كانون الأول من شهور السريان، وهو الثالث من شهورهم ، وقد نظمها الشيخ ابراهيم البعشيوي فقال :

يُنِيرُ قَبْرِ مَارِيسَ لِلرُّومِ • أBRIL مَائَةُ خَامِسَ الْمَعْلُومِ  
يُنِيرُهُ وَيُنِيرُهُ ثُمَّ أَغْشَتْ شَتْبَرِ • أكتوبر نونبر دجنبر

### الطرف الثالث

في الستين، وفيه ثلاث جمل

#### الجملة الأولى

في مدلول السنة والعام

يقال : السنة، والعام، والحول، وقد نطق القرآن بالأسماء الثلاثة قال تعالى :  
﴿ قُلِّبَتْ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ فأتى بذكر السنة والعام في آية واحدة ،  
وقال جل وعز : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ وقد تختص السنة  
بالجذب والعام بالخصب، وبذلك ورد القرآن الكريم في بعض الآيات قال تعالى :  
﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَقْعُرُونَ ﴾ فعبّر بالعام عن الخصب  
وقال جل ذكره : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ فعبّر  
بالسنين عن الجذب . على أنه قد وقع التعبير بالسنين عن الخصب أيضا في قوله  
تعالى : ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سَبِيلِهِ ﴾ . أما الحول  
فإنه يقع على الخصب والجذب جميعا .

## الجملة الثانية

في حقيقة السنة ، وهي على قسمين : طبيعية وأصطلاحية كما هُذِم في الشهور

## القسم الأول

السنة الطبيعية وهي القمرية

وأولها استبلال القمر في غرة المحرم ، وآخرها صلح ذى الحجة من تلك السنة ، وهي اثنا عشر شهرا هلاليا قال تعالى : ﴿ إِنَّ عِلَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ . وعدد أيامها ثلثمائة يوم وأربعة وخمسون يوما وخمسة وسدس يوم تقريبا ، ويجتمع من هذا الخمس والسادس يوم في كل ثلاث سنين فتصير السنة ثلثمائة وخمسة وخمسين يوما ، ويبقى من ذلك بعد اليوم الذي اجتمع شيء ، فيجتمع منه ومن خمس اليوم وسدسه في السنة السادسة يوم واحد ، وكذلك إلى أن يبقى الكسر أصلا بأحد عشر يوما عند تمام ثلاثين سنة ، وتسمى تلك السنين بكأس العرب .

قال السهيلي : كانوا يؤخرون في كل عام أحد عشر يوما حتى يدور الدور إلى ثلاث وثلاثين سنة فيعود إلى وقته ، فلما كانت سنة حجة الوداع وهي سنة تسع من الهجرة عاد الحج إلى وقته اتفاقا في ذى الحجة كما وضع أولا ، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه الحج ، ثم قال في خطبته التي خطبها يومئذ : «إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ» بمعنى أن الحج قد عاد في ذى الحجة . وفي بعض التعاليق أن ينسب العرب كانت موافقة لسنى الفرس في الدخول والأسلخ فحدث في أحوالهم انتقالات فسد عليهم بها الكيس في أول السنة السادسة من ملك أغسطس ، وذلك بعد ملك ذى القرنين بمائتين وثمانين سنة وأربعين يوما فستوا كهنس

الربع من ذلك اليوم في كل سنة فصارت سنينهم بعد ذلك الوقت محفوظةً مواقيت .  
وقيل لم تزل العرب في جاهليتها على رسم ابراهيم واسماعيل عليهما السلام لا تنسأ  
سنيها الى أن جاورتهم اليهود في يثرب ، فأرادت العرب أن يكون مجهم في أخصب  
وقت من السنة ، وأسبل زمان للتردد بالتجارة فعملوا الكبس من اليهود والله أعلم  
أي ذلك كان .

## القسم الثاني

### الاصطلاحية وهي الشمسية

وشهورها اثنا عشر شهراً كما في السنة الطبيعية إلا أن كل طائفة راعت عدم  
دوران سنيها جعلت في أشهرها زيادة في الأيام إما جملة واحدة وإما متفرقة وسمتها  
نسباً بحسب ما اصطَلَحُوا عليه كما ستقف عليه في مصطلح كل قوم إن شاء الله تعالى .  
وعدد أيامها عند جميع الطوائف من القبط ، والفرس ، والسرمان ، والروم ، وغيرهم  
ثلاثمائة يوم وخمسة وستون يوماً وربع يوم ، فتكون زيادتها على العربية عشرة أيام  
وعثمانية أعشار يوم وخمسة أمداس يوم . وقد قال بعض حذائق المفسرين في قوله  
تعالى : ﴿ وَلَيُّنْوَ فِي كُفْهِمْ ثَلَاثُمِائَةَ سَنِينَ وَأَزْدَادُوا نِسْعًا ﴾ : إنه إن حمل على السنين  
القمرية فهو على ظاهره من العدد ، وإن حمل على السنين الشمسية فالتسع الزائدة  
هي تفاوت زيادة الشمسية على القمرية ، لأن في كل ثلثمائة سنة تسع سنين لا تحل  
بالحساب أصلاً .

قال صاحب "مناجج الفكر" ولذلك كانوا في صدر الإسلام يُسْقِطُونَ عند رأس  
كل ثلاث وثلاثين سنة عربية سنةً ويسمونها سنة الأزدلاف ، لأن كل ثلاث  
وثلاثين سنة عربية اثنتان وثلاثون سنة شمسية تقريباً . قال وإنما حملهم على ذلك  
الفرار من اسم النسيء الذي أخبر الله تعالى أنه زيادة في الكفر



ثم المتبرون السنة الشمسية اختلفت مصطلحاتهم فيها بحسب اختلاف مقاصدهم .  
المصطلح الأول — مصطلح القبط ، وقد اصطلمحوا على أن يجعلوا شهرهم ثلاثين  
يوما كما تقدم ، فإذا انتهت الأشا عشر شهرا أضافوا اليها خمسة أيام يسمونها أيام  
النساء ، يفعلون ذلك ثلاث سنين متوالية ، فإذا كانت السنة الرابعة أضافوا الى خمسة  
النساء المذكورة ما اجتمع من الريع يوم الزائد على الخمسة أيام في السنة الشمسية  
فتصير ستة أيام ، ويعملونها كيسة في تلك السنة ، وبعض طرقاتهم يسمي الخمسة  
المزيدة السنة الصغيرة .

قال أصحاب الزيجات : وأول ابتدائهم ذلك في زمن أغسطس . وكانوا من قبل  
يتكون الريع الى أن تجتمع أيام سنة كاملة وذلك في ألف سنة وأربعمائة وإحدى  
وستين سنة ويسقطونها من سنهم ؛ وعلى هذا المصطلح استقر عملهم بالديار المصرية  
في الإقطاعات ، والزرع ، والخراج ، وما شاكل ذلك .

المصطلح الثاني — مصطلح الفرس ، وشهورهم كشهور القبط في عدد الأيام  
على ما تقدم ، فإذا كان آخر شهر أبان ماه ، وهو الشهر السابع <sup>(١)</sup> من شهورهم أضافوا اليه  
الخمس الأيام الباقية وجعلوه خمسة وثلاثين يوما ، وتسمى الفرس هذه الأيام  
الخمس : الاندركاه ، ولكل يوم منها عندهم اسم خاص كما في أيام الشهر ؛ ولما لم يحز  
في معتقدهم كبس السنة بيوم واحد بعد ثلاث سنين كما فعل القبط كانوا يؤخرونه  
الى أن يتم منه في مائة وعشرين سنة شهر كامل فيلقونه ، وتسمى السنة التي يلقى فيها  
بهرك <sup>(٢)</sup> ، قال المسعودي في "مروج الذهب" : وإنما أثروا ذلك الى مائة وعشرين  
سنة لأن أيامهم كانت سعوذا ونحوها فكبروها أن يكبروها في كل أربع سنين يوما  
فتنتقل بذلك أيام السعوذ الى أيام النحوس ، ولا يكون التبروز أول يوم من الشهر .

(١) نصوص الثامن كما هو ما تقدم - (٢) في مروج الذهب - الهاركة ، وفي الضوء - بيرك .

وعلى هذا المصطلح كان يُحيى الخراج للفقراء، وتتمنى الأحوال الديوانية في مدابة الأمر، وعليه العمل في العراق وبلاد فارس الى الآن .

**المصطلح الثالث** - مصطلح السريان ، وشهورهم على ما تقدم من كونها تارة ثلاثين يوما وتارة زائدة عليها، وتارة ناقصة عنها، وإنما فعلوا ذلك حتى لا يلحقهم النسب في شهورهم إذ الأيام الخمسة المذكورة الزائدة على شهور القبط والفُرس موزعة على رؤوس الزوائد من شهورهم ، وذلك أن من شهورهم سبعة أشهر يزيد كل شهر منها يوما على الثلاثين وهي ثشرين الأول، وكانون الأول، وكانون الثاني، وآذار، وأيار، وتموز، وآب، فتكون الزيادة سبعة أيام يكمل منها شباط وهو ثمانية وعشرون يوما ويومين يبقى خمسة أيام ، وهي نظير النسب في سنة القبط والفُرس ، ويبنى بعد ذلك الربيع يوم الزائد على الخمسة أيام في السنة الشمسية ، فإذا انقضت ثلاث سنين متواليات جمعوا الأربع الثلاثة المضافة الى الربيع فيجتمع منها يوم فيجعلونه نظير اليوم الذي كبسه القبط ويضيفونه الى شباط، فيصير تسعة وعشرين يوما .

**المصطلح الرابع** - مصطلح اليهود ، وشهورهم وإن كانت قريّة كالعربية كما تقدم فقد اضطرّوا الى أن تكون سنّهم شمسيّة لأنهم أمروا في التوراة أن يكون عيد الفطر في زمان الفريخ فلم يأت لهم ذلك حتى جعلوا سنهم قسمين : الأول بشيطا ومعناه بسيطة وهي القمرية ، والثاني معبارت ، ومعناه كبسة وهم يكبسون شهرا كاملا ، ومعبارت اسم موضوع عندهم على الكامل؛ فانه لما كان في بطنها زيادة عليها كانت هذه السنة مثلها بإضافة الشهر المكبوس اليها ، وكل واحدة من السنين ثلاثة أنواع أحدها ختارين ومعناه ناقصة ، وهي التي يكون الشهر الثاني والثالث منها ( وهما مرحشوان وكسلا ) ناقصين ، وكل واحد منهما تسعة وعشرون

يوما ، والنوع الثانى سلاميم ومعناه تامة ، وهى التى يكون فيها كل شهر من الشهرين المذكورين تاتا ، والنوع الثالث كسدران . معناه معتسلة ، وهى التى تكون أشهرها ناقص يتلوه تام ، وهذا يلزم من جهة أنهم لا يميزون أن يكون رأس سنتهم يوم أحد ولا يوم أربعاء ولا يوم خميس .

وأما معبارت فانها تكون فى كل تسع عشرة سنة سبع مرات ، ويسمون الجملة مخزورا ومعناه الدور ، وهذه السبعة لا تكون على التوالى ، وإنما تكون تارة ستان بشيطان يتلوها معبارت ، وتارة سنة بشيطا يتلوها معبارت ، كل ذلك حتى لا تخرم عليهم قاعدة الثلاثة أيام التى لا يختارونها أن تكون أول سنتهم ، فإذا انقضى آذار من هذه السنة كبسوا شهرا وسماه آذار الثانى ، فإذا انقضت التسع عشرة سنة أعادوا دورا ثانيا وعملوا فيه كذلك وعلى هذا أبدا .

أما مصطلح المنجمين فالسنة عندهم من حُلُول الشمس فى أول نقطة من رأس الحمل الى حلولها فى آخر نقطة من الحوت ، ومنهم من يجعلها من حلول الشمس فى أول نقطة من رأس الميزان الى حلولها فى آخر نقطة من السُّبُلَة ، والأول هو المعروف . وتساهل بعضهم فقال : هى من كون الشمس فى نقطة ثا من فلَك البروج الى عودها الى تلك النقطة ، ويقال إن سنة الجند والمرزقة بالديار المصرية كانت أولا على هذا المصطلح ، وبه يعملون فى الإقطاعات ونحوها .

## الجملة الثالثة

في فصول السنة الأربعة وفيه ثلاثة مَهاجِر

## المَهْمَعُ الأول

في الحكمة في تغيير الفصول الأربعة في السنة

وأعلم أن الفصول تختلف بحسب اختلاف طبائع السنة لتباين مصالح أوقاتها  
حكمة من الله تعالى . قال بطليموس : تحتاج الأبدان الى تغيير الفصول؛ فالشتاء  
للتجميد ، والصيف للتَحْلِيل ، والخريف للتَدْرِيج ، والربيع للتَعْدِيل . وعلى ذلك  
قال : إن أصل وَضْعِ الحَمَامِ أربعة بيوت بعضها دون بعض على التدرج ترتيبها  
على الفصول الأربعة .

## المَهْمَعُ الثاني

في كيفية اقسام السنة الشمسية الى الفصول

وأعلم أن دائرة منطقة البروج لما قاطعت دائرة معدل النهار على نقطتين متقابلتين  
مال<sup>(١)</sup> عنهما في جهتي الشمال والجنوب بقدر واحد، فالتقطة التي تجوز عليها الشمس  
من ناحية الجنوب الى الشمال عن معدل النهار تسمى نقطة الاعتدال الربيعي ،  
وهي أول الحمل ، والنقطة التي تجوز عليها من الشمال الى الجنوب تسمى نقطة الاعتدال  
الخريفي وهي أول الميزان . ويتوهم في الفلك دائرة ثالثة معترضة من الشمال الى  
الجنوب تمر على أقطاب تقابل الدائرة المخطوطة على الفلكين تقطع كل واحد من  
فلك معدل النهار وفلك البروج بنصفين ، فوجب أن يكون قطعها لفلك البروج على

(١) لعله مال عنها في جهة الشمال والآخرى جهة الجنوب كما يستفاد من المقررى .

النقطتين اللتين هما في غاية التميل والبعد عن معدل النهار في جهتي الشمال والجنوب  
تسمى النقطة الشمالية نقطة المُنْقَلَب الصيفي وهي أول السَّرَطَان؛ وتسمى النقطة  
الجنوبية نقطة المُنْقَلَب الشتوي، وهي أول الجَدْي. واختلاف طبائع الفصول  
عن حركة الشمس وتنقلها في هذه النقط، فانها اذا تحركت من الحمل، وهو أول  
البروج الشمالية أخذ الهواء في السخونة لقرابها من سمت الرؤوس وتواتر الإسكان الى  
أن تصل الى أول السرطان، وحينئذ يشتد الحز في السرطان والأسد الى أن تصل  
الى الميزان، وحينئذ يطيب الهواء ويعتدل؛ ثم يأخذ الهواء في البرودة ويتواتر الى  
أول الجدي، وحينئذ يشتد البرد في الجدي والدلو لبعد الشمس من سمت الرؤوس  
الى أن تصل الى الحمل فتعود الشمس الى أول حركتها.

### المهجع الثالث

في ذكر الفصول، وأزمنتها، وطبائعها، وما حصة كل فصل منها

من البروج والمنازل؛ وهي أربعة فصول

الأول - فصل الربيع - ابتدأه عند حلول الشمس برأس الحمل. وقد تقدم  
ومدته أحد وتسعون يوما وربع يوم ونصف ثمن يوم. وأوله حلول الشمس رأس  
الحمل، وآخره عند قطعها بروج الجوزاء؛ وله من الكواكب القمر، والزهرة، ومن  
المنازل السرطان، والبطين، والثريا، والدبران، والمقعة، والمهجة، والذراع بما  
في ذلك من التداخل كما مر؛ ومن الساعات الأولى والثانية والثالثة؛ ومن الرياح  
الجنوب؛ وطبعه حار رطب؛ وله من السن الطقوسية والحدائمه؛ ومن الأخلاط  
الدّم؛ ومن القوى الهاضمة. وفيه تحرك الطبائع، وتظهر المواد المتولدة في الشتاء،  
فيطلع النبات، وتزهر الأشجار وتورق، ويهيج الحيوان للسفاد، وتدوب الثلوج،

وَتَتَّبِعُ الْعُيُونُ ، وَتَسِيلُ الْأَوْدِيَةُ ، وَاحْتَلَّتْ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَزْيَنْتْ قَتَصِيرُكَانَهَا  
عَرُوسٌ تَبْدَتْ لِحَطَّابِهَا ، فِي مُصَيِّفَاتِ ثِيَابِهَا ، وَيُقَالُ : إِذَا زَلَّتْ الشَّمْسُ رَأْسُ  
الْحَمَلِ نَصَرَمَ الشَّتَاءُ ، وَتَنَفَّسَ الرِّيحُ ، وَاجْتَالَتِ الْأَرْضُ فِي وَشْيِهَا الْبَدِيعُ ، وَتَبَرَّجَتْ  
لِلنَّظَارَةِ فِي مَعْرِضِ الْحُسْنِ وَالنَّضَارَةِ .

وَمِنْ كَلَامِ الْوَزِيرِ الْمَغْرُوبِ : لَوْ كَانَ زَمَنُ الرِّيحِ شَخْصًا لَكَانَ مُقْبِلًا ، وَلَوْ أَنَّ  
الْأَيَّامَ حَيَوَانَ لَكَانَ لَهَا حَلِيًا وَمُجَلًّا ، لِأَنَّ الشَّمْسَ تَخْطُصُ فِيهِ مِنْ طُلُمَاتِ حُوتِ  
السَّمَاءِ ، خَلَّاصٌ يَوْمُوسٌ مِنْ طُلُمَاتِ حُوتِ الْمَاءِ ، فَإِذَا وَرَدَتْ الْحَمَلُ وَأَمَّتْ أَحَبُّ  
الْأَوْطَانِ إِلَيْهَا وَأَعَزُّ أَمَاكِنِهَا عَلَيْهَا .

وَكَانَ مَجْدُوسُ الْخَزَاعِي يَقُولُ : مَنْ لَمْ يَتَّبِعْ بِالرِّيحِ ، وَلَمْ يَسْتَمْتِعْ بِأَنْوَارِهِ  
وَلَا اسْتَرْوَحَ بِنَسِيمِ أَزْهَارِهِ ، فَهُوَ فَاسِدُ الْمِزَاجِ ، مَحْتَاجٌ إِلَى الْعِلاجِ .

وَيُرْوَى عَنْ بَقْرَاطِ الْحَكِيمِ مِثْلُهُ ، وَفِيهِ بَدَلُ قَوْلِهِ : "فَهُوَ فَاسِدُ الْمِزَاجِ" فَهُوَ عَدِيمُ  
حَسَنٍ ، أَوْ سَقِيمُ نَفْسٍ . وَبِجَلَّالَةِ مَحَلِّ هَذَا الْفَصْلِ فِي الْقُلُوبِ ، وَلِتَزُولِهِ مِنَ النُّفُوسِ  
مَتَرَّةُ الْكَأِيبِ الْخُلُوبِ ، كَانَتِ الْمُلُوكُ إِذَا عَيَّمَتْهُ اسْتَعْمَلَتْ مَا يُضَاهِي زَهْرَهُ مِنْ  
الْبُسُطِ الْمَصُورَةِ الْمُنْقَشَةِ ، وَالْحَمَارِقِ الْمَكْفُوفَةِ الْمَرْقُوشَةِ . وَقَدْ كَانَ لِأَنُوشِرْوَانَ بَسَاطِ  
يُسَمِّيهِ بَسَاطِ الشَّتَاءِ ، مَرَّحٌ بِأَزْرَقِ الْيَاقُوتِ وَالْجَوَاهِرِ ، وَأَصْفَرُهُ وَأَبْيَضُهُ وَأَحْمَرُهُ ،  
وَقَدْ جَعَلَ أَخْضَرُهُ مَكَانَ أَغْصَانِ الْأَشْجَارِ ، وَالْوَابِنِ بِمَوْضِعِ الزَّهْرِ وَالنَّوَارِ . وَلَمَّا أَخَذَ  
هَذَا الْبَسَاطُ فِي خِلَافَةِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي وَاقِعَةِ الْقَادِسِيَّةِ ، حُلَّ إِلَيْهِ  
فِيمَا أَنَاءَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ : "إِنَّ أُمَّةً أَذَتْ هَذَا إِلَى أَمِيرِهَا لِأَمِينَةٍ" .  
ثُمَّ مَرَّقَهُ فَوَقَعَ مِنْهُ لَحَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قِطْعَةً فِي قِسْمِهِ مَقْدَارُهَا شِبْرٌ فِي شِبْرِ فِئَاعِهَا بِخَمْسَةِ  
عَشَرَ أَلْفَ فِيتَارٍ .

وقد أطلب الناس في وصف هذا الفصل ومدحه، وأتوا بما يقصر عن شرحه،  
وقال الشعراء فيه غاية التغالى، وفضلوا أيامه وليلاته على الأيام والليالي، وما أحلى  
قول البحتري :

أَمَّاكَ الرَّبِيعُ الطَّلُقُ يَحْتَالُ ضَاحِكًا \* مِنْ الْحُسْنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَا  
وَقَدْ نَبَّهَ النَّوْرُوزُ فِي عَسَقِ الدُّجَى \* أَوَائِلُ وَرْدٍ مَكَّنَ بِالْأَمْسِ نَوْمَا  
بِفَتْحِهَا يَرُدُّ النَّدَى فَكَأَمَّا \* يَلْتُ حَدِيثًا يَنْهَنُ مَكَمَّا  
وَمِنْ تَجْهِيرِ رَدِّ الرَّبِيعِ رِدَاءَهُ \* كَمَا تَشْرَتْ تَوْبًا عَلَيْهِ مُتَمَمَّا  
أَحْلُ فَابْدَى لِلْعُيُونِ بِشَاشَةٍ \* وَكَانَ قَدَى اللَّيْلِ إِذْ كَانَ مُحْرَمًا  
وَرَقَّ نَيْسِمُ الْجَوْ حَتَّى كَأَمَّا \* يَجِيءُ بِأَنْفَاسِ الْأَحْيَةِ نَمَّا

وأحلى منه قول أحمد بن محمد العلوي :

أَوْ مَا تَرَى الْأَيَّامَ كَيْفَ تَبَرَّجَتْ \* وَرَبِيعُهَا وَالِهَا قِيمٌ ؟  
لَيْسَتْ بِهَ الْأَرْضُ الْجَمَالَ فَسُنَّتَا \* مُتَأَزَّرٌ بِبُرُودِهِ مُتَعَمَّمٌ  
أَنْظُرْ إِلَى وَشْيِ الرِّيَاضِ كَأَنَّهُ \* وَشْيٌ تُنْشَرُهُ الْأَشْكَفُ يُتَمَّمُ  
وَالنَّوْرُ يَهْوِي كَالْعُقُودِ تَبَدَّدَتْ \* وَالْوَرْدُ يَحْجَلُ وَالْأَقْلَاسُ تَبْسِمُ  
وَالطَّلُّ يَنْظُمُ فَوْقَهُنَّ لَأَلْسِنَا \* قَدْ زَانَ مِنْهُنَّ الْفَرَادَى التَّوَهُمُ  
وَيَكَادُ يُدْرِي الدَّمْعُ تَرْجُمَهَا إِذَا \* أَشْجَى وَبَقَطْرُ مِنْ شَقَائِقِهَا الدَّمُ

ومنها :

أَرْضٌ تُبَاهِيهَا السَّمَاءُ إِذَا دَجَا \* لَيْلٌ وَلاَحَتْ فِي دُجَاهَا الْأَبْجَدُ  
فَلِخُضْرَةِ الْجَوْ أَخْضَرَارُ رِيَاضِهَا \* وَلِزَهْرِ زَهْرٍ وَنُورٍ يَتَجَمُّ  
وَكَأَيُّ سَنَاءِ الْمَجَرَّةِ جَرُّهُ \* وَإِذْ يُسْقَى الْأَرْضَ طَائِمُ مُتَعَمُّ  
لَمْ يَتَّقِ إِلَّا الدَّهْرَ إِذَا بَاهَتْ بِهِ \* وَحَيًّا يَجُودُ بِهِ مُلْتُ مُرْهِمُ

وقول الآخر :

طَسَّرَ الحَيَاءُ بِرِّهِ المَشْكُورَ \* أَغْلَبَهُ مِنْ زَائِرٍ وَمُزَوِّرٍ  
وَحَبَا الرِّيَاضَ غِلَظَةً مِنْ وَشْيِهِ \* بَرَائِبِ التَّقْوِيفِ وَالتَّخْيِيرِ  
وَأَعَارَهَا حَلْبًا ثَانِي الغَيْثُ فِي \* تَرْمِيزِهِ بِجَوَاهِرِ المَشْشُورِ  
بِمُورَدٍ كُمُورَدٍ اليَاقُوتِ قَا \* رَتَّ أَيْضًا كَتَمَاعِدِ الكَاثُورِ  
وَمُعْصَفٍ شَرِيقٍ وَأَصْفَرٍ فَاغِيعِ \* فِي أَخْضِرِ كَالسُّنْدِيسِ المَشْشُورِ  
فَكَانَتْ أَرْزَقُهُ بَقَايَا إِيْمَادِ \* فِي أَعْيُنِ مَكْحُولَةٍ بِقُشُورِ  
تُكَلِّمُ صِفَاتِ الزَّهْرِ فِيهِ فَنَابَ عَمَّ \* سَاغَابَ مِنْ أَنْوَاعِهِ بِمُحْضُورِ

وقول الآخر :

أَشْرَبَ هَيْنَا قَدْ أَتَاكَ زَمَانُ \* مَتَعَطَّرٌ مَهْلِكُ ثَنَوَاتِ  
فَالْأَرْضُ وَشْيٌ وَالنَّسِيمُ مَعْبَرٌ \* وَالْمَاءُ رَاحٌ وَالطُّيُورُ قِيَانُ.

الثاني - فصل الصيف : وهو أحد وتسعون يوما وديع يوم ونصف من يوم  
وابتداءؤه إذا حلت الشمس رأس السرطان ، وابتداءؤه إذا أتت على آخر درجة من  
السنبلة ؛ فيكون له من البروج السرطان ، والأسد ، والسنبلة . وهذه البروج تدل  
على السكن ، وله من الكواكب المريخ والشمس ؛ ومن المنازل الثرة ، والطرف ،  
والجبهة ، والزبرة ، والصرفة ، والعواء ، والسمك يتداخل فيه ؛ وله من الساعات  
الرابعة والخامسة والسادسة ؛ ومن الرياح الصبا ، وطبعه حار يابس ؛ وله من السق  
الشباب ؛ ومن الأخلط الميرة الصفراء ؛ ومن القوى القوة النفسية والحيوانية .  
وللعرب في هذا الفصل وغرات : وهي الحورور ؛ منها وغرة الشعرى ، ووغرة  
الجوزاء ، ووغرة سهيل ، أولها أقواها حرا ؛ يقال إن الرجل في هذه الوغرة يعطش  
بين الحوض والبر ؛ وإذا طلع سهيل ذهب الوغرات ؛ وتسمى الرياح التي في هذه



الْوَحْشَاتِ الْبَوَارِحَ، سَمِيتَ بِذَلِكَ لِأَنهَا تَأْتِي مِنْ يَسَارِ الْكُفَّةِ كَمَا بَرَجَ الطُّبَى إِذَا أَمَّاكَ  
 مِنْ يَسَارِكَ، وَقَدْ أُوْلِيَغَ النَّاسُ بَيْنَ لَفْطَاتِ الْحَرْوِ وَمُحْمُوهِ، وَأَتَوْا فِيهِ بِدَائِلِغٍ تَقْلَعُ مِنْ  
 قَلْبِ الصَّبِّ تَهَامٌ مُحْمُوهِ. وَفِي ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ : أَوْقَدْتَ الظَّهِيرَةَ نَارَهَا، وَأَذَكْتَ  
 أَوَارِغَهَا، فَذَا بَتَ دِمَاعُ الصَّبِّ، وَأَلْهَبْتَ قَلْبَ الصَّبِّ ؛ هَاجِرَةٌ كَانَهَا مِنْ قُلُوبِ  
 الْعُشَّاقِ، إِذَا اشْتَمَلَتْ فِيهَا نَارُ الْفِرَاقِ، حَرَّهَرُبُ لَهُ الْخِرَابُ مِنَ الشَّمْسِ، وَتُسْتَجِيرُ  
 بِمَتْرَاكِ الرَّمْسِ، لَا يَطِيبُ مَعَهُ عَيْشٌ، وَلَا يَنْفَعُ مَعَهُ قَلْجٌ وَلَا خَيْشٌ، فَهُوَ كَالْقَلْبِ  
 الْمَهْجُورِ، أَوْ كَالْتَّنُورِ الْمَسْجُورِ. وَوَصَفَ بَعْضُهُمْ، وَهُوَ ذُو الرَّمَّةِ، حَرَّ هَاجِرَةٍ فَقَالَ :

وَهَاجِرَةٌ حَرَّهَا وَأَقْدُ \* نَصَبْتُ لِحَاجِبِهَا حَاجِبِي

تَلَوُّذُ مِنَ الشَّمْسِ أَطْلَاؤُهَا \* لِيَأْذَ الْقَرِيمَ مِنَ الطَّالِبِ

وَتَسْجُدُ لِلشَّمْسِ حِرَابُهَا \* كَمَا يَسْجُدُ الْقَسُّ لِلرَّاهِبِ

وَقَالَ سَوَادُ بْنُ الْمُسَرِّسِ :

وَهَاجِرَةٌ تُسْتَوَى بِالسُّومِ \* جَنَادِبُهَا فِي رُؤُوسِ الْأَكَمِ

إِذَا الْمَوْتُ أَخْطَأَ حِرَابَهَا \* رَمَى نَفْسَهُ بِالْعَمَى وَالصَّمِ

وَقَالَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمُعْتَزِيُّ :

وَهَيْجِرَةٌ كَالْهَجَرِ مَوْجُ سَرَابِهَا \* كَالْبَحْرِ لَيْسَ لِيَأْتِيَهَا مِنْ طُحُطِ

وَأَخَى بِهِ الْخِرَابُ عُوْدَى مَنَبَرِ \* لِلظُّهْرِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَخْطُبْ

وَقَالَ آخَرُ :

وَرُبُّ يَوْمٍ حَسْرُهُ مُنْضِجٌ \* كَأَنَّهُ أَحْشَاءُ ظَلَمَانِ

كَأَنَّمَا الْأَرْضُ عَلَى رَضْفَةٍ \* وَالْحَوْتُ مَحْشُو بَنِيرَانِ

وَبَالَغَ الْأَمِيرُ نَاصِرُ الدِّينِ بْنُ الْقَفِيسِيِّ فَقَالَ مِنْ أَيْبَاتِ :

فِي زَمَانٍ يَتَسَوَّى الْوُجُوهَ بِحَمَرٍ \* وَيُذِيبُ الْجُسُومَ لَوْ كُنَّ مَحْضَرَا

لَا تَقْدِيرُ النَّسُورُ فِيهِ إِذَا مَا • وَقَفَتْ تَمَسُّهُ وَقَارَبَ ظُلْمُهَا  
يَسْتَكِي الضَّبُّ مَا اشْتَكَى الصَّبُّ فِيهِ • وَلِحَرْبَانِهِ إِلَى الظِّلِّ حَرًّا  
وَيَوْدُ الْفُصْنُ الرُّطِيبُ بِهِ لَوْ • أَنَّهُ مِنْ لِحَانِهِ يَتَعَبُّ •  
وَقَالَ أَيْضًا يَصِفُ لَيْلَةَ شَدِيدَةِ الْحَرِّ :

يَا لَيْلَةً بَتَّ بِهَا سَاهِرًا • مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَفُطِرَ الْأَوَارِ  
كَأَنِّي فِي جَنَّتِهَا مُخْرِمٌ • لَوْ أَنَّ لِلْمَوْرَةِ مَنَى أَسْتَأْزِرُ  
وَكَيْفَ لَا أُحْرِمُ فِي لَيْلَةٍ • سَمَاؤُهَا بِالشَّهْبِ تَرْمِي الْجَارِ

عَلَى أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ بْنُ رَيْشِيْقٍ قَدْ فَضَّلَهُ عَلَى فَصْلِ الشِّتَاءِ فَقَالَ :

فَصَّلُ الشِّتَاءِ مُبِينٌ لَا خَفَاءَ بِهِ • وَالصَّيْفُ أَفْضَلُ مِنْهُ حِينَ يَفْشَاكَ  
فِيهِ الَّذِي وَعَدَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِهِ • فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ إِنْ جَاءُوهُ نُسَاكَ  
أَنْهَارُ تَمَسِيرٍ وَأَطْيَارٌ وَقَاكِمَةٌ • مَا شِئْتُ مِنْ ذَا وَهِنْ هَذَا وَمِنْ ذَا كَا  
فَقُلْ لِمَنْ قَالَ لَوْلَا ذَاكَ لَمْ يَكْ ذَا • إِذَا تَفَضَّلَ عَلَى أَنْعَاكَ دُنْيَاكَ  
مَمَّ الشِّتَاءُ بَعَابِيسُ تُصَبُّ غَرَضًا • مِنَ الصَّوَابِ وَسَمَّ الصَّيْفُ مَحَاكَ

الثالث - فصل الخريف ، وهو أحد وتسعون يوما وربع يوم ونصف ثمن يوم . وأوله عند حلول الشمس رأس الميزان ؛ وذلك في الثامن عشر من توت وإذا بَقِيَ من أيلول ثمانية أيام ؛ وآخره إذا أتت الشمس على آخر درجة من القوس ؛ فيكون له من البروج الميزان والعقرب والقوس ؛ وهذه البروج تدلُّ على الحركة ، وله من الكواكب زُحَلٌ ، ومن الساعات السابعة والثامنة . والطالع فيه مع النجم من المنازل الفقر والزمان والإكليل والقلب والشولة والنعام والبلدة يتداخل فيه . وهو بارد يابس ، له من السن الكهولة ؛ تبيح فيه الميرة السوداء ، وتقوى فيه القوة المسككة ، وتهبُّ فيه الرياح الشمالية ، وفيه يبرد الهواء ، ويتغير الزمان ، ويتصرم

الثمار، وبغير وجه الأرض، وتَهزَلُ البهائم، وتموت المواتم، وتَجَحَّرُ الحشرات،  
ويطلب الطير المواضع الدفقة، وتصير الأرض كأنها كَهْلَةٌ مُدِيرَةٌ. ويقال: فصل  
الخریف ربيع النفس كما أن الربيع ربيع العين، فإنه مِقَاتُ الأقوات، ومَوَسِمُ الثمار،  
وأَوَانُ شَبَابِ الأشجار، وللنفس في آثاره مَرَجٌ، وللجسوم بمواقع خيراتِه مستمتع.  
وقد وصفه الصابي فقال الخريف أَمَحُّ فصول السنة زمانا، وأسهلها أوانا، وهو  
أحد الاعتدالين المتوسطين بين الانقلابين، حين أبدت الأرض عن ثمرتها،  
وصرحت عن زُبدتها، وأطلقت السماء حَوَائِلَ أنواتها، وأذنت بانسكاب مائها،  
وصارت الموارِد، كُتُونِ المِبَارِد، صفاء من كَدَرها، وتهذبها من عَكَرها، وأطرادا مع  
تفحات الهواء، وحركات الرياح الشَّجْوَاء، وأكنتس الماشية وبرها القشيب،  
والطائر ريشه العجيب“.

ومن كلام ابن شبل: كل ما يظهر في الربيع نَوَارُهُ ففي الخريف تُجَنِّي نَارُهُ.  
وقال أبو بكر الصنوبري:

ما قَضَى في الرَّبِيعِ حَقَّ الْمَسْرَا \* يَ مِضِيعٌ لِحَقِّهَا في الْخَرِيفِ  
نَحْنُ مِنْهُ عَلَى تَلَقُّيْ شَيْئَاء \* يُوجِبُ الْقَضْفَ أَوْ دَاعِ مَصِيفِ  
في قَمِيصٍ مِنَ الزَّيْمَانِ رَقِيقِي \* وَرِدَاءٍ مِنَ الْمَوَاءِ خَفِيفِ  
يَرْتَعِدُ الْمَاءُ فِيهِ خَوْفًا إِذَا مَا \* لَمَسَتْهُ يَدُ النَّسِيمِ الضَّعِيفِ  
وقال ابن الرومي يصفه:

لَوْلَا قُضَاؤُكَ أَتْلُو لَ إِذَا اجْتَمَعَتْ \* مِنْ كُلِّ فَرْقٍ وَرَقٌ الْجَوْ وَالْمَاءُ  
إِذَا مَا حَفَلَتْ نَفْسِي إِذَا أَشْتَمَلَتْ \* عَلَى هَائِلَةِ الْحَالَتَيْنِ غَبْرَاءُ  
يَا جَبَدًا لَيْلُ أَتْلُو لَ إِذَا بَرَدَتْ \* فِيهِ مَضَاجِعُنَا وَالرَّيْحُ شَجْوَاءُ  
وَتَحْمَسُ الْقُرُ فِيهِ الْجِلْدَ وَالنَّامَتْ \* مِنَ الضَّجِيعِينَ أَجْسَامُ وَأَحْشَاءُ

وَأَسْفَرَ الْقَمَرَ الْعَارِي بِصَفَحَتَيْهِ \* يُرَى لَهَا فِي صَفَاءِ الْمَاءِ لَأْلَاءُ  
 بِلِ حَبْلًا تَفْصَحُهُ مِنْ رِيحِهِ سَحَرًا \* بِأَتِيكَ فِيهَا مِنَ الرِّيحَانِ أَنْبَاءُ  
 قُلْ فِيهِ مَا شِئْتَ مِنْ فَضْلِ تَمَهُدُهُ \* فِي كُلِّ يَوْمٍ يَدُّهُ لِقَاءُ بَيْضَاءُ  
 وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَعْتَرِ يَصْفُوهُ وَيُفْضِلُهُ عَلَى الصَّبْفِ مِنْ آيَاتِ :

طَابَ شَرْبُ الصُّبُوحِ فِي الْبُلُولِ \* بَرَدَ الظِّلُّ فِي الصُّحَى وَالْأَصِيلِ  
 وَحَبَّتْ لَفْعَةُ الْمَسَاوِيرِ عَنَّا \* وَأَسْتَرَحْنَا مِنَ النَّهَارِ الطَّوِيلِ  
 وَخَرَجْنَا مِنَ السُّمُومِ إِلَى بَرٍّ \* دِ نَسِيمٍ وَطِيبٍ ظِلُّ ظَلِيلِ  
 فَكُنَّا نَزْدَادُ قُرْبًا مِنَ الْحَيَّةِ \* لَمْ يَكُنْ شَارِقٍ وَأَصِيلِ  
 وَوَجْهُ الْبَقَاعِ تَنْتَظِرُ الْغَيْهَ \* مَتَّ أَنْتَظَارَ الْحُبِّ رَدَّ الرَّسُولِ  
 وَقُرْبٍ مِنْهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

أَشْرَبَ عَلَى طِيبِ الزَّمَانِ فَقَدْ حَدَا \* بِالصَّبْفِ لِلنَّدْمَانِ أَطْيَبُ حَادٍ  
 وَأَشْمَمْنَا بِاللَّيْلِ بَرَدَ نَسِيمِهِ \* فَارْتَا حَتِ الْأَرْوَاحُ فِي الْأَجْسَادِ  
 وَأَقَاكَ بِالْأَنْدَادِ قُدَامَ الْحَيَا \* فَالْأَرْضُ لِلْمَطَارِ فِي اسْتِمْدَادِ  
 كَمْ فِي صَمَائِرِ بَرْبِهَا مِنْ رَوْضَةٍ \* بِمَسِيلِ مَاءٍ أَوْ قَرَارَةٍ وَادٍ  
 تَبْدُو إِذَا جَاءَ السَّعَابُ بِقَطْرِهِ \* فَكُنَّا كُنَّا عَلَى مِعَادٍ  
 وَمَا يَقْرُبُ مِنْهُ قَوْلُ بَحْفَلَةِ الْبَرَمِكِيِّ :

لَا تَصْغَ لِلْيَوْمِ إِنْ الْيَوْمُ تَفْصِيلُ \* وَأَشْرَبَ فِي الشَّرْبِ لِلْأَحْزَانِ تَحْلِيلُ  
 فَقَدْ مَضَى الْقَيْظُ وَاجْتُنَّتْ رَوَاحِلُهُ \* وَطَابَتْ الرِّيحُ لَمَّا آلَ الْبُلُولُ  
 وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ بَيْتٌ يَشْتَكِي مَرَّهَا \* إِلَّا وَنَاطِرُهُ بِالطَّلِّ مَكْحُولُ

وَالْبَاحِ بِبَعْضِهِمْ فَسَوَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ فَصْلِ الرَّبِيعِ فَقَالَ فِي مِثْنٍ تَهْنِئَةٍ لِبَعْضِ إِخْوَانِهِ  
 هُنَيْتَ أَقْبَالَ الْخَمْرِ \* نَفَ وَفُزْتَ بِالْوَجْهِ الْوَشِيِّ

تَمَّ احْبَدَالًا فِي الْكَمَا \* لَ بَقَاءٌ فِي خَلْقِ مَسْوِيٍّ  
فَكَ الرِّبْعَ بِحُسْنِهِ \* وَتَسِيمَ رِيَّاهُ الذِّكْوِيَّ  
وَيَنْوِبُ وَرْدَ الزُّعْفَرَا \* نَ لَهُ عَنِ الْوَرْدِ الْجَمِيَّ

وأبلغ منه قول الآخر يفضله على فصل الربيع الذي هو سيد الفصول ورئيسها:

مَحَاسِنُ تَخْرِيفٍ مَهْنُ فَخْرٍ \* عَلَى زَمَنِ الرَّبْعِ وَأَيُّ نَخْرِ  
بِهِ صَارَ الزَّمَانُ أَمَامَ بَرْدٍ \* يُرَاقِبُ تَزَحُّهُ وَعَقِيبَ حَرِّ

ومع ذلك فالأطباء تذمه لاستيلاء الميزة السوداء فيه، ويقولون: إن هواءه رديء متى تشبَّه بالجسم لا يمكن تلافيه؛ وفي ذلك يقول بعض الشعراء:

خَذْ فِي التَّدْثِيرِ فِي التَّخْرِيفِ فَإِنَّهُ \* مُسْتَوْبِلٌ وَتَسِيمُهُ خَطَافٌ  
يَجْرَى مَعَ الْأَيَّامِ جَرَى نَفَاقِهَا \* لَصِيدِهَا وَمِنَ الصَّدِيقِ يُخَافُ

الرابع — فصل الشتاء وهو أحد وتسعون يوما وربع يوم ونصف ثمن يوم، ودخوله عند حلول الشمس وأَسَ الجَدَى؛ وذلك في الثامن عشر من كيهك وإذا بقى من كانون الأول ثمانية أيام؛ وآخره إذا أتت الشمس على آخر درجة من الحوت فيكون له من البروج الجَدَى والدَّلُو والحُوت؛ وهذه البروج تدلُّ على السكون؛ والطالع فيه مع الفجر سبعة الذابج، وسعد بلع، وسعد السعد، وسعد الأخيصة، والقرغ المقدم والقرغ المؤخر؛ والرشاء فيه ثوب رياح الدبور؛ وهو بارد رطب فيه يبيح البلغم، وتضعف قوى الأبدان. له من البن الشيوخوخة، ومن القوى البدنية القوة الدافعة؛ وفيه يشتد البرد. ويخشن الهواء، ويتساقط ورث الشجر، وتتجحر الحبات، وتكثر الأنواء، ويُظلم الجو، وتصير الأرض كأنها عجوز هيرمة قد دنا منها الموت. وله من الكواكب المشتري وعطارد، ومن الساعات العاشرة والحادية عشرة. ويقال إذا حلت الشمس الجدَى: مَدَّ الشَّتَاءُ رُواقه، وحلَّ نطاقه؛ ودبَّت

صقارب البرد لايسة ، وضع مُذْخَر الكسب كاسبه . وللبقاء في وصف حال من  
أظله ، مُلِّح تدفع عن المقرور متى استعد بها طله ووبله .

لن ذلك قول بعضهم يصف شدة البرد : برد ينير الأكلان ، وينشف الأبدان ؛  
ويجعد الريق في الأشداق ، والدَّمْع في الآماق ؛ بردٌ حال بين الكلب وهريره ،  
والأسيد وزفيره ، والطير وصفيره ، والماء وتزيره .

ومن كلام الفاضل : في ليلة جدد نحرها ، وتعد جعرها ؛ الى يوم تود البصلة  
لو ازدادت قُصًا الى قُصها ، والشمس لو جرت النار الى قُصها ؛ أخذه بعضهم فقال :

ويومنا أرياحه قُرَّة \* تخبش الأبدان من قُصها  
يوم تود الشمس من برده \* لو جرت النار الى قُصها

ولابن حكينا البغدادي :

أليس اذا قديم الشتاء بروداً \* وأفرش على رِغَم الحَصِير لُبوداً  
الريق في اللهوات أصبح جامداً \* والدَّمْع في الآماق صار بروداً  
واذا رميت بفضل كَأْسِك في الهوا \* عادت إليك من العقيق عُقوداً  
وترى على برد المياه طيورها \* تخشأ حر النار والسفوداً  
يا صاحب العودين لا تهملهما \* حرق لنا عُوداً وحرك عُوداً

ولبعضهم :

شأنه تقلص الأشداق منه \* وبرد يحعل الثبات شيئاً  
وأرض تزلق الأقدام فيها \* فامشي بها إلا ديباً

ومن كلام الزمخشري :

أقبلت يابرد ببرد أجود \* تفعل بالأوجيه فعل المجرد

أَظِلُّ فِي الْبَيْتِ كَيْشَلُ الْمُقْعِدِ \* مُنْقِضًا تَحْتَ الْكِسَاءِ الْأَسْوَدِ  
لَوْ قِيلَ لِي أَنْتَ أَمِيرُ الْبَلَدِ \* فَهَلِيتَ لِلْبَيْعَةِ كَكْفًا يُعْقَدِ  
وَمِنْ كَلَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْخِصَالِ يَصِفُ لَيْلَةً بَارِدَةً مِنْ رِسَالَةٍ : وَالْكَلْبُ  
قَدْ صَافَحَ خَشُومَهُ ذَنْبَهُ ، وَأَنْكَرَ الْبَيْتَ وَطُنْبَهُ ، وَالتَوَى الْتَوَاءَ الْجُبَابِ ، وَاسْتَنَارَ  
اسْتِدَارَةَ الْجُبَابِ ، وَجَلَّهَ الْجَلِيدَ ، وَصَرَبَهُ الضَّرْبِ ، وَصَدَّ أَغْصَامَهُ الصَّعِيدَ ، حَفَمَاهُ  
مُبَاحَ ، وَلَا هَرِيرٌ وَلَا بُنَاحَ .

وَمِنْ شِعْرِ الْحَمَاسَةِ فِي وَصْفِ لَيْلَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ :  
فِي لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أَنْدِيَةٍ \* لَا يُبْصِرُ الْكَلْبُ مِنْ أُنْدَانِيَا الطُّنْبَا  
لَا يَنْبَحُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ \* حَتَّى يُلْفَ عَلَى خَشُومِهِ النَّبَا  
وَلَأَبَى الْقَاسِمِ التَّنَوُّخِ :

وَلَيْلَةً تَرَكَ الْبَرْدُ الْبِلَادَ بِهَا \* كَالْقَلْبِ أَسْعَرَ تَارًا فَهُوَ مَثْلُوجُ  
فَإِنْ تَبَسَّطَ يَدًا لَمْ تَنْتَبِطْ خَصْرًا \* وَإِنْ ثَقُلَ فَيَقُولُ فِيهِ تَبَيُّجُ  
فَنَحْنُ مِنْهُ وَلَمْ نُحْمَرْسْ ذُووْ تَحْرِيسِ \* وَنَحْنُ فِيهِ وَلَمْ نُفْلَجْ مَفَالِيجُ  
وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَصِفُ يَوْمًا بَارِدًا كَثِيرَ الضَّبَابِ :

يَوْمٌ مِنَ الزَّمْهِيرِ مَقْشُورُ \* عَلَيْهِ جَبَبُ السَّحَابِ مَزْرُورُ  
وَتَشْمُسُهُ حَرَّةٌ بِمُخْلَرَةٍ \* لَيْسَ لَهَا مِنْ ضَبَابِهِ نُورُ  
كَأَنَّهَا الْجَوْ حَشَوْهُ إِبْرُ \* وَالْأَرْضُ مِنْ تَحْتِهِ قَوَارِيرُ

وَحَكَى أَنَّ أَعْرَبِيًّا أَشْتَدَّ بِهِ الْبَرْدُ فَأَضَاءَتْ نَارُ فِدَتَا مِنْهَا لِيَصْطَلَى ، وَهُوَ يَقُولُ :  
لَهُمْ لَا تَحْرِمُنِيَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ؛ أَخَذَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ وَهُوَ فِي غَايَةِ الْمُبَالَغَةِ :  
أَيُّرَبُّ إِنْ الْبَرْدُ أَصْبَحَ كَالِحًا \* وَأَنْتَ بِحَالِي حَالِمٌ لَا تُسَلِّمُ  
فَإِنْ كُنْتُ يَوْمًا مُدْخِلٌ فِي جَهَنَّمَ \* فَبِمِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ طَابَتْ جَهَنَّمَ

وقد آغنى الناس بمدحه فقال بعضهم : لو لم يكن من فضله إلا أنه تَنِيَّبُ فيه  
المَوَآمُ، وَتَحْيَجِرُ الْحَشَرَاتُ، ويموت الدُّبَابُ، ويَهْلِكُ البُعُوضُ، ويَبْرُدُ اللَّمَاءُ، وَيَسْخُنُ  
الجَوْفُ، وَيَطْيَبُ البَنَاقُ، ويظهر الفَرْشُ، ويكثر الدُخْنُ، وتلذذ حِجْرَةُ البيت لكَفَى.  
وتابعه بعض الشعراء فقال :

تَرَكْتُ مَقْدَمَةَ الْخَرِيفِ حَمِيدَةً • وبدا الشَّتَاءُ جَدِيدُهُ لَا يُنْكِرُ  
مَطَرُ رُوقِ الصَّحْوِ مِنْهُ وَبَعْدَهُ • تَهْوِي كَأَدُ مِنَ الْفَضَارَةِ يَمْطُرُ  
غَيْشَانِ وَالْأَنْوَاءُ غِيثٌ ظَاهِرٌ • لَكَ وَجْهُهُ وَالصَّحْوُ غِيثٌ مُضْمَرُ

وقال أبو الفتح كُشَاجِمُ :

أَفْنِ الشَّتَاءُ بِلَهْوِهِ الْمُسْتَقِيلَ • فَدَنَّتْ أَوَائِلُهُ بَغِيثَ مُسْجِلِ  
مُتَكَائِفِ الْأَنْوَاءِ مُتَغَدِّقِ الْحَيَا • هَطِلَ النَّدى هَزِجَ الرُّعُودِ بِجَلْبَلِ  
جَاءَتْ بَعَزِلُ الْجَنْدِبِ فِيهِ فَيَشْرَتْ • بِالْخِصْبِ أَنْوَاءُ السَّيَاكِ الْأَغْزَلِ  
وقد وَلَّعَ النَّاسُ بِذِكْرِ الْأَعْتَادِ لَهَا قَدِيمًا وَحَدِيثًا .

قيل لأعرابي : ما أَعْدَدْتَ لِلْبَرْدِ؟ فقال : طَوَّلْتُ الرِّعْدَةَ، وَتَقَرَّبْتُ الْقِعْدَةَ، وَذَوَّبْتُ<sup>(١)</sup>  
الْمِعْدَةَ . أَخَذَهُ ابْنُ سُرَّةَ، فَقَالَ :

قِيلَ مَا أَعْدَدْتَ لِلْبَرْدِ • دِ وَفَنَدَ جَاءَ بِشِدَّةِ  
قُلْتُ دُرَاعَةً عُرِي • تَحْتَهَا جُبَّةُ رِعْدَةٍ

وأعلم أن ما تقدم من أزمان الفصول الأربعة هو المصطلح المعروف، والطريق  
المشهور . وقد ذكر الأبي في كتاب النثر : أن العرب قَسَمَتِ السَّنَةَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءَ فَعَمِلُوا  
الْجُزْءَ الْأَوَّلَ الصَّفَرِيَّةَ، وَاسْمُوا مَطَرَهُ الْوَشْمِي، وَأَوَّلُهُ عِنْدَهُمْ سُقُوطُ عَرَفُوقَةِ الدَّلْوِ  
السُّفْلَى، وَآخِرُهُ سُقُوطُ الْحَقِيقَةِ؛ وَجَعَلُوا الْجُزْءَ الثَّانِيَّ الشَّتَاءَ، وَأَوَّلُهُ سُقُوطُ الْهَنْعَةِ،

(١) لعل الصواب «وذرب» بالراء بدل الواو .



وآخره سقوط الصرفة . وجعلوا الجزء الثالث الصيف ، وأوله سقوط العواء ، وآخره سقوط الشولة . وجعلوا الجزء الرابع القيظ ، وسماه مطره الخريف ، وأوله سقوط النعام ، وآخره سقوط عرقوة العلو العليا :

وذكر ابن قتيبة في "أدب الكاتب" طريقا آخر فقال :

الربيع ينهب الناس الى أنه الفصل الذي يتبع الشتاء ويأتي فيه الورد والكجاة ، والنور ، ولا يعرفون الربيع غيره . والعرب تختلف في ذلك فمنهم من يجعل الربيع الفصل الذي تدرك فيه الثمار ، وهو الخريف ، وبعده فصل الشتاء ، ثم فصل الصيف وهو الوقت الذي تسميه العامة الربيع ، ثم فصل القيظ وهو الذي تسميه العامة الصيف ، ومنهم من يسمى الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو الخريف الربيع الأول ، ويسمى الفصل الذي يلي الشتاء وتأتي فيه الكجاة والنور الربيع الثاني ، وكلهم مجمعون على أن الخريف هو الربيع

وفي بعض التعاليق أن من العرب من جعل السنة ستة أزمان . الأول الوسمي وحصته من السنة شهران ، ومن المنازل أربع منازل وثلاث مثلة وهي العواء ، والسمالك والغفر ، والزبانان ، وثلاث الإكليل . الثاني الشتاء ، وحصته من السنة شهران ، ومن المنازل أربع منازل وثلاث مثلة وهي ثلث الإكليل ، والقلب ، والشولة ، والنعام ، والبددة ، وثلاث الذابح . الثالث الربيع ، وحصته من السنة شهران ، ومن المنازل أربع منازل وثلاث مثلة وهي ثلث الذابح ، وثلث السمود ، والأخيصة ، والفرغ المقدم . الرابع الصيف ، وحصته من السنة شهران ، ومن المنازل أربع منازل وثلاث مثلة ، وهي القرغ المؤخر ، وثلث الحوت ، والشرطان ، والبطين ، وثلث الثريا . الخامس الحميم ، وحصته من السنة شهران ، ومن المنازل أربع منازل وثلاث مثلة وهي ثلث الثريا ، والدبران ، والمقعة ، والهنعة ، والذراع وثلث النثرة . السادس

الخريف، وحصته من السنة شهران، ومن المنازل أربع منازل وتُثَلَا منزلة وهي ثلثا النّسبة، والطّرف، والجهة، والخرتان، والصّرفة .

والأوائل من علماء الطّلب يقيسون السنة الى الفصول الأربعة إلا أنهم يجعلون الشتاء والصيف أطولَ زماناً وأزيد مدّة من الربيع والخريف ، فيجعلون الشّتاء أربعة أشهر، والصيف أربعة أشهر، والربيع شهرين، والخريف شهرين، إذ كانا متوسطين بين الحز والبرد وليس في مدتهما طول ولا في زمانها اتّساع .

واعلم أن ما تقدّم من تفضيل بعض الفصول على بعض إنما هو أغاويل الشعراء وأقانيّن الأدباء، تفنّناً في البلاغة؛ وإلا فالواضع حكيم جعل هذه الفصول مشتملة على الحز تارة وعلى البرد أخرى لمصالح العباد، ورتبها ترتيباً خاصاً على التدرّج، يفهم ذلك أهل العقول وأرباب الحكمة ، جلّت صنعته أن تكون قيرية عن الحكمة ، أو موضوعة في غير موضعها ( ما ترى في خلق الرّحمن من تَفَاوُتٍ فارجع البصر هل ترى من فُكُورٍ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حَسِيرٌ ) :

### الطرف الرابع

في أعياد الأمم ومواسمها ، وفيه خمس جمل

#### الجملة الأولى

في أعياد المسلمين

واعلم أن الذي وردت به الشريعة وجاءت به السنة عيادات : عيد الفطر، وعيد الأضحي . والسبب في اتخاذهما ما رواه أبو داود في سنّته عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، <sup>١</sup> أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدّم المدينة ولأهلها يومان يلعبون فيها، فقال : ما هذان اليومان؟ فقالوا : كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا في الجاهليّة؛ فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل قد بذلكم خيراً منهما يوم الأضحي، ويوم الفطر“  
 فأقول ما يبدئ به من العيدين عيد الفطر، وذلك في سنة اثنتين من الهجرة . ورزى  
 ابن بطيئ في كتاب الأوائل أن أول عيد حقى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة  
 اثنتين من الهجرة وخرج الى المصلى للصلاة، وجئئذ فيكون العيدان قد شُرعا في سنة  
 واحدة ؛ نعم قد أبدعت الشيعة عيداً ثالثاً سموه عيد القدير . وسبب اتخاذهم له  
 مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم لعل كرم الله وجهه يوم تقدير ختم وهو غدِير على ثلاثة  
 أميال من الجحفة يسرة الطريق تصب فيه عين وحوله شجر كثير، وهى الفيضة التى  
 تسمى نهما؛ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من حجة الوداع نزل  
 بالقدير وآتى بين الصحابة ولم يؤاخ بين علي وبين أحد منهم فرأى النبي صلى الله عليه  
 وسلم منه أنكاراً فضمه إليه وقال ”أما رضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى  
 إلا أنه لا نبي بعدي والتفت الى أصحابه وقال من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم  
 وال من وآله، وعاد من عاداه“ وكان ذلك فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجة سنة  
 عشرين من الهجرة . والشيعة يحيون ليلة هذا العيد بالصلاة ويصلون فى صبيحتها ركعتين  
 قبل الزوال ويشاعرهم فيه لئس الحديد، وعشق العبيد، وذبح الأغنام، وإلحاق الأجانب  
 بالأهل فى الإكرام . والشعراء والمتروكلون يهتفون الكبراء منهم بهذا العيد .

## الجملة الثانية

### فى أعياد الفرس

وكان دينهم الجوسية، وأعيادهم كثيرة جداً حتى إن على بن حمزة الأصهبانى  
 حُمل فيها كتاباً ذكر فيه أسباب اتخاذهم لها، وسبب سلوكهم فيها؛ وقد اقتصرنا منها  
 على المشهور الذى ولىع الشعراء بذكره، وأعنى الأمراء بأمره؛ وهى سبعة أعياد .

العبد الأول النوروز - وهو تعريب نوروز، ويقال إن أول من اتخذ جم شاد أحد ملوك الطبقة الثانية من الفرس، ومعنى شاد الشعاع والضياء، وإن سبب اتخاذهم لهذا اليوم عيداً أن الذين كان قد فسد قبله، فلما ملك جنده وأظهره فسمى اليوم الذي ملك فيه نوروز أى اليوم الجديد. وفي بعض التعاليق أن جم شاد ملك الأقاليم السبعة والحق والإنس، فاتخذ له تجلّة ركها، وكان أول يوم ركها فيه أول يوم من شهر افرودين ماه، وكان مدة ملكه لا يُريهم وجهه، فلما ركها أبرز لهم وجهه، وكان له حظ من الجمال وأفرّ، بفعلوا يوم رؤيتهم له عيداً، وسموه نوروزاً. ومن الفرس من يزعم أنه اليوم الذي خلق الله فيه النور، وأنه كان معظماً قبل جم شاد. وبعضهم يزعم أنه أول الزمان الذي ابتدأ الفلك فيه بالدوران. ومذته عندهم ستة أيام أولها اليوم الأول من شهر افرودين ماه الذي هو أول شهور سنتهم. ويسمّون اليوم السادس النوروز الكبير، لأن الأباطرة كانوا يقضون في الأيام الخمسة حوائج الناس على طبقاتهم، ثم ينتقلون إلى مجالس ألسهم مع ظرفاء خواصهم.

وحكى ابن المقفع أنه كان من عادتهم فيه أن يأتي الملك رجل من الليل قد أُرصد لما يفعله، مليح الوجه، فيقف على الباب حتى يُصبح، فإذا أصبح دخل على الملك من غير استئذان، ويقف حيث يراه، فيقول له: من أنت؟ ومن أين أقبلت؟ وأين تريد؟ وما أهلك؟ ولأى شيء وردت؟ وما معك؟ فيقول: أنا المنصور، وأسمى المبارك، ومن قبل الله أقبلت، والملك السعيد أردت، وبالهناء والسلامة وردت، ومضى السنة الجديدة، ثم يجلس، ويدخل بعده رجل معه طبق من فطّة وعليه حنطة، وشعير، وجلبان، وحمص، وسمسم، وأرز من كل واحد سبع سنبلات، وسبع حبّات، وقطعة سُكر، ودينار ودرهم جديدين، فيضع الطبق بين

يدى الملك، ثم تدخل عليه الهدايا، ويكون أول من يدخل عليه بها وزيره، ثم صاحب الخراج، ثم صاحب المئونة، ثم الناس على طبقاتهم؛ ثم يقدم للملك رغيف كبير من تلك الحبوب مصنوع. ووضع في سلة، فأتى كل منه ويطعم من حضر؛ ثم يقول: هذا يوم جديد، من شهر جديد، من عام جديد، يحتاج أن يجدد فيه ما أخلق من الزمان؛ وأحق الناس بالفضل والإحسان الرأس لقضله على سائر الأعضاء. ثم يخلع على وجوه دولته، ويصلبهم، ويفترق عليهم ما وصل اليه من الهدايا.

وأما عوام الفرس فكانت عاداتهم فيه رفع النار في ليلته، ورش الماء في صبيحته؛ ويرعمون أن إيقاد التيران فيه لتحليل المغونات التي أبقاها الشتاء في الهواء. ويقال إنما فعلوا ذلك تنويعا بذكره، وإشهارا لأمره. وقالوا في رش الماء: إنما هو بمنزلة البشارة لتطهير الأبدان مما انضاف إليها من دخان النار الموقدة في ليلته.

وقال آخرون: إن سبب رش الماء فيه أن قيروز بن يزدجرد لما استتم سورجى، وهى أصبهان القديمة لم تمطر سبع سنين في ملكه؛ ثم مطرت في هذا اليوم ففرح الناس بالمطر وصبوا من مائه على أبدانهم من شدة فرحهم به، فصار ذلك سنة عندهم في ذلك اليوم من كل عام، وما أحل قول بعضهم يخاطب من يهواه، ويدكر ما يعتمد في النيروز من شب التيران وصب الأمواه:

كَيْفَ ابْتِهَاجُكَ بِالنَّيْرُوزِ يَا سَكْنَى \* وَكُلُّ مَا فِيهِ يَحْكِي وَأَحْكِي  
فَتَارَةً كَلْهَيْبِ النَّارِ فِي كَيْدِي \* وَتَارَةً كَسَوَالِي عَبْرِي فِيهِ  
اسْتَمْتِي فِيهِ يَا سُؤْلِي إِلَى وَصْبٍ \* فَكَيْفَ تُهْدِي إِلَى مَنْ أَنْتَ تُهْدِي

وأول من رسم هدايا النيروز والمهرجان في الإسلام الحاج أبو يوسف الثقفى، ثم رفع ذلك عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه، واستمر المنع فيه إلى أن فتح باب

الحديّة في أحمد بن يوسف الكاتب فانه أهدى فيه للأمن سَقَطَ ذهب فيه قطعة  
عُود هندي في طوله وعرضه ، وكتب معه : هذا يومُ جَرَتْ فيه المادّة ، باتّحاف  
العبيد السادة ، وقد قلت

على العبدِ حقّ وهو لاشكّ قاعِلُهُ • وإن عظم المولى وجَلّت فواضِلُهُ  
ألم ترنا نُهَسِدِي الى الله ماله • وإن كان عنه ذا غنى فهو قايِلُهُ  
فلو كان يُهَسِدِي للجليل بقدره • لقصر عنه البحرُ يوماً وساحِلُهُ  
ولكننا نُهَسِدِي الى من يُجِلُّهُ • وإن لم يكن في وسعنا ما يُساكِلُهُ

وكتب سعيد بن حميد الى صديقي له يومَ نِيروز : هذا يومٌ سهّلَ فيه السُنّةُ  
للعبيد الإهداء للولك ، فتملّقت كلّ طائفة من البر بحسب القُدرة والهِمة ، ولم أجِد  
لياً أملك ما يبيّ بحقّك ، ووجدتُ تقريبك أبلغ في أداء ما يجب لك ، ومن لم  
يؤت في هديّة ، إلا من جهة قُدرة فلا طعن عليه .

هذا ما يتعلق بنِيروز الفُرس من ذكر الهدايا فيه ، وإيقاد النار ، ورش الماء ،  
وأول من سنّه . وأما تعلّقه بالخراج فمسيأى الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى عند  
الكلام على جباية الخراج في فنّ الدّيونة .

العيد الثاني من أعياد الفُرس المَهْرَجَان — وهو في السادس والعشرين من  
تشرين الأوّل من شهور السريّان ، وفي السادس عشر من مَهْرماه من شهور الفُرس ،  
وفي التاسع من أبيب من شهور القبط ، وبينه وبين النيروز مائة وسبعة وستون يوماً ،  
وهذا الأوّل في وسط زمانٍ الخريف ، وفي ذلك يقول الشاعر :

أحبّ المَهْرَجَان لأنّ فيه • سروراً للولك ذوى السّماءِ  
وباباً للصّبيّين الى أوّان • تُفتَحُ فيه أبوابُ السّماءِ

ومدته ستة أيام، ويُسمى اليوم السادس من المهرجان الأكبر، كما يُسمى اليوم السادس من أيام التيروز عندهم التيروز الأكبر.

قال المسعودي : وسبب تسميتهم بهذا اليوم بهذا الاسم أنهم كانوا يُسمون شهورهم بأسماء ملوكهم، وكان لهم ملك يسمى مهر يسير فيهم بالعنف والسف، مات في النصف من هذا الشهر، وهو مهرماه، فسمى ذلك اليوم مهرجان، وتفسيره نفس مهر ذهبت، والفرس تقدم في لغتها ما تؤخره العرب في كلامها وهذه اللغة الفهلوية وهي الفارسية الأولى وزعم آخرون أن مهر بالفارسية يحفظ وجان الروح، وفي ذلك يقول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

إذا ما تحقَّقَ بالمهرجا \* ن من ليس يعرفُ معناه غاظا  
ومعناه أن غلبَ الفرس فيه \* فسموه للروح فيه يحفاظا

ويقال : إنما ظهر في عهد افريدون الملك، ومعنى هذا الاسم إدراك الثار، وذلك أن افريدون أخذ بثار جده جم شاد من الضحاك، فانه كان أفسد دين المجوسية وخرج على جم شاد فأخذ منه الملك وقتله، فلما غلبه افريدون قتله بجبل دُنباوَنَد، وأعاد المجوسية الى ما كانت، فالتخذ الفرس يوم قتله عيداً، وسموه مهرجان، والمهر الوفاء، وجان سلطان، وكان معناه سلطان الوفاء.

وزعم بعض الفرس أن الضحاك هو الثرود وافریدون هو إبراهيم عليه السلام، بلغتهم .

ويقال إن المهرجان هو اليوم الذي عقد فيه التاج على رأس اردشير بن بابك، أول ملوك الفرس الساسانية. وكان مذهب الفرس في المهرجان أن يذبح ملكهم بذهن البان تبركا، وكذلك الغوام، وأن يلبس القصب والوشى، ويتوج بتاج عليه صورة الشمس ومجملتها الدائرة عليها، ويكون أول من يدخل اليه المؤبدان يطبق فيه

أُثْرِيَّةً، وَقِطْعَةً سَكْرًا، وَنَبْقًا، وَسَقَرَجُلًا، وَعُتَابًا، وَتَفَاحًا، وَعَنْقُودًا عَنَبَ أَيْبَضٍ،  
وسمع طافات آيس، قد زَمَزَمَ عليها، ثم تدخل الناس على طبقاتهم بمثل ذلك، ووربما  
كانوا يذهبون الى تفضيله على التبروز، وفيه يقول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر.

أَحَا الْفَرَسَ إِنْ الْفَرَسَ قَعْلَمَ إِنَّهُ \* لَا طَيْبُ مِنْ نَيْرُوزِهَا مَهْرَجَانِهَا

لِلدِّبَارِ أَيَّامٌ يَنْهَمُ هَوَاؤُهَا \* وَإِقْبَالِ أَيَّامٍ يَسُرُّ زَمَانُهَا

قال المسعودي : وأهل المُرُوءَات بالعراق وغيرها من مُدُن العجم يفعلون هذا  
اليوم أَوَّلَ يومٍ من الشتاء فَيَقْبِرُونَ فِيهِ الْفُرْسَ وَاللَّاتِ، وكثيرا من المَلَأَسِ .

العيد الثالث السَّدَقُ - ويسمى أبان روز، ويسل في ليلة الحادى عشر من شهر  
بهمن ماه من شهور الفُرس، وسُنَّتُهُمْ فِيهِ إِيقَادُ النَّيرانِ بِسَائِرِ الْأَدْهَانِ وَالْوَلُوحِ بِهَا حَتَّى  
إِنَّهُمْ يُلْقُونَ فِيهَا سَائِرَ الْحُبُوبِ، وَيُقَالُ إِنْ سَبَبَ اتِّخَاذَهُمْ لِهَذَا الْعِيدِ أَنَّ الْأَبَّ الْأَوَّلَ،  
وهو عندهم كيوم رت لما كل له من ولده مائة ولد وزوج الذكور بالإناث، وصنع لهم  
هُرْمًا أَكْثَرَ فِيهِ وَقُودُ النَّيرانِ، ووافق ذلك الليلة المذكورة فاستسنت ذلك الفُرسُ  
بعده . وقد وُلِّمَتِ الشَّعْرَاءُ بِوصفِ هذه الليلة فقال أبو القاسم المطرزي يصف سَدَقًا  
عمله السلطان ملكشاه بدجلة، أشعل فيه النَّيرانَ وَالشُّمُوعَ فِي السَّمَارِيَّاتِ (١) مِنْ أَيْبَاتِ :

وَكُلُّ نَارٍ عَلَى الْمُشَاقِّ مُضَرَّةٌ \* مِنْ نَارِ قَلْبِي أَوْ مِنْ لَيْلَةِ السَّدَقِ

نَارُ نَجَّتْ بِهَا الظَّلَامُ وَاشْتَبَهَتْ \* بِسُدْفَةِ اللَّيْلِ فِيهَا هُرَّةُ الْفَلَقِ

وَزَارَتِ الشَّمْسُ فِيهَا الْبَدْرَ وَاصْطَلَحَا \* عَلَى الْكَوَكِبِ بَعْدَ الْغَيْظِ وَالْحَقِيقِ

مَدَّتْ عَلَى الْأَرْضِ بُسْطَانًا مِنْ جَوَاهِرِهَا \* مَا يَنْبَغُ مُجْتَمِعٍ وَإِنْ مَقْتَرِقِ

مِثْلَ الْمَصَابِيحِ إِلَّا أَنَّهَا تَزَلَّتْ \* مِنَ السَّمَاءِ بِلَا رَجِيمٍ وَلَا حَرَقِ

(١). كذا في نهاية الأرب أيضا والأظهر السديرات وهو اسم لنوع من السفن .



أَغْجَبَ بِنَارِ وَرِضْوَانِ يَسْعَرُهَا \* وَمَالِكٌ فَأَتَمَّ مِنْهَا عِلَّ قَسَرَ  
فِي تَجْلِيسِ صَحْبَتِ رَوْضِ الْخَنَانِ لَهُ \* لَمَّا بَلَغَ تَفَرُّهُ عَنِ وَاضِحِ يَفَقِ  
وَقَالَ ابْنُ حِجَابٍ مِنْ أَيْبَاتٍ، يَمْدَحُ بِهَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ :

لَبَّيْنَا حُسْنًا عَجِيبٌ \* بِالْقَصْفِ وَالتَّيِّهِ قَدْ تَحَقَّقَ  
لِنَارِهَا فِي السَّمَاءِ لِسَانٌ \* عَنْ نُورِ ضَوْءِ الصَّبَاحِ يَنْطَلِقُ  
وَالْجَوْثُ مِنْهَا قَدْ صَارَ جَمْرًا \* وَالنَّجْمُ مِنْهَا قَدْ كَادَ يُخْرِقُ  
وَيَدِجِلُهُ أَضْرَمْتُ حَرِيقًا \* بِأَلْفِ نَارٍ وَأَلْفِ زُورِقِ  
لَهَاؤُهَا كُلُّهُ تَيْمِيمٌ \* قَدْ فَارَمَا غُلًى وَبَقِيقِ

وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ نُبَاتَةَ مِنْ أَيْبَاتٍ يَمْدَحُ بِهَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ أَيْضًا :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَذْكَى الْأَمَامُ بَارِضِهِ \* مُشْتَرَةً يَنْتَابُهَا الْفَخْرُ صَالِحًا  
تَغِيبُ الْجُجُومُ الزُّهْرُ عِنْدَ طُلُوعِهَا \* وَتُخَسِّدُ أَيَّامُ الشُّهُورِ اللَّيَالِيَا  
فَلَادَةُ مَجْدٍ أَغْفَلَ الدَّهْرُ نَظْمَهَا \* عَلَيْهِ وَقَدْ السَّيْنُ انْخَوَالِيَا  
هِيَ اللَّيْلَةُ الْفَرَاءُ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ \* تُفَادِرُ جَيْدَ الدَّهْرِ الْبَلَجَ حَالِيَا

العيد الرابع الشركان — وهو في الثالث عشر من تيرماه من شهور الفُرس، زعموا  
أن أرس رمى سهمه لما وقعت المصالحة بين منوچهر وقراسياب التركي من المملكة  
على رمية سهم، فامتد السهم من جبال طبرستان الى اعلى طغارتستان .

العيد الخامس أيام الفردجان — وهي خمسة أيام؛ أولها السادس والعشرون من  
أبان ماه من شهور الفُرس، ومعناه تربية الروح، لأنهم كانوا يعملون فيها أطعمة  
وأشربة لأرواح موتاهم، ويرجعون أنها تقتضى بها .

العيد السادس رُكُوبُ الكَوْتَجِ — ويعمل في أول يوم من ادرماه من شهر  
الفرس، وسُتْمَهم فيه أن يركب في كل بلد من بلادهم رجل كَوْتَجٍ، قد أُعِدَّ له يُصْنَعُ  
به بأكل الأطعمة الخائِزة كالجوز، والثوم، والقمح السمين ونحوها، وبشرب الشراب  
الصُّرف أَيْ بما قبل حلول الشهر، فإذا حلَّ الشهر لِسَ غلالة مَابُويَّة، وركب بقرة  
وأخذ على يده فُرابا، ويتَّبَعُه الناسُ يُصْبُونَ عليه الماء، ويَضْرِبُونه بالثَّلج،  
ويروِّحُون عليه بالمرَّاح، وهو يصيح بالفارسية: بكرم كرم أى الحزب الحز، يفعل  
ذلك سبعة أيام، ومعه أو ياش الناس يهْبُونَ ما يُمِيدُونَ من الأطعمة في الحوانيت؛  
والسلطان عليهم مال، فإذا وُجِدوا بعد عصر اليوم السابع ضُربوا وحُيِّسوا.

قال المسعودي: ولا يُعرَف ذلك إلا بالعراق، وأرض المعجم، وأهل الشام  
والجزيرة ومصر واليمن لا يعرفون ذلك. ويقال إن هذا الفعل كان يتداوله أهل  
كل بيت منهم كَوْتَجٌ، وحكى الزخشرى في كتابه "ربيع الأبرار" أن سبب ذلك  
أن كَوْتَجًا كان يشرب في هذه الأيام الدواء ويَطْلِي بدنه فيها فغلب عليها، وفي ذلك  
يقول الشاعر:

قَدْ رَكِبَ الكَوْتَجُ يَصَاحُ \* فَانزِلْ عَلَى الزُّهْرَةِ وَالرَّاحِ

وَأَتَمَّ بِأَدْرَمَاهُ حَيَاةً وَخُذْ \* مِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ بِأَفْيَاحِ

والسنة عندهم متقسمة على أقسام، في أول كل قسم منها خمسة أيام تسمى  
الكنبهارات، زعم زرادشت أن في كل يوم خلق الله تعالى نوما من الخليفة فهم  
يُخْتَلُونَهَا أعيادا لذلك.

العيد السابع عيد بهمنجة — ويخذونه في يوم بهمن من شهر بهمن ماه، وسُتْمَهم  
فيه أنهم يأكلون فيه البَهْمَنَ الأبيض باللبن الحامض على أنه ينفع الحفظ، ودرُسا،

تُرأسان يعملون فيه الدّعوات على ملأيم يطبخون فيه كلّ حبّ ما كولي ولحم حيوان يؤكل، ويحضر ما يوجد في ذلك الوقت من بقل أو نبات .  
فهذه أعياد القُرس المشهورة النائرة بين طائفتهم وخاصّتهم .

### الجملة الثالثة

في أعياد القبط

وأعلم أن أعياد القبط كثيرة، وقد أتينا على ذكر تفصيلها سرداً في خلال شهر القبط مع ذكر غيرها، وأوردنا كلّ عيد منها في يومه من شهر القبط، وربما ذكرنا بعضها أيضاً في شهر السريان والروم، على أن منها ما لا يتعلق بوقت مفيد كالقبط الأكرع عندهم، فإنه متعلق بغيرهم من صومهم الأكبر، وهو غير مؤقت بوقت معين، بل يتغير بالتقديم والتأخير قليلاً على ما سياتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى، ونحن نقتصر في هذا الفصل على المشهور من أعيادهم دون غيره، ونبين أوقاتها، ونشرح أسبابها . وهي أربعة عشر عيداً . وهي على ضربين . كبار وصغار .

### الضرب الأول

الكبار، وهي سبعة

العيد الأول الإشارة، ويتنوّن به إشارة غير يال، (وهو جبريل على زعمهم) لمريم عليها السلام بميلاد عيسى صلوات الله عليه، يعمّلونه في التاسع والعشرين من برّمات من شهر القبط .

الثاني الزيتونة، وهو عيد الشعّانين، وتفسيره بالعريّة التّسبيح، يعملونه في سابع أحد من صومهم، وسبّحهم فيه أن يخرجوا بسعف النخل من الكنيسة، وهو يوم ركوب المسيح للعرش (وهو الحمار) في القدس ودخوله صهيون وهو راكب والناس يسبّحون بين يديه، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر

الثالث الفصح، وهو العيد الكبير عندهم، يعملونه يوم الفطر من صومهم الأكبر، يزعمون أن المسيح قام فيه بعد الصلبوت بثلاثة أيام، وخلص آدم من ابجيم، وأقام في الأرض أربعين يوما آخرها يوم الخميس، ثم صعد إلى السماء .  
(قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) .

الرابع خميس الأوبسين، ويسميه الشاميون السلاق، وهو الثاني والأربعون من الفطر، يقولون إن المسيح عليه السلام تساق في من تلاميذه إلى السماء بعد القيام، ووعدهم بإرسال الفارقليط، وهو روح القدس عندهم .

الخامس عيد الخميس، وهو عيد العنصرة يعملونه بعد خمسين يوما من القيام، وهو في السادس والعشرين من بشنس، ويقولون إن روح القدس حلت في التلاميذ وتفرقت عليهم ألسنة الناس فتكلموا بجميع الألسنة، وذهب كل واحد منهم إلى بلاد لسانه الذي تكلم به يدعوهم إلى دين المسيح .

السادس الميلاد، وهو اليوم الذي يقولون إن المسيح ولد فيه بيت لحم (قرية من أعمال فلسطين) ويعملونه في التاسع والعشرين من كيهك من شهور القبط، وهم يقولون إنه ولد يوم الاثنين، فيجملون عشية الأحد ليلة الميلاد، فيوقدون فيها المصابيح بالكثاس ويزينونها .

السابع الفطاس، يعملونه في الحادي عشر من طوبة، من شهور القبط. يقولون إن يحيى بن زكريا عليه السلام وينعتونه بالمعمدان غسل عيسى عليه السلام بحجارة الأردن، وأن عيسى لما خرج من الماء اتصل به روح القدس على هيئة حمامة، والنصارى يقيمسون أولادهم فيه في الماء على أنه يقع في شدة البرد، إلا أن عقبه يحيى الوقت، يقول المصريون: غَطَّسْتُمْ صَبَّغْتُمْ، وَتَوَرَّجْتُمْ شَتَّيْتُمْ .

## الضرب الثاني

من أعياد القبط الأعياد الصغار ، وهى سبعة أيام

الأول الختان ، ويعملونه فى سادس بثونة من شهر القبط . ويقولون : إن المسيح خُتِنَ فى هذا اليوم وهو الثامن من الميلاد .

الثانى الأربعون ، يعملونه فى الثامن من شهر أمشير من شهر القبط ، ويقولون : إن ستمعان الكاهن دخل بميسى عليه السلام مع أمه بعد أربعين يوما من ميلاده الميكل وبارك عليه ؛ تلك عقول أضلها باريها ، وإلا فإن مقام الكاهن من مقام ميسى عليه السلام ، وهو روح الله وكلمته .

الثالث خميس العهد ، يعملونه قبل الفصح بثلاثة أيام ، وشأنهم أن يأخذوا إناء ويملئوه ماء ويؤمزموا عليه ، ثم يغسل البطريك به أرجل جميع النصارى الحاضرين ، ويؤرمون أت المسيح عليه السلام فعل هذا بتلاميذه فى هذا اليوم يعاتبهم التواضع . وأخذ عليهم العهد ألا يتفرقوا وأن يتواضع بعضهم لبعض ، والعامة من النصارى يُسمون هذا الخميس خميس العَدَس ؛ وهم يطبخون فيه العَدَس على ألوان .

الرابع سبت الثور ، وهو قبل الفصح بيوم . يقولون : إن النور يظهر على مقبرة المسيح فى هذا اليوم فنشتمل منه مصابيح كنيسة القيامة بالقدس . قال صاحب "مناجى الفكر" وغيره : وما ذاك إلا من تخيلاتهم التبرجعية التى يفعلها القسيسون منهم ليستميلوا بها عقول عوامهم الضعيفة . وذلك أنهم يلقون التناديل فى بيت المذبح ويقتبلون فى إبصال النار اليها بأن يمدوا على جميعها شريطا من حديد فى غاية الدقة مدهونا بدهن البساق ودهن الزنبق ، فإذا صالوا وجاء وقت الزوال فتحو المذبح فتدخل الناس إليه ، وقد اشتعلت فيه الشموع ويتوصل بعض القوم الى أن يعلق

النار بطَرْف الشريط الحديد فتسرى عليه فتتقد القناديل واحدا بعد واحد ، إذ من طبيعة دُخْن البَلسَان عُلُوُّو النار فيه بِسُرْعَةٍ مع أدنى ملامسة ، فيظنُّ مَنْ حضر من ذوى العقول الناقصة أن النار نزلت من السماء فأوقدت القناديل ، فالحمد لله على الإسلام .

الخامس حدّ الحُدُود ، وهو بعد الفِصح بِثمانية أيام ، يعملونه أوّل أحد بعد الفطر ، لأنّ الأحاد قبله مشغولة بالصوم ، وفيه يحدّدون الآلات وأثاث البيوت ، ومنه يأخذون في الاستعداد للعاملات والأمور الدنيويّة .

السادس التحيّل ، ويعملونه في الثالث عشر من مسرى من شهر القبط ، وآخر السابغ والعشرون منها . يقولون : إنّ المسيح عليه السلام تحيّل لتلاميذه بعد أن رفع في هذا اليوم ، وتغنّوا عليه أن يُحضّر لهم إيليا وموسى عليهما السلام ، فأحضرهما لهم بمصلّ بيت المقدس ثم صبيحاً وصبيحاً .

السابع عيد الصليب ، وهو في السابع عشر من نوت من شهر القبط ، والنصارى يقولون ، إنّ قُسطنطين بن هيلاني انتقل عن اعتقاد اليونان الى اعتقاد النصرانية ، وبني كنيسة قُسطنطينية العظمى ومائركائس الشام ، يزعمون أن سبب ذلك أنه كان مجاوراً للبرجان<sup>(١)</sup> فضاق بهم كثرة ظاراتهم على بلاده فهم أن يصانهم ويُقرض لهم عليه إتاوة في كلّ عام ليكفّوا عنه ، فرأى ليلة في المنام أن ملائكة نزلت من السماء ، ومعها أعلام عليها صلبان فخربت البرجان فانهزموا ، فلما أصبح عمل أعلاما وصوّر فيها صلبانا ثم قاتل بها البرجان فهزّمهم ، فسأل من كان في بلده من التجّار هل يعرفون فيما طافوه من البلاد دينا هذا زيّه ؟ فقالوا له : دينُ النصرانية ، وإنه في بلد القدس وإنجيل من أرض الشام . فأمر أهل مملكته بالرجوع عن دينهم اليه ، وأن يُقبضوا شعورهم ويحلقوا لحاهم . وإنما فعل ذلك لأنهم يزعمون

(١) البرجان : جنس من الرزم (قاموس) .

أَن رُسُلَ عيسى عليه السلام كانوا قد وَرَدُوا على اليونان قَبْلُ بأمرِهمم بالتعبُدِ بدينِ النصرانية فأعرضوا عنهم ومَثَلُوا بهم هذه المَثَلَةَ نَكَالًا لهم ففعلوا ذلك تَأْسِيًا بهم .  
ولما تَبَصَّرَ قسطنطين خرجت أُمُّه هيلاني إلى الشام فبنت به الكائِسَ ، وسارت إلى بيت المقدس وطلبت الخشبة التي زعمتِ النصارى أَنَّ المسيح صُلب عليها فحملت إليها ففَشَّتها بالذهب ، واتخذت ذلك اليوم عيدًا .

وسمَّيَتِ الكلام على ذلك مَقْصَلًا في ترجمة قُسْطَنْطِين في خاتمة الكتاب عند ذكر الملوك الذين استولوا على الديار المصرية ، وفيما ذكرنا هنا مَقْنَعُ والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقد صار من أعيادهم المشهورة بالديار المصرية النيروز؛ وهو أول يوم من سِتِّهم ، وإن لفظة النيروز فارسية معربة ، وكان القبط والله أعلم اتخذوا ذلك على طريقة الفُرس واستماروا اسمه منهم فسمُّوا اليوم الأول من سِتِّهم أيضًا نيروزًا وجعلوه عيدًا .

قال في "منهاج الفكر" وهم يظهرون فيه من الفرح والسُرور ، وإيقاد النيران ، وصَبَّ الأمواه أضغاف ما يفعله الفُرس ؛ ويشاركهم فيه العوام من المسلمين .

قال المسعودي : وأهل الشام يعملون مثل ذلك في أول سِتِّهم أيضًا ، وهو أول يوم من ينير من شهور الروم ويوافقهُ كانون الثاني ، وهو الشهر الرابع من شهور السُّريان ؛ وذلك في السادس من طوبة من شهور القبط ، ويسمونه القانداس ، إلا أن أهل مِصْرَ يزيدون فيه التَّصَانُعَ بالإنطاع ، وربما حملهم تركُّ الاحتشام على أن يتجبرُّوا على الرجل المُطَاع ؛ ولولا أنَّ ولاة الأمر يَدْعُونهم ويمنعونهم من ذلك ، لمنعوا الطريق من السالك ؛ وهم مع ذلك مَنْ ظَفِرُوا به لا يتركونه إلا بما يُرضيهم .  
والذي استقرَّ عليه الحال بالديار المصرية إلى آخر سنة إحدى وتسعين وسبعائة أنهم

يقتصرون على رَشِّ الأمواه والتَّصانُفِ، وترك الاحتشام دون إيقاد النيران، إلا من يفعل ذلك من النصارى في بيته أو خاصَّته .

ولهم أعياد ومواسم سوى ما تقدَّم، ذكرها صاحب التذكرة ونحن نذكرها على ترتيب شهور القبط، وهى :

عيد سيفورس ، وعيد متى الإنجيل ، وهما فى الثانى من توت . عيد ستمعان الحليس ؛ وهو فى الرابع من توت . عيد ماما ؛ وهو فى الخامس من توت . عيد شعبيا ؛ وهو فى السادس من توت . عيد ساويرس ؛ وهو فى السابع من توت . عيد موسى النبى عليه السلام ؛ وهو فى الثامن من توت . عيد ثوما التلميذ ؛ وهو فى التاسع من توت . وخروج نُوحٍ عليه السلام من السفينة ، ومُؤَلِّد مَرْيَمَ عليها السلام ، وهما فى العاشر من توت . عيد باسيليوس ، وهو فى الحادى عشر من توت . عيد ميخائيل ، وصوم جدليا ؛ وهما فى الثالث عشر من توت . عيد سمعان الحليس ، وعيد تادرس الشهيد ؛ وهما فى الرابع عشر من توت . عيد اسفانوس ؛ وهو فى السادس عشر من توت . وصوم كبور ؛ وهو فى العشرين من توت . ونياحه أبى جرج ؛ وهى فى الثانى والعشرين من توت . عيد أولاد الفرس ؛ وهو فى الثالث والعشرين من توت . عيد أليصابات ؛ وهو فى السادس والعشرين من توت . عيد اسطانوا ، وانتقال يوحنا ؛ وهما فى السابع والعشرين من توت . عيد اجريوفون ؛ وهو فى أوّل بابَه . عيد سومنان ؛ وهو فى الثانى من بابَه . عيد يعقوب بن حلفاء ؛ وهو فى الخامس من بابَه . عيد أبو بولا ؛ وهو فى السابع من بابَه . عيد ثوما ؛ وهو فى الثامن من بابَه . عيد أبى مسرجة ؛ وهو فى العاشر من بابَه . عيد يعقوب ؛ وهو فى الحادى عشر من بابَه . وشهادة متى ؛ وهى فى الثانى عشر من بابَه . عيد القُرأت ؛ وهو فى الثالث عشر من بابَه .



وشهادة يوحنا ؛ وهي في العشرين من بابه ، وتذكر السيدة ؛ وهو في الحادى والعشرين من بابه . عيد لوقا ؛ وهو في الثانى والعشرين من بابه . عيد أبى جرج ؛ وهو في الثالث والعشرين من بابه . ودخول السيدة الهيكل ؛ وهو في الحادى والعشرين من بابه . عيد يعقوب ويوسف ؛ وهو في السادس والعشرين من بابه . عيد أبى مقار ، وهو في السابع والعشرين من بابه . عيد مرقس ؛ وهو في آخر يوم من بابه . عيد بطرس البطريرك ؛ وهو في أول يوم من هاتور ، عيد زكريا ؛ وهو في الرابع من هاتور . واجتماع التلاميذ ؛ وهو في السادس من هاتور . وتكريز أبى جرج ؛ وهو في السابع من هاتور . وعيد الأربع حيوانات ؛ وهو في الثامن من هاتور . وتذكر الثلاثمائة وثمانية عشر ؛ وهو في التاسع من هاتور . ونبأحة إسماعق ؛ وهو في العاشر من هاتور . عيد ميكايل ؛ وهو في الثانى عشر من هاتور . وشهادة أبى مينا ؛ وهو في الخامس عشر من هاتور . عيد فيلبس الرسول ؛ وهو في التاسع عشر من هاتور . عيد أساسياس ؛ وهو في العشرين من هاتور . عيد شمعون ؛ وهو في الحادى والعشرين من هاتور . تذكر الشهداء ، وهو في الثانى والعشرين من هاتور . عيد مرقوريوس ؛ وهو في الرابع والعشرين من هاتور . عيد أبى مقورة ؛ وهو في الخامس والعشرين من هاتور . عيد ادفيانيوس ؛ وهو في السادس والعشرين من هاتور . عيد يعقوب الملقط ؛ وهو في السابع والعشرين من هاتور . عيد ياهور ؛ وهو في الثانى من كيهك . عيد اندراس ؛ وهو في الرابع من كيهك . عيد سيورس ؛ وهو في الخامس من كيهك . عيد بزاره ، وهو في السابع من كيهك . عيد أيامين ؛ وهو في الثامن من كيهك . عيد مارى ثولا ؛ وهو في العاشر من كيهك . عيد سمعان ؛ وهو في الرابع عشر من كيهك ونبأحة يوحنا ؛ وهي في السادس عشر من كيهك ؛ وصوم الميلاد ؛ وهو

في الثالث والعشرين من كيهك . وقتل الأطفال ؛ وهو في الثالث من طوبه . عيد  
يُوحنا الإنجيلي ؛ وهو في الرابع من طوبه . وعيد توما ؛ وهو في السابع من طوبه .  
عيد إيلقان ؛ وهو في الثامن من طوبه . عيد إبراهيم ؛ وهو في التاسع من طوبه .  
وصوم الفطاس ؛ وأوله العاشر من طوبه . وصوم العذاري ؛ وهو في الثالث عشر  
من طوبه . عيد ملسوس ؛ وهو في الرابع عشر من طوبه . عيد غاريوس ، وهو  
في الخامس عشر من طوبه . عيد قيلانوس ؛ وهو في السادس عشر من طوبه .  
عيد يوحنا ؛ وهو في التاسع عشر من طوبه . ونزول الإنجيل ، وتذكار السيدة ؛ وهما  
في العشرين من طوبه . وصوم نينوى ؛ وهو في الحادي والعشرين من طوبه . ومقتل  
يحيى ؛ وهو في الرابع والعشرين من طوبه . عيد أبي بشارة ؛ وهو في الخامس والعشرين  
من طوبه . عيد الشهداء ؛ وهو في السادس والعشرين من طوبه . عيد  
طيطرس الرسول ؛ وهو في السابع والعشرين من طوبه ؛ وآخر نياحة تقولا ؛  
وهو في اليوم الآخر من طوبه . عيد العذاري ، وعيد يهوذا ؛ وهما في الأول من  
أمشير . عيد مقار ؛ وهو في الثاني من أمشير . نياحة تيادرس ؛ وهو في السادس  
من أمشير . نياحة برصوما ؛ وهو في التاسع من أمشير . عيد بيطن ، وشهادة  
يعقوب ؛ وهما في العاشر من أمشير . عيد أبي مسرجة ؛ وهو في الرابع عشر من أمشير .  
عيد قلائوس ؛ وهو في السادس عشر من أمشير . عيد يعقوب الرسول ؛ وهو  
في السابع عشر من أمشير ، عيد بطرس الشهيد ؛ وهو في التاسع عشر من أمشير .  
ونزول السيدة من الجبل ؛ وهو في الحادي والعشرين من أمشير . وشهادة سدرس ؛  
وهو في السادس والعشرين من أمشير . ووجود رأس يوحنا ؛ وهو في اليوم الآخر من  
أمشير . عيد الجلبانة ؛ وهو في الثالث من شهر برمها . عيد أرمانوس ؛ وهو  
في السابع من برمها . عيد المعمودة ؛ وهو في التاسع من برمها . وظهور

الصليب ؛ وهو فى العاشر من برمهات . عيد أبى مينا ؛ وهو فى الحادى عشر من برمهات . عيد ميلانى ؛ وهو فى الثانى عشر من برمهات . عيد إلياس الشهيد ؛ وهو فى السابع عشر من برمهات . ونياحه بولص ؛ وهى فى الثانى والعشرين من برمهات . عيد العازر ؛ وهو فى الثالث والعشرين من برمهات . عيد الشعانين ؛ وهو فى الرابع والعشرين من برمهات . عيد المرسونه ، وهو فى الخامس والعشرين من برمهات . وغسل الأرجل ؛ وهو فى الثامن والعشرين من برمهات . وجمعة الصلבות ؛ وهو فى التاسع والعشرين من برمهات . عيد مرقص الإنجيلي ؛ وهو فى اليوم الآخر من برمهات . عيد توما البطرك ؛ وهو فى الثانى من برموده . عيد حزقيال العجيب ؛ وهو فى الخامس من برموده . عيد مرقص ؛ وهو فى السابع من برموده . والأخذ بالجديد ؛ وهو فى الثامن من برموده . عيد يوحنا الأسقف ؛ وهو فى الحادى عشر من برموده . عيد جرجس ؛ وهو فى الثالث عشر من برموده . عيد أبى متى ؛ وهو فى السادس عشر من برموده . عيد يعقوب ، عيد سنوطه ، وهما فى التاسع عشر من برموده . وذكران الشهداء ؛ وهو فى الحادى والعشرين من برموده . عيد ساويرس ؛ وهو فى السادس والعشرين من برموده . عيد أبى نبطس ؛ وهو فى السابع والعشرين من برموده . عيد أصحاب الكهف ؛ وهو فى التاسع والعشرين من برموده . عيد مرقص الإنجيلي ، وهو فى اليوم الآخر من برموده . عيد تيارس ؛ وهو فى الثانى من بشنس . عيد شمعون ؛ وهو فى الثالث من بشنس . عيد الخندس ؛ وهو فى الرابع من بشنس . ونياحه يعقوب ؛ وهو فى السابع من بشنس . عيد دفرى سوه ؛ وهو فى السادس من بشنس . عيد أساسياس ؛ وهو فى السابع من بشنس . وصعود المسيح عندهم فى الثامن من بشنس . عيد دير القصر ؛ وهو فى الحادى والعشرين من بشنس . ونزول السيد الى مصر ؛ وهو فى الرابع والعشرين

من بشنس . عيد سوس ؛ وهو في الخامس والعشرين من بشنس . عيد توما  
التاميد ؛ وهو في السادس والعشرين من بشنس . عيد سمعون المجاس ؛ وهو  
في السابع والعشرين من بشنس . عيد طيارس ؛ وهو في التاسع والعشرين من  
بشنس . عيد الورد بالشا ؛ وهو في اليوم الآخر من بشنس . عيد أبي مقار ؛ وهو  
في الثاني من بشنة . ووجود عظام لوقا ؛ وهو في الثالث من بشنة . عيد توما ،  
وعيد مامور ؛ وهما في الرابع من بشنة . عيد يوحنا ، وزول صحف ابراهيم  
( عليه السلام ) ؛ وهما في التاسع من بشنة . عيد أبي مينا ؛ وهو في الخامس عشر  
من بشنة . عيد أبي مقار ؛ وهو في السادس عشر من بشنة . عيد السيدة ؛ وهو  
في الحادي والعشرين من بشنة . عيد اتريب ؛ وهو في الثالث والعشرين من بشنة .  
عيد أبي مينا ؛ وهو في ... (١) ... والعشرين من بشنة ؛ وتذكّر تبادرس ؛ وهو  
في أول أيب . ونياحة بولص ؛ وهو في الثاني من أيب والثالث منه أيضا . وعيد  
المنية ؛ وعيد القيصرية ؛ وهما في الخامس من أيب . وعيد أبي سنوية ؛ وهو  
في السابع من أيب . وعيد اسنباط ؛ وهو في الثامن من أيب . وشهادة هارون ؛  
وعيد سمعان ؛ وهما في التاسع من أيب . وعيد تادرس نظيره ؛ وهو في العاشر من  
أيب . وعيد أبي هور ؛ وهو في الثاني عشر من أيب . وعيد أبي مقار ؛ وهو  
في الرابع عشر من أيب . وعيد اقدام السرياني ؛ وهو في الخامس عشر من أيب .  
وعيد يوحنا وذكريا ؛ وهو في السادس عشر من أيب . وعيد يعقوب التاميد ؛  
وهو في السابع عشر من أيب . وعيد بولاق ؛ وهو في التاسع عشر من أيب .  
وعيد تادرس الشهيد ؛ وهو في العشرين من أيب . وعيد السيدة ؛ وعيد ميخائيل ؛  
وهما في الحادي والعشرين من أيب . وعيد سمعان البطرك ؛ وعيد شوده ؛ وهما

في الثالث والعشرين من أيب . وعيد سمند ؛ وهو في الرابع والعشرين من أيب .  
وعيد مرقوريوس ، وهو في الخامس والعشرين من أيب . وعيد حزقيال النبي  
عليه السلام ؛ وهو في السابع والعشرين من أيب . ورفعة إدريس عليه السلام ،  
وعيد مريم ؛ وهما في الثامن والعشرين من أيب . وكرم السيد ؛ وهو في اليوم  
الآخر من أيب . وعيد الخندق ؛ وهو في اليوم الأول من مسرى . وعيد أبي مينا ؛  
وهو في اليوم الثاني من مسرى . وعيد سمعان المعمودى ؛ وهو في الثالث من  
مسرى . ودخول نوح السفينة ؛ وهو في الثامن من مسرى . وعيد طور سيناء ، وعيد  
السيدة ، وهما في التاسع من مسرى . وعيد اللباس ؛ وهو في العاشر من مسرى .  
وشهادة أنطونيوس ، وعيد العدوية ، وهو في الخامس عشر من مسرى . وعيد  
يعقوب الشهيد ، وهو في السابع عشر من مسرى . وعيد أبي مقار ؛ وهو في الثامن عشر  
من مسرى . وعيد اليسع ؛ وهو في التاسع عشر من مسرى . وعيد أصحاب الكهف ؛  
وهو في العشرين من مسرى . وصوم الأربعين ؛ وهو في الحادى والعشرين من  
مسرى . وعيد الخوذة بدمشق ؛ وهو في الثالث والعشرين من مسرى . وعيد  
صوفيل ؛ وهو في السادس والعشرين من مسرى . وعيد إبراهيم وإسحاق ، وهو  
في الثامن والعشرين من مسرى . وعيد موسى الشهيد ؛ وشهادة يوحنا ، وهو  
في اليوم الآخر من مسرى .

## الجملة الرابعة

فى أعياد اليهود، وهى على ضربين

## الضرب الأول

ما نطقت به التوراة بزعمهم، وهى خمسة أعياد

العيد الأول — رأس السنة، يعملونه عند رأس سنتهم ويسمونه عيد رأس هيشا أى عيد رأس الشهر، وهو أول يوم من تشرى يتنزل عندهم منزلة عيد الأضحى عندها، ويقولون: إن الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام بذبح إسماعيل ابنه فيه وفداه يذبح عظيم .

العيد الثانى — عيد صوماريا ويسمونه الكبور، وهو عندهم الصوم العظيم الذى يقولون: إن الله تعالى فرض عليهم صومه، ومن لم يضمه قُتل عندهم. ومدة هذا الصوم خمس وعشرون ساعة يُبدأ فيها قبل غروب الشمس فى اليوم التاسع من شهر تشرى، وتنتهى بمضى ساعة بعد غروبها فى اليوم العاشر، وربما سمّوه العاشر . ويُستترط فيه لجواز الإفطار عندهم رؤية ثلاثة كواكب عند الإفطار. وهى عندهم تمام الأربعين الثالثة التى صامها موسى عليه السلام . ولا يجوز أن يقع هذا الصوم عندهم فى يوم الأحد، ولا فى يوم الثلاثاء، ولا فى يوم الجمعة، ويزعمون أن الله يَغفر لهم فيه جميع ذنوبهم ما خلا الزنا بالمحصنة، وظلم الرجل أخاه، وجمده ربوبية الله تعالى .

العيد الثالث — عيد المِظْلَّة، وهو سبعة أيام أولها الخامس عشر من تشرى. وكلها أعياد عندهم، واليوم الآخر منها يسمى عرايا أى شجر الخلاف، وهو أيضا حج لهم، يحلسون فى هذه الأيام تحت ظلال من جريد النخل وأغصان الزيتون

والخلاف، وسائر الشجر الذى لا ينتشر ورقه على الأرض، ويرعون أن ذلك تذكار منهم لإظلال الله إياهم فى التيه بالغمام .

العيد الرابع — عيد الفطير ويسمونه الفصح، ويكون فى الخامس عشر من نيسان، وهو سبعة أيام أيضا، يأكلون فيها الفطير، وينظفون بيوتهم فيها من خبز الخبز لأن هذه الأيام عندهم هى الأيام التى خلص الله فيها بنى إسرائيل من يد فرعون وأغرقه، فخرجوا الى التيه، فجعلوا يأكلون اللحم والخبز الفطير وهم بذلك فرحون، وفى أحد هذه الأيام غرق فرعون

العيد الخامس — عيد الأسابيع، ويسمى عيد المنصورة وعيد الخطاب، ويكون بعد عيد الفطير بسبعة أسابيع، وأتخاذهم لهذا العيد فى السادس من سيوان من شهور اليهود، وهو الثالث والعشرون من شلس من شهور التيه . يقولون : إنه اليوم الذى خاطب الله فيه بنى إسرائيل من طور سيناء، وفى جملة هذا الخطاب العشر كلمات، وهى وصايا تضمنت أمرا ونهيا، وضمت التوفيق لمن حصلها حفظا ووعيا، وهو حج من مجموعهم، ومجوعهم ثلاثة : الأسابيع، والفطير، والمظلة، وهم يعظمونه، ويأكلون فيه القطائف، ويتفننون فى عملها، ويعملونها بدلا عن المن الذى أنزل الله عليهم فى هذا اليوم، ويسمى هذا العيد أيضا عشترا، ومعناه الاجتماع .

## الضرب الثانى

ما أحدثته اليهود زيادة على ما زعموا أن التوراة نطقت به، وهو عيدان العيد الأول — الفوز، وهو عندهم عيد سرور وهو خلاعة يبدى فيه بعضهم الى بعض، وهم يقولون : إن سبب اتخاذهم له أن يختصر لما أجل من كان بيت المقدس من اليهود الى عراق الحزم أسكنهم يحيى، وهى إحدى مدينتى أصقهان

ثم ذهبت أيام الكلدانيين وملكت الفرس الأولى والأخيرة، فلما ملك أردشير بن بابك وتسميه اليهود بالعبرانية أجشادوس، وكان له وزير يسمونه بلغتهم هيمون، واليهود يومئذ حبر يسرى بلغتهم مردوخاى، فبلغ أردشير أن له ابنة عم من أحسن أهل زمانها وأكملهم عقلا، فطلب تزويجها منه فأجابته لذلك، فحفظت عنده خطوة صار بها مردوخاى قريبا منه، فأراد هيمون لإسفاره واحتقاره حسدا له، وعزم على إهلاك طائفة اليهود التى فى جميع مملكة أردشير، فرتب مع ثواب الملك فى جميع الأعمال أن يقتل كل أحد منهم من يعلم من اليهود، وعين له يوما وهو النصف من آذار، وإنما خص هذا اليوم دون سائر الأيام لأن اليهود يزعمون أن موسى ولد فيه وتوفى فيه، وأراد بذلك المبالغة فى نكايتهم لينضاعف الحزن عليهم بهلاكهم وبموت موسى، فأتضح لمردوخاى ذلك من بعض بطانة هيمون، فأرسل إلى ابنة عمه يعلمها بما عزم عليه هيمون فى أمر اليهود، وسألها إعلام الملك بذلك، وحضها على أعمال الحيلة فى خلاص نفسها وخلاص قومها، فأصلحت الملك بالخال وذكرت له: إنما حملة على ذلك الحسد على قربنا منك ونصيحتنا لك، فأمر بقتل هيمون وقتل أهله، وأن يكتب لليهود بالأمان والبر والإحسان فى ذلك اليوم، فاتخذوه عيدا. واليهود يصومون قبله ثلاثة أيام، وفى هذا العيد يصومون من الورق صورة هيمون ويملئون بطنها نخالة وملتقا ويلقونها فى النار حتى تحترق، ينجذعون بذلك صهيانهم.

العيد الثانى، عيد الحنكة، وهو ثمانية أيام، يوقدون فى الليلة الأولى من لياليه على كل باب من أبوابهم مراجا، وفى الليلة الثانية سراجين، وهكذا إلى أن يكون فى الليلة الثامنة ثمانية سُرُج. وهم يذكرون أن سبب اتخاذهم لهذا العيد أن بعض الجابرة تغلب على بيت المقدس وقتل باليهود وأتصأ أبكارهم، فوشب عليه



أولاً كُفَّاهُمْ وكانوا ثمانية قتلته أصغرهم، وطلب اليهود زيتاً لوقود الهيكل فلم يجدوا إلا سيرا وزعوه على عدد ما يُوقدونه من الشرج على أبوابهم في كل ليلة إلى تمام ثمان ليالٍ فاتخذوا هذه الأيام عيداً وسموه الحنكة، ومعناه التنظيف لأنهم نظفوا فيه الهيكل من أقدار شيعة الجهار، وبعضهم يسميه الرباطي .

### الجملة الخامسة

#### في أعياد الصابئين

ومدار أعيادهم على الكواكب، وأعيادهم عند نزول الكواكب الخمسة المنتهية وهي زحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد في بيوت شرقها؛ وذلك أن من البروج ما يقوم لهذه الكواكب مقام قصر العز لللك، يشتر فيه ويعلو ويشرف؛ وفيها درجات معلومة يُنسب الشرف إليها؛ ومنها ما يتخلل فيه ويفسد حاله، ويكون ذلك أيضاً في درجات معلومة، تقابل درجات الشرف به من البرج المقابل. ويسمى ذلك هبوطاً، فزحل شرفه في إحدى وعشرين درجة من الميزان، ويهبط في مثلها من الحمل، والمشتري يشرف في خمس عشرة درجة من السرطان، ويهبط في مثلها من الجدي؛ والمريخ يشرف في ثمان عشرة درجة من الجدي، ويهبط في مثلها من السرطان، والزهرة تشرف في تسع وعشرين درجة من الحوت، ويهبط في مثلها من السنبلة؛ وعطارد شرفه في خمس عشرة درجة من السنبلة، ويهبط في مثلها من الحوت؛ وكذلك الشمس تشرف في تسع عشرة درجة من الحمل، ويهبط في مثلها من الميزان؛ والقمر يشرف في ثلاث درجات من السنبلة، ويهبط في مثلها من الحوت . وهم يعظمون اليوم الذي تنزل الشمس فيه الحمل، ويلبسون فيه أغفر ثيابهم . وهو عندهم من أعظم الأعياد . وكانت ملوكهم تبنى الهياكل وتجميل لها أعياداً بحسب الكواكب التي بنيت على اسمها فيه .

## الباب الثاني

### من المقالة الأولى

فما يحتاج اليه الكاتب من الأمور العملية وهو الخط وتوابعه ولواحقه ؛

وفيه فصلان

### الفصل الأول

في ذكر آلات الخط، ومبادئه وصوره، وأشكاله، وما يخرط في سلك ذلك ؛

وفيه ثلاثة أطراف

### الطرف الأول

في القوة وآلاتها، وفيه مقصدان

### المقصد الأول

في نفس الدواة، وفيه أربع جمل

### الجملة الأولى

في فضلها

قد أخرج ابن أبي حاتم من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "خَلَقَ اللهُ التُّونَ وَهِيَ الدَّوَاةُ" وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال : "لَمَّا خَلَقَ اللهُ التُّونَ وَهِيَ الدَّوَاةُ وَخَلَقَ الْقَلَمَ فَقَالَ أَكْتُبْ فَقَالَ وَمَا أَكْتُبُ قَالَ أَكْتُبْ مَا هُوَ كَاتِبٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" . وهذا الخبر والأثر دالان على أن المراد بالنون في الآية هو الدواة، وإن فسره بعضهم بغير ذلك . إذ الدواة هي المناسبة في الذكر لذكر القلم وتسطير الكتابة في قوله تعالى :

﴿نَبِّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ . وبالجملة فإن الدواء هي أم آلات الكتابة، وسميها الجامع لها . ولا يخفى ما يجب من الاهتمام بأمرها، والاحتفال بشأنها؛ فقد قال عبد الله بن المبارك : مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ بِغَيْرِ حِجْرَةٍ وَأَدَاةٍ فَقَدْ عَزَمَ عَلَى الصَّدَقَةِ . قال المناخي : يعني بالأداة مثل السكين والمِقَامَةِ؛ وأشباههما . قال محمد بن شعيب ابن ساهور : مثل الكاتب بغير دَوَاةٍ كَتَلَ مَنْ يَسِيرُ إِلَى الْمِجْمَاءِ بِغَيْرِ سِلَاحٍ .

### الجملة الثانية

#### في أصلها في اللغة

قال أبو القاسم بن عبد العزيز : تقول العرب : دَوَاةٌ ودَوَاتٌ في أدنى العدد؛ وفي الكثير دَوِيٌّ ودَوِيٌّ (بضم الدال وكسرهما) ويقال أيضا دَوَاءٌ، ودَوَاءٌ (بضم الدال وكسرهما) ودَوَايَا مثل حَوَايَا؛ وأدويت دَوَاةٌ أى اتخذت دَوَاةً، ورَجُلٌ دَوَاءٌ (بفتح الدال وتشديد الواو) إذا كان يبيعها، كقولك عَطَّارٌ وَبَرَّازٌ .

### الجملة الثالثة

فَمَا يَبْنِي أَنْ تَتَّخِذَ مِنْهُ، وَمَا تَحْلِي بِهِ

أما ما تتخذ منه فببني أن تتخذ من أجود العبدان وأرفعها ثمنا كالأبنوس، والسَّاسِمِ، والصَّنَدَلِ، وهذا اعتماد منه على ما كان يعتاده أهلُ زمانه، ويتعانه أهلُ عصره .

قلت : وقد غلب على الحُكَّابِ في زماننا من أهل الإنشاء والحُكَّابِ الأموال اتخذوا الدُّوِيَّ من النحاس الأصفر، والفولاذ، وتقاتلوا في أثمانها وبأثوا في تحسينها . والنحاس أكثر استعمالا، والفولاذ أقل لعزته وقساوته، واختصاصه بأعلى درجات الرئاسة كالوزارة وما ضاهها .

وأما دُوى الخشب فقد رُفِضَتْ وتركْت إلا الآيتوس والصنْدل الأحمر، فإنه يتعانه في زماننا قضاءَ الحكم وموقعهم وبعض شهود الدواوين .

وأما التحلية، فقال الحسن بن وهب : سبيل الدواة أن يكون عليها من الحلية أخف ما يكون ويمكن أن يُحْتَلَى به الدُوى، في وثاقَةٍ ولُطْفٍ، ليأمن من أن تنكسر أو تنقِص في مجلسه، قال : وحق الحلية أن تكون ساذجةً بغير حُفَرٍ ولا ثَنِيَّات فيها ليأمن من مساعة القذى والدَّئس إليها، ولا يكون عليها نقشٌ ولا صورة .  
وحق هذه الحلية مع ما ذكره ابن وهب أن تكون من النحاس ونحوه دون الفضة والذهب . عل أن بعض الكُتَّاب في زماننا قد اعتاد التحلية بالفضة، ولا يخفى أن حكم ذلك حكم الضربة في الإثناء فتحرم مع الكِبَر والزينة، وتكره مع الصغر والزينة والكِبَر والحاجة، ويتباح مع الصغر والحاجة من كَثِيرٍ ونحوه، كما قرره أصحابنا الشافعية رحمهم الله، فم يحرم التكفيت بالذهب والفضة، وكذلك التوييه إذا كان يحصل منه بالعرض على الناسى، والله أعلم .

### الجملة الرابعة

في قدرها وصفها

قال الحسن بن وهب : سبيل الدواة أن تكون متوسطة في قدرها، لا بالقصيرة فتقصُر أعلامها وتُجْبَح، ولا بالكثيفة فيثقل تَحْمَلُهَا وتُجْبَف . فلا بد لصاحبها أن يحملها ويضعها بين يدي ملكه أو أميره في أوقات مخصوصة، ولا يحسن أن يتولى ذلك غيره . قال الفضل : ويكون طولها بمقدار عظم الذراع أو فَوْقَ ذلك قليلاً لتكون مناسبة لمقدار القلم . قلت : وقد اختلفت مقاصد أهل الزمان في هيئة الدواة : من التدوير والتربيع . فأما كُتَّاب الإنشاء فإنهم يتخذونها مستطيلة مدقوقة

الرأسين، لطيفة القد، طلبا للحققة، ولأنهم إنما يتمانون في كتابتهم الدرّج، وهو غير لائق بالدواء في الجملة. على أن الصغير من الدرّج لا يأبى جملة في الدواء المدقورة. وأما كتاب الأموال، فإنهم يتخذونها مستطيلة مربعة الزوايا، ليجعلوا في باطن غطائها ما استخفوه مما يحتاجون إليه من ورق الحساب الديواني المناسب لهذه الدواء في القلع. وعلى هذا النموذج يتخذ فضة الحكم وموقعهم ذويهم، إلا أنها في الغالب تكون من الخشب كما تقدم.

واعلم أنه ينبغي للكاتب أن يجهز في تحسين الدواء وتجويدها وصونها. وفيه المدائح حيث يقول :

جود دَوَاتِكَ واجتهد في صَوْنِهَا • إِنَّ الدُّيُورَ نَزَائِلُ الْآدَابِ

وأهدى أبو الطيّب عبد الرحمن بن أحمد بن زيد بن الفرج الكاتب إلى صديق له دواء ابنوس مُحَلَّاةً وكتب معها :

لَمْ أَرِ سَوْدَاءَ قَبْلَهَا مَلَكَتْ • نَوَاطِرَ الْخَلْقِ وَالْقُلُوبِ مَمَّا  
لَا الطُّولُ أَزْرَى بِهَا وَلَا قِصَرٌ • لَكِنْ أَنْتَ لِلْوُصُولِ بِجَمْعَا  
فَوْقَكَ جُنْحٌ مِنَ الظَّلَامِ بِهَا • وَبَارِقٌ بِائْتِلَافِهَا لَمَعَا  
خُذْهَا لِذُرِّهَا سَتَظْلِمُهُ • يَرَوْقُ فِي الْحُسْنِ كُلِّ مَنْ سِيمَا

أما المحبرة المفردة عن الدواء فقد اختلف الناس فيها، فمنهم من رجعها ومالوا إلى اتخاذها خيطة محلها، وقالوا : بها يكتب القرآن والحديث والعلم. وكرهها بعضهم واستفحبها من حيث إنها آلة النسخ الذي هو من أشد الحرف وأتمها، وأقلها مكسبا.

ويروى أن شعبة رأى في يد رجل محبرة، فقال : أرم بها فإنها ممشومة لا يبق معها أهل ولا ولد، ولا أم ولا أب.

## الطرف الثاني

في الآلات التي تشتمل عليها الدواة، وهي سبع عشرة آلة،

أول كل آلة منها ميم

الآلة الأولى - الميزبر (بكسر الميم)، وهو القلم أخذ له من قوالم زبرت الكتاب إذا انقست كتابته، ومنه سميت الكُتُبُ زُبْرًا كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَبِيٍّ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ وفي حديث أبي بكر أنه دعا في مرضه بدواة وميزبر أي قلم. وفيه جملتان.

## الجملة الأولى

في فضله

عن الوليد بن حباد بن الصامت رضى الله عنه قال : دمانى أبى حين حضره الموت فقال : إني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ ، فقال : اكْتُبْ ، قال : ياربِّ وما اَكْتُبُ ؟ قال : اكتبِ القَدَرَ وما هو كائنٌ الى الأبدِ" رواه أحمد وأبو داود والترمذى ، وقال : حسن غريب ، وابن أبى حاتم واللفظ له . وعن ابن عباس رضى الله عنهما يرفعه "إن أول ما خلق الله القلم والحوت ، فقال له اكتبْ ، فقال : ياربِّ وما اَكْتُبُ ؟ قال : اكتبْ كُلَّ شَيْءٍ كائنٌ الى يوم القيامة" ثم قرأ ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾ رواه الطبرانى ووقفه ابن جرير على ابن عباس . وفي رواية قال ابن عباس : "أول ما خلق الله القلم ، قال : اكتبْ ، قال : وما اَكْتُبُ ؟ قال : اكتبِ القَدَرَ ، بخرى بما يكون من ذلك اليوم الى يوم قيام الساعة ، ثم خلق النون ورفع بُحَارَ المَاءِ ، ففتَقَتْ منه السماءُ وبُسِطَتِ الأرضُ على ظهر النون ، فاضطرب النون ، فنادتِ الأرضُ ، فأُثْبِتْنِي بِالْجِبَالِ ، فانها لَتَحْجَرَ على الأرض لأنها أثبتت عليها" رواه ابن جرير وابن أبى حاتم .

وروى محمد بن عمر المدائني بسنده الى مجاهد "إن أول ما خلق الله اليراع، ثم خلق من اليراع القلم، فقال له : اكتب، قال : ما اكتب ؟ قال : ما هو كائن، قال : فزبر القلم بما هو كائن الى يوم القيامة". وانخرج بسنده الى ابن عباس، قال : "أول ما خلق الله اليراع : وهو القصب المثقّب، فقال : اكتب قضائي في خلقي الى يوم القيامة". ويروى أنه لما خلقه الله تعالى نظر اليه فاشتق بنصفين، ثم قال : اجز قال : يارب بما أجرى ؟ قال : بما هو كائن الى يوم القيامة ، فخرى على اللوح المحفوظ بذلك، وكان منه ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾. ويروى أن خلقه قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة .

واعلم أن القلم أشرف آلات الكتابة وأعلها وتبة، إذ هو المباشر للكتابة دون غيره، وعبره من آلات الكتابة كالأعوان، وقد قال الله تعالى : ﴿بِأَنبَاءِ مَا يُنصِتُونَ﴾ فاقسم به، وذلك في غاية الشرف . وفيه أبو الفتح البستي حيث يقول :

إذا أقسم الأبطال يوماً بسيفهم • وعدوه مما يكسب المجد والكرم  
كفى قلم الكتاب عزاً ورفعة • مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

وقال تعالى : ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ فاضاف التعليم بالقلم الى نفسه . قال ابن الهيثم : من جلالة القلم أن الله عز وجل لم يكتب كتاباً إلا به، لذلك أقسم به . قال المدائني : وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مَنْ قَلَّمَ قَلَمًا يَكْتُبُ بِهِ عِلْمًا أَعْطَاهُ اللَّهُ شَجَرَةً فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » . وقد قيل الأقلام مطايا الفطن، ورُسل الكرم . وقال عبد الحميد : القلم شجرة ثمرها الألفاظ، والفكر بحر ثلثه الحكمة ، وفيه رى المقول الكامنة . وقال جبل بن يزيد : القلم لسان البصر يناجيه بما ستر عن الأسماع . وقال ابن المقفع : القلم يريد العلم يمت

(١١) على البصر، ويبحث عن خفي النظر؛ وقال أحمد بن يوسف : ما عبرت الفوائى  
في حُدودهن بأحسن من عبرات الأقلام . وقيل : القلم الطلم الأكر . وقيل :  
البيان اثنان : بيان لسان، وبيان بَنَانٍ ؛ ومن فضل بيان البَنَان أن ما تنتهه الأقلام  
بقي على الأبد، وما يتيسرُ اللسان تدرسه الأيام . ويقال : عقول الرجال تحت أسنة  
أقلامها ، بنوه الأقلام يصوب غيبُ الحكمة . وقال جعفر بن يحيى : لم أربأ بكما  
أحسن تبشراً من القلم .

قال ابن المعتز : القلم مجهز بجيوش الكلام ، تتقدمه الإرادة ، ولا يمل من  
الاسترداد ، كأنه يُقبل بساط سلطان ، أو يفتح نور بستان .

ومن إنشاء الوزير ضياء الدين بن الأثير الجزري ، من جواب كتبه للعاد  
الأصقهانى : وكيف لا يكون ذلك ، وقلبها هو اليراع الذى نفتت الفصاحة  
في روعه ، وكنّت الشجاعة بين ضلوعه ، فإذا قال أراك كيف تُنسّق الفرائد  
في الأجياد .

ومن كلام أبي حفص بن برد الأندلسي : ما أعجب شأن القلم ! يشرب طُلمةً ،  
ويُلفظ نوراً ؛ قد يكون قلم الكاتب ، أمضى من شِبةِ المحارب ؛ القلم سهم يُفقد  
المقاتل ، وشفرةٌ تطيح بها المفاصل . ومن كلام العميد : عمر بن عثمان الكاتب : قلم  
يُطلق الآجال والأرزاق ، وينثت السم والدرياق ؛ قلم يَدِق عن الإدراك حركاته ،  
وتحلى بالنفاس فتكاته ؛ يُسرِع ولا انحدر السيل الى قراره ، واتقدح الضوء من  
شراره ، معطوفة الغايات على المبادئ ، مصروفة الأعجاز إلى الهوادي ؛ وإذا صال  
أراك كيف اختلاف الرماح بين الآساد . وله خصائص أخرى يبدعها إبداعاً ، فإذا



لم يأت بها غيره تطبعا أتى بها هو طبعاً، فطَوَّراً يرى إماماً يُلقَى درسا، وطَوَّراً يرى ماشطة تجلو عرساً؛ وطورا يرى ورقاً تصدح في الأوراق، وطورا يرى جواداً تحلقاً بخلق السباق؛ وطورا أفسوانا مطرقاً، والمعجب أنه لا يزهو إلا عند الإطراق! ولظالمنا نفث سحراً، وجلب عطرأ، وأدار في القِرطاس سحراً، وتصرف في صنوف الفناء فكان في الفتح عُمراً، وفي الهدي عماراً، وفي الكيد عَمراً، فلا تحظى به دولة إلا نفرت على الدول، واستغنت عن الخليل والخلول .

وقال الإسكندر : لولا القلم ما قامت الدنيا، ولا استقامت المملكة . وكل شيء تحت القلم واللسان لأنها الحاكمان على كل شيء، والقلم يريجهما صورتين، ويوجد كهُما شكلين .

وقال بعض حكماء اليونان : أمور الدنيا تحت شيئين : السيف والقلم، والسيف تحت القلم . وقال آخر : فاقته صنعة القلم عند سائر الأُمم جمع الحكم في صهيون الكتب . وقال المتأبى : بكاء القلم تبسم الكتب . وقال البُحتري : الأقلام مطايا الفطن . وقال أبو دُلف العجلي : القلم صائغ الكلام، يفرغ ما يجمعه الفكر، ويصوغ ما يسبكه اللب . وقال سهل بن هارون : القلم أنف الضمير، إذا رُفعت أعلن أسراره، وأبان آثاره . وقال ثمامة : ما أثرته الأقلام لم تطمع في دَرَسه الأيام، وقال هشام بن الحكم : أحسن الصنيع صنع القلم والخط الذي هو جنى العقول . وقال علي بن منصور : بنور القلم تُضيء الحكمة . وقال الجاحظ : من عرف النعمة في بيان اللسان كان بفضل النعمة في بيان القلم أعرف . وقال غيره : بالقلم تُزف بنات العقول الى خُدور الكتب . وقال المأمون : لله در القلم كيف يحولك وتنفى المملكة . وقال بعض الأعراب : القلم ينهض بما يطلع به لسان، ويبلغ مالا يبلغه البيان . وقال بعضهم : القلم يمسح للكتب ألسنا ناطقة، وأعيننا ملاحظة؛

وربما ضمنها من ودائع القلوب مالا تبوح به الإخوان عند المشاهدة . وقال أوميرس الحكيم : أخطئ شيء أظهره العقل بواسطة سن القلم ، فلما قابل النفس نيشقته بالعنصر . وقال مرطس الحكيم : أخطئ بالقلم ينشئ الحكمة . وقال جالينوس : القلم الطلسم الأكبر . وقال بقراط : القلم على إيقاع الوتر ، والمهنة المعطقة مقدمة على المهنة الطبيعية . وقال بليثاس : القلم طبيب المنطق . قال أرسطاطاليس : القلم العلة الفاعلة ، والمعداد العلة الحيوانية ، وأخط العلة الصورية ، والبلاغة العلة التمامية . وقد أكثر الشعراء القول في شرف القلم وفضله .

فمن ذلك قول أبي تمام البطاني :

إن يحمي القلم السيف الذي خضعت له الرقاب وذلت خوفه الأمم  
فألوت والموت لاشيء يغالبه • ما زال يتبع ما يجرى به القلم  
كذا قضى الله للأقلام مذبريت • أن السيوف لها مدأرهفت خدم  
وقوله : •

لك القلم الأعلى الذي يسبأه • تصاب من الأمر الكلي والمفاصل  
لناب الأفاعي القاتلات لعابه • وأرى الحق اشتارته أيد عواسل  
له ريشة ظل ولكن وقمها • يأناره في الشرق والغرب وأبل  
فيصبح إذا استنطقته وهو راكب • وأعجم إن خاطبته وهو راجل  
إذا ما امتطى المحسن اللطاف وأفرغت • عليه يشعاب الفكر وهي حوافل  
أطاعته أطراف الفنا وتقوضت • لتجواه تفويض الخيام الجفافل  
إذا استغزى النهن الجلى وأقبلت • أعاليه في القرباس وهي أسافل

وقد رَفَدَتْهُ الْخَنِيصَرَانِ وَسَدَدَتْ \* ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلَاثُ الْأَنَامِلُ  
رَأَيْتُ جَلِيلًا شَانَهُ وَهُوَ مُرْهَفٌ \* ضَنَا وَتَمِيمًا خُطْبَهُ وَهُوَ نَاحِلُ  
وَقَوْلِ أَبِي هَلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ :

أَنْظُرْ إِلَى قَلِمٍ يُنْكَسُ رَأْسُهُ \* لِيُضْمَّ بَيْنَ مُوَصَّلٍ وَمُقْصَلٍ  
تَنْظُرُ إِلَى مِخْلَافٍ لَيْثٍ ضَبِيقٍ \* وَغِرَارٍ مَسْنُونِ الْمَضَارِبِ مِقْصَلٍ  
يَتَلَوَّنَاظِرُهُ بَلَوْنٌ أَضْفَرُ \* وَمَدَامِجُ سُودٍ وَجَنِيمٌ مُتَعَلٍ  
فَالْدَرْجُ أَيْضٌ مِثْلُ خَدٍّ وَاضِحٍ \* يَتْبِيهِ أَسْوَدٌ مَكْلُ طَرْفٍ أَكْلٍ  
قَسَمَ الْعَطَايَا وَالْمَنَاسِيَا فِي الْوَرَى \* فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ فَاحْذَرِي وَأَمْلِي  
طَعْمَانِ شَوْبٍ حَلَاوَةٍ بِمِزَارَةٍ \* كَالَّذِمْ يَخْلِطُ شَهْدَهُ بِالْخَنْقَلِ  
فَإِذَا تَصَرَّفَ فِي يَدَيْكَ عِنَانُهُ \* أَلْحَقْتَ فِيهِ مَوْقِلًا بِمَوْمِلِ  
وَمِثْلًا بِمَعَزَزٍ وَلَرِيمَا \* أَلْحَقْتَ فِيهِ مَعَزَا بِمِثْلِ

وقوله :

لَكَ الْقَلَمُ الْجَارِي بِبُؤْسٍ وَأَنْعِيمٍ \* لَهَا بَوَادِرُ تُرْتَبِي وَعَوَائِدُ  
إِذَا مَلَأَ الْقِرطَاسُ سُودَ سَطْوَرِهِ \* فَتَسْلُكُ أَسْوَدُ نَسَقِي وَأَسَاوِدُ  
وَتَلُكُ جِنَازَاتُ تُجْتَنِّي ثَمَرَاتُهَا \* وَيَلْقَاكَ مِنْ أَنْفَاسِهِنَّ بَوَارِدُ  
وَهُنَّ بِرُودٍ مَا لَهْنٌ مَنَاجِيحُ \* وَهُنَّ عَقُودٌ مَا لَهْنٌ مَعَايِدُ  
وَهُنَّ حَيَاةٌ لِلْوَلِيِّ رَضِيَّةٌ \* وَهُنَّ حُنُوفٌ لِلْمَدُونِ رَوَاصِدُ

## الجملة الثانية

في اشتقاقه

وقد اختلف في ذلك ، ف قيل : سمي قلباً لاستقامته كما سميت القِدَاحُ أقلاماً في قوله تعالى : ﴿ اذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ قال بعض المفسرين تشابهاً في كفالتهما فضربوا عليها بالقِدَاح ، والقِدَاح بما يضرب بها المثل في الاستقامة ؛ وقيل : هو مأخوذ من القُلَام وهو شجيرةٌ فلما ضارعه القلم في الضعف سمي قلباً ؛ وقيل : سمي قلباً لقلم رأسه ، فقد قيل إنه لا يستوى قلباً حتى يُرى ، أما قبل ذلك فهو قَصْبَةٌ . كما لا يستوى الريح رُحاً إلا إذا كان عليه سِنَانٌ وإلا فهو قَنَاقَةٌ . ومنه قَلَامَةُ الظُّفْرِ ؛ وإلى ذلك يشير أبو الطَّيِّب الأزدى بقوله :

قَلَمٌ قَلَمٌ أَظْفَارُ الْعِدَا \* وهو كالإصبع مقبوض الظُّفْرِ  
أَثْبَتَ الْحَيَّةَ حَتَّى إِنَّهُ \* كُلَّمَا عَمَرَ فِي الْأَيْدَى قَصُرَ

وقيل لأعرابي : ما القلم ؟ فكر ساعة وقلب يده ؛ ثم قال : لا أدري ، ف قيل له : توهمه ، قال : هو عودٌ قَلَمٌ من جوانبه كتقليم الظُّفْرِ ، فسمى قلباً .

## الجملة الثالثة

في صفة

قال إبراهيم بن العباس لغلام بين يديه يعلمه الخط : ليكن قلبك صُلْباً بين الدقة والنعاط ، ولا تَبْرَهْ عند عَقْدَةٍ فإن فيه تعقيد الأمور ، ولا تكتب بقلم ملتوى ، ولا ذى شِقٍّ غير مستوى ؛ وإن أعوزك البحرى والفارسية ، واضطرتت إلى الأقلام النبطية فاحتر منها ما يميل إلى السُّمَةِ .

وقال إبراهيم بن محمد الشيباني : ينبغي للكاتب أن يتخير من أنابيب القصب أقله عُقداً ، واكتشف لحاء ، وأصلبه قشراً ، وأعدله آستواء . وقال العتابي : سألني الأصمعيُّ يوماً بدار الرشيد : أى الأنابيب للكتابة أصْلَحُ وعليها أصبر ؟ فقلت : ما نُسِفَ بالهجير ماؤه ، وستره من تلويحه غشاؤه ؛ من التبرية القشور ، والدرية الظهور ، الفضية الكسور .

وكتب علي بن الأزهر الى صديق له يستدعي منه أقلاما :

أما بعدُ ، فإننا على طول الممارسة لهذه الكتابة التي غلبت على الاسم ، ولزمت لزوم الوسم ، خلعت محل الأنساب ، وجرت مجرى الألقاب ، وجدنا الأقلام الصخرية أجري في الكواغد ، وأمرت في الجلود ، كما أن البحرية منها أسلس في القراطيس ، وألين في المعاطف ، وأشد لتصرف الخط فيها ؛ ونحن في بلد قليل القصب رديئه ، وقد أحببت أن نتقدم في اختيار أقلام صخرية ، ونتوق في اقتنائها قبلك ، وتطلبها من مظانها ومنابتها ، من شطوط الأنهار ، وأرجاء الكروم ؛ وأن نؤمن باختيارك منها الشديدة الصلبة ، النقية الجلود ، القليلة الشحوم ، الكثيرة الخوم ، الضيقة الأجواف ، الرزينة المحمل ، فإنها أبقي على الكتابة ، وأبعد من الحقاء . وأن تقصد بانتقائك الرقاق القُضبان ، المقومات المتون ، المُلس المعاقد ، الصافية القشور ، الطويلة الأنابيب ، البعيدة ما بين الكعوب ، الكريمة الجواهر ، المعتدلة القوام ، المستحكمة يُسًا ، وهي قائمة على أصولها لم تُعْجَل عن إبان ينعها ، ولم تَوْتِرْ الى الأوقات المخوفة عليها من خَصَر الشتاء ، وعَفَن الأنداء ؛ فإنها آستجملت عندك ، أمرت بقطعها

(١) في المقد القريد : نائق وهو يمتناه . قال ذو الرمة .

كان عليها نطق لفق تتوت \* به حصرمات الأكف الجواك

(٢) في المقد القريد : تيمم .

ذراعا [١١] قَطْمًا وُفِيقًا ، ثم عَبَّاتٍ مِنْهَا حُرْمًا فَيَا يَصُونَهَا مِنَ الْأَوْجِعَةِ ، وَتَكْتَسِبُ  
مَعَهُ بَعْدَتَهَا وَأَصْنَافَهَا مِنْ خَيْرِ تَأْخِيرٍ وَلَا تَوَانٍ .

وَأَهْدَى أَبْنِ الْحُرُونِ إِلَى رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِهِ الْكُتَّابِ أَقْلَامًا ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ :

لَئِنْ لَمْ يَكُنْ كَانَتْ الْكُتَّابَةُ (أَبْقَاكَ اللَّهُ) أَعْظَمَ الْأُمُورِ ، وَقِيَامَ الْخِلَافَةِ ، وَعَمُودِ  
الْمُلْكَةِ ، أَمَحْفُوكٍ مِنْ أَلْتِهَا بِمَا يَخْفِ حَمَلُهُ ، وَتَثْقُلُ قِيَمَتُهُ ، وَيَعْظُمُ نَفْعُهُ ، وَيَجِلُّ  
خَطَرُهُ ، وَهِيَ أَقْلَامٌ مِنَ الْقَصَبِ النَّابِتِ فِي الصَّخْرِ ، الَّذِي تَشِفُّ بِحَزْمِ الْحَبِيرِ فِي قَشَرِهِ  
نَائِضَةٌ وَسُتْرُهُ مِنْ تَلَوِيحِهِ خَشَائِهُ ، وَهِيَ كَاللَّائِكِ الْمَكْنُونَةِ فِي الصَّدْفِ ، وَالْأَنْوَارِ الْمَحْجُوبَةِ  
فِي السَّنَدِ ، تَبْرِيءُ الْفُشُورِ ، دُرِّيَّةُ الظُّهُورِ ، فَضِيَّةُ الْكُسُورِ ، قَدْ كَسَتْهَا الطَّبِيعَةُ  
جَوْهَرًا كَالْوُثْيِ الْمُحْبَرِ ، وَرَوْنَقًا كَاللِّيْبَاجِ الْمُنِيرِ .

وَمِنْ كُتَّابٍ لِأَبِي الْخَطَّابِ الصَّبَّاحِ يَصِفُ فِيهِ أَقْلَامًا أَهْدَاهَا فِي جُمْلَةٍ أَصْنَافٍ :  
وَأَصْنَفَتْ إِلَيْهَا أَقْلَامًا سَلِيمَةً مِنَ الْمَغَايِبِ ، مُبْرَأَةً مِنَ الْمُنَالِبِ ، جَمَّةٌ مِنَ الْحَاسَنِ ، بَعِيدَةٌ  
عَنِ الْمَطَاغَنِ ، لَمْ يَرْبِهَا طَوْلٌ وَلَا قَصْرٌ ، وَلَا يَنْقُصُهَا ضَعْفٌ خَوَرٌ ، وَلَا يَشِينُهَا لِينٌ  
وَلَا رَخَاوَةٌ ، وَلَمْ يَسْبِهَا كَرَاةٌ وَلَا قَسَاوَةٌ ، وَهِيَ آخِذَةٌ بِالْفَضَائِلِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا ،  
مُسْتَوِيَّةٌ لِلْمَمَادِحِ بِسَائِرِ صِفَاتِهَا ، صُلْبَةٌ لِلْعَاجِمِ ، لَدَّةٌ لِلْمُقَاتِلِ ، مَوْفِيَةٌ الْقُدُودِ  
وَالْأَلْبَانِ ، مَحْمُودَةٌ الْمُتَغَبِّرِ وَالْمِيَّانِ ، وَقَدْ اسْتَوَى فِي الْمَلَّاسَةِ خَارِجُهَا وَدَاخِلُهَا ، وَتَنَاسَبَ  
فِي السَّلَاسَةِ عَالِيهَا وَسَافِلُهَا ، نَبَتَتْ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالظَّلِّ ، وَاخْتَلَفَ عَلَيْهَا الْحَرُّ وَالْقَرُّ ،  
فَلَفَحَتْهَا وَقَدَّانُ الْحَوَاجِرِ ، وَلَقَمَهَا سَمَائِمُ شَهْرِ نَاجِرٍ ، وَقَدَّجَهَا الشَّفَاقُ بِصَرَدِهِ ، وَقَذَفَهَا  
الْغَامُ بِرَدَدِهِ ، وَصَابَتْهَا الْأَنْوَاءُ بِصَيِّبِهَا ، وَاسْتَهَلَّتْ عَلَيْهَا السَّحَابُ بِشَأْبِهَا ، فَاسْتَمَرَّتْ

(١) الزيادة عن المقدّم القريب .

(٢) في السُّدِّ : وَوَجَّهَتْهَا مِنْ يَدَيْهِ الْأَمَانَةَ فِي حِرَاسَتِهَا وَحِفْظِهَا وَإِصْلَاحِهَا وَكَتَبَتْ الْخ .

(٣) لَعَلَّه وَافِيَةُ الْقُدُودِ ، أَيْ تَامَةٌ كَامِلَةٌ .

مراثيها على إحكام ، واستحصدهم <sup>(١)</sup> بجمعها بالإبرام ، جاءت شئ الشيات ، متغايرة الهيئات ، متباينة الحال والبُلبان ، تختلف بقادة ديارها ، وأتلف بكرم نهارها .

فمن أنايب قنا ناسبت رماح الخط في أجناسها وشا كلت الذهب في ألوانها وضاهت الحرير في لَمَعانها ؛ مضابطة الحفاء ، نَمرة القوى ؛ لا يسيطها القط ، ولا يُسبب بها الخط .

ومن مضرية بيض كأنها قباطي <sup>(٢)</sup> مضر نقاء ، وغرقى <sup>(٣)</sup> البيض صفاء ؛ غداها الصعيد من ثراه بلّبه ، وسقاها النيل من نيمه ومذبه ؛ بغات ملتزمة الأجزاء ، سليمة من الالتواء ؛ تستقيم شقوقها في أطوالها ، ولا تنكب عن بعينها ولا شملها ، مقترن بها صفراء كأنها عقيان <sup>(٤)</sup> قرن بلجين ، أو ورق <sup>(٥)</sup> خط بعين ؛ تختال في صُفر ملاحفها ، وتميس في مُذهب مظارفها ؛ بلون غياب الشمس ، وصبيغ ثياب الورس .

ومن منقوشة تروق العين ، وتورق النفس ؛ ويهذى حسنها الأذحية إلى القلوب ، ويحل الطرف لها حبة الحليم اللبيب ؛ كأنها اختلاف الزهر اللامع ، وأصناف الثمر السانع .

ومن بحرية موشية اللب ، رائحة النخيط ؛ كأن داخلها قطرة دم ، أو حاشية رداء مُسلم ، وكأن خارجها أرقم ، أو متن . وإد مُقم ؛ نشرت ألوانا تُزري بورد الجدود ، وأبدت قامات تفضح تأود القدود .

ومن كلام ابن الزيات : حير الأقلام ما استحكم نُضجه ، وخف بزده ؛ قد تساعدت عليه السعود في فلك البروج حولا كاملا ، تؤلفه بحظف أركانها وطباعها ، ومتباين ألوانها وألحائها ؛ حتى إذا بلغ أشده واستوى ، وشقت بوازه ، ورقت

(١) لده حلجا وحر . (٢) القباطي : ثياب بيض من بخان كانت تعمل بمصر .

(٣) غرقى البيض : القشرة المقرنة بيضاء .

شماله ، وابتسم من غشائه ، وتآذى من لحائه ، وتعزى عنه ثوب المصيف ، فانفضاء الحريف ، وكشف عن لون البيض المكنون ، والصدف المحزون ، قطع ولم ينجل عن تمام مصلحته ، ولم يؤثر الى الأوقات المخوفة عاهاتها عليه من خسر الشتاء ، وعفن الأنداء ، بقاء مستوى الأنايب معتدلاً ، متقف الكعوب مقومها .

وقد حرر الوزير أبو علي بن مقله رحمه الله مناط الحاجة من هذه الأوصاف ، واقتصر على الضروري منها في الفاظ قلائل فقال :

خير الأقلام ما استحکم نفضه في جربه ، ونشف ماؤه في قشره ، وقطع بعد اللقاء بزده ، وبعد أن اصفر لحاؤه ورق شجره ، وصلب شحمه ، وثقل حجمه .

### الجملة الرابعة

في مساحة الأقلام في طولها وغلظها

قال ابن مقله ، خير الأقلام ما كان طولُه من ستة عشر اصبعاً الى اثني عشر ، وامتلاؤه ما بين غلظ السبابة الى الخنصر . وهذا وصف جامع لسائر أنواع الأقلام على اختلافها .

وقال في موضع آخر : أحسن قُدود القلم ألا يتجاوز به الشبر بأكثر من جلقته ويشهد له قول الشاعر :

فَقِيَ لَوْحَى الدُّنْيَا لِأَصْبَحَ غَارِيَا • مِنْ الْمَالِ مَتَاعًا ثَابِتًا مِنَ الشَّكْرِ  
لَهُ تَرْجُمَانٌ أُخْرُسُ اللَّفْظِ صَامِتٌ • عَلَى قَابِ بَيْتٍ بِلِ يَزِيدُ عَلَى الشَّرِّ

وقال الشيخ عماد الدين الشيرازي : أحمد الأقلام ما توسطت حالته في الطول والقصير ، والغلظ والدقة ، فإن الدقيق الصليل تجتمع عليه الأنامل فيبقى مائلاً الى ما بين الثلث ، والغلظ المفرط لا يحمله الأنامل



وقال في الحلية : اذا كانت الصحيفة لينة ينبغي أن يكون القلم لين الأنبوب ، وفي لحمه فضل ، وفي قشره صلابه ؛ وإن كانت صلبة ، كان يابس الأنبوب صلبه ، ناقص السحم ، لأن حاجته الى كثرة المداد في الصحيفة الرخوة أكثر من حاجته اليه في الصحيفة الصلبة . فرطوبته ولحمه يحفظان عليه غزارة الاستمداد ؛ ويكفي في الصحيفة الصلبة ما وصل اليها في القلم الصلب الخالي من المداد ، واقه جل ذكره أعلم .

### الجملة الخامسة

في برئ القلم ، وفيه خمسة أنظار

#### النظر الاول

في اشتقاقه وأصل معناه

يقال برئت القلم أبريه برئاً وبراية غير مهموز ، وهو قلم مبرئ ، وأنا بآر للقلم بغير همز أيضاً . قال الشاعر :

يَا بَارِى الْقَسْوِسِ بَرِّئاً لَيْسَ يُجْبَكُهُ • لَا تُشِيدُ الْقَوْسَ أَفْطِ الْقَوْسَ بَارِئاً

ويقال أيضاً : برئت القلم والمود برؤا بالواو ، والباء أفصح . ويقال لما سقط منه حالة البرئ برئية (ضم الموحدة في أوله) على وزن تَزَالَةٍ وَحَالَةٍ ، والفُعَالَةُ لِمِم لكل فضلة تفضل من الشيء ، وتقول في الأمر : إبرقلحك .

#### النظر الثانى

في الحث على معرفة البراية

قال الحسن بن وهب : يحتاج الكاتب الى خلال ، منها : جودة برئ القلم ، وإطالة جلفتيه ؛ وتحريف قطنه ، وحسن التأني لا تظاء الأناذل ، وإرسال المدة بعد

إشباع الحروف، والتحرز عند فراغها من الكشف، وترك الشكل على الخطأ والإعجم على التصحيف.

ومن كلام المقتز العلاني ابن فضل الله، طيب الله مهجته : من لم يحسن الاستمداد، وبرى القلم، والقط وإمساك الطومار، وقسمة حركة اليد حال الكتابة، فليس هو من الكتابة في شيء.

ويمكن أن الضحك كان إذا أراد أن يرى قلبا توارى بحيث لا يراه أحد، ويقول : الخط كله القلم. وكان الأنصاري إذا أراد أن يرى فعل ذلك، فإذا أراد أن يقوم من الديوان قطع رموس الأقلام حتى لا يراها أحد.

وقال إسحاق بن حماد : لاحق لغير ميمز لصنوف البراية. ورأى إبراهيم بن المحسن رجلا يأخذ على جارية قلم الثلث، فقال : أعلمتها البراية؟ قال : لا، قال : كيف تحسن أن تكتب بما لا تحسن برأيتك؟ تعليم البراية أكبر من تعليم الخط.

قال المقتز العلاني ابن فضل الله : ورأيت بخط أبي علي بن مقلة رحمه الله، نعم نعم ملاك الخط حسن البراية، ومن أحسنها مهمل عليه الخط، ولا يقتصر على علم فن منها دون فن، فانه يتعين على من تعاطى هذه الصناعة أن يحفظ كل فن منها على مذهبه من زيادة في التحريف، ومن النقصان منه، ومن اختلاف طبقاته. ومن وعى قلبه كثرة أجناس قلم الأقلام كان مقتدرا على الخط، ولا يتعلم ذلك إلا مقل، والقلم للكاتب كالسيف للشجاع.

وقال الضحك بن تيجلان : القلم من أجناس الأقلام كاللبن من أجناس الألبان في الصناعة، والبراية الواحدة من أجناس البراية كذلك.

ومن كلام المقتز العلاني ابن فضل الله : جودة البراية نصف الخط

ومنها من ذهب الى أن العبرة بحسن الصنعة دون برى القلم ، حتى حكى الغزالي رحمه الله في نصيحة الملوك أن صاحب بن عباد كان وزيراً لبعض الملوك ، وكان معه ستة وزراء غيره فكانوا يحسدونه ، ولم يزالوا حتى ذكروا للـك أنه لا يُحسِنُ رِايةَ القلم ، وعمدوا الى أقلامه فكسروا رؤوسها ، ثم إن الملك أمره بكتـب كتاب في المجلس ، فوجد أقلامه كلُّها مكسرة الرؤوس فأخذ قلباً منها ، وكتب به الى أن انتهى الى آخر الكتاب بخط فائق رائع ، فقال له الملك : إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن برى القلم ، فقال : إن أبى علمنى كاتباً ولم يعلمنى تجاراً .

### النظر الثالث

في معرفة عمل الرِاية من القلم

قال إبراهيم بن محمد الشَّيْبَانِي : يجب أن يكون البرى من جهة نبات القصبه يعنى من أعلاها إذا كانت قائمة على أصلها ، فإن عمل القلم من الكاتب عمل الرمح من الفارس . وإلى هذا المعنى أشار أبو تمام الطائي بقوله في أبياته المتقدمة :

إذا استغزرت الذهن القوى وأقبلت \* أعاليه في القِرطاس وهى أسافل

وقال أبو القاسم : إذا أخذ القلم ليبريه فلا يخلو من استقامة في البلية أو أعوجاج في الخلقه ، فإن كان مستويًا فالبرية من رأسه ، وهو حيث استندق ، وإن كان مُعَوِّجًا ودعت الضرورة إليه ، فالبرية من أسفله لأن أسفل أقل التواء من أعلاه .

### النظر الرابع

في كيفية إمساك السكين حال البرى

قال ابن البربري : إذا بذات الرِاية فأمسك السكين باليد اليمنى ، والأنبوبة باليسرى ، وضع إبهامك اليمنى على قفا السكين ، ثم اعتمد على الأنبوبة بإعتقاد رفيقاه .

## النظر الخامس

## في صفة البراية

قال الثاني : سألني الأحميمي يوما بدار الرشيد : أي نوع من البرى أضوب وأكتب ؟ فقلت : البرية المستوية القطعة التي عن يمين سنها برية تأمن معها الهبة عند المدة والمطة ، الهبوء في شقها فتيق ، والريح في جوفها تحريق ، والمسداد في حرطومها رقيق .

واعلم أنه ربما حسن الخط باعتبار براية القلم ، وإن لم يكن على قواعد الخط وهندسته ، فقد قيل : إن الأحوال المحزرة كان عجيب البراية للقلم ، فكان خطه رائقا بهما من غير أحكام ولا إتقان . قال الأنصاري المحزور : كنت أكتب في ديوان الأحوال ، فقررت منه وأخذت من خطه ، وسرقت من دواته قلما من أقلامه ، فجاد خطي به ، فلاحته منه نظرة الى دواتي ، فرأى القلم فعرفه ، فأخذه وأبعدني . وكان إذا أراد أن يلوم من مجلسه أو ينصرف قطع رموس أقلامه كلها .

واعلم أن البرى يشتمل على معان .

المعنى الأول - في صفته ، ومقداره في الطول ، والتقصير .

قال الوزير أبو علي بن مقلة رحمه الله : ويجب أن يكون في القلم الصليب أكثر تقميرا ، وفي الرخو أقل ، وفي المعتدل بينهما . وصفته أن تتبدى بزوايا السكين على الاستواء ، ثم تميل القطع الى ما على رأس القلم ، ويكون طول الفتحة مقدار عقدة الإبهام ، أو كعناقه الحام ، والى ذلك أشار الشيخ علاء الدين الشرنمزي رحمه الله في أرجوزته بقوله :

وطولها كمقدمة الإبهام لا • أعلى ولا أدنى يكون أردلا

قال الأستاذ أبو الحسن بن البواب رحمه الله : كل قلم تقصّر جلفته ، فإن الخط يحمى به أوقص ، والوقص قصر العنق ، ولذلك سمي متفاعلاً في عروض الكامل إذا حذفت منه التاء أوقص ، وكأنه يريد بالقصير ما دون عقدة الإبهام .

وقد قال إبراهيم بن العباس الصولي الكاتب : أطل نرطوم فملك . فليل له :  
أله نرطوم؟ قال : نعم ، وأنشد :

كَانَ أَنْوَفَ الطَّيْرِ فِي عَرَاصَاتِهَا • خِرَاطِيمُ أَقْلَامٍ تَحُطُّ وَتُجِجُ

وقال عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان لرغبان ، وكان يكتب بقلم قصير البرية :  
أتريد أن يهود خطك ؟ قال : نعم ، قال : فأطل جلفه فامسك وأمنها ، وحرف  
القطعة وأمنها ، قال رغبان : فعلت ذلك فجاد خطي .

وقال الشيخ عماد الدين بن الغفيف رحمه الله : إذا طالت البرية ، فإنه يحمى  
الخط بها أخف وأضعف وأجلى ، وأنا قصرت جاء الخط بها أصفى وأقل وأقوى .

#### المعنى الثاني — الصحة •

قال الوزير أبو علي بن مقلة : وهو نومان تحت حواشيه ، ويحت بطنه . أما  
تحت حواشيه ، فيجب أن يكون منساوياً من جهتي السن معاً ، ولا يحمل على  
إحدى الجهتين فيضعف سنه ، بل يجب أن يكون الشق متوسطاً لحلقه القلم دق  
أو غلط . قال : ويجب أن يكون جانباه مسيئين ، والتسيف أن يكون أعلاه ذاهباً  
محوراً رأس القلم أكثر من أسفله ، فيحسن جرى المداد من القلم . قال : وأما تحت  
بطنه فيختلف بحسب اختلاف الأقلام في صلابه الشمع ورخاوته ، فاما الصلبي  
الشحمة فيبغى أن تحت وجهه فقط ، ثم يحمل مسطحاً وعرضه كقدر عرض الخط  
الذي يؤثر الكاتب أن يكتبه ، وأما الرخو الشحمة فيجب أن تستأصل شحمته حتى

تشبه الى الموضوع الصل من جرم القلم ، لأنك إن كتبت بشحمه ، تسطى القلم ولم تصف جريانه .

ومن كلام ابن البربري : لا تقصع البراية ، ولا تحالف بين حذى القلم ، فان ذلك حياكة ، وإذا كان كذلك يكون القلم أحول .

ثم الحلقة على أنحاء ، منها : أن يهف جانبي البرية ، ويسمى وسطها شدة يسيرا ، وهذا يصلح للوسط والمعلق والمحقق .

ومنها ما تستأصل شحمته كلها ، وهذا يصلح للرسل والمزوج والمفتح .

ومنها ما يهف من جانبه الأيسر ويبقى فيه بقية في الأيمن ، وهذا يصلح للطوامير وما شابهها .

ومنها ما يهف من جانبي وسطه ، ويكون مكان القطة منه أعرض مما تحته ، وهذا يصلح في جميع قلم الثلث وفروعه .

المعنى الثالث - الشقى . وفيه مهيان .

### المهيح الأول

في فائده

قال الوزير أبو علي بن مقله رحمه الله : لو كان القلم غير مشقوق ما استمرت به الأنامل ، ولا اتصل الخط للكاتب ، ولكثر الاستمداد ، وعُدم المنسق ، ولال المداد الى أحد جبهي القلم على قدر قتل الكاتب له .

## المهيمع الثانى

فى صفة الشق ، وفيه مدرّكان

### المُدْرَكُ الأوّل

فى قدره فى الطول

قال ابن مقلة : ويختلف ذلك بحسب اختلاف القلم فى صلابته ورخاوته .  
فأما المعتدل فيجب أن يكون شقه الى مقدار نصف الفتحة أو ثلثها . والمعنى فيه  
أنه اذا زاد على ذلك انفتحت سنا القلم حال الكتابة وفسد الخط حيثئذ . واذا كان  
كذلك أمن من ذلك .

وأما الصلْبُ ، فيلبي أن يكون شقه الى آخر الفتحة ، وربما زاد على ذلك  
بمقدار إفراطه فى الصلابة . وقد نظم ذلك الشيخ علاء الدين السمرى رحمه الله  
فى أرجوزته فقال :

وأعلم بأن الشقّ أيضا يَخْتَلِفُ \* بحسب الأقلام فافهم ما أُصِفُ  
فإن يكن معتدلا شقًّا الى \* مقدار ثلثِ الحلقية أنقل وأقبلا  
والرخو للنصف أو الثلثين زد \* والصلبُ بالفتحة الحَقُّ تستفيد  
وربما زادوا على ذلك إذا \* أنرط فى الصلابة أعرف ذا وذا

### المُدْرَكُ الثانى

فى محله من الحلقية فى العرض

وقد تقدم من كلام ابن مقلة رحمه الله فى المعنى الثالث أنه يجب أن يكون الشق  
متوسطا لحلقية القلم ، وعليه جرى الأستاذ أبو الحسن بن البواب رحمه الله فقال  
ولكن غلظ السنين جميعا سواء . قال : ويموز أن يكون الأيمن أغلظ من الأيسر

دون العكس على كل حال ؛ وهذا إنما يأتي إذا كانت الكتابة آخذة من جهة اليمين  
الى جهة اليسار ، أما اذا كانت آخذة من جهة اليسار الى جهة اليمين كالقبطية فإنه  
يكون بالعكس من ذلك لأنه يقوى الاعتماد على اليسار دون اليمين .

المعنى الرابع — القَطْ ؛ وفيه مهيحان :

### المهيح الأول

اشتقاقه ومعناه

يقال قَطَطْتُ القلم أَقْطُهُ قَطًّا فأنا قَاطٌ وهو مَقْطُوطٌ وَقَطِيطٌ : اذا قَطَعْتَ سَهًّا  
وأصل القَطْ : القطع ؛ والقَطُّ والقَدْ متقاربان ، إلا أن القَطْ أكثر ما يستعمل فيما يقع  
السيف في عَرْضِهِ ، والقَدْ ما يقع في طَوْلِهِ . وكان يقال : اذا علا الرجل الشيءَ  
بسيفه قَدْهُ ، واذا عرضهُ قَطَّه . وذلك أن مخرج الطاء والذال متقاربان ، فأبدل  
أحدهما من الآخر كما يقال مطع حاجبيه ، ومد حاجبيه .

### المهيح الثاني

في صفة

وأعلم أن أجناس القَطْ تختلف بحسب مقاصد الكُتَّاب ، وهو المقصود الأعظم  
من البرأية ، وعليه مدار الكتابة . قال الضَّحَّاكُ بن عجلان : من وعى قلبه كثرة  
أجناس قَطِّ الأقلام كان مقتدرا على الخط . وقال المقرِّ العلَّاقُ ابن فضل الله  
تغمده الله برحمته : كان بعض الكُتَّاب اذا أخذ الأُنبوبة ليَبْرِئَهَا تفترس فيها قبل  
ذلك ، فإذا أراد أن يَقُطَّ توقف ثم تحرَّى فتوقف ثم يَقُطُّ على سَهْتٍ .

قال الشيخ عماد الدين بن المفيف : والقَطْ على نوعين :



النوع الأول - المحزف، وطريق برية أن يحرف السكين في حال القط، وهو ضربان: قائم ومصوب؛ أما القائم فهو ما جعل فيه ارتفاع الشحمة كالارتفاع القشرة؛ وأما المصوب، فهو ما كان القشر فيه أعلى من الشحم.

النوع الثاني - المستوى؛ وهو ما تساوى سناه؛ وأجودهما المحزف، وقد صرح بذلك الوزير أبو علي بن مقله، فقال: وأحدها ما كان ذا سن مرتفع من الجهة اليمنى ارتفاعا قليلا إذا كان القلم مصوبا، وهذا معنى التحريف؛ وذلك إذا كانت الكتابة آخذة من جهة اليمنى إلى جهة اليسار كما تقدم عند ذكر معنى القلم، بخلاف ما إذا كان آخذا من جهة اليسار إلى جهة اليمنى. قال الشيخ عماد الدين بن العفيف رحمه الله: وأجودها المحزفة الممتلئة التحريف، وأفسدها المستوية، لأن المستوى أقل تصرفا من المحزف. قال: وقد كان بعض من لا يمتد به يقط القلم على ضده ما يستمدد الأستاذون، فيصير الشحم من القلم هو المشرف على ظاهره، فكان خطه لا يحمى إلا رديئا، وإذا كانت القطعة على الضد من ذلك كان الكاتب متصرفا في الخط، متمكنا من القسطاس. قال الوزير ابن مقله: وأصح السكين قليلا إذا عزم على القط ولا تنصبها نصبا، يريد بذلك أن تكون القطعة أقرب إلى التحريف، وأن تكون مصوبة.

قال الشيخ شمس الدين بن أبي ربيعة: سألت الشيخ عماد الدين بن العفيف رحمه الله عن الكتابة بالأقلام: والتحريف والتدوير، فقال: الرقاع والتوقيع أميل إلى التدوير بين يمين، قطعة مربعة، والنسخ والمحقق والمشرع أميل إلى التحريف، والمحقق أكثر تحريفا منهما. وقد فسر ابن الوحيد قول ابن البواب: لكن جملة ما أقول بأنه ما بين تحريف إلى تدوير، أن المعنى أن لكل قلم قطب صفة، فقطعة الریحاني أشدها تحريفا، ثم يقل التحريف في كل نوع من أنواع قط الأقلام حتى تكون الرقاع أقلها تحريفا.

## النظر السادس

في معرفة صفات القلم فيما يتعلق بالرأية، وما لكل من سني القلم من الحروف  
قال الشيخ عماد الدين بن العفيف: من لم يدير وجه القلم، وصدرة، وعرضه،  
فليس من الكتابة في شيء. وقد فسر ذلك الوزير أبو علي بن مقلة فقال: اعلم أن للقلم  
وجهًا وصدرا وعرضا، فأما وجهه فحيث تضع السكين وأنت تريد قطه، وهو ما يل  
لمحة القلم، وأما صدره فهو ما يل قشرته، وأما عرضه، فهو نزولك فيه على تحريفه.  
قال: وحرف القلم هو السن العليا وهي اليمنى.

## المقالة السادسة

في مساحة رأس القلم ومقدارها من حيث موضع القطعة، وتفرعها عن قلم  
الطومار، ونسبتها من مساحتها على اختلاف مقاديرها في الدقة والغلظ والتوسط،  
وما ينبغي أن يكون في دواة الكاتب من الأقلام:

أما مساحة رأس القلم، فاعلم أن رؤوس الأقلام تختلف باختلاف الأقلام التي  
جرى الاصطلاح عليها بين الكتاب، وأعظمها وأجلها وأكثرها مساحة في العرض  
هو قلم الطومار، وهو قلم كانت الخلفاء تسميه في المكتبات وغيرها. وصفته أن  
يؤخذ من لب الجريد الأخضر، ويؤخذ منه من أعلى الفتحة ما يسع رؤوس الأنامل  
ليتمكن الكاتب من إمساكه، فإنه إذا كان على غير هذه الصورة، ثقل على الأنامل  
ولا تحتمله، ويتخذ أيضا من القصب الفارسي، ولا بد من ثلاثة شقوق لتسهيل  
الكتابة به ويمرئ المداد فيه. ولهم قلم دونه ويسمى مخنصر الطومار، وبه يكتب  
النواب والوزراء ومن ضاهاهم الاعتماد على المراسم ونحوها. وقدروا مساحة  
عرضه من حيث البراية بأربع وعشرين شعرة من شعر البرقون ممتدات، وهو

أصل لما دونه من الأقلام، فقلم الثلثين من هذه النسبة مقدر بست عشرة شعرة، وقلم النصف مقدر بإثني عشرة شعرة، وقلم الثلث مقدر بثمان شعرات، ومختصر الطومار ما بين الكامل منه والثلثين. وكل من هذه الأقلام فيه ثقل وهو ما كان إلى الشَّحْج أميل، وخفيف، وهو ما كان إلى الدقة أقرب. إذا تقرر ذلك فطول الأليف في كل قلم معتبر بأن تضرب نسبة عرضه في مثله ويجعل طوله نظير ذلك، ففي قلم الطومار يضرب مقدار عرضه وهو أربع وعشرون شعرة في مثله نحسبائة وستا وسبعين شعرة وهو طوله؛ وفي قلم الثلث تضرب نسبة عرضه من الطومار وهو ثمان شعرات في مثله بأربع وستين، فيكون طوله أربعاً وستين شعرة وكذلك الجميع فأصله.

وأما عدد أقلام الدواة فقد قال الوزير أبو علي بن مقلة: ينبغي أن تكون أقلامه على عدد ما يؤثره من الخطوط، وكأنه يريد أن يكون في دواته قلم مبرى للقلم الذي هو بصدد أن يحتاج إلى كتابته ليجده مهيأ، فلا يتأخر لأجل برأيه.

الآلة الثانية — المقلمة: وهي المكان الذي يوضع فيه الأقلام، سواء كان من نفس الدواة أو أجنبياً عنها، وقد لا تعتمد الآلات لكونها من جملة أجزاء الدواة غالباً.

الآلة الثالثة — المُدْبِيَّة، والنظر فيها من وجهين:

### الوجه الأول

في معناها واشتقاقها

قال الجاحظ: يقال بضم الميم وفتحها وكسرهما وتجمع على مُدْبِي: وهي السكين، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كانت امرأةً أتت معهما ابنائهما بفناء الذئب فذهب

بإذن أحدهما، فقالت لصاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك.  
فتماكبا إلى داود فقصى به للكهوى، فخرجتا إلى سليمان بن داود فاخبرتاه، فقال:  
اشتريني بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل رحمك الله هو أبنا، فقصى به  
للصغرى، قال أبو هريرة: إن سمعت بالسكين إلا يومئذ، ما كنا نقول إلا المذبة.

ثم الأصل في السكين التذكير، قال أبو ذؤيب:

يُرَى نَاصِحًا لِي مَا بَدَأَ فَلِذَا خَلَا • فَذَلِكَ يَسْكِينُ عَلَى الْحَقِّ حَاقِدٌ

قال الكسائي: ومن أنت أراد المذبة وأنشد:

فَبَيْتٌ فِي السَّامِ غَدَاةٌ قُرْ • بِسَكِينٍ مَوْقِيَةِ النَّصَابِ

ويقال سَكِينَةٌ بالهاء، وهو قليل. وفي حديث المبعث<sup>(١)</sup> أنه لما شق الملك بطنه  
صلى الله عليه وسلم قال: أتيتي بالسَّكِينَةِ، وتجمع على سَكَاكِين، سميت مذبة أخذها  
من مدى الأجل وهو آخره، لأنها تأتي بالأجل في القتل على آخره، وسميت سَكِينًا  
لأنها تَسْكُن حركة الحيوان بالموت. ونصاب السكين أصلها، ونصاب كل شيء أصله  
قال الشاعر:

وإن نصابي إن سألت وأسرني • من الناس حتى يقتننوا المزما<sup>(٢)</sup>

أى وإن أصلى. ويقال أنصبت السكين إذا جعلت لها نصابا، كما يقال أقبضتها  
جعلت لها مقبضا، وأقربتها إذا جعلت لها قرابا، وأغلقتها إذا جعلت لها غلظا،  
والحديدة اللذابة في النصاب سِلَانٌ. ويقال أهدت السكين فأنا أهدته أحدا  
وحده السكين نفسه صار حادا، وأهد فهو مُحَدٌ، وسكين حاذ، فإذا أمرت من  
أهدته قلت: أهدته، ومن حده قلت: حده.

(١) في اللسان والصحاح يرى ناصحا فيما بدا. (٢) أى أثر في السام بالسكين أنظر اللسان.

(٣) المزمن من الأهل: الكريم تعلق أذنه ويترك لها زمة.

(٤) أى وحدتها أيضا كما يستفاد من نهاية عبارة.

## الوجه الثاني

## في صفتها

قال بعض الحكماء : هي منسأة الأقدام ، تستعد بها إذا كَلَّتْ ، وتطابق بها إذا وقفت وتلبسها إذا تشعثت . فتجب المبالغة في سقيها وإعدادها ليتمكن من البرى ، فيصفو جوهر القلم ، ولا تشظى قَطْعُهُ . ويبنى ألا يستعملها في غير البرية لئلا تَكَلَّ وتفسد . قال الصولي : وأحذركم سكينك ولا تستعملها لغير ذلك . قال الوزير أبو علي بن مقلبة رحمه الله : واستعد السكين حذاء ، ولتكن ماضية جداء فانها إذا كانت كائلة جاء الخط رديفا مضطربا . وقال الشيخ عماد الدين بن العفيف : فساد البرية من بلاد السكين . قال محمد بن عمر المدائني : ينبغي أن تكون لطيفة القد ، معتدلة الحد . فقد كره المبالغة في سقيها ، لتكن الباري من بريها . ولا عيب في حملها في الكُمِّ والخُفِّ ، فقد روى المدائني عن الأعمش عن إبراهيم أنه قال : اتخذ الرجل السكين في خُفِّهِ من المرونة . قالوا : وأحسنها ما عَرَضَ صدره ، وأرهف حده ، ولم يفضل عن القُبْضَةِ نِصَابُهُ ، واستوى من غير اعوجاج . قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : ورأيت والدي وجماعة من الحكماء يستحسنون العُقَايَةَ وهي التي صدرها أعرض من أسفلها . ووصف بعضهم سكيناً ، فقال : وسكين عتيقة الحديد ، وثيقة الشَّعِيرَةِ ، مُحْكَمَةُ النَّصَابِ ، جامعةُ الأسبابِ ، أحدُ من البين ، وأحسن من اجتماع مُحَيَّنٍ ، وأمضى من الحسام ، في برى الأقدام . والله القائل في وصفها :

أنا لمن شئتُ عُدَّةٌ لعدو \* حين يُحْشَى على النفوس الخِلاَمُ

أنا في السَّليمِ خادمٌ لدَوَاةٍ \* وبِحَدَى تُقَوِّمُ الأَقْلَامُ

الآلة الرابعة — المِقْطُ (بكسر الميم) كما ضبطه الجوهري في الصحاح إلا أنه قال فيه : مِقْطَةٌ بالتأنيث .

قال الصولي : ينبغي أن يكون المِقْطُ صُلْبًا فتمضي القِطَّة مسبوقة لامتشطية . قال الوزير أبو علي بن مقلة رحمه الله : إذا قططت فلا تَقْطُ إلا على مِقْطٍ أملتس صُلْبٍ غير مُتَمِّم ولا حَشِين لئلا يَنْشَقِلَ القلم : وقال الشيخ عماد الدين بن العفيف : ويتعين أن يكون من عود صُلْب كالآبُس والماج ، ويكون مسطَّح الوجه الذي يُقْطُ عليه ، ولا يكون مستديرًا لأنه إذا كان مستديرًا تشقَّى القلم ، وربما تهلت القِطَّة فتأتى الإدارات والشعيرات غير جيِّدة . قلت : وينبغي ألا يكون مع ذلك مانعًا كالخبيد والنحاس ونحوه فإن ذلك يفسد السكين ، ولا تعي القِطَّة صالحة .

الآلة الخامسة — المحبرة ، وهي المقصود من الدواء ، وتشتمل على ثلاثة أصناف :

الصنف الأول — الجُونة ، وهي الظرف الذي فيه اللِّقْه والحبر .

قال بعض فضلاء الكتاب : وينبغي أن تكون شكلًا مدور الرأس يجتمع على زاويتين قائمتين ، يوقد ههما خط ، ولا يكون مربعًا على حال لأنه إذا كان مربعًا يتكاثف المداد ، في زواياه فيفسد المداد ، فإذا كان مستديرًا كان أبقي للداد ، وأسهل في الاستمداد .

الصنف الثاني — اللِّقْه ، وتسميها العرب الكَرْسَف تسمية لها باسم القطن الذي تُخذ منه في بعض الأحوال كما سيأتي ، والنظر فيها من وجهين .

## الوجه الأول

في اشتقاقها

يقال أَلَقْتُ الدَّوَاءَ وَلَقْتُهَا ، أَخَذَا مِنْ قَوْلِهِ : فَلَان لَا تُلِيقُ كَفَّهُ دَرَهْمًا أَى لَا تَحْبُسُهُ وَلَا تُنْسِكُهُ ، وَأَنْشَدَ الْكِسَائِيُّ :

كَفَّاكَ كَفٌّ مَا تُلِيقُ دِرْهَمًا \* جُودًا وَكَفٌّ تُعْطِ بِالسَّيْفِ الدِّمَاءَ

بصفه بالحدود ، أَى كَفَّاكَ مَا تُنْسِكُ دَرَهْمًا ، وَيَقَالُ : مَا لَأَقَتِ الْمَرْأَةُ عِنْدَ زَوْجِهَا أَى مَا عَلَقَتْ . قَالَ الْمَبْرَدُ : دَخَلَ الْأَصْمَعِيُّ عَلَى الرَّشِيدِ بَعْدَ غَيْبَةِ غَايِبًا ، فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ حَالُكَ يَا أَصْمَعِيُّ ؟ فَقَالَ : مَا الْأَقْتَنِي نَحْوَكَ أَرْضٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَاْمَسَكَ الرَّشِيدُ عَنْهُ ، فَلَمَّا تَفَرَّقَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ قَالَ لَهُ : مَا مَعْنَى الْأَقْتَنِي ؟ قَالَ : مَا حَبَسْتَنِي ، فَقَالَ : لَا تَكَلِّفْنِي فِي مَجْلِسِ الْعَامَّةِ بِمَا لَا أَعْلَمُ . قَالَ الْجَاهِظُ : وَلَا تَسْتَحِقْ اسْمَ اللَّيْقَةِ حَتَّى تَلَاقَ فِي الدَّوَاءِ بِالْقَمَسِ وَهُوَ الْمِدَادُ .

## الوجه الثاني

فَمَا تَتَّخِذُ مِنْهُ وَتَتَّعَاهِدُ بِهِ

قَالَ بَعْضُ الْكُتَّابِ : تَكُونُ مِنَ الْحَرِيرِ وَالصُّوفِ وَالْقَطَنِ ، وَيُقَالُ فِيهِ الْكُرْسُفُ ، وَالْبُرْسُ ، وَالطُّوْطُ ، وَالْعُطْبُ ، وَالْأَوَّلَى أَنْ تَكُونَ مِنَ الْحَرِيرِ الْخَيْشِنِ : لِأَنَّ انْتِشَاشَهَا فِي الْمِجْبَرَةِ وَعَدَمَ تَلَبُّدِهَا أَعَوُّ عَلَى الْكَاتِبَةِ . قَالَ بَعْضُ الْكُتَّابِ : وَيَتَعَيَّنُ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يَتَفَقَّدَ اللَّيْقَةَ وَيَطْيِيَهَا بِأَجُودَ مَا يَكُونُ ، فَإِنَّمَا تُرْوِجُ عَلَى طُولِ الزَّمَنِ ، وَفِيهِ الْقَائِلُ :

مُنْظَرَفٌ شَهِدَتْ عَلَيْهِ دَوَائُهُ \* أَنْ الْفَقِي لَا كَانَ غَيْرَ ظَرِيفٍ

إِنْ التَّفَقُّدَ لِلدَّوَاءِ فَضِيلَةٌ \* مَوْصُوفَةٌ لِلْكَاتِبِ الْمَوْصُوفِ

وكان بعض الكُتَّاب يطيب دواته بأطيب ما عنده من طيب نفسه ، فسئل عن ذلك فقال : لأني أكتبُ به اسمَ الله تعالى واسمَ رسوله صلى الله عليه وسلم واسمَ أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، ودعا سبق القلم بغير إرادتنا فنلحُّه بالسنتنا ونمحوه بأكماننا .

قال الشيخ علاء الدين السُّرمَرِيُّ : ويتعين على الكاتب تجديد اللبقة في كل شهر ، وأنه حين قراءته من الكتابة يُطبقُ الحِمْزَةَ لأجل ما يقع فيها من التراب وشعره ، فيفسد الخط . ونظم ذلك في أرجوزته فقال :

وَجَدِّدِ اللَّيْقَةَ كُلَّ شَهْرٍ \* فَتَشِيخُنَا كَانَ بِهِذَا بُعِرِي  
لأجل ما يقعُ فيها مِنْ قَدَرٍ \* فَيَنْتَشِي مِنْ ذَاكَ فِي الْخَطِّ أَدَى

وينبئني له مع ذلك أن يصونها عن الأشياء القذرة كالْبَصَاق ونحوه ، فقد حكى محمد بن عمر المدائني أن بعض العلماء رأى ضيقاً يبصق في دواته فزجره وقال لمعلمه : امنع الصبيان عن مثل هذا ، فإنما يكتبون به كلام الله . قال محمد بن عمر المدائني : كأنه تمحرج أن يكتب القرآن بمداد غير نظيف . قال المدائني : وكان بلغني عن ابن عباس أنه أجاز أن يبصق الرجل في دواته ، فسألت أحمد بن عمرو البراز عن ذلك فأنكره ، وقال : هذا حديث كذب ، وضعه عاصم بن سليمان الكوذن ، وكان كذاباً ذكرته لأبي داود الطيالسي فقال : هو كذاب يجب أن تعرفوا كذبه ، صفوا له مسألة حتى يحدِّثكم بحديث ، فقال : بفتت أنا وعمر بن موسى الحارثي في جماعة ، فقال له عمر : ما تقول في الرجل يزق في الدواة ويستمد منها ؟ وكان قد ذهب بصره ، فقال : حدثنا عبد الله بن نافع عن ابن عمر أنه كان يزق في الدواة ويستمد منها ، ثم قال : وحدثنا هشام بن حسان عن عكرمة عن ابن عباس مثل ذلك ،



قال : فهمز بعض أحمانا وقال : كان ابن عباس لا يبصر ، قال : ففهم ، فقال : نعم . كان ابن عباس لا يرى بذلك بأسا .

الصنف الثالث — المداد والخبر وما ضاهاهما . والنظر فيه من أربعة أوجه :

### الوجه الأول

في تسميتهما واشتقاقهما

أما المداد فسمي بذلك لأنه يمدّ القلم أى يعينه ، وكل شيء مددت به شيئا فهو مداد ، قال الأخطل :

رَأَتْ بَارِقَاتٍ بِالْأَكْخَفِ كَأَنَّهَا \* مَصَابِيحُ سُرُجٍ أُوقِدَتْ بِمِدَادٍ

سمى الزيت مدادا لأن السراج يمدّ به ، فكل شيء أمددت به اللقطة مما يكتب به فهو مداد ، وقال ابن قتيبة في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي ﴾ : هو من المداد لأن الإمداد . ويقال : أمدّ القلم في الخير مثل ﴿ وَأَمْدَدْتَاهُمْ بِقَاكِهِةٍ وَلَحِيمٍ ﴾ ومدّه في الشر ، مثل ﴿ وَنَعُدُّ لَهُ عَذَابًا مِّدًّا ﴾ . ويقال فيه أيضا يفسّ وتفس ، بكسر النون وفتحها مع إسكان القاف ومع السين المهملة فيهما ، والكسر أنقص ، ويجمع على أنقاس .

وأما الخبر ، فاصله اللون ، يقال فلان ناصع الخبر يراد به اللون الخالص الصافي من كل شيء ، قال ابن أحمد يذكر امرأة :

تَيْسُهُ بِقَاحِمٍ جَفِيدٍ \* وَأَبْيَضُ نَاصِعِ الْخَبْرِ

يريد سواد شعرها ، وبياض لونها ، وفي الخبر " يخرج من النار رجل قد ذهب خبره وسببه " بكسر الخاء المهملة والسين فيهما . قال ابن الأعرابي : خبره : خسته ،

وسببه هيئته، وقال المبرد: قال التوزي: سألت الفراء عن المداد لم سمي حبراً؟ فقال: يقال: للمعلم حبرٌ وحبري، يفتح الحاء وكسرها، فأرادوا مداد حبراً أى مداد عالم، فحذفوا مداد وجعلوا مكانه حبراً. قال: فذكرت ذلك للاشمسي فقال: ليس هذا بشيء إنما هو لتأثيره. يقال: عل أسنانه حبراً إذا كثرت صفرتها حتى صارت تضرب إلى السواد، والحبر: الأثري في الجلد، وأشد:

لقد أَثْمَتَتْ بِي آلَ قَيْدٍ وَقَادَرَتْ ~ بِحَيْلِي حَبْرًا بِنْتُ مَعْنَانَ بَادِيَاً

أراد بالحبر الأثر، يعني أثر الكتابة في القرطاس، قال المبرد: وأنا أحسب أنه سمي بذلك لأن الكتاب يُحبر به أى يُحسن، أخذنا من قولهم: حبرتُ الشيء تحبيراً إذا حسنته.

## الوجه الثاني

في شرف المداد والحبر، واختيار السواد لذلك

في الخبر "يُوقَى عِمَادِ طَالِبِ الْعِلْمِ وَدَمَ الشَّيْءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُوضَعُ أَحَدُهُمَا فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ وَالْآخَرُ فِي الْكِفَّةِ الْآخَرَى فَلَا يَرَجُحُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ" قال بعض الحكماء: صورة المداد في الأبصار سوداء، وفي البصائر بيضاء. وقد قيل: كواكب الحِكم في ظلم المِدايد. ونظر جعفر بن محمد إلى قتي على ثيابه أثر المداد، وهو يستره منه، فقال له: يا هذا، إن المداد من المروءة. وأشد أبو زيد:

إِذَا مَا الْمِسْكُ طَلَبَ رِيحَ قَوْمٍ • كَفَتْنِي ذَاكَ رَائِحَةُ الْمِدَادِ

وما شيء بأحسن من ثياب • على حافاتِها حَمَمُ السَّوَادِ

وقال بعض الأدباء: عطروا دفاتر الآداب بسواد الحبر. وكان في حجر إبراهيم ابن العباس قرطاس يمشق فيه كلاماً فأسقط، فمسحه بكمه، فقيل له: لو مسحته بغيره؟ فقال: المال فرع والقلم أصل، والأصل أحق بالصون من الفرع. وأشد في ذلك:

إِنَّمَا الزُّعْفَرَانُ غَطْرُ الْمَدَارَى • وَمَدَادُ الدُّوَى عِطْرُ الرَّجَالِ  
وَأَنْشُدْ غَيْرَهُ .

مَنْ كَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ مَسَّ غَارِضُهُ • مِسْكٌ يَطِيبُ مِنْهُ الرِّيحَ وَالنِّسْمَا  
فَإِنْ مَسَّكَ مِدَادٌ فَوْقَ أُنْجُلِي • إِذَا الْأَصَابِعُ يَوْمًا مَسَّتِ الْقَلَمَا

على أن بعضهم قد أنكر ذلك، وقال : المداد في ثوب الكاتب مخافة، ودنائة منه  
وقلة نظافة . قال أبو العالية : تعامت القرآن والكتابة، وما شعرني أهل، وما رُؤي  
في ثوبي مداد قط . وأنشدوا :

دَخِيلٌ فِي الْكَاتِبَةِ يَدْعِيهَا • كَذَعْوَى آلِ حَرْبٍ فِي زِيَادِ  
يَنْسَبُهُ ثَوْبُهُ لِلْحَوِيَّةِ • إِذَا أَبْصَرَتْهُ ثَوْبَ الْجِدَادِ  
فَدَعَتْ عَنْكَ الْكِتَابَةَ لَسْتَ مِنْهَا • وَلَوْ لَطَخْتَ وَجْهَكَ بِالْمِدَادِ

وقال فارس بن حاتم : يبريق الخبر تهتدي المقولُ لحباباً بالحكم ، لأنه أبهى على  
الدهر، وإنما للذكر، وأزيد للأجر .

وأعلم أن المداد ركن من أركان الكتابة، وعليه مدار الرِّع منها وأنشدوا في ذلك :

رُبِعُ الْكَاتِبَةِ فِي سَوَادِ مِدَادِهَا • وَالرُّبْعُ حُسْنُ صِنَاعَةِ الْكُتَّابِ  
وَالرُّبْعُ مِنْ قَلَمٍ تُسَوَّى بِرَبِّهِ • وَعَلَى الْكَوَاغِدِ رَابِعُ الْأَسْبَابِ

قال بعض العلماء رحمهم الله : وإنما أخير فيه السواد دون غيره لمضاوته لون  
الصحيفة . قال : وليس شيء من الألوان يضاد صاحبه كمضادة السواد للبياض .  
قال الشاعر :

فَالْوَجْهُ مِثْلُ الصَّبْحِ مُبَيِّضٌ • وَالْفَرْعُ مِثْلُ اللَّيْلِ مُسَوَّدٌ  
ضِدَّانِ لِمَا اسْتَجَمَا حَسَنًا • وَالضُّدُّ يُظَاهِرُ حُسْنَ الضُّدِّ

ويقال في المداد : أسود قاتم ، وهو أول درجة السواد ، وحالك وحائب ، وحلحوك ، وحلبوب ، وداج ، ودجوجي ، وديجور ، وأدهم ، ومدهام .

قال المدائني : حدثني بذلك محمد بن نصر عن أحمد بن الضحاك عن أبي عبيدة .

كتب جعفر بن حدار بن محمد إلى دطّاح بن محمد يستهديه مِدادا :

يا أباي للسوداد لا للداد • وصديقي من بين هذا المباد  
والذي فيه ألف تجد طريف • قد أمدت بألف تجد تِلَاد  
أنا أشكو إليك حال دَواني • أصبحت تقتضي قبص حِداد

وقه منصور بن إسماعيل حيث يقول :

وسوداء مقلّتها مثله • وأجفائها من بحين صقيل  
إذا اذرفت عبرة غلّتها • كغالبية فوق خد أسيل

### الوجه الثالث

في صنعتها ، وفيه نظران :

النظر الأول — في مادتها .

واعلم أن المواد لذلك ما يستعمل بأصله ولا يحتاج فيه إلى كبير علاج وتدير كالنقص ، والزاج ، والصمغ ، وما أشبهها . ومنها ما يحتاج إلى علاج وتدير ، وهو الدخان . قال أبو القاسم خلوف بن شعبة الكاتب : ويؤتو في الدخان أن يكون من شيء له دهنية ، ولا يكون من دخان شيء يابس في الأصل لأن دخان كل شيء مثله وراجع إليه .

قال أحمد بن يوسف الكاتب : كان ياتينا رجلا في أيام نُمَارويه بمداد لم أر أنعم منه ، ولا أشد سوادا منه . فسألته من أي شيء استخرجته ؟ فكتم ذلك عني ، ثم

تلطفت به بعد ذلك، فقال لى : من دهن بزر القُبل والكُنّان، أضع دهن ذلك فى مَسَارِجْ وأوقدها، ثم أجعل عليها طاساً حتى إذا نَفَسَ الدهن، رفعتُ الطاس، وجمعت ما فيها بماء الآس والصمغ العربى . وإنما جمعه بماء الآس لِيَكُونَ سواده مائلاً الى الخُضرة، والصمغ يجمعه ويمتعه من التطاير .

قال صاحب الحلية : وإن شئت أخذت من دخان مَقَالِ الحِصِّ وشبهه، وتلقى عليه ماء، وتأخذ ما يعلو فوقه وتجمعه بماء الآس، والعسل والكافور والصمغ العربى والملح، وتمده وتقطعه شواير، والدخان الأقل أجود والله أعلم .  
النظر الثانى — فى صنعتها، وفيه مسلكان :

### المسلك الأول

فى صناعة المداد، وبه كانت كتابة الأولين من اهل الصنعة وغيرهم  
نزل الوزير أبو على بن مُقلة رحمه الله : وأجود المداد ما يُتخذ من مُخَّامِ النَّقْط، وذلك أن يؤخذ منه ثلاثة أرطال، فيجاء بخله وتصفيته، ثم يلقى فى طنجير، ويُسَبُّ عليه من الماء ثلاثة أمثاله، ومن العسل رطل واحد، ومن الملح خمسة عشر درهماً، ومن الصمغ المسحوق خمسة عشر درهماً، ومن العَفَص عشرة دراهم، ولا يزال يساط على نار لينة حتى يشخن حرُّهُ ويصير فى هيئة الطين، ثم يترك فى إناء وبرق الى وقت الحاجة . وما ذكره فيه إشارة الى أنه لا ينحصر فى مُخَّامِ النَّقْط، بل يكون من دُخان غيره أيضاً كما تقدم . نعم ذكر صاحب الحلية أنه يحتاج مع ذلك الى الكافور لطيب رائحته، والصبر ليمنع من وقوع الذباب عليه . وقيل : ان الكافور يقوم مقام الملح فى غير الطيب .

## المسلك الثاني

في صنعة الحبر، وهو صفات

الصف الأول — ما يناسب الكافد أي الورق : وهو حبر الدخان ، ونحن نذكر منه صفات إن شاء الله تعالى .

”صفة“ يؤخذ من العفص الشامي قدر رطل يُلْقَى جريشا ويُنقع في ستة أروطال ماء مع قليل من الأس : (وهو المرسين) أسبوعاً ، ثم يغلى على النار حتى يصير على النصف أو الثلثين ، ثم يصفى من مئذرو ويترك ثلاثة أيام ، ثم يصفى ثانياً ، ثم يضاف لكل رطل من هذا الماء أوقية من الصمغ العربي ، ومن الزاج القبرصي كذلك ، ثم يضاف إليه من الدخان المتقدم ذكره ما يكفيه من الحلاكة . ولا بد له مع ذلك من الصبر والعسل ليمتص الصبر وقوح الذباب فيه ، ويحفظ بالمسل على طول الزمن ، ويعمل من الدخان لكل رطل من الحبر ... .. بعد أن تسحق الدخان بكوة كفك بالسكر النبات والزعفران والشعر والزنجار إلى أن يجيد تحفه ، ولا تصحته في صلاية ولا هاؤن يفسد عليك .

الصف الثاني — ما يناسب الرق ، ويسمى الحبر الرأس ، ولا دخان فيه ، ولذلك يسمى بصاصاً برأفاً ، وبه إضرار للبصر في النظر إليه من جهة بريقه ، ويفسد الكافد على طول ، ونحن نذكر منه .

”صفة حبر“ وهي : يؤخذ من العفص الشامي رطل واحد فيجرحش ، ويلقى عليه من الماء العذب ثلاثة أروطال ، ويعمل في طنجير ، ويوضع على النار ويوقد تحته بنار لينة حتى يتنضج ، وعلامة نضجه أن تكتب به فتكون الكتابة حمراء بصاصة ،

(١) يابض بالأصل . وفي الضوء : ثلث أوقية بعد الخ .

ثم يلقى عليه من الصمغ العربي ثلاث أواق، ومن الزاج أوقية ثم يصفى ويودع في إناء جديد، ويستعمل عند الحاجة

”صفة جبر سقرى“ يمل على البارد من غير نار، يؤخذ العفص فيجرح شرشا جيذا ويسحق لكل أوقية عقيص درهم واحد من الزاج، ودرهم من الصمغ العربي، ويلقى عليه ويرفع الى وقت الحاجة، فاذا احتاج اليه صب عليه من الماء قدر الكفاية واستعمله ١٠

## الوجه الرابع

في ليق الانتاحات

وهي ما يكتب به فوائح الكلام : من الأبواب، والفصول والابتداءات ونحوها، ولا مدخل لشي من ذلك في فن الإنشاء والديونة، إلا الذهب فإنه يكتب به في الطقراوات في كتب القنات، وفي الأسملة الخليفة منها، كما سيأتى في موضعه من المكتبات من فن الإنشاء إن شاء الله تعالى، وباقي ذلك إنما يحتاج اليه كتّاب النسخ إلا أنه لا بأس بالعلم به فإسكال الكاتب

ونحن نذكر منه ما الغالب استعماله وهو أصناف :

الصنف الأول - الذهب، وطريق الكتابة به أن يُحَلَّ ورق الذهب، وصفة عمله أن يؤخذ ورق الذهب الذي يستعمل في الطلاء ونحوه، فيجعل مع شراب الليمون الصافي النقي، ويقتل فيه في إناء صيني أو نحوه حتى يضمحل جرْمُه فيه، ثم يصب عليه الماء الصافي النقي ويفسل من جوانب الإناء حتى يمتزج الماء والشراب، ويترك ساعة حتى يرسب الذهب، ثم يصفى الماء عنه ويؤخذ ما رَسَبَ في الإناء، فيجعل في مفتلة زجاج ضيقة الأسفل، ويجعل معه قليل من اللبقة، والثرر اليسير

من الزعفران بحيث لا يُخْرِجه عن لون الذهب ، وقليل من ماء الصمغ المحلول ، ويكتب به . فاذا جفَّ صقل بمصقلة من جَزَع حتى يأخذ حته ، ثم يُزَمَك بالخبر من جوانب الحرف .

الصنف الثاني — اللَّازُورْدُ ، وأنواعه كثيرة ، وأجودها المَعْدِنِيُّ ، وباقى ذلك مصنوع لا يناسب الكتابة ، وإنما يستعمل في النِّقَاشات ونحوها ، وطريق الكتابة به أن يذاب بالماء ، ويلقى عليه قليل من ماء الصمغ العربي ، ويجعل في دواة كدواة الذهب المتقدم ذكرها ، وكلما رَسَبَ حُرُك بالقلم ، ولا يكثر به الصمغ كي لا يَسْوَدَ ويفسد .

الصنف الثالث — الزُّنْجَفَرُ ، وأجوده المغربي ، وطريق الكتابة به أن يسحق بالماء حتى يَنْعَمَ ، وإن سحق بماء الرمان الحامض فهو أحسن ، ثم يضاف عليه ماء الصمغ ، ثم يلقى بإتقان كإلقاء الخبز ، ويجعل في دواة ويكتب به .

الصنف الرابع — المَنَرة العِراقية ، وهي مما يكتب به في نفائس الكتب ، وربما كتب بها عن الملوك في بعض الأحيان . وطريقه في الكتابة كما في الزُّنْجَفَرِ ، والله أعلم .

الآلة السادسة — المُلَوَّق ( بكسر الميم ) وهو ما تلاق به الدواة أى تحرك به اللقطة . قال بعض الكُتَّاب : وأحسن ما يكون من الآبُونُس لثلا يفيره لون المداد . قال : ويكون مستديرا مخروطا ، عريض الرأس منخينه .

الآلة السابعة — المِرْمَلَة ، واسمها القديم المِترَبَة ، جَعَلَهَا آلة للتراب ، إذ كان هو الذى يُقَرَّب به الكُتُب .  
وتشتمل على شيئين :



الأول — الظرف الذى يُجعل فيه الرمل، وهو المسمى بذلك، ويكون من جنس الدّواة إن كانت الدّواة نحّاساً، أو من النحاس ونحوه إن كانت خشبياً على حسب ما يختاره ربّ الدّواة. ومحلها من الدّواة ما على الكاتب مما بين المحبرة وباطن الدّواة مما يقابل المنشأة الآتية ذكرها، ويكون في لها شُبّاك يمنع من وصول الرمل الخشن الى باطنها. وربما أُتخذت مِرْمَلَة أخرى أكبر من ذلك تكون في باطن الدّواة لاحتمال أن تضيق تلك عن الكفاية ليصغرها. وأرباب الرّياسة من الوزراء والأمراء ونحوهم يتخذون مِرْمَلَة كبيرة تقارب حبة الرّايح<sup>(١)</sup>، لها حلق في أعلاها، تكون في الصّالب من جنس الدّواة من نحّاس ونحوه؛ وربما أُتخذت من خشب لُقْضَة الحكم ونحوهم.

ومما ألفز فيها القاضي شهاب الدين ابن بنت الأعز :

فَرِيفَةُ الشَّكْلِ وَالْمَثَالِ قَدْ صُنِعَتْ \* تَحْكِي الرُّوسَ وَلَكِنْ لَيْسَ تَقْتَسِمُ  
كَأَنَّهَا مِنْ ذَوَى الْأَبَابِ خَاشِعَةٌ \* تَبْكِي الدَّمَاءَ عَلَى مَا سَطَرَ الْقَلَمُ

وتسمى المِرْمَلَة أيضاً، وفي ذلك يقول الوجه المناوى :

يَا مَا دِحًا أَمْرًا وَلَمْ يَأْتِهِ \* وَلَمْ يَنْلِ مِنْهُ وَلَا جَرَّةً  
لَا تَقْطِيطُ الْكَاتِبَ فِي حَالِهِ \* فَإِنَّهُ الْمُسْكِينُ ذُو الْمِرْمَلَةِ

الثانى — الرمل، وقد اختار الكتّاب لذلك الرمل الأحمر دون غيره، لأنه يكسو الخط الأسود من البهجة ما لا يكسوه غيره من أصناف الرمل؛ وخير ما كان دقيقاً.

وهو على أنواع :

النوع الأول — ما يؤتى به من الجبل الأحمر الملاصق للجبل المُقَطَّم من الجهة الشرقية، وهو أكثر الأنواع وأعمها وجوداً بالديار المصرية.

النوع الثاني - يؤتى به من الآواحي، وهو رمل متحجر شديد الحمرة، يتخذ منه الكتاب حجارة لطلاء تحت بالسكين ونحوها على الكتابة، وأكثر ما يستعملها كتاب الصعيد والقيوم وما والاها .

النوع الثالث - يؤتى به من جزيرة بحر القلزم من نواحي الطور، وهو رمل دقيق أصفر اللون، قريب من الزعفران، وله بهجة على الخط إلا أنه عزيز الوجود .

النوع الرابع - رمل بين الحمرة والصفرة، به شذور بصامة يحاها الناظر شذور الذهب، وهو عزيز الوجود جدا، وبه يرمل الملوك ومن شابههم .

الآلة الثامنة - المنشأة، وتشتمل على شيئين أيضا .

الأول - الظرف، وحاله كحال المِرْمَلَةِ في الهيئة والمحل من الدواة من جهة الغطاء إلا أنه لا شباك في فيه ليتوصل الى اللصاق، وربما اتخذ بعض ظرفاء الكتاب منشأة أخرى غير التي في صدر الدواة من رصاص على هيئة حق لطيف، ويعملها في باطن الدواة كالمِرْمَلَةِ المتوسطة، فإن اللصاق قد يتغير بكنهه في النحاس، بخلاف الرصاص .

الثاني - اللصاق، وهو على نوعين : أحدهما الذبا المتخذ من البر، وطريقه أن يطبخ على النار كما يطبخ للفاش، إلا أنه يكون أشد منه، ثم يجعل في المنشأة، وهو الذي يستعمله كتاب الإنشاء ولا يعولون على غيره لسرعة اللصاق به، وموافقة لونه للورق في تصاغة الياض، والثاني المتخذ من الكثيراء، وهو أن تبل الكثيراء بالماء حتى تصير في قوام اللصاق، ثم تجعل في المنشأة . وكثيرا ما يستعمله كتاب الدبوبة، وهو سريع التغير الى الخضرة ولا يسرع اللصاق به . وينبغي أن يستعمل في اللصاق في الجملة المسارود والكافور لطيب رائحته .

الآلة التاسعة — المِثْقَدُ، وهي آلة تشبه المِخْرَز. تتخذ لحزم الورق، وينبني أن يكون عمل الحاجة منها متساويا في الدقة واللفظ، أعلاه وأسفله سواء، لئلا تختلف ألقاب الورق في الضيق والسعة، خلا أن يكون ذبابه دقيقا ليكون أسرع وأبلغ في المقصود، وحكمه في النصاب في الطول واللفظ حكم المذبة، وقد سبق. وأكثر من يحتاج الى هذه الآلة من الكتاب كُتَّاب الدواوين، وربما احتاج اليها كاتب الإنشاء في بعض أحواله.

الآلة العاشرة — المِزْمَةُ، قال الجوهري: المِزْمُ بالكسر خشبتان تشد أوساطهما بمحديدة تكون مع الصياقلة والأبارين، ولم يزد على ذلك. وهي آلة تتخذ من النحاس ونحوه، ذات دقتين يتقيان على رأس الدرج حال الكتابة لينع الدرج من الرجوع على الكاتب، ويُمسَسُ بهُمس على الدقتين.

الآلة الحادية عشرة — المِفرشة، وهي آلة تتخذ من خرق كتان: بهانته وظهارة أو من صوف ونحوه، تُفَرَّش تحت الأقلام وما في معناها بما يكون في بطن الدواة.

الآلة الثانية عشرة — المِسْعة، وتسمى الدقتر أيضا، وهي آلة تتخذ من خرق متراكبة ذات وجهين ملونين من صوف أو حرير أو غير ذلك من نفيس القماش، يُمسَح القلم بباطنها عند الفراغ من الكتابة لئلا يحف عليه الحبر فيفسد، والغالب في هذه الآلة أن تكون مدورة مخزومة من وسطها. وربما كانت مستطيلة، ويكون مقدارها على قدر سعة الدواة. وفيها يقول القاضي رحمه الله:

يَمْسَحُهُ نَهَارُهَا \* يُجِنُّ لَيْلَ الظُّلَمِ  
كَأَنَّمَا مَذْخُلَتْ \* مِنْ دِيلِ كَمِ الْقَلَمِ

وقال نور الدين علي بن سعيد المغربي فيها :

وَمِمْسَحَةٍ لَأَحْتِ كَأَنِّي تَبَدَّدْتُ \* بِهِ قِطْعُ الظُّلُمَاءِ وَالصُّبْحُ طَالِعُ  
وَلَمَّا اطَّالَ اللَّيْلُ فِيهَا وَرَوَدَهُ \* حَكَّتُهُ وَمُدَّتْ لِلصَّبَاحِ الْمَطَالِيعُ

وقال المولى ناصر الدين شافع بن عبد الظاهر :

وَمِمْسَحَةٍ تَنَاهَى الْحُسْنُ فِيهَا \* فَاصْتَحَتْ فِي الْمَلَاَحَةِ لَا تُبَارَى  
وَلَا تُكْرَى عَلَى الْقَلَمِ الْمُؤَافَى \* إِذَا فِي وَصْلِهَا خَلَعَ الْعِذَارَا

الآلة الثالثة عشرة — المِسْقَاة، وهي آلة لطيفة تتخذ لصب الماء في المحبرة وتسمى المَآوِدِيَّةُ أيضا: لأن الغالب أن يجعل في المحبرة عِوَضَ الماء ماوَرِدُ لتطيب رائحتها، وأيضا لأن المياه المستخرجة بجاء الورد والخلاف والريحان ونحو ذلك لا تحمل الجبر ولا تفسده بخلاف الماء . وتكون هذه الآلة في الغالب من الخزون الذي يخرج من البحر الملح، وربما كانت من نحاس ونحوه، والمعنى فيها ألا تخرج المحبة من مكانها، ولا يصب من إناء واسع القيم كالكوز ونحوه، فربما زاد الصب على قدر الحاجة .

الآلة الرابعة عشرة — المِسطرة، وهي آلة من خشب مستقيمة الخدين يسطر عليها ما يحتاج إلى تسطيره من الكتابة ومتعلقاتها، وأكثر من يحتاج إليها المذهب .

الآلة الخامسة عشرة — المِصْقَلَة، وهي التي يُصَقَّلُ بها الذهب عند الكتابة، وهي من آلات الدواة لا محالة .

الآلة السادسة عشرة — المَهْرَقُ (بضم الميم وفتح الراء) وهو القِرطاس الذي يكتب فيه، ويجمع على مَهَارِقَ . قلت : وعد صاحبنا الشيخ زين الدين شعبان الآثاري منها المِداد، وهو ظاهر، والمِخِيط، وفي عده همد .

الالة السابعة عشرة — المِسْنُ ، هو آلة تتخذ لإحداد السكين ؛ وهو نوعان : أكلهُبُ اللون ، ويسمى الرومى ، وأخضرُ ، وهو على نوعين : حجازى وقوصى ؛ والرومى أجودها ، والحجازى أجوده الأخضرُ .

الطرف الثالث — فيما يكتب فيه ، وهو أحد أركان الكتابة الأربعة كما سبقت الإشارة اليه في بعض الآيات المتقدمة ؛ وفيه ثلاث جمل :

### الجملة الأولى

فما نطق به القرآن الكريم من ذلك

وقد نطق القرآن بثلاثة أجناس من ذلك :

الأول اللوح . قال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ قرأ العامة بفتح اللام على أن المراد اللوح واحد الألواح ؛ سمي بذلك لأن المعاني تلوح بالكتابة فيه ؛ ثم اختلفوا ، فقرأ نافع برفع محفوظ على أنه نعت للقرآن بتقدير بل هو قرآن مجيد محفوظ في لوح ، وصفه بالحفظ لحفظه عن التغير والتبديل والتحريف . قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ، وقرأ الباقون بالجر على نعت اللوح . قال أبو عبيد : وهو الوجه ، لأن الآثار الواردة في اللوح المحفوظ تصدق ذلك ، وهو أم القرآن ، منه نُسخَ القرآن الكريم والكتب المُتَرِّلة ، ومنه تنسخُ الملائكة أعمالَ الخلق . قال ابن عباس : وهو لَوْحٌ من ذرة بيضاء ، طوله ما بين السماء والأرض ، وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، وحافته الذُّرُّ والياقوت ، ودفتاه ياقوتة حمراء ، وأصله في جِجَرِ مَلَكٍ . وقال أنس : اللوح المحفوظ في جبهة إسرافيل عليه السلام ، وقال مقاتل : اللوح المحفوظ عن يمين العرش .

قال ابن عباس: وفي صدر اللوح مكتوب: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، دينه الإسلام، ومحمد عبده ورسوله». فمن آمن بالله وصدق بوعده وآتبع رسله أدخله الجنة، وسُمي محفوظاً لأن الله تعالى حفظه عن الشياطين، وقيل: حفظه بما ضمنه. وقيل: اللوح صدر المؤمن.

وقرأ يحيى بن يعمر في لُوحٍ بضم اللام، وهو الهواء. يقال لما بين السماء والأرض اللُوحُ، والمعنى أنه شيء يلوح للأنبياء فيقرؤونه. وهو ذو نور وعلو وشرف. وقد ورد في القرآن بلفظ الجمع، قال تعالى: «وَكُنْتُمْ لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ» يريد الألواح التوراة. قال الكلبي: كانت من زبرجدة خضراء. وقال سعيد بن جبير: من ياقوته. وقال مجاهد: من زمرّد أخضر. وقال أبو العالية والربيع بن أنس: من برّد. وقال الحسن: خشب، وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الألواح التي أنزلت على موسى من سدير الجنة، وكان طول كل لوح منها اثني عشر ذراعاً». وقال وهب بن منبه: من صحفة صماء لأنها الله له قطعها بيده، ثم قطعها بأصابعه.

واختلف في عددها، فقيل: سبعة، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس؛ وقيل: لوحان، رواه أبو صالح عن ابن عباس أيضاً، وجمعت على عادة العرب في إيقاع الجمع على التثنية كما في قوله تعالى: «وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ» يريد داود وسليمان عليهما السلام واختاره القراء. وقيل: عشرة. قال ابن منبه، وقيل: تسعة. قاله مقاتل. وقال أنس: نزلت التوراة وهي سبعون وقرّبعير.

الثاني - الرق (بفتح الراء) قال تعالى: «وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ» قال المبرد: هو ما يرقق من البلود ليكتب فيه. قال المعافى بن أبي السيار: ومن

ثم استبعد حمله على اللوح المحفوظ، والمنشور المبسوط؛ واختلف في الكتاب  
المسطور فيه، فقيل: اللوح المحفوظ، وقيل: القرآن، وقيل: ما كتبه الله تعالى  
لموسى وهو يسمع صرر الأقلام.

الثالث - القراطس والصحيفة، وهما بمعنى واحد وهو الكاغد.

أما القراطس، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ أَنَّكَ بِكَاتِبٍ فِي قِرَاطِسٍ فَتَرْسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ  
لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ قال ابن أبي السيار: القراطس كاغد  
يخخذ من بردى بمصر، وكل كاغد قراطس، قال: والجهورى على كسرهما، وضما  
أبو زيد وعكرمة وطلحة ويحيى بن عيسى، والذي حكاه الجوهري عن أبي زيد  
يخالف ذلك، فإنه قال فيه: قراطس (يفتح القاف من غير ألف بعد الراء) والمراد  
بالكتاب في الآية الكريمة المكتوب لا نفس الصحيفة. قاله المعاني.

وأما الصحيفة، فإنها لم ترد إلا بلفظ الجمع. قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَلْبِسْكُمْ  
فِي صُحُفٍ مُّوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ وقال جل وعز: ﴿إِنَّ هَذَا لَنَبِيٍّ مِّنَ  
الْأَوَّلِينَ صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ وجمع أيضا على صحائف، وسمى المصحف مصحفًا  
لجمعه الصحف. قال الجوهري: وسمى التصحيف تصحيفًا للخطأ في الصحيفة.

## الجملة الثانية

فما كانت الأهم السالقة تكتب فيه في الزمن القديم

وفد كانت الأهم في ذلك متفاوتة، فكان أهل الصين يكتبون في ورق يصنعونه  
من الحشيش والكلا، وعندهم يأخذ الناس صنعة الورق، وأهل الهند يكتبون

(١) يظهر أنه وقع هنا تحريف من النسخ، وحاصل ما يؤخذ من كتب التفسير أنه اختلف في الرق قليل:  
الجله، وويل: اللوح المحفوظ. واختلف أيضا في الكتاب المطور فيه قليل: القرآن، وقيل ما كتبه الخ فصح.

في خرق الحرير الأبيض، والقرص يكتون في الجلود المدبوعة من جنود الحواميس والقر والغنم والوحوش، وكذلك كانوا يكتون في الخفاف (بالخاء المعجمة): وهي حجارة بيض يقاق، وفي النحاس والحديد ونحوهما، وفي عُسب النخل (بالسين المهملة) وهي الحريد الذي لا خوص عليه، واحدها عيسب، وفي عظم أ كفاف الإبل والغنم . وعلى هذا الأسلوب كانت العرب لقربهم منهم . واستقر ذلك إلى أن بُعث النبي صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن والعرب على ذلك ، فكانوا يكتون القرآن حين ينزل ويقرؤه عليهم النبي صلى الله عليه وسلم في الخفاف والعُسب ، فمن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال عند جمعه القرآن : «بَجَلْتُ أَتَّبِعُ الْقُرْآنَ مِنَ الْعُسْبِ وَالْخَفَافِ» . وفي حديث الزهري : «قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْقُرْآنُ فِي الْعُسْبِ» وربما كتب النبي صلى الله عليه وسلم بعض مكاتباته في الأدم كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى .

وأجمع رأي الصحابة رضي الله عنهم على كتابة القرآن في الرق لطول بقائه ، أولاً لأنه الموجود عندهم حينئذ . وبقى الناس على ذلك إلى أن ولي الرشيد الخلافة وقد كثرت الورق وفشا عمله بين الناس أمر ألا يكتب الناس إلا في الكاغد ، لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والإعادة فتقبل التروير ، بخلاف الورق فإنه متى عُي منه نسد ، وإن كُشِط ظهر كَشَطُهُ . وانتشرت الكفاة في الورق إلى سائر الأقطار ، وتعاطاها من قرب وبعد ، واستمر الناس على ذلك إلى الآن .



## الجملة الثالثة

في بيان أسماء الورق الواردة في اللغة ، ومعرفة أجناسه

الْوَرَقُ ( بفتح الراء ) اسم جنس يقع على القليل والكثير ، واحده ورقة ، وجمعه أوراق ، وجمع الورقة ورقات . وبه سمي الرجل الذي يكتب ورّاقا . وقد نطق القرآن الكريم بتسميته قِرطاسًا وصحيفة كما مر بيانه . ويسمى أيضا الكاغد (بغير وِدة) والمهمة) ويقال للصحيفة أيضا طُرُس ، ويجمع على طُروس ، ومُهرق (بضم الميم وإسكان الهاء وفتح الراء المهمة بعدها قاف ) ، ويجمع على مَهَارِق . وهو فارسي معزب ، قاله الجوهري . وأحسن الورق ما كانت ناصع البياض غرfa صقيلا ، متناسب الأطراف ، صبورًا على مُرور الزمان . وأعلى أجناس الورق فيما رأيناه البغدادي وهو ورق ثخين مع ليونة ورقّة حاشية وتناسب أجزاء ، وقطعه وافر جدًا ، ولا يكتب فيه في الغالب إلا المصاحف الشريفة . وربما استعمله كُتّاب الإنشاء في مكاتبات القانات ونحوها كما سيأتى بيانه في المكاتبات السلطانية . ودونه في الرتبة الشامي ؛ وهو على نوعين : نوع يعرف بالحموي ، وهو دون القطع البغدادي . ودونه في القدر وهو المعروف بالشامي ، وقطعه دون القطع الحموي ، ودونها في الرتبة الورق المصري ؛ وهو أيضا على قطعين : القطع المنصوري ، وقطع العادة والمنصوري أكبر قطعًا . وقلما يُصقل وجهاه جميعا . أما العادة فإن فيه ما يصقل وجهاه ويسمى في عرف الورّاقين : المصلوح . وغيره عندهم على ربتين : حال ووسط . وفيه صنف يعرف بالقوى صغير القطع ، خشن غليظ خفيف الغر ، لا يُتّسع به في الكتابة يُنخذ للقُلوى والعطر ونحو ذلك . وإنما نهت على ذلك وإن كان

واضحاً لأمرين : أحدهما ، ألا تُحْلَى كتابنا من بيان الورق الذي هو أحد أركان الكتابة ؛  
 الثاني ، أنه قد ينتقل الكتاب إلى إقليم لا يعرف فيه تفاصيل أمر الورق المضري  
 كما لا يعرف المصريون ورق غير مصر معرّقتهم بورق مصر ، فيقع الاطلاع على  
 ذلك لمن أرادته . ودون ذلك ورق أهل الغرب والفرنجية فهو ردىء جداً ، سريع  
 البلى ، قليل المكث ، ولذلك يكتبون المصاحف غالباً في الرِّقِّ على العادة الأولى طلباً  
 لطول البقاء .

وسأبقى الكلام على مقادير قطع الورق عند أهل التوقيع وأهل الديونة عند ذكر  
 ورق كل فن ، وما يناسبه من القطع إن شاء الله تعالى .

تم الجزء الثاني ، ويتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الثالث ، وأوله

( الفصل الثاني من الباب الثاني من المقالة الأولى ،

في الكلام على نفس الخط )



مطابع کوستانتینوپول و شرکاء  
شارع وقف اکرطی الطاهر ج ۴  
تبعثون ۱۱۸۰۹۰۰ م. ۱۱۸۰۹۰۰

Bibliotheca Alexandrina



0484341